حاشية الصاوي

على

تفسير الجلالين

شرح

العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد السلام شاهين

الجزء الرابع

المحتوى:

أول سورة الكهف - آخر سورة الروم

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
هاتف و فاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤١ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق البريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor
Tel + Fax : 00 (961 1) -378541 - 366135 - 364398
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0707-0

9782745107077 90000

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الكَهۡفِ

مكيّة

إلا﴿واصبر نفسك﴾الآية. وهي مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ هو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء أو هما؟ احتمالات أفيدها الثالث ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ محمد

بسم اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر وعلى آله وأصحابه ذوي العلا والمفاخر ـ وبعد ـ فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطي فلنشرع الآن في الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد بن أحمد المحلي نفعنا الله بهما وبعلومهما في الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى الإعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والإسلام. قال نفعنا الله به:

سورة الكهف مكية

إلا﴿واصبر نفسك﴾الآية، وهي مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

سميت بذلك، لذكر قصة أصحاب الكهف فيها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، و (**سورة**) مبتدأ، و (**مكية**) خبر أول، و (**مائة**) الخ، خبر ثان. قوله: (**ثابت**) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور في ﴿**لِلَّهِ**﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلاً وأبداً، فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث، فوصف القديم بالكمالات أزلي مستمر، وكمال الحادث عارض. قوله: (**الإعلام بذلك**) أي الإخبار بأن وصفه الكمالي أزلي، فتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى، والمقصود منها، كونها عقيدة للعباد، وشرطاً في إيمانهم، والمخبر بالحمد حامد. قوله: (**أو الثناء به**) أي إنشاء الثناء

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي فيه ﴿عِوَجَا﴾ ﴿١﴾ اختلافاً وتناقضاً، والجملة حال من الكتاب ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً حال ثانية مؤكدة ﴿لِّيُنذِرَ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾ عذاباً

بمضمون تلك الجملة، لا إنشاء المضمون، فإنه ثابت أزلاً يستحيل إنشاؤه، فتكون على هذا خبرية لفظاً إنشائية معنى، كأنه قال: أجدد وأنشىء حمداً لنفسي بنفسي، لعجز خلقي عن كنه حمدي. ولذا حكي عن أبي العباس المرسي، أنه سأل ابن النحاس النحوي عن أل في الحمد لله، هل هي جنسية أو عهدية؟ فقال: يقولون إنها جنسية، فقال: لا بل هي عهدية، لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده، حمد نفسه بنفسه، وأبقاه لهم يحمدونه به. قوله: **(أو هما)** أي الإعلام والثناء، ويكون هذا من باب استعمال الجملة في الخبر والإنشاء، على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، فاستعمالها في الخبر حقيقة، واستعمالها في الإنشاء مجاز، وحينئذٍ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين: الإعلام للإيمان والتصديق، وإنشاء الثناء. قوله: **(أفيدها الثالث)** أي أكثرها فائدة، لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات. إن قلت: إن إنشاء الثناء يستلزم الإعلام، والإعلام يستلزم إنشاء الثناء. قلنا: نعم، لكن فرق بين الحاصل المقصود، والحاصل الغير المقصود، فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط، كان الثناء حاصلاً غير مقصود، وإن جعلت إنشائية فقط، كان الإيمان بها حاصلاً غير مقصود، وإن استعملت فيهما، كان كل مقصوداً لذاته. قوله: **﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾** تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية، كأنه قال: الحمد لله لأجل إنزاله الخ، وإنما جعل الإنزال سبباً في الحمد، لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى، إذ به تنال سعادة الدارين، إذ فيه صلاح المعاد والمعاش، قال تعالى: ﴿وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾. قوله: **﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾** الإضافة لتشريف المضاف، ولذا قال القاضي عياض:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفاً وَتِيهاً ... وَكِدْتُ بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا
دُخُولِي تَحْتَ قَولِكَ يَا عِبَادِي ... وإن صيرت أَحْمَد لِي نَبِيَّا

قوله: **﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ﴾** الجملة إما معطوفة على قوله: **﴿أَنْزَلَ﴾** فتكون من جملة المحمود عليه، أو حال كما قال المفسر. قوله: **(اختلافاً)** أي في اللفظ، والمعنى، والعوج بالكسر الفساد في المعاني، وبالفتح في الأجسام. قوله: (تناقضاً) نعت لاختلافاً على حذف مضاف، أي ذا تناقض. قوله: **﴿قَيِّماً﴾** إن أريد به الاستقامة في المعنى، كان حالاً مؤكدة كما قال المفسر، وإن أريد به الاستقامة مطلقاً، كان حالاً مؤسسة. قوله: **(مستقيماً)** أي معتدلاً قائماً بمصالح العباد، دنيا وأخرى، فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته، من حيث إنه يؤنسه في قبره ويتلقى عنه السؤال، ويكون نوراً على الصراط، ويوضع في الميزان، ويرقى به درجات الجنة، وهذا للعامل به، وقائم على غير العامل به، بمعنى أنه يكون حجة عليه، أو المعنى قيماً حسن الألفاظ والمعاني، لكونه في أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة. فإن قلت: ما فائدة التأكيد؟ قلنا: دفع توهم أن نفي العوج عن غالبه، لأن الحكم للغالب.

قوله: **﴿لِيُنْذِرَ﴾** متعلق بأنزل، وهو ينصب مفعولين، قدر المفسر الأول بقوله: **(الكافرين)** والثاني هو قوله: **﴿بَأْساً﴾**، وقوله: **﴿وَيُنْذِرَ﴾** معطوف على قوله: **﴿لِيُنْذِرَ﴾** الأول؛ وحذف مفعوله الثاني لدلالة ما هنا عليه، وذكر مفعوله الأول، ففي الكلام احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر.

﴿ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ من قبل الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ ﴿٣﴾ هو الجنة ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٤﴾ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ بعدهم أي بعد توليهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾

قوله: (الكتاب) هو فاعل ﴿يُنْذِرَ﴾ وفي بعض النسخ (بالكتاب) وحينئذٍ فيكون فاعل الإنذار، إما ضمير عائد على الله، أو على محمد.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ نعت للمؤمنين، وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم، وإنما ذكر المفعولين معاً لعدم النظير لهم، بخلاف أهل الإنذار، فأنواعهم مختلفة. قوله: ﴿مَاكِثِينَ﴾ أي مقيمين فيه. قوله: (هو الجنة) أي الأجر الحسن. قوله: (من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَيُنْذِرَ﴾ معطوف على ﴿لِيُنْذِرَ﴾ الأول، عطف خاص على عام، والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم، حيث نسبوا لله الولد، وهو مستحيل عليه، قال تعالى: ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾.

قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ أي مولوداً ذكراً أو أنثى، فيشمل النصارى واليهود ومشركي العرب. قوله: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي لاستحالته عليه عقلاً. قوله: (بهذا القول) هذا أحد أوجه في مرجع الضمير، والثاني أنه راجع للولد، أي أنهم نسبوا له الولد، مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده، الثالث أنه راجع لله، أي ليس لهم علم بالله، إذ لو علموه لما نسبوا له الولد. قوله: (من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم، أي فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموماً، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليها ولادة.

قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ كبر فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء علامة التأنيث، والفاعل مستتر تقديره هي، و (كلمة تمييز) له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله: (مقالتهم) وهذه الجملة مستأنفة لإنشاء ذمهم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي من غير تأمل وتدبر فيها، بل جرت على ألسنتهم من غير سند. قوله: (في ذلك) أي في هذا المقام، وهو نسبة الولد لله. قوله: ﴿إِلَّا كَذِباً﴾ صفة لموصوف محذوف، قدره المفسر بقوله: (مقولاً). قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ الخ، لعل تأتي للترجي وللإشفاق وكل ليس مقصوداً هنا، بل المراد هنا النهي، والمعنى لا تبخع نفسك، أي لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم. قوله: (بعدهم) تفسير لآثارهم، أي فالآثار جمع أثر، والمراد منه البعدية. قوله: ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، والتقدير فلا تهلك، والمقصود منه تسلية النبي ﷺ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم حزناً يؤدي لإهلاك نفسك، وأما أصل الحزن والغم، فهو شرط في الإيمان لا ينهى عنه، لأن الرضا وشرح

القرآن ﴿أَسَفًا﴾ ﴿٦﴾ غيظاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ﴿٧﴾ فيه أي أزهد له ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فتاتاً ﴿جُرُزًا﴾ ﴿٨﴾ يابساً لا ينبت ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم

الصدر بالكفر كفر. قوله: **(لحرصك)** علة للعلة. قوله: **(ونصبه على المفعول)** أي والعامل فيه باخع.

قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا**﴾ كالتعليل لما قبله، فهو من جملة تسليته ﷺ، وجعل إن كانت بمعنى صير، فزينة مفعول ثان، وإن كانت بمعنى خلق، فزينة حال أو مفعول لأجله، وعلى كل فقوله: ﴿**مَا عَلَى الأرْضِ**﴾ مفعول. قوله: **(وغير ذلك)** أي من باقي النعم التي خلقها الله للعباد، كالذهب والفضة والمعادن. قوله: ﴿**زِينَةً لَهَا**﴾ أي يتزين بها ويتنعم، قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ الآية. قوله: **(لنختبر الناس)** أي نعاملهم معاملة المختبر. قوله: **(ناظرين إلى ذلك)** حال من الناس، أي لنختبر الناس في حال نظرهم إلى الزينة.

قوله: ﴿**أَيُّهُمْ**﴾ مبتدأ، و ﴿**أَحْسَنُ**﴾ خبر و ﴿**عَمَلاً**﴾ تمييز، والجملة في محل نصب، سدت مسد مفعولي نبلو. قوله: **(أي أزهد له)** تفسير لقوله: ﴿**أَحْسَنُ**﴾، والمعنى نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة، فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر. قوله: ﴿**لَجَاعِلُونَ**﴾ أي مصيرون، و ﴿**صَعِيداً**﴾ مفعول ثان. قوله: **(فتاتاً)** بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أي تراباً. قوله: ﴿**جُرُزاً**﴾ نعت لصعيداً، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة، تراباً مستوياً بالأرض، كصعيد أملس لا نبات به. إن قلت: إن قوله: ﴿**مَا عَلَيْهَا**﴾ صريح في أن الأرض تستمر، فيكون منافياً لقوله في الآية الأخرى ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ أجيب: بأنه خص ما على الأرض من الزينة، لأنه الذي به الغرور والفتنة.

قوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ**﴾ ﴿**أَمْ**﴾ منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة، وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها، وعليه درج عند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها. قوله: **(أي ظننت)** الاستفهام إنكاري، أي لا تظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقي الآيات، فإن غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله، كالليل والنهار والسماوات والأرض أعجب منها. قوله: ﴿**الكَهْفِ**﴾ مفرد، وجمعه كهوف وأكهف. قوله: **(والغار في الجبل)** أي وإن لم يكن متسعاً وهو قول، وقيل إن الكهف الغار المتسع، فإن لم يتسع سمي غاراً فقط. قوله: ﴿**وَالرَّقِيمِ**﴾ هو بمعنى مرقوم. قوله: **(اللوح)** أي وكان من رصاص، وقيل من حجارة، وهو مدفون عند باب الغار تحت البناء الذي عليه، وقيل: إن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وقيل اسم للقرية، وقيل اسم الجبل وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم، فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى، وقيل دراهمهم التي كانت معهم، وقيل كلبهم. قوله: **(فيه أسماؤهم)** أي ففيه فلان بن فلان، من مدينة كذا، خرج في وقت كذا، من سنة كذا. قوله: **(في قصتهم)**

﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾ خبر كان وما قبله حال أي كانوا عجباً دون باقي الآيات أو أعجبها ليس الأمر كذلك اذكر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ

أي وكانت بعد عيسى عليه السلام. قوله: (**ليس الأمر كذلك**) أي ليست أعجبها، ولا هي عجب دون غيرها، بل هي من جملة الآيات العجيبة.

قوله: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾ أي نزلوه وسكنوه. وحاصل قصتهم كما قال محمد بن إسحاق: لما طغى أهل الإنجيل، وكثرت فيهم الخطايا، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها، وبقي فيهم من هو على دين عيسى، مستمسكين بعبادة الله وتوحيده، وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس، عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وكان يحمل الناس على ذلك، ويقتل من خالفه، فمر بمدينة أصحاب الكهف، وهي مدينة من الروم يقال لها أفسوس، واسمها عند العرب طرسوس، فاستخفى منه أهل الإيمان، فصار يرسل أعوانه، فيفتشون عليهم ويحضرونهم له، فيأمرهم بعبادة الأصنام، ويقتل من يخالفه، فلما عظمت هذه الفتنة، ورأى الفتية ذلك، حزنوا حزناً شديداً، وكانوا من أشراف الروم، وهم ثمانية، وكانوا على دين عيسى، فأخبر الملك بهم وبعبادتهم، فبعث إليهم، فأحضروا بين يديه يبكون، فقال: ما منعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة؟ فاختاروا إما أن تكونوا على ديننا، وإما أن نقتلكم، فقال له أكبرهم: إن لنا إلهاً عظمته ملء السماوات والأرض، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، اصنع ما بدا لك، وقال أصحابه مثل ذلك. فأمر الملك بنزع لباسهم، والحلية التي كانت عليهم، وكانوا مسورين ومطوقين، وكانوا غلماناً مرداً حساناً جداً، وقال: سأتفرغ لكم وأعاقبكم، وما يمنعني من فعل ذلك بكم، إلا أني أراكم شباباً، فلا أحب أن أهلككم، وإني قد جعلت لكم أجلاً، تدبرون فيه أمركم، وترجعون إلى عقولكم، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه، فخافوا أنه إذا رجع من سفره، يعاقبهم أو يقتلهم، فاستشوروا فيما بينهم، واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي، ففعلوا ذلك، وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف، ومروا في طريقهم بكلب فتبعهم، فطردوه فعاد، ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: أنا أحب أحباب الله عزَّ وجل، فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم، فدخلوا الكهف وقعدوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد، وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا، كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سراً، ويتجسس لهم الخبر، فلبثوا في ذلك الغار ما شاء الله، ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة، وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاماً، فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم، ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل، ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم، وذلك عند غروب الشمس، فقال لهم تمليخا: يا إخوتاه، كلوا وتوكلوا على ربكم، فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون، فبينما هم كذلك، إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف، وألقاه أيضاً على كلبهم، وهو باسط ذراعيه على باب الكهف، ففتش عليهم الملك فدل عليهم، فتحير فيما يصنع بهم، فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار، وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس، وأن يبين لهم أن الساعة آتية، وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت، فأمر الملك بسده وقال: دعوهم في كهفهم يموتون جوعاً وعطشاً، ويكون

كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم، ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما، شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية، فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم، وممن فروا في لوحين من رصاص، وجعلاهما في تابوت من نحاس، وجعلا التابوت في البنيان وقالا: لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه؛ ومر بعده سنون وقرون، وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيطروس، واختلف الناس عليه، فمنهم المؤمن بالساعة، ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه، حيث كان يسمعهم يقولون: لا حياة إلا حياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد، فجعل يتضرع ويقول: رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء، فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث، فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية، أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف، ويبني بحجارته حظيرة لغنمه، فهدمه وبنى به حظيرة لغنمه، فلما انفتح باب الكهف، بعث الله هؤلاء الفتية، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم، وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم، فلم يتغير منها شيء، فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا، كهيئتهم وقت أن رقدوا، ثم أرسلوا تمليخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام، فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها، وقد أخذه أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن، فأخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه، فقال بعض الحاضرين: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله، جعلها الله لكم على يد هذا الفتى، فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه، فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة، ومعهما جميع أهل المدينة، كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم، فأول من دخل عليهم، هذان العظيمان الكبيران، فوجدا في أثر البناء تابوتاً من نحاس، ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما قصتهم، فلما قرأوهما عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث، ثم أرسلوا قاصداً إلى ملكهم الصالح بيدروس، أن عجل بالحضور إلينا، لعلك ترى هذه الآية العجيبة، فإن فتية بعثهم الله وأحياهم، وكان قد توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر، فلما جاءه الخبر، ذهب همه وقال: أحمدك رب السماوات والأرض، تفضلت عليّ ورحمتني، ولم تطفىء النور الذي جعلته لآبائي، فركب وتوجه نحو الكهف، فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم، وهم جلوس على الأرض، يسبحون الله ويحمدونه، فقالوا له: نستودعك الله، والسلام عليك ورحمة الله، حفظك الله وحفظ ملكك، ونعيذك بالله من شر الإنس والجن، فبينما الملك قائم، إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا، وتوفى الله أنفسهم، فقام الملك إليهم، وجعل ثيابهم عليهم، وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب، فلما مشى ونام، أتوه في منامه فقالوا له: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه، وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه، ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة اهـ ملخصاً من الخازن. قوله: (جمع فتى) أي كصبي وصبية. قوله:

﴿أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾ هداية ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ﴿١١﴾ معدودة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَىٰ﴾ فعل بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ للبثهم متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ ﴿١٢﴾ غاية ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾ نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قويناها على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ ﴿١٤﴾ أي قولاً ذا شطط أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا﴾ هلا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ﴾

(أصلح) أي أو يسر. قوله: **(هداية)** أي تثبيتاً على الإيمان، وتوفيقاً للأعمال الصالحة.

قوله: **﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾** مفعوله محذوف تقديره حجاباً مانعاً لهم من السماع، وهذا هو المعنى الحقيقي، وليس مراداً بل المراد أنمناهم، ففي الكلام تجوز، حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا، استعارة تصريحية تبعية. قوله: **(معدودة)** أشار بذلك إلى أن عدداً مصدر بمعنى معدود نعت لسنين، وسيأتي عدها في الآية. قوله: **(علم مشاهدة)** جواب عما يقال: كيف قال تعالى **﴿لِنَعْلَمَ﴾** مع أنه تعالى عالم بكل شيء أزلاً، فأجاب بقوله: **(علم مشاهدة)** والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا أزلاً من ضبط مدتهم. قوله: **(الفريقين المختلفين)** قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف، لافتراقهم فرقتين: فرقة تقول يوم، وفرقة تقول بعض يوم، وقيل هم أهل المدينة، افترقوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن. قوله: **(فعل)** أي ماض وليس اسم تفضيل، لأنه لا يبنى من غير الثلاثي. قوله: **(للبثهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله: **(متعلق بما بعده)** أي حال منه، و **﴿أَمَداً﴾** مفعول **﴿أَحْصَى﴾**.

قوله: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾** أي نفصل لك يا محمد خبرهم. قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** الباء للملابسة، والجار والمجرور حال من نبأ. قوله: **﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾** أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة، وأحدهم كان وزيراً للملك. قوله: **﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾** أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه. قوله: **(قويناها على قول الحق)** أي حيث خالفوا الملك، ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف. قوله: **﴿إِذْ قَامُوا﴾** ظرف لربطنا، أي ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم. قوله: **(بين يدي ملكهم)** أي واسمه دقيانوس. قوله: **﴿فَقَالُوا﴾** أي خطاباً للملك ثلاث جمل، وآخرها قوله: **﴿شَطَطاً﴾**. قوله: **﴿لَنْ نَدْعُوَ﴾** أي نعبد. قوله: **(أي قولاً ذا شطط)** أشار بذلك إلى أن شططاً منصوب على المصدرية، صفة لمحذوف على حذف مضاف، أي إفراط في الكفر، أي مجاوزة الحد فيه.

قوله: **﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾** هذه جمل ثلاث، قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك، وآخرها قوله: **﴿كَذِباً﴾**. قوله: **(عطف بيان)** أي أو بدل. قوله: **﴿اتَّخَذُوا﴾** خبر المبتدأ. قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض، والمقصود من ذكر هذا الكلام فيما بينهم، تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم

بَيِّنٍۖ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ ﴿١٥﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى. قال بعض الفتية لبعض ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ ﴿١٦﴾ بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما ترتفقون به من غداء وعشاء ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ بالتشديد والتخفيف تميل ﴿عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة ﴿وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ﴾ دلائل قدرته ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيۡقَاظٗا﴾ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة جمع يقظ بكسر القاف ﴿وَهُمۡ رُقُودٞۚ﴾ نيام جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ يديه ﴿بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا

عليه. قوله: (**على عبادتهم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (**أي لا أحد**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (**قال بعض الفتية لبعض**) قدره إشارة إلى أن ﴿**إِذْ**﴾ ظرف منصوب بمحذوف، أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم. قوله: ﴿**وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ ﴿**مَا**﴾ موصولة أو مصدرية، والمعنى وإذ اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله، أو معبوداتهم غير الله. قوله: ﴿**يَنْشُرْ لَكُمْ**﴾ أي يبسط ويوسع. قوله: (**وبالعكس**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وأما الجارحة فبكسر الميم فقط. قوله: (**من غداء وعشاء**) أي وغير ذلك.

قوله: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ**﴾ الخطاب للنبي أو لكل أحد، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم، لرأيت الشمس إذا طلعت الخ. قوله: (**بالتشديد**) أي فأصله تتزاور، قلبت التاء زاياً وأدغمت في الزاي. قوله: (**والتخفيف**) أي بحذف إحدى التاءين، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**ناحيته**) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان، بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال، والمراد يمين الداخل للكهف وشماله، وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش، فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها، ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سد باب الكهف وبنى عليه مسجد، لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش. قوله: ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ**﴾ أي وسطه والجملة حالية. قوله: (**المذكور**) أي من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم.

قوله: ﴿**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾ جملة معترضة في أثناء القصة لتسليته ﷺ. قوله: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً**﴾ أي معيناً. قوله: ﴿**مُرْشِداً**﴾ أي هادياً. قوله: ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ**﴾ خطاب للنبي أو لكل أحد. قوله: (**بكسر القاف**) أي كفخذ وأفخاذ، ويضم أيضاً كعضد وأعضاد. قوله: ﴿**وَنُقَلِّبُهُمْ**﴾ الخ قيل يقلبون في كل سنة مرة وفي يوم عاشوراء، وقيل يقلبون مرتين، وقيل تسع سنين، والمقلب لهم قيل الله، وقيل ملك يأمره الله تعالى، قوله: ﴿**وَكَلْبُهُمْ**﴾ وكان أصفر اللون، وقيل أسمر، وقيل كلون السماء، اسمه قطمير،

انقلب، وهو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ﴿١٨﴾ بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متوقفين في ذلك ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ بسكون الراء وكسرها بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يقال

وقيل ريان، وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة، وبهذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم. قوله: ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾ منصوب بباسط، وهو ليس بمعنى الماضي المنقطع بل المستمر، وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضي لا بمعنى المستقبل. قوله: **(بفناء الكهف)** أي رحبته، وقيل المراد بالوصيد العتبة، وقيل الباب، وقيل التراب.

قوله: **﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾** الخطاب للنبي أو لكل أحد. قوله: **﴿فِراراً﴾** منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أي فاراً. قوله: **﴿رُعْباً﴾** أي فزعاً. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع من ذلك من هو خير منك ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم. قوله: **(بسكون العين وضمها)** ظاهره أن القراءات أربع، وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات، لأن اللام إن خففت جاز في العين السكون والضم، وإن شددت تعين في العين السكون فقط. قوله: **(كما فعلنا بهم ما ذكرنا)** أي من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة، فيكون إيقاظهم آية أخرى يعتبر بها هم وغيرهم. قوله: **﴿لِيَتَساءَلُوا﴾** اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة.

قوله: **﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾** أي واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا. قوله: **﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾** **﴿كَمْ﴾** منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوماً. قوله: **﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾** أو للشك منهم لترددهم في غروب الشمس وعدمه. قوله: **(لأنهم دخلوا الكهف)** الخ، ظاهره أنهم ناموا في يوم دخولهم، وتقدم أنهم مكثوا مدة في الكهف قبل نومهم، يتعبدون ويأكلون ويشربون، فكان المناسب أن يقول: لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ.

قوله: **﴿قَالُوا﴾** أي بعضهم لبعض. قوله: **(متوقفين في ذلك)** أي في قدر مدة لبثهم. قوله: **﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾** هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطاً وحسن أدب. قوله: **﴿فَابْعَثُوا﴾** أي أرسلوا. قوله: **﴿أَحَدَكُمْ﴾** أي وهو تمليخا. قوله: **﴿بِوَرْقِكُمْ﴾** قيل الورق الفضة المضروبة، وقيل الفضة مطلقاً، وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة. قوله: **(بسكون الراء وكسرها)** سبعيتان قوله: **﴿هٰذِهِ﴾** أي الدراهم التي كانت معهم من بيوت آبائهم، فإنهم انفقوا بعضها قبل نومهم، وبقي بعضها معهم، فوضعوه عند رؤوسهم حين ناموا، وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس، وكان الواحد منها قدر خف ولد

إنها المسماة الآن طرسوس بفتح الراء ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي أيّ أطعمة المدينة أحل ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٩) ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا﴾ أي إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾ (٢٠) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوٓا﴾ أي قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَآ إِذْ﴾ معمول لأعثرنا ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم﴾ أي حولهم ﴿بُنْيَٰنًا﴾ يسترهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أمر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ حولهم ﴿مَّسْجِدًا﴾ (٢١) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي أي يقول بعضهم هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ

الناقة الصغير. قوله: (الآن) أي في الإسلام، وأما في الجاهلية فكانت تسمى أفسوس، وقيل أفسوس من أعمال طرسوس. قوله: (أحل) أي أحل ذبيحته لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت، وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم، فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين.

قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي يترفق في ذهابه ورجوعه لئلا يعرف. قوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾ أي لا يفعلن ما يؤدي إلى شعور أحد بكم. قوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي أهل المدينة. قوله: ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي يغلبوكم ويطلعوا عليكم. قوله: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي يصيروكم إليها. قوله: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ أي لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرهاً. إن قلت: كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم، مع الإكراه المستفاد من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ الخ، مع أن المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه؟ أجيب: بأن هذا مخصوص بشريعتنا، وأما من قبلنا، فكانوا يؤاخذون بالإكراه بدليل قوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ أي كما أنمناهم وبعثناهم. قوله: (قومهم والمؤمنين) قدر ذلك إشارة إلى أن مفعول ﴿أَعْثَرْنَا﴾ محذوف. قوله: (أي قومهم) أي ذرية قومهم، لأن قومهم قد انقرضوا قوله: (بلا غذاء) أي قوت. قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ أي القيامة. قوله: (معمول لأعثرنا) المناسب جعله ظرفاً لمحذوف تقديره اذكر، أو لقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا﴾. قوله: (أي المؤمنون والكفار) أي فقال المؤمنون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال الكفار: نبني عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا.

قوله: ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، أو من كلام المتنازعين. قوله: (وهم المؤمنون) أي الذين كانوا في زمن الملك بيدروس الرجل الصالح. قوله: (وفعل ذلك على باب الكهف) أي وبقي ظهر الكهف منفتحاً كما تقدم. قوله: (أي المتنازعون) أي وهم النصارى والمؤمنون. قوله: ﴿ثَلاثَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله: (هم). قوله: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي ظناً في الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له أي لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل تأكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل وذكرهم سبعة ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ بما أنزل عليك ﴿ولا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ تطلب الفتيا ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾ (٢٢) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: أخبركم به غداً، ولم يقل إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ﴾ أي لأجل شيء

صفة لثلاثة، وكذا يقال في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾. قوله: **(نجران)** موضع بين الشام واليمن والحجاز. قوله: ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ أي ظناً من غير دليل ولا برهان. قوله: **(أي المؤمنون)** أي قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام. قوله: **(بزيادة الواو)** أي من غير ملاحظة معنى التوكيد. قوله: **(وقيل تأكيد)** أي زائدة، لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، وحكمة زيادتها الإشارة إلى تصحيح هذا القول دون ما قبله. قوله: **(ودلالة على لصوق الصفة)** الخ، العطف للتفسير على ما قبله، فهما قولان فقط.

قوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ أي من غيره. قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي وهو النبي ومن سمع منه. قوله: **(وذكرهم سبعة)** أي وهم: مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وساريولس وذونوانس وفليستطيونس وهو الراعي، واسم كلبهم قطمير، وقيل حمران، وقيل ريان، قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف، فإنها لو كتبت على باب دار لم تحرق، وعلى متاع لم يسرق، وعلى مركب لم تغرق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف، تنفع لتسعة أشياء: للطلب، والهرب، ولطف الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تطفأ بإذن الله، ولبكاء الأطفال، والحمى المثلثة، وللصداع تشد على العضد الأيمن، ولأم الصبيان، وللركوب في البر والبحر، ولحفظ المال، ولنماء العقل، ونجاة الآثمين اهـ. قوله: ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً﴾ أي غير متعمق فيه، بل نقص عليهم ما في القرآن، من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم. قوله: **(بما أنزل إليك)** أي وهو القرآن.

قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ أي لا تسأل عن قصتهم، فإن فيما أوحي إليك الكفاية. قوله: **(اليهود)** المناسب عدم التقييد بذلك، بل يقيد بالنصارى، لما روي أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن ذلك. قوله: **(وسأله أهل مكة)** أي بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم: سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذي القرنين، فسألوه عنها فقال: أبقوني غداً أخبركم، ولم يقل إن شاء الله، فأبطأ الوحي بضعة عشر يوماً وأربعين حتى شق عليه، وتمارت قريش في ذلك. قوله: **(فنزل)** أي بعد انقضاء تلك المدة، تعليماً لأمته الأدب، وتفويض الأمور إلى الله تعالى، فإن الإنسان لا يدري ما يفعل به، فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق، فما بالك بغيره؟ قوله: **(أي لأجل شيء)** أي

﴿ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ ﴿٢٣﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي مشيئته معلقاً بها ﴿ إِذَا نَسِيتَ﴾ التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره ما دام في المجلس ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا ﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رَشَدًا ﴾ ﴿٢٤﴾ هداية وقد فعل الله تعالى ذلك ﴿وَلَبِثُوا۟ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لثلاثمائة وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله ﴿ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ ﴿٢٥﴾ أي تسع سنين فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية ﴿ قُلِ ٱللَّهُ

تهتم به وتريد القدوم عليه. قوله: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ المراد بالفعل ما يشمل القول. قوله: **(أي فيما يستقبل من الزمان)** أشار بذلك إلى أن المراد بالغد ما يستقبل، كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير، لا خصوص اليوم الذي بعد يومك. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: لا تقولن لشيء في حال من الأحوال، إلا في حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله. قوله: **(ويكون ذكرها بعد النسيان)** الخ، أي لما روي أنه ﷺ لما نزلت الآية قال: إن شاء الله. قوله: **(قال الحسن وغيره ما دام في المجلس)** أي ولو انفصل عن الكلام السابق، وقال ابن عباس: يجوز انفصاله إلى شهر، وقيل إلى سنة، وقيل أبداً، وقيل إلى أربعة أشهر، وقيل إلى سنتين، وقيل ما لم يأخذ في كلام آخر، وقيل يجوز بشرط أن ينوي في الكلام، وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى، لأنه أعلم بمراده، لا في كلام غيره، وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله، فإن شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تفصل وأن يقصد بها حل اليمين، ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس، ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. قوله: ﴿وَقُلْ﴾ أي لأهل مكة. قوله: ﴿أَنْ يَهْدِيَنِ﴾ أي يدلني. قوله: **(في الدلالة)** متعلق بأقرب. قوله: ﴿رَشَداً﴾ إما مفعول مطلق ليهديني لموافقته له في المعنى وإليه يشير المفسر بقوله: **(هداية)**، ويصح أن يكون تمييز الأقرب، أي لأقرب هداية من هذا. قوله: **(وقد فعل الله تعالى ذلك)** أي هداه لما هو أعجب، وأطلعه على ما هو أغرب، حيث شاهد ما شاهد في ليلة الإسراء، وأعطاه علوم الأولين والآخرين، وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه، وأشار المفسر بذلك، إلى أن الترجي في كلام الله بمنزلة التحقق. قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ هذا رد على أهل الكتاب، حيث اختلفوا في مدة لبثهم. قوله: **(عطف بيان)** أي لأن تمييز المائة في الكثير مفرد مجرور، وفي قراءة بالإضافة، وعليها فتكون من القليل، قال ابن مالك:

وَمَـائَـةٌ وَالأَلْـفُ لِـلْفَـرْدِ أَضِـفْ   وَمَـائَـةٌ بِـالْجَمْـعِ نَـزرا قَـدْ رَدِفْ

قوله: **(تسع سنين)** أي لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية. قوله: **(أي تسع سنين)** أشار بذلك إلى أن حذف المميز من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ إن قلت: ما فائدة الأخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك؟ أجيب بأوجه: أحدها: أن المعنى قل الله

﴿أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي علمه ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ﴾ أي بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسۡمِعۡۚ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُم﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ ناصر ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ۝٢٦﴾ لأنه غني عن الشريك ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ۝٢٧﴾ ملجأ ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجۡهَهُۥۖ﴾ تعالى لا

أعلم بأن الثلاثمائة سنة والتسع، قمرية لا شمسية، خلافاً لزعم بعض الكفار أنها شمسية. ثانيها: أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته. ثالثها: أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده. واعلم أنه اختلف في أصحاب الكهف، هل ماتوا ودفنوا، أو هم نيام وأجسامهم محفوظة؟ والصحيح أنهم نيام، ويستيقظون عند نزول عيسى، ويحجون معه، ويموتون قبل يوم القيامة، حين تأتي الريح اللينة، كما قال ﷺ: «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة، وفي رواية: مكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً ومعتمراً، ويجمع الله له ذلك، فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا اهـ. قوله: **(أي علمه)** أي علم السماوات والأرض وما غاب فيهما. قوله: **(على جهة المجاز)** أي لأن التعجب استعظام أمر خفي سببه وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى، فإحاطته بالموجودات سمعاً وبصراً وعلماً أمر ثابت بالبرهان، وصار كالضروري، وإنما المقصود ذكر العظمة لا حقيقة التعجب. قوله: **﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾** إما مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف. قوله: **﴿فِي حُكْمِهِ﴾** أي قضائه.

قوله: **﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾** أي ولا تعتبر بهم. قوله: **﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾** أي لا يقدر أحد أن يغير شيئاً من القرآن، فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله، بل هو محفوظ من ذلك، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة. قوله: **(ملجأ)** أي تلتجىء إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى. قوله: **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾** في هذه الآية أمر للنبي ﷺ بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم، وهي أبلغ من آية الأنعام، لأن تلك إنما نهي فيها عن طردهم؛ وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم، وكأن الله يقول له: احبس نفسك على ما يكرهه غيرك، من رثاثة ثياب الفقراء ورائحتهم الكريهة، ولا تلتفت لجهال الأغنياء وحسن ثيابهم، فإن حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع. قال الشاعر:

جَمَالُ الْوَجْهِ مَع قُبْحِ النُّفُوسِ ... كَقِنْدِيلٍ عَلَى قَبْرِ المَجُوسِ

قوله: **﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾** أي يعبدونه. قوله: **﴿بِالْغُدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾** المراد بالغداة: أوائل النهار وأواخر الليل، وبالعشي: أوائل الليل وأواخر النهار، وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم في العبادة. قوله: **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** أي يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم. قوله: **(لا شيئاً من أعراض**

شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ﴾ زينة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي القرآن وهو عيينة بن حصن وأصحابه ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ إسرافاً ﴿وَقُلِ﴾ له ولأصحابه هذا القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ كعكر الزيت

الدنيا) أي ولا شيئاً من نعيم الجنة، وهذا مقام الكمل، والصحابة به أحرى. قوله: **(تنصرف)** ﴿**عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾ هو كناية عن الإعراض عنهم، أي لا تعرض عنهم، بل أقبل عليهم، وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر، ولا تعد عينيك بالنصب، لأنه فعل متعد، مع أن التلاوة بالرفع لا غير، فأجاب المفسر بأنها وإن كانت بالرفع، إلا أنها ترجع لمعنى النصب، لأن الفعل مسند للعينين، وهو في الحقيقة مسند لصاحبهما، ولذلك عبر بتنصرف، لتصحيح رفع العينين دون تصرف.

قوله: ﴿**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ الجملة حال من الكاف في ﴿**عَيْنَاكَ**﴾ والشرط موجود، وهو كون المضاف جزءاً من المضاف إليه، والمعنى لا تنصرف عيناك عنهم، حال كونك طالباً زينة الدنيا، بمجالسة الأغنياء، وصحبة أهل الدنيا، والخطاب للنبي، والمراد هو وغيره، وإنما خوطب النبي وإن كان معصوماً من ذلك، تسلية للفقراء وتطميناً لقلوبهم. قوله: **(وهو عيينة بن حصن)** أي الفزاري أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم، وعنده جماعة من الفقراء، منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها، وبيده خوص يشقه وينسجه، فقال عيينة للنبي: أما يؤذيك ريح هؤلاء؟ ونحن سادات مضر وأشرافها، إن أسلمنا تسلم الناس، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء، فنحهم عنك حتى نتبعك، أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان في حنين من المؤلفة قلوبهم، فأعطاه النبي ﷺ منها مائة بعير، وكذا أعطى الأقرع بن حابس، وأعطى العباس بن مرداس أربعين بعيراً. وقيل: نزلت في أصحاب الصفة، وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ، لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع، يصلون صلاة وينتظرون أخرى، فلما نزلت قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم». قوله: ﴿**فُرُطاً**﴾ مصدر فرط سماعي، أي متجاوزاً فيه الحد.

قوله: ﴿**وَقُلِ**﴾ **(له)** أي لعيينة بن حصن. قوله: ﴿**الْحَقُّ**﴾ خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله: **(هذا القرآن)**. قوله: **(تهديد لهم)** أي تخويف وردع لا تخيير وإباحة، لذكره الوعد الحسن على الإيمان، والوعيد بالنار على الكفر، فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب. قوله: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا**﴾ راجع لقوله: ﴿**وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾، وقوله: **(إن الذين آمنوا)** راجع لقوله: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ**﴾ فهو لف ونشر مشوش. قوله: ﴿**أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**﴾ صفة لنار، أو السرادق، كناية عن الصور وهو نار أيضاً، لما ورد أن أرضها من رصاص، وحيطانها من نحاس، وسقفها من كبريت، ووقودها الناس والحجارة، فإذا أوقدت فيها النار، وصار الكل ناراً، أجارنا الله منها بمنّه وكرمه.

قوله: ﴿**يُغَاثُوا**﴾ فيه مشاكلة لقوله: ﴿**إِنْ يَسْتَغِيثُوا**﴾ وتهكم بهم إذ لا إغاثة فيه، لأنه لا ينقذ من

﴿ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ هو ﴿ وَسَآءَتْ ﴾ أي النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٢٩﴾ تمييز منقول عن الفاعل أي قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة (وحسنت مرتفقاً) وإلا فأي ارتفاق في النار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أي نثيبهم بما تضمنه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ إقامة ﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل من زائدة وقيل للتبعيض وهي جمع أسورة كأحمرة جمع سوار ﴿ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ ﴾ ما رقّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن بطائنها من إستبرق ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَٱضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لهم﴾ للكفار

المهالك. قوله: (كعكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى في إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه، وهو تشبيه في الصورة، وإلا فهو نار كما وصفه بقوله: ﴿يَشْوِي الْوُجُوه﴾. قوله: (أي قبح مرتفقاً) أي فحول الإسناد إلى النار، ونصب ﴿مُرْتَفَقاً﴾ على التمييز، لأن ذكر الشيء مبهماً، ثم مفسراً أوقع في النفس. قوله: (وهو مقابل) أي ذكر على سبب المقابلة والمشاكلة لما سيأتي في الجنة. قوله: (وإلا) أي إلا نقل أنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة. قوله: (وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أي وهو الرابط، لأنه بمعنى الموصول الذي هو اسم أن، على حد: سعاد الذي أضناك حب سعاداً. قوله: (أي نثيبهم) تفسير لقوله: ﴿لَا نُضِيعُ﴾. قوله: (بما تضمنه) أي بثواب تضمنه ﴿أولئكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَسُنَت مُرْتَفقاً﴾، وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب: الأول جنات عدن، الثاني تجري من تحتهم الأنهار، الثالث يحلون فيها، الرابع ويلبسون ثياباً، الخامس متكئين الخ.

قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ أي تحت مساكنهم. قوله: (قيل من زائدة) أي بدليل آية ﴿هل أتى﴾ ﴿وحلوا أساور﴾. قوله: (وهي جمع أسورة) أي فأساور جمع الجمع. قوله: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ جاء في آية أخرى من فضة، وفي أخرى من ذهب ولؤلؤ، فيلبس كل واحد الأساور الثلاث، لما ورد أنه يسور المؤمن في الجنة بثلاث أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء. قوله: ﴿مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ﴾ جمع سندسة وإستبرقة، قيل ليسا جمعين. قوله: (من الديباج) أي الحرير. قوله: (بطائنها) أي الفرش. قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ حال عاملها محذوف، أي يجلسون متكئين. قوله: (جمع أريكة) أي كسفينة، ولا يقال له أريكة، إلا إذا كان في داخل الحجلة وبدونها سرير، وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشاً، كل فراش عليه زوجة من الحور العين. قوله: (في الحجلة) بفتحتين في محل نصب على الحال. قوله: (للعروس) يستعمل في الرجل والمرأة، لكن الجمع مختلف، فيقال رجال عرس ونساء عرائس. قوله: (الجنة) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿مُرْتَفقاً﴾ أي منتفعاً ومسكناً.

قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾ قيل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمناً، وأخوه الأسود بن عبد الأسود وكان كافراً، فشبههما الله برجلين من

مع المؤمنين ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ بدل وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ﴿٣٢﴾ يقتات به ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿ءَاتَتْ﴾ خبره ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا﴾ أي

بني إسرائيل أخوين، أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا، والآخر كافر واسمه قبطوس، وهما اللذان وصفهما الله في سورة الصافات بقوله: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾الآيات، وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال: كان رجلان شريكان، لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها، فاشترى أحدهما أرضاً بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن فلاناً قد اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إن فلاناً بنى داراً بألف دينار، وإني اشتريت منك داراً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار، فقال هذا: اللهم إني أشتري منك خدماً ومتاعاً في الجنة بألف دينار، فتصدق بها، ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف، فجلس على طريق حتى مر به في خدمه وحشمه فقام إليه، فنظره صاحبه فعرفه، فقال: فلان؟ قال: نعم، قال: ما شأنك؟ قال: أصابتني حاجة بعدك، فأتيتك لتعينني بخير، قال: فما فعل بمالك، وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره؟ فقص عليه قصته فقال: وإنك لمن المصدقين بهذا؟ اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده، فقضي عليهما فتوفيا فنزل فيهما ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ الخ، وليس هذا مخصوصاً بأبي سلمة وأخيه، بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا، ومن اغتر بالدنيا وزينتها، وترك الإقبال على الله. قوله: (بدل) أي ويصح أن يكون مفعولاً ثانياً لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين.

قوله: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي جعلنا النخل حولهما ومحيطاً بكل منهما. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ أي ليكون جامعاً للأقوات والفواكه. قوله: (مفرد) أي باعتبار لفظه، وقوله: (يدل على التثنية) أي باعتبار معناه، فاعتبر اللفظ تارة فأفرد. والمعنى أخرى فثنى. قوله: (مبتدأ) أي وهو مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، منع من ظهورها التعذر، و ﴿كِلْتَا﴾ مضاف، و ﴿الجَنَّتَيْنِ﴾ مضاف إليه، وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر، فإن أضيف لضمير، كان ملحقاً بالمثنى فيعرب بالحروف. قوله: ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ الخ، هذا كناية عن نموها وزيادتها، فليست كالأشجار يتم ثمرها في بعض السنين وينقص في بعض.

قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ أي شققنا. قوله: (يجري بينهما) أي ليسقي أرضه ومواشيه بسهولة. قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ أي لأحدهما. قوله: ﴿ثَمَرٌ﴾ المراد به أمواله التي هي من غير الجنتين، كالنقد والمواشي، وسمي ثمراً لأنه يثمر أي يزيد. قوله: (بفتح الثاء والميم) الخ، القراءات الثلاث سبعية. قوله: (وهي جمع ثمرة) أي بفتحتين، وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة، فالمفرد لا يختلف، وإنما الاختلاف في الجمع، فقوله: (كشجرة) الخ لف ونشر مرتب.

شققنا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾(٣٣) يجري بينهما ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح الثاء والميم وبضمهما وبضم الأول وسكون الثاني وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يفاخره ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿٣٤﴾ عشيرة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ ﴿٣٦﴾ مرجعاً ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يجاوبه ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾ عدلك وصيرك ﴿رَجُلًا﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده والمعنى أنا أقول ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾

قوله: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ**﴾ حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث، وكلها شنيعة، الأولى ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ**﴾ الخ، الثانية ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ**﴾ الخ، الثالثة ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾ الخ. قوله: (**يفاخره**) أي يراجعه بالكلام الذي فيه الافتخار. قوله: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً**﴾ الخ، ﴿**أَنَا**﴾ مبتدأ، و ﴿**أَكْثَرُ**﴾ خبره، و ﴿**مِنْكَ**﴾ متعلق بمحذوف حال من مالاً و ﴿**مَالاً**﴾ تمييز محول عن المبتدأ، والأصل مالي أكثر منك، فحذف المبتدأ، وأقيم المضاف إليه مقامه فانفصل، وجعل المبتدأ في الأصل تمييزاً، ويقال في قوله: ﴿**وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾ ما قيل هنا. قوله: (**ويريه آثارها**) أي بهجتها وحسنها، وفي نسخة أثمارها وهي ظاهرة. قوله: ﴿**وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿**دَخَلَ**﴾. و ﴿**لِنَفْسِهِ**﴾ مفعوله واللام زائدة. قوله: ﴿**قَائِمَةً**﴾ أي كائنة وحاصلة. قوله: (**على زعمك**) دفع بهذا ما يقال إنه ينكر البعث، فكيف يقول ذلك؟ فأجاب بأنه مجاراة له في زعمه. قوله: (**مرجعاً**) أشار بذلك إلى أن ﴿**مُنْقَلِباً**﴾ تمييز وهو اسم مكان من انقلاب بمعنى الرجوع، والمراد عاقبة المآل.

قوله: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ**﴾ أي وهو المؤمن، وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش. قوله: ﴿**أَكَفَرْتَ**﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى لا ينبغي ولا يليق منك الكفر بالذي خلقك الخ، وهذا رد للمقالة الأخيرة. قوله: ﴿**رَجُلاً**﴾ مفعول ثان لسواك لأنه بمعنى (**صيرك**) كما قال المفسر. قوله: ﴿**لَكِنَّا**﴾ استدراك على قوله: ﴿**أَكَفَرْتَ**﴾ كأنه قال: أنت كافر بالله، لكن أنا مؤمن، واختلف القراء في وصل ﴿**لَكِنَّا**﴾ فبعضهم يثبت ألفاً بعد النون، وبعضهم يحذفها، وفي الوقف تثبت قولاً واحداً لثبوتها في الرسم. قوله: (**أو حذفت الهمزة**) أي من غير نقل، فقوله: (**ثم أدغمت النون**) أي بعد تسكينها بالنسبة للنقل، وعلى الثاني فهي ساكنة فتدغم حالاً. قوله: (**ضمير الشأن**) أي فهو مبتدأ، والجملة بعده خبر، ولا تحتاج لرابط لأنها عينه في المعنى، وهو معها خبر عن (**أنا**) والرابط الياء من ﴿**رَبِّي**﴾. قوله: ﴿**وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً**﴾ مراده لا أكفر به، لأن إنكار البعث كفر.

قوله: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ**﴾ هذا رد للمقالة الثانية ﴿**وَلَوْلَا**﴾ تحضيضية داخلة على قلت،

عند إعجابك بها هذا ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ وفي الحديث: «من أعطي خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً» ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا ﴾ جمع حسبانة أي صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ﴿٤٠﴾ أرضاً ملساء لا يثبت عليه قدم ﴿ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا ﴾ بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ ﴿٤١﴾ حيلة تدركه بها ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ ﴾ ندماً وتحسراً ﴿ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ في عمارة جنته ﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة ﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم ﴿ وَيَقُولُ يَٰ ﴾ للتنبيه ﴿ لَيۡتَنِى لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَمۡ تَكُن﴾ بالتاء والياء ﴿لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ﴿٤٣﴾ عند هلاكها بنفسه ﴿هُنَالِكَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ ٱلۡوَلَٰيَةُ ﴾ بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك ﴿ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة ﴿ هُوَ خَيۡرٌ ثَوَابًا ﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبًا﴾ ﴿٤٤﴾ بضم

و ﴿إِذْ﴾ ظرف لقلت مقدم عليه، وجملة ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ خبر محذوف قدره المفسر بقوله: **(هذا)** قوله: **(لم ير فيه مكروهاً)** أي لم يصب فيه بمصيبة. قوله: ﴿إِنْ تَرَنِ﴾ هذا رد للمقالة الأولى. قوله: **(ضمير فصل)** أي و ﴿أَقَلَّ﴾ مفعول ثان وقرىء بالرفع، فيكون خبراً عن أنا، و ﴿مَالاً وَوَلَداً﴾ تمييزان، وقوله: ﴿فَعَسَى﴾ الخ، جواب الشرط. قوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَنِ﴾ يحتمل أن يكون في الدنيا أو الآخرة. قوله: **(جمع حسبانة)** أي فهو اسم جنس جمعي، يفرق بينه وبين واحده بالتاء. قوله: **(بمعنى غائراً)** أي ذاهباً في الأرض. قوله: **(لأن غور الماء)** الخ، أي أو يقال أنه يفسر الحسبان بالقضاء الإلهي، وهو عام يتسبب عنه: إما إصباح الجنة ﴿صَعِيداً زَلَقاً﴾ أو ﴿مَاؤُهَا﴾ وعلى هذا فيكون معطوفاً على ﴿يُصْبِحَ﴾. قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي أمواله، بدليل قول المفسر **(مع جنته)**. قوله: **(بأوجه الضبط)** أي الثلاثة. قوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب، يجعل فوقه الثمار قوله: **(دعائمها)** جمع دعامة وهي الخشب ونحوه، الذي ينصب ليمد الكرم عليه.

قوله: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ أي تحسراً وندماً على تلف ماله لا توبة، بدليل قوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ الخ. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ أي يدفعون عنه الهلاك. قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾ أي قادراً على ذلك. قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ يصح أن يكون خبراً مقدماً و ﴿الْوِلاَيَةُ﴾ مبتدأ مؤخر، أو تكون هذه الجملة مستقلة، أو معمولاً لمنتصراً، وقوله: ﴿الوِلاَيَةُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبر. قوله: **(الملك)** أي القهر والسلطنة. قوله: **(بالرفع)** راجع لفتح الواو وكسرها، وكذا قوله: **(وبالجر)** فالقراءات أربع سبعيات. قوله: ﴿خَيْرٌ ثَوَاباً﴾ أي إثابة قوله: **(لو كان يثيب)** أي فاسم التفضيل على بابه، على فرض أن غير الله يثيب. قوله: ﴿وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ أي إن عاقبة طاعة المؤمن، خير من عاقبة طاعة غيره.

القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز ﴿وَٱضْرِبْ﴾ صير ﴿لَهُم﴾ لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَآءٍ﴾ مفعول ثان ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسن ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾ تنثره وتفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتذهب به المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح، وفي قراءة الريح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ﴿٤٥﴾ قادراً ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر زاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾ أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ يذهب

قوله: (بضم القاف وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (صير) أي شبه.

قوله: ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي صفتها وحالها وهيئتها. قوله: ﴿كَمَاءٍ﴾ أي كصفة وحال وهيئة ماء الخ، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾. قوله: (تكاثف) أي غلظ والتف بعضه على بعض. قوله: (أو امتزاج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلط، ومن المعلوم أن الامتزاج من الجانبين، فصح نسبته إلى النبات، وإن كان في عرف اللغة والاستعمال، أن الباء تدخل على الكثير الغير الطارىء، وقد دخلت هنا على الكثير الطارىء، مبالغة في كثرة الماء، حتى كأنه الأصل. قوله: (فروي) بفتح الراء وكسر الواو ارتوى. قوله: ﴿هَشِيماً﴾ أي مهشوماً مكسوراً. قوله: (وتفرقه) عطف تفسير. قوله: (المعنى) أي معنى المثل. قوله: (شبه) فعل أمر، وفاعله مستتر عائد على النبي ﷺ، و﴿الدُّنْيَا﴾ مفعوله. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي ولم يزل. قوله: (قادراً) المناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة. قوله: ﴿الْمَالُ﴾ أي وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. قوله: ﴿زِينَةُ﴾ هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله: (يتجمل بهما فيها) ولذا صح الإخبار به عن الاثنين. قوله: (هي سبحان الله) الخ، أي وتسمى غراس الجنة، أي أن بكل واحدة من هذه الكلمات، تغرس له شجرة في الجنة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات، الصلوات الخمس، وقيل أركان الإسلام، وقيل كل ما يثاب عليه العبد في الدار الآخرة وهو الأتم، وإنما خص المفسر (سبحان الله) الخ، بالباقيات الصالحات، لمزيد فضلها وثوابها، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح، ولو في العمرة مرة، وأوصى الخليل رسول الله، بأن يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة، كما في حديث الإسراء. قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ التفضيل ليس على بابه، لأن زينة الدنيا ليس فيها خير، ولا يرد علينا أن السعي على العيال من الخير، لأنه من حيز الباقيات الصالحات، لا من حيز الزينة، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل. قوله: (ويرجوه) عطف تفسير.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة. قوله: (هباء) أي غباراً. وقوله: (منبثاً) أي مفرقاً كما في سورة الواقعة. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وَتَرَى

بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثاً، وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال أي مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَ﴾ نْ مخففة من الثقيلة أي أنه ﴿لَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ ﴿٤٨﴾ للبعث ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب كل امرىء في يمينه من المؤمنين وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه السيئات ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾ هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾

﴿الأَرْضَ﴾ أي تبصرها. قوله: **(ولا غيره)** أي من بناء وشجر وبحار وغير ذلك. قوله: **﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾** أتى به ماضياً، إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظام، كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك، وعلى هذا، فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك، ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط، وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم.

قوله: **﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾** عطف على قوله: **﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾** والمغادرة من جانب، ولذا فسرها بقوله: **(نترك)**. قوله: **(حال)** أي من الواو في **﴿عُرِضُوا﴾**، و **﴿صَفّاً﴾** مفرد وقع موقع الجمع، فالمعنى جميعاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ أي جميعاً، أو المراد صفوفاً، لما ورد: أهل الجنة مائة وعشرون صفاً، أنتم منها ثمانون. وورد أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ينادي بصوت رفيع غير فظيع: يا عبادي، أنا الله، لا إله إلا أنا، أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، أحضروا حجتكم، ويسروا جوابكم، فإنكم مسؤولون محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب». قوله: **(ويقال لهم)** أي توبيخاً وتقريعاً. قوله: **(أو فرادى)** أي مفردين عن المال والبنين. قوله: **(غرلاً)** جمع أغرل أي غير مختونين.

قوله: **﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾** أي قلتم قولاً كذباً. قوله: **(أي أنه)** أي الحال والشأن. قوله: **﴿مَوْعِداً﴾** أي مكاناً تبعثون فيه. قوله: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾** هو بالبناء للمفعول في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالبناء للفاعل، وهو الله أو الملك. قوله: **(في يمينه)** أي فحين يقرؤه يبيض وجهه ويقول: ﴿هاؤم اقرءوا كتابيه﴾، إلى آخر ما في الحاقة. قوله: **(وفي شماله من الكافرين)** أي فحين يقرؤه يسود وجهه ويقول: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ الخ. قوله: **(هلكتنا)** أي هلاكنا، والمقصود التحسر والتندم، وقيل الياء حرف نداء و **﴿وَيْلَتَنَا﴾** منادى تنزيلاً لها منزلة العاقل، فكأنه يقول: يا هلاكي احضر فهذا أوانك. قوله: **(وهو مصدر)** أي الويل، وقوله: **(لا فعل له من لفظه)** أي بل من معناه وهو هلك. قوله: **﴿مَالِ هٰذَا الْكِتَابِ﴾** ما استفهامية مبتدأ، ولهذا الكتاب خبره، أي أي شيء ثبت لهذا الكتاب؟ قوله: **﴿لا يُغَادِرُ﴾** الجملة حالية من الكتاب. قوله: **(تعجبوا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب. قوله: **(منه)** أي الكتاب. قوله: **(في ذلك)** أي الإحصاء المذكور.

من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ عدها وأثبتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ مثبتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ ﴿٤٩﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب باذكر ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوۡلِيَآءَ مِن

قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحداً﴾ أي لا يعامله معاملة الظالم، بحيث يعذبه من غير ذنب، أو ينقص من أجره. قوله: **(منصوب باذكر)** أي فإذ ظرف لذلك المقدر. والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ، والمراد اذكر لهم تلك القصة، وقد كررت في القرآن مراراً لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت في الخلق. قوله: **(سجود انحناء)** جواب عما يقال: إن السجود لغير الله كفر، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالقبلة، أو أن محل كون السجود لغير الله كفراً، إن لم يكن هو الآمر به وإلا فالكفر في المخالفة.

قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي جميعاً. قوله: **(قيل هم نوع من الملائكة)** أي وعلى هذا القول، فهم ليسوا معصومين كالملائكة، بل يتوالدون ويعصون. قوله: **(وإبليس أبو الجن)** هذا توجيه لكونه منقطعاً وهو الحق، وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة، فالجن من نار، والملائكة من نور. قوله: **(فله ذرية)** تفريع على كونه أباً، إذ الأب يستلزم ابناً. قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي تكبر وحسد.

قوله: ﴿أَفَتَتَّخذونَهُ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والاستفهام توبيخي. والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه؟ الخ. قوله: ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ عطف على الضمير في تتخذونه، قال مجاهد: من ذرية إبليس، لاقس وولهان، وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما، ومن ذريته مرة وبه يكنى: وزلنبور وهو صاحب الأسواق، يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع. وبتر وهو صاحب المصائب، يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب. والأعور وهو صاحب الزنا، ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة، ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة، يلقيها في أفواه الناس، لا يجدون لها أصلاً. وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسم ولم يذكر الله دخل معه اهـ. قال القرطبي: واختلف هل لإبليس أولاد من صلبه؟ فقال الشعبي: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخذونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه، فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذريته. وقيل: إن الله خلق له في فخذه اليمنى ذكراً، وفي فخذه اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذه بهذا، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، فهو يفرخ ويطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلة، أعظمهم في بني آدم فتنة. وقال قوم: ليس له

دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي أعداء حال ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٥٠﴾ إبليس وذريته في طاعتهم بدل إطاعة الله ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ ﴿٥١﴾ أعواناً في الخلق فكيف تطيعونهم ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب باذكر ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوْبِقًا﴾ ﴿٥٢﴾ وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً وهو من وبق بالفتح هلك ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾ معدلاً ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن

أولاد ولا ذرية، وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين. قوله: (**تطيعونهم**) أي بدل طاعتي. قوله: (**حال**) أي من مفعول تتخذون. قوله: ﴿**لِلظَّالِمِينَ**﴾ متعلق ببدلاً، الواقع تمييزاً للفاعل المستتر، وقوله: (**إبليس وذريته**) بيان للمخصوص بالذم المحذوف، والأصل بئس البدل إبليس وذريته. قوله: (**أي إبليس وذريته**) تفسير للضمير في ﴿**أَشْهَدْتُهُمْ**﴾ فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السماوات والأرض، ولا حين خلقت أنفسهم، فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم.

قوله: ﴿**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ**﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. قوله: ﴿**عَضُداً**﴾ هو في الأصل العضو الذي هو من المرفق إلى الكتف، ثم أطلق على المعين والناصر، والمراد هنا مقدماً لهم في مناصب خير، بل هم مطرودون عنها، فكيف يطاعون؟ قوله: (**بالياء والنون**) أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**الَّذِينَ زَعَمْتُمْ**﴾ أي زعمتموهم شركاء، فالمفعولان محذوفان. قوله: (**ليشفعوا لكم**) متعلق بنادوا. قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ**﴾ أي مشتركاً. قوله: (**وادياً من أودية جهنم**) قال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم. قوله: (**من وبق بالفتح**) أي كوعد.

قوله: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ**﴾ أي عاينوها من مسيرة أربعين عاماً. قوله: ﴿**مَصْرِفاً**﴾ أي مكاناً يحلون فيه غيرها. قوله: (**من جنس كل مثل**) أي معنى غريب بديع، يشبه المثل في غرابته. قوله: (**خصومة في الباطل**) هذا هو معنى الجدل هنا، وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل، بل هو شديد الخصومة في الحق. قوله: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُوا**﴾ عطف على ﴿**أَنْ يُؤْمِنُوا**﴾. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ تَأْتِيهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**﴾ الكلام على حذف مضاف، أي إلا انتظارهم وطلبهم إتيان مثل سنة الأولين بقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية. قوله: (**وهو الإهلاك**) أي الذي يستأصلهم. قوله: (**المقدر**) أي في الأزل، وقوله: (**عليهم**) أي الأولين. قوله: ﴿**أَوْ يَأْتِيهُمُ**﴾ أي الناس. قوله: (**مقابلة وعياناً**) تفسير لقبلاً بكسر ففتح. قوله: (**أي أنواعاً**) تفسير لقبلاً بضمتين، فكل من القراءتين له معنى يخصه. قوله: (**القرآن**) المناسب أن يقول: أي جميع ما جاءت به الرسل. قوله: ﴿**آيَاتِي**﴾ المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لا خصوص القرآن، لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها.

كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لمحذوف أي مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ خصومة في الباطل وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ مفعول ثان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فاعل أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ﴿٥٥﴾ مقابلة وعياناً وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمتين جمع قبل أي أنواعاً ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بقولهم أبعث الله بشراً رسولاً ونحوه ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُواْ﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾ ﴿٥٦﴾ سخرية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي من أن يفهموا القرآن، أي فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا﴾ أي بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ ﴿٥٨﴾ ملجأ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي أهلها كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا

قوله: ﴿وَمَا أُنْذِرُوا﴾ ﴿مَا﴾ موصولة، والعائد محذوف أي الذي أنذروا به، أو مصدرية أي إنذارهم. قوله: ﴿هُزُواً﴾ يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان. قوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي لم يتدبرها وقت تذكيره بها. قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ بمنزلة التعليل لقوله: ﴿فَأَعْرَضَ﴾. قوله: (فلا يسمعونه) أي سماع تفهم وانتفاع. قوله: ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ أي المستأصل لهم. قوله: (وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم، ويصح أن يراد به المكان. قوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي العذاب. قوله: ﴿مَوْئِلاً﴾ الموئل المرجع من وأل يئل أي رجع، ويقال للملجأ أيضاً، يقال وأل فلان إلى فلان إذ لجأ إليه، والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه، كناية عن عدم خلوصهم منه. قوله: (أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ أي في الدنيا كما قال تعالى: ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ الخ. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ أي لهلاكهم المذكور وقتاً معيناً نزل بهم فيه، فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه، وهو معنى قوله: ﴿مَوْعِداً﴾. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها، فمجموع القراءات السبعية ثلاثة: ضم الميم مع فتح اللام، وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها. قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ، والمراد اذكر لهم قصته وما وقع له مع الخضر عليهما السلام. قوله: (هو ابن عمران) أي

﴿لِمَهۡلِكِهِم﴾ لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي لهلاكهم ﴿مَّوۡعِدٗا﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أي المكان الجامع لذلك ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ ﴿٦٠﴾ دهراً طويلاً في بلوغه إن بعد ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾ بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ أي جعله بجعل الله ﴿سَرَبٗا﴾ ﴿٦١﴾ أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ

رسول بني إسرائيل، من سبط لاوى بن يعقوب، وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة، ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الخضر، لأن الكامل يقبل الكمال، سواء قلنا إن الخضر نبي أو ولي، فاستفادته منه لا تقدح في كونه أفضل منه، لأن تلك مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية، يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ مع كونه أعلم الناس، أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ خلافاً لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب، وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران، محتجاً بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة، وكلمه بلا واسطة، وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة، يبعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي، وهذا القول خلاف الصحيح. قوله: (**يوشع بن نون**) هو ابن أفرائيم بن يوسف، أرسله الله بعد موسى، فقاتل الجبارين وردّت له الشمس، وتقدمت قصته في المائدة. قوله: (**كان يتبعه**) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى، وكان ابن أخته، وقيل كان عبداً له وهو بعيد، لأن شرط النبي الحرية.

قوله: ﴿**لَآ أَبۡرَحُ**﴾ هي من أخوات كان، اسمها مستتر وجوباً، وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله: (**أسير**) أي لا أبرح سائراً. قوله: (**ملتقى بحر الروم**) الخ، أي وملتقاهما عند البحر المحيط. قوله: (**مما يلي المشرق**) أي وذلك بإفريقية. قوله: (**دهراً طويلاً**) وقيل الحقب ثمانون سنة، وقيل سنة واحدة بلغة قريش، وقيل سبعون، ويجمع على أحقاب، كعنق وأعناق. قوله: (**إن بعد**) أي إن لم أدركه، والمعنى لا بد من سيري إلى أن أبلغ مجمع البحرين، أو أسير زمناً طويلاً حتى أيأس من الوصول. قوله: (**بين البحرين**) أشار بذلك إلى أن (بين) ظرف وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر.

قوله: ﴿**نَسِيَا حُوتَهُمَا**﴾ قيل كان مشوياً، وقيل كان مملحاً، وقد أكلا منه زمناً طويلاً، قبل أن يدركا الصخرة. قوله: (**نسي يوشع حمله**) هذا يقتضي أنه كان موجوداً على البر حين نسيه يوشع، ولكن الموجود في القصة، أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة ناما، ثم استيقظ يوشع، فتوضأ من تلك العين، فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، فهذا يقتضي أنه نسي إخبار موسى بما رأى، فالمناسب للمفسر أن يقول: نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب. إن قلت: إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه. أجيب: بأنه أدهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته، للحكمة التي ترتبت على ذلك.

قوله: ﴿**فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ**﴾ هذا الاتخاذ قبل النسيان، فيكون في الآية تقديم وتأخير، والأصل فأدركته

له، وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ تعباً، وحصوله بعد المجاوزة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي تنبه ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يبدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بدل اشتمال أي أنساني ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣﴾ مفعول ثان أي يتعجب منه موسى وفتاه لما تقدم في بيانه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فقدنا الحوت ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقصانها ﴿قَصَصًا ۝٦٤﴾ فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نبوة في قول وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء

الحياة فخرج من المكتل وسقط في البحر فاتخذ سبيله. قوله: ﴿سَرَباً﴾ مفعول ثان لاتخذ. قوله: **(وذلك)** أي سبب ذلك. قوله: **(فانجاب)** أي انقطع الماء وانكشف. قوله: **(فبقي)** أي صار. قوله: **(كالكوة)** هي بالفتح نقب البيت، والجمع كوى بكسر الكاف ممدوداً ومقصوراً. قوله: **(لم يلتئم)** أي يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه. قوله: **(ما تحته)** أي فجعل الحوت لا يمس شيئاً في البحر إلا يبس. قوله: **(ذلك المكان)** أي مجمع البحرين. قوله: ﴿مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا﴾ أي الذي وقع بعد مجاوزتها الموعد. قوله: ﴿نَصَباً﴾ مفعول بلقينا. قوله: **(وحصوله بعد المجاوزة)** إنما كان حصول النصب بعد المجاوزة، لحصول السفر مع الانتظار والتشوق، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين، فكان مقصوداً دفعة، فلا مشقة فيه. قوله: **(أي تنبه)** أي تذكر واستمع لما ألقيه إليك من شأن الحوت.

قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم. قوله: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ إن قلت: إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء. أجيب: بأنه أضاف النسيان إليه هضماً لنفسه. قوله: **(أي يتعجب منه موسى وفتاه)** أي حيث أكلا من الحوت شقه الأيسر، ثم حيي بعد ذلك. قوله: **(لما تقدم في بيانه)** أي وهو قوله: **(وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء)** الخ. قوله: **(من نطلبه)** وهو الخضر. قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً﴾ قيل دخل السرب مكان الحوت، فوجداه جالساً على جزيرة في البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض، طرفه تحت رأسه، والآخر تحت رجليه، فسلم عليه موسى، فرفع رأسه واستوى جالساً وقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال له موسى: ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل؟ فقال: الذي أدراك بي ودلك علي، ثم قال: لقد كان لك في بني إسرائيل شغل، قال موسى: إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأتعلم منك.

قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ الإضافة لتشريف المضاف، أي من عبيدي الخصوصية. قوله: **(هو الخضر)** بفتح الخاء مع كسر الضاد أو سكونها، وبكسر الخاء مع سكون الضاد، ففيه ثلاث لغات، وهذا لقبه، واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة، ومعناه بالعربية أحمد بن ملكان،

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿عِلْمًا ﴾﴿٦٥﴾ مفعول ثان أي معلوماً من المغيبات. روى البخاري حديث: إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه، إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا﴾ إلى قوله ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ قال: وكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً، الخ

وكنيته أبو العباس، قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الإسلام، ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، وهو من نسل نوح، وكان أبوه من الملوك. قوله: **(نبوة في قول)** أي وقد صححه جماعة، والجمهور على أنه حي إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة، يجتمع به خواص الأولياء ويأخذون عنه، قال العارف السيد البكري صاحب ورد السحر في توسلاته:

بِنَقِيبِهِم فِي كُلِّ عَصْرٍ الخُضرِ أَبِي الـ ـعَبَّاس من أَحْيَا بِمَاء وصالـه
حَي وَحَقِّـكَ لَمْ يَقُـل بِـوَفَـاتِـهِ إِلَّا الَّـذِي لَمْ يَـلقَ نُـور جمالـه
فَعَـلَيْـهِ مِنِّي كُلَّمَا هَـبَّ الصَّبَـا أَزْكَـى سَـلَامٌ طَـابَ فِي إِرْسَـالِـهِ

وقد اجتمع برسول الله ﷺ وأخذ عنه فهو صحابي. قوله: **﴿مِنْ لَدُنَّا﴾** أي مما يختص بنا، ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر. قوله: **(خطيباً)** أي واعظاً يذكر الناس، حتى فاضت العيون ورقت القلوب، وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط، ورجوع موسى إلى مصر. قوله: **(إذ لم يرد العلم إليه)** أي فكان عليه أن يقول مثلاً: الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأحباب تأديباً لموسى، وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر. قوله: **(هو أعلم منك)** أي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة، وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل، فلذلك رغب موسى في حيازته. قوله: **(فكيف لي به)** أي فلما سمع موسى هذا، تشوقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم. قوله: **(قال تأخذ معك حوتاً)** لعل الحكمة في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر. قوله: **(فتجعله في مكتل)** هو الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل، ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعاً. قوله: **(فهو ثم)** أي هناك. قوله: **(جرية الماء)** بكسر الجيم. قوله: **(مثل الطاق)** هو البناء المقوس كالقنطرة. قوله: **(أن يخبره بالحوت)** أي بما حصل من أمره. قوله: **(قال موسى)** أي بعد أن صليا الظهر من اليوم الثاني. قوله: **(قال)** أي النبي ﷺ في شأن تفسير الآية.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿٦٦﴾ أي صواباً أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ ﴿٦٨﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية: يا موسى إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لا أعلمه، وقوله خبراً مصدر بمعنى لم تحط أي لم تخبر حقيقته ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى﴾ أي وغير عاص ﴿ لَكَ أَمْرًا ﴾ ﴿٦٩﴾ تأمرني به وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه

قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ أي بعد أن تلاقيا وحصل الوصول. قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ استفهام تعطف رعاية للأدب في حق المعلم، وبذلك الأدب يحصل النفع والسؤدد. قوله: ﴿عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ أي ليس لي قصد في اتباعك إلا تعليمك إياي، لا شيئاً من الأغراض غير التعليم. قوله: ﴿رَشَداً﴾ مفعول ثان لتعلمني، أي لتعلمني صواباً من الذي علمكه. قوله: (وفي قراءة) أي وعليها فيكون من باب قتل، وقياس مصدره بفتح الراء، فيكون بضمها اسم مصدر، وعلى الأولى فيكون من باب طرب. قولـه: (وسأله ذلك) جواب عما يقال: إن موسى من أولي العزم، ونبي ورسول جزماً، وأسمعه الله كلامه، وأعطاه التوراة، وهو أفضل من الخضر، فكيف يسعى إليه ويتعلم منه؟ فأجاب: بأن الزيادة في العلم مطلوبة، على أن علم الخضر لا يحتاج إليه موسى في شرعه، وإنما هي مزية خص بها الخضر، وأمر الله موسى أن يأخذها عن الخضر ويكتمها، لتكمل له جميع المزايا، ولا يقتضي أن الخضر أعلم منه، لأن موسى كامل في علمه، لا يحتاج إلى شيء من علم الخضر، وإنما علمه من مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها.

قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْراً﴾ أي لما ترى من مخالفة شرعك ظـاهراً، لأن المتعلم قسمان: متعلم ليس عنده شيء من العلوم، ولم يمارس الاستدلال، وهذا تعليمه سهل، ويقبل كل ما ألقي عليه، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم، غير أنه يريد أن يزداد علماً على علمـه، وهذا تعليمه شاق شديد، لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً، عرضه على ما عنده، فإن وافقه وإلا ناقش فيه. قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ الاستفهام تعجبي. قوله: (إني على علم) أي وهو علم الكشف. قوله: (وأنت على علم) أي وهو علم ظاهر الشريعة. قوله: (مصدر) أي مفعول مطلق مؤكد لعامله في المعنى، لأن (لم تحط) بمعنى (لم تخبر) والخبر بالضم معناه العلم، والأوضح أنه تمييز نسبة، أي لم تحط به من جهة العلم. قوله: (أي وغير عاص) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي﴾ معطوف على ﴿صَابِـراً﴾ ولا بمعنى (غير). قوله: (لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أي فكأنه قال: ستجدني صابراً إن وافق شرعي، أو أوحى الله إلي في شأنه، فأنا لا أدري ما يفعله الله، ولم يقل الخضر إن شاء الله، لأن الله أطلعه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه، فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبراً. قوله: (أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا ويركنوا فعداه بإلى.

عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ﴿عَن شَيْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٧٠﴾ أي اذكره لك بعلته، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللج ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ أي عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ مشقة في صحبتي إياك أي عاملني فيها بالعفو واليسر ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعاً أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال، وأتى هنا

قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ أي لا تبادرني بالسؤال عن حكمته، بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن. قوله: **(بفتح اللام)** أي مع الهمز، وهما قراءتان سبعيتان، وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة. قوله: **(في علمك)** أي بحسب ظاهر علمك. قوله: **(واصبر)** قدره إشارة إلى أنه المغيا بحتى. قوله: **(بعلته)** أي حكمته وسببه. قوله: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ أي ومعهما يوشع، وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع، والمقصود ذكر موسى والخضر، وقيل لم يكن معهما، بل رده موسى حين التقى مع الخضر. قوله: **(يمشيان على ساحل البحر)** أي يطلبان سفينة، فوجدا سفينة فركباها، فقال أهلها: هؤلاء لصوص، لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص، ولكني أرى وجوه الأنبياء، وعن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ: «مرت بهم سفينة، فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة، فحملوهم بغير نول أي عوض». قوله: **(بفأس)** بالهمزة جمعه فؤوس أي القدوم. قوله: **(لما بلغت اللج)** اللج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهما سبعيتان. قوله: **(روي أن الماء لم يدخلها)** وقيل إن موسى لما رأى ذلك، أخذ ثوبه فجعله في الخرق.

قوله: ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾ أي بالأمر الذي غفلت عنه، لقيام حمية الشرع بي، وقيل أراد بالنسيان الترك. قوله: ﴿عُسْراً﴾ مفعول ثان لترهقني. قوله: ﴿غُلَاماً﴾ قيل كان اسمه شمعون. قوله: **(لم يبلغ الحنث)** يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين، والمراد لم يبلغ حد التكليف، من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: **(مع الصبيان)** أي وكانوا عشرة. قوله: **(أو اقتلع رأسه بيده)** أي بعد أن لوى عنقه. قوله: **(لأن القتل عقب اللقى)** أي بخلاف السفينة، فإن الخرق لم يكن عقب ركوبها، فلذا لم يأت بالفاء. قوله: **(وفي قراءة)** وهما سبعيتان. قوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي من غير استحقاقها للقتل، والجار والمجرور متعلق بقتلت.

بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقى وجواب إذا ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفي قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي لم تقتل نفساً ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ بسكون الكاف وضمها أي منكراً ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ لا تتركني أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ بالتشديد والتخفيف من قبلي ﴿عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ في مفارقتك لي ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾ وفي قراءة لاتخذت ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ جعلاً حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي وقت فراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها لتكريره بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ﴾ أي فعلت. قوله: ﴿نكراً﴾ هو أعظم من الأمر، لأن فيه القتل بالفعل، بخلاف خرق السفينة، فإنه يمكن تداركه، وقيل بالعكس، لأن الأمر قتل أنفس متعددة بسبب الخرق، فهو أعظم مِن قتل الغلام وحده. قوله: (**بسكون الكاف وضمها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**لعدم العذر هنا**) لأنه لم يبد هنا عذراً. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان، والنون للوقاية أتى بها لتقي الفعل من الكسر، كما أتى بها في من وعن محافظة على تسكين النون. قوله: ﴿**إذا أتيا أهلَ قَرْيَةٍ**﴾ أي وكان إتيانهم لها بعد الغروب، والليلة باردة ممطرة. قوله: (**هي أنطاكية**) بتخفيف الياء. قوله: (**طلبا منهم الطعام**) روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فلم يضيفوهما، فأطعمتهم امرأة من أهل بربرة، فدعوا لنسائهم، ولعنا رجالهم، وعن قتادة: شر القرى من لا تضيف الضيف. قوله: (**مائة ذراع**) أي عرضه خمسون، وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع. قوله: ﴿**فَأَقَامَهُ**﴾ (**الخضر بيده**) قيل مسه بها فاستقام، وقيل أقامه بعامود، وقيل نقضه وبناه.

قوله: ﴿**قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾ أي كان ينبغي لك أخذ جعل منهم على فعلك، لتقصيرهم فينا مع حاجتنا، فقد فعلت المعروف مع غير أهله. قوله: (**وفي قراءة**) أي بإظهار الذال وإدغامها في التاء، على كل فتكون القراءات أربعاً سبعيات. قوله: ﴿**بِتَأْوِيلِ**﴾ أي تفسير هذه الآيات التي وقعت لموسى مع الخضر، وحكمة تخصيص الخضر لموسى بتلك الثلاثة، وما ورد أنه لما أنكر خرق السفينة، نودي: يا موسى أين كان تدبيرك هذا، وأنت في التابوت مطروحاً في اليم؟ فلما أنكر أمر الغلام قيل له: أين إنكارك هذا، من وكزك القبطي وقضائك عليه؟ فلما أنكر إقامة الجدار نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتي شعيب دون أجر؟

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بها مؤاجرة لها طلباً للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ إذا رجعوا أو أمامهم الآن ﴿مَّلِكٌ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾ ﴿٧٩﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ ﴿٨٠﴾ فإنه كما في حديث مسلم طبع كافراً ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه في ذلك ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ أي صلاحاً وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾ بسكون الحاء وضمها رحمة وهي البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية

قوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ شروع في وفاء ما وعد الخضر به موسى، على سبيل اللف والنشر المرتب، والسفينة تجمع على سفين وسفائن، ويجمع السفين على سفن بضمتين مأخوذة من السفن، كأنها تسفن الماء أي تقشره، وصاحبها سفان. قوله: ﴿لِمَسَاكِينَ﴾ (عشرة) أي وكانوا إخوة ورثوها عن أبيهم، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر، فأما العمال منهم: فأحدهم مجذوم، والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم. والخمسة الذين لا يطيقون العمل: أعمى، وأصم، وأخرس، ومقعد، ومجنون، وكان البحر الذين يعملون فيه، ما بين فاس إلى الروم.

قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي فإذا رآها الملك معيبة تركها، فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها. قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ الجملة حالية على إضمار قد. قوله: (إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم. فبالضرورة يكون في حال توجههم أمامهم، فقد اتحد هذا القول مع ما بعده. وقد يجاب: بأن قوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي في حال توجههم، لكنهم في حال رجوعهم يمرون عليه، وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن، أي ووراء بمعنى أمام، قال تعالى: ﴿من ورائه جهنم﴾ قوله: ﴿مَلِكٌ﴾ (كافر) أي وكان ملك غسان واسمه جيسور. قوله: (صالحة) أي صحيحة. قوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ أي أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله. قوله: ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ أي يكلفهما ويوقعهما في الكفر. قوله: (طبع كافراً) أي خلق مجبولاً على الكفر، وحينئذ فيكون مستثنى من حديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام». قوله: (لمحبتهما له) علة لإيقاعه لهما في الكفر. قوله: (بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿خَيْراً مِنْهُ﴾ اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لم يكن في الغلام خير أو على بابه باعتبار زعمهما. قوله: ﴿زَكَاةً﴾ تمييز، وكذا قوله: ﴿رُحْماً﴾. قوله: (جارية) أي بنتاً. قوله: (فولدت نبياً) وقيل اثني عشر نبياً، وقيل ولدت سبعين نبياً، وما فعله الخضر من قتل الغلام، إنما هو جار على شرعه لا على شرعنا، فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار، إلا أن يقاتلوا بالسلاح في الحرب، ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر، فلا يجوز له قتل الغلمان، وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله: كيف قتل الخضر الغلام الصغير، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل أولاد الكفار، فضلاً عن أولاد المؤمنين؟ فكتب إليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه: إن علمت من حال الولدان أن ما علمه علم موسى فلك أن تقتلهم.

تزوجت نبياً فولدت نبياً فهدى الله تعالى به أمة ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾ مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ أي إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له عامله أراد ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾ أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِى﴾ أي اختياري بل بأمر إلهام من الله ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي اليهود ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر ولم يكن نبياً ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟﴾

وروي أن موسى لما قال للخضر: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾الآية؟ غضب الخضر، واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه، وإذا فيه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبداً.

قوله: ﴿**فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ**﴾ اسم أحدهما أصرم والآخر صريم. قوله: ﴿**فِي المَدِينَةِ**﴾ هي المعبر عنها أولاً بالقرية تحقيراً لها، لكون أهلها لم يضيفوهما، وعبر عنها بالمدينة تعظيماً لها، من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما. قوله: (**مال مدفون من ذهب وفضة**) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز، وقيل كان علماً في صحف مدفونة، وقيل كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب؟ عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح؟ عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله. وفي الجانب الآخر مكتوب: أنا الله، لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه.

قوله: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**﴾ قيل إنه أبوهما مباشرة، وقيل هو الأب السابع، وقيل العاشر، وكان يسمى كاشحاً، واسم أمهما دنيا، وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع. قوله: (**أي إيناس رشدهما**) أي حتى يبلغا أن يعلم إيناس أشدهما، أي قوتهما وكمالهما. قوله: ﴿**وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا**﴾ أي من تحت الجدار، ولولا فعلا ذلك لضاع. قوله: (**بل بأمر إلهام من الله**) لم يقل بوحي، لعدم الجزم بنبوته. قوله: ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي ما ذكر من الأجوبة الثلاثة. قوله: (**ونوعت العبارة**) أي أن هذا التغاير تنويع في العبارة، وبعضهم أبدى حكمه في اختلاف التعبير، وهي أن الأولى لما كان ظاهرها إفساداً محضاً، أضافه لنفسه حيث قال: فأردت، أدباً مع الله وإن كان الكل منه. والثاني لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد، عبر فيه بقوله: (**فأردنا**). والثالث لما كان إصلاحاً محضاً، أضافه الله بقوله: (**فأراد بك**) قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى، قال له موسى: أوصني، قال: كن بساماً ولا تكن ضحاكاً، ودع اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تعب على الخطائين خطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران.

قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ**﴾ أي المشركون بأمر اليهود، فاليهود سبب في السؤال، وإن لم تقع منهم المباشرة له، فصح قول المفسر لليهود. قوله: ﴿**عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ**﴾ لقب بذلك لما قيل: إن له قرنين صغيرين في

رأسه، وقيل لأنه أعطي علم الظاهر والباطن، وقيل لأنه ملك فارس والروم. قوله: (اسمه الإسكندر) أي وهو الذي بنى الإسكندرية وسماها باسمه. قوله: (ولم يكن نبياً) أي على الصحيح، وإنما كان ولياً فقط، وما يأتي مما يوهم نبوته، فمؤول ومحمول على الإلهام والإلقاء في القلب، وذلك غير مخصوص بالأنبياء، واسكندر هذا من أولاد سام بن نوح، وكان ابن عجوز ليس لها غيره، وكان أسود اللون، وكان على شريعة إبراهيم الخليل، فإنه أسلم على يديه ودعا له، وأوصاه بوصايا، وكان يطوف معه، وكان الخضر وزيره وابن خالته، وكان يسير معه على مقدمة جيشه، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر، فإنه من ولد العيص بن إسحاق، وكان كافراً، عاش ألفاً وستمائة سنة، وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة، وفي القرطبي قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه إسكندر، فلما بلغ كان عبداً صالحاً، قال الله تعالى، أي على لسان نبي كان موجوداً أو بإلهام: يا ذا القرنين إني باعثك، أي سلطاناً إلى أمم الأرض، وهم أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، وهم أصناف: أمتان بينهما طول الأرض كلها، وأمتان بينهما عرض الأرض كلها، وأمم في وسط الأرض منهم: الجن والإنس ويأجوج ومأجوج، فأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل، وأمة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها تأويل، وأما اللتان بينهما طول الأرض، فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، فقال ذو القرنين: إلهي لقد ندبتني لأمر عظيم، لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم، بأي قوة أكاثرهم، وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس لي قوة؟ فقال الله تعالى: سأظفرك بما حملتك، أشرح لك صدراً فتسمع كل شيء، وأثبت لك فهماً فتفقه كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فيكونان جنداً من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحفظك الظلمة من ورائك، فلما قيل له ذلك، سار بمن اتبعه، فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس، لأنها كانت أقرب الأمم منه، وهي ناسك، فوجد جنوداً لا يحصيها إلا الله، وقوة وبأساً لا يطيقه إلا الله تعالى، وألسنة مختلفة، وأهواء مشتتة، فكاثرهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاث عساكر من جنود الظلمة، قدر ما أحاط بهم من كل مكان، حتى جمعهم في مكان واحد، ثم دخل عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدَّ عنه، فأدخل على الذين تولوا الظلمة، فغشيتهم من كل مكان، فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم، وغشيتهم من كل مكان، فتحيروا وهاجروا وأشفقوا أن يهلكوا، فعجوا إلى الله بصوت واحد: إنا آمنا، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته، فجند من أهل المغرب أمماً عظيمة، فجعلهم جنداً واحداً، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله، وهو يسير في ناحية الأرض الأيمن، وهي هاويل، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره، فلا يخطىء إذا عمل عملاً، فإذا أتوا مخاضة أو بحراً، بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال، فيضمها في ساعة، ثم يحمل عليها من معه من تلك الأمم، فإذا قطع البحار والأنهار، فتقها ودفع إلى كل رجل لوحاً فلا يكترث بحمله، فانتهى إلى هاويل، ففعل بهم كفعله بناسك فآمنوا، فأخذ جيوشاً منهم، فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى، حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنوداً، كفعله في الأولى، ثم كر مقبلاً، حتى أخذ

سأقص ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ ﴿٨٣﴾ خبراً ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبًا﴾ ﴿٨٤﴾ طريقاً إلى مراده ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٨٥﴾ سلك طريقاً نحو المغرب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود وغروبها في العين في رأي العين وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ﴿٨٦﴾ بالأسر ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ ﴿٨٧﴾ بسكون الكاف وضمها شديداً في النار ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه.

بناحية الأرض اليسرى يريد تاويل، وهي الأرض التي تقابل هاويل، بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيها قبلها، ثم عطف على الأمم التي في وسط الأرض، من الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق، مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين، ليس فيهم مشابهة للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع، ويأكلون دواب الأرض كلها، من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق تنمى نماءهم في العام الواحد، فإذا طالت المدة، سيملأون الأرض ويخرجون أهلها منها، فهل نجعل لك خرجاً، على أن تجعل بيننا وبينهم سداً، إلى آخر ما يأتي في الآية، وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك، فقد روي أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر. والكافران: نمروذ، وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي.

قوله: **﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾** أي بالتصرف فيها حيث شاء. قوله: **(طريقاً)** أي كآلات السير وكثرة الجند. قوله: **(إلى مراده)** أي وهو جميع الأرض. قوله: **﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾** بالتشديد والتخفيف، قراءتان سبعيتان. قوله: **(موضع غروبها)** أي فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط، فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها، رأى الشمس كأنها تغرب فيه، وسماه الله عيناً، لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه في علم الله كالعين، وإن كان عظيماً في نفسه. قوله: **﴿حَمِئَةٍ﴾** بالهمز بدون ألف، وبألف بعدها ياء، قراءتان سبعيتان، فأما الأولى فهي من الحمأة، وهي الطين الأسود. وأما الثانية فهي اسم فاعل من حمى يحمي. والمعنى في عين حارة، ولا تنافي بين القراءتين، لأن العين جامعة بين الوصفين: الحرارة وكون أرضها من طين. قوله: **(وغروبها في العين)** الخ، جواب عما يقال: إن الشمس في السماء الرابعة، وهي قدر كرة الأرض مائة وستين مرة، فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها؟ فأجاب: بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة، كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه. قوله: **(كافرين)** أي وكانوا في مدينة لها اثنا عشر ألف باب، كانت على ساحل البحر المحيط، وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك، وكان لباسهم جلود الوحوش.

قال الفراء ونصبه على التفسير أي لجهة النسبة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ﴿٨٨﴾ أي نأمره بما يسهل عليه ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٨٩﴾ نحو المشرق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي الشمس ﴿سِتْرًا﴾ ﴿٩٠﴾ من لباس ولا سقف لأن أرضهم لا تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبْرًا﴾ ﴿٩١﴾ علماً ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٩٢﴾

قوله: ﴿قُلْنَا﴾ أي بإلهام. قوله: (بالأسر) أي وسمي إحساناً بالنسبة للقتل. قوله: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي استمر على ظلمه. قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ﴾ أي في الآخرة. قوله: (بسكون الكاف وضمها) أي فهما سبعيتان. قوله: (أي لجهة النسبة) أي نسبة الخبر المقدم، وهو الجار والمجرور، إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى، والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء.

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ﴾ أي لمن آمن. قوله: (موضع طلوعها) أي الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً، قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة، وقيل أقل، لأنه سخر له السحاب، وطويت له الأسباب. قوله: (هم الزنج) بفتح الزاي وكسرها. قوله: ﴿سِتْراً﴾ هو بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وهو في الآية بالكسر. قوله: (وسقف) أي ولا أشجار، لأن أرضهم رخوة لا تحمل بناء لعدم الجبال فيها، فتميد بأهلها ولا تستقر. قوله: (ويظهرون عند ارتفاعها) أي مغيبها يسعون في تحصيل مهمات معاشهم، فحالهم بالضد من أحوال الخلق، فما دامت الشمس طالعة فهم في السراديب، وإذا غربت خرجوا لتكسباتهم. قوله: (أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾ الخ، الجملة مستأنفة من كلام الله، وفائدة الإخبار بذلك، الاعتناء بشأن ذي القرنين، وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل.

قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ﴾ تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف. قوله: ﴿سَبَباً﴾ أي طريقاً آخر توصله لجهة الشمال، لأن يأجوج ومأجوج، وإن كانوا في وسط الأرض، إلا أنهم لجهة الشمال، لأن أرضهم واسعة جداً تنتهي إلى البحر المحيط، قال بعضهم: مسافة الأرض بتمامها، خمسمائة عام، ثلاثمائة بحار، ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج، تبقى عشرة، للحبشة منها سبعة، وثلاثة لجملة الخلق غيرهم. قوله: (هنا وبعد) أي في هذه الآية وفي قوله الآتي: ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سداً﴾، وفي يٰس ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان. قوله: (جبلان) أي عاليان جداً أملسان. قوله: (بمنقطع) بفتح الطاء أي آخر بلاد الترك. قوله: (سد الاسكندر ما بينهما) أي الفتحة التي بين الجبلين، وقدرها مائة فرسخ، ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف، فتكون مسيرته مائة وخمسين ساعة، مسيرة اثني عشر يوماً ونصف، فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر. قوله: (أي أمامهما) أي بقربهما. قوله: ﴿قَوْماً﴾ أي وهم الترك والروم. قوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ أي لغرابة لغتهم

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها هنا وبعدهما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي أمامهما ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطء، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً من المال وفي قراءة خراجاً ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ حاجزاً فلا يصلون إلينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ وفي قراءة بنونين من غير إدغام ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل

وبطء فهمهم. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهما سبعيتان، والمعنى لا يفهمون غيرهم لشدة عجمتهم، فكلامهم مغلق.

قوله: **﴿قَالُوا﴾** أي قال مترجمهم، لأنهم من أولاد يافث بن نوح، وذو القرنين من أولاد سام، فلا يفهم لغتهم، وإنما كان لهم مترجم يفهم كلاً من اللغتين، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم، كرامة لما تقدم أن الله جعل له فهماً يفقه به كل شيء وهو الأقرب. قال أهل التواريخ: أولاد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام: أبو العجم والعرب والروم. وحام: أبو الحبشة والزنج والنوبة. ويافث: أبو الترك والبربر وصقالبة ويأجوج ومأجوج. قال ابن عباس: هم عشرة أجزاء، ولد آدم كلهم جزء.

قوله: **﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾** روي أن كلاً من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة، لا يموت الواحد منهم، حتى ينظر ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حمل السلاح، وهم أصناف: صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفعيل ولا وحيش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، والجميع كفار، دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا. قوله: **(بالهمز وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أعجميان)** أي لا اشتقاق لهما، ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة. قوله: **(بالنهب والبغي)** فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم، فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم. قوله: **(عند خروجهم)** أي من هذه الفتحة. قوله: **(وفي قراءة خراجاً)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(وفي قراءة بنونين)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(وغيره)** أي كالملك. قوله: **(وأجعل لكم السد تبرعاً)** روي أنه قال لهم: أعدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم، فانطلق حتى توسط بلادهم، فوجد طول الواحد منهم، مثل نصف الرجل المربوع منا، لهم مخاليب وأضراس كالسباع، ولهم شعر يواري أجسادهم، ويتقون به من الحر والبرد، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان، يفترش إحداهما، ويلتحف بالأخرى، يصيف في واحدة، ويشتي في الأخرى، يتسافدون تسافد البهائم، فلما عاين ذو القرنين ذلك، اهتم بالسد، فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب، فلما وصل إلى ظاهر الأرض، بنى بقطع الحديد، وأفرغ عليه النحاس المذاب، ولا يشكل هذا على ما تقدم من أنهم أصناف، لأنه رأى صنفاً من الأصناف.

لكم السد تبرعاً ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥﴾ حاجزاً حصيناً ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي الحديد ﴿نَارًا﴾ أي كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦﴾ هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثاني فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئاً واحداً ﴿فَمَا اسْطَٰعُوٓا﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧﴾ خرقاً لصلابته وسمكه ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَٰذَا﴾ أي السد أي الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدكوكاً مبسوطاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا ۝٩٨﴾ كائناً، قال تعالى ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به

قوله: ﴿آتوني﴾ بفتح الهمزة وكسرها مع المد، فيهما قراءتان سبعيتان، فزبر على الفتح منصوب على المفعولية، وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض. قوله: ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ جمع زبرة كغرف وغرفة. قوله: **(بضم الحرفين)** الخ، أي فالقراءات السبعية ثلاث. قوله: **(بالبناء)** متعلق بساوى. قوله: **(ووضع المنافخ)** جمع منفخ كمنبر، ويقال منفاخ كمفتاح، ويجمع على منافيخ. قوله: **(فنفخوا)** أي وهذه كرامة لذي القرنين، حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس، مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك. قوله: **(وحذف من الأول)** أي وهو وضميره لأنه فضلة، والأصل آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً. قوله: **(بين زبره)** أي مكان الحطب والفحم الذي كان بينها، فلما أكلته النار، بقي ما بينها خالياً، فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد. قوله: **(لارتفاعه)** أي فكان ارتفاعه مائتي ذراع. قوله: **(وملاسته)** أي فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره.

قوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ أي خرقاً بالفعل. كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنهم يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، قال: فيعيد الله كأشد مما كان، حتى إذا بلغ مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، قال: فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون منه إلى الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي وقت وعده. قوله: **(بخروجهم)** أي فيخرجون على الناس فينفرون منهم، فيرمون بسهام إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا من في الأرض ومن في السماء، فيزدادون قوة وقسوة. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن كلام ذي القرنين تم عند قوله: ﴿حَقًّا﴾ هذا من كلام الله. قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي لشدة الازدحام عند

لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي القرآن فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿١٠١﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوعليهم بغضاً له فلا يؤمنون به ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي﴾ أي ملائكتي وعيسى وعزيراً ﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أرباباً مفعول ثان ليتخذوا، والمفعول الثاني لحسب محذوف، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم

خروجهم، وذلك عقب موت الدجال، فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور فراراً منهم، ثم يسلط الله عليهم دوداً في أنوفهم فيموتون به، فتنتن الأرض منهم، فتأتي طيور ترميهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام، ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس، ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر. قوله: **(لكثرتهم)** أي وضيق الأرض، فإن أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جداً.

قوله: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** أي النفخة الثانية، بدليل التعقيب في قوله: **﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾** وأما النفخة الأولى، فعندها تخرج روح كل ذي روح، واختلف في القدر الذي بين النفختين، والصحيح أنه أربعون عاماً. قوله: **(أي القرن)** وهو بيد إسرافيل عليه السلام. قوله: (قربنا) أي أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها. قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** إن كان المراد به يوم الموقف، فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والإظهار، وإن كان المراد بعد انفضاضه، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم، فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها، وفائدة التأكيد على الأول، الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب. قوله: **﴿أَعْيُنُهُمْ﴾** أي بصائرهم. قوله: **(لا يهتدون به)** أي لا يتعظون ولا يؤثر في قلوبهم. قوله: **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾** أي سماع قبول وفهم، لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك.

قوله: **﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أكفروا فحسبوا الخ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: **(أي ملائكتي وعيسى وعزيراً)** أشار بذلك إلى تنوعهم في الكفر، فالمشركون يعبدون الملائكة، والنصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون العزير. قوله: **(وعزيراً)** هذا لقبه، واسمه قطفير، أو أطفير. قوله: **﴿مِنْ دُونِي﴾** أي غيري وهو صادق بكونهم يشركونهم معه في العبادة، أو خصوهم بالعبادة دونه. قوله: **(مفعول ثان ليتخذوا)** أي والأول قوله: **﴿عِبَادِي﴾** فمفعولا اتخذ مذكوران. قوله: **(والمفعول الثاني لحسب محذوف)** أي والأول قوله: **﴿أَنْ يَتَّخِذُوا﴾** الخ، والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أرباباً لا يغضبني، بل هو مغضب لي وأعاقبهم عليه، وبتفسير الأولياء بالأرباب، اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك، واستدلوا بمثل هذه الآية، فيقال: إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم، فمسلم أنه إشراك، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد، اختاروا خدمة ربهم وعبادته، فاختارهم وأحبهم، فهذا الاعتقاد منج من المهالك، ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام لما ورد: المرء مع من أحب. قوله: **(كلا)** هي كلمة ردع وزجر.

عليه كلا ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿ نُزُلًا ﴾ ﴿١٠٢﴾ أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ ﴿١٠٣﴾ تمييز طابق المميز، وبينهم بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بطل عملهم ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ ﴾ يظنون ﴿ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ﴿١٠٤﴾ عملاً يجازون عليه ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ بطلت ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ ﴿١٠٥﴾ أي لا نجعل لهم قدراً ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، وابتدأ ﴿ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ ﴿١٠٦﴾ أي مهزوّاً بهما ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ ﴾ في علم الله ﴿ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ ﴾ هو وسط الجنة

قوله: ﴿إِنَّا اعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا وأحضرنا. قوله: (**هؤلاء**) أي الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيراً. قوله: (**وغيرهم**) أي من بقية الكفار. قوله: (**كالمنزل المعد للضيف**) أي فهو استهزاء وسخرية بهم، من حيث سمى محل عذابهم نزلاً، والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له. قوله: ﴿بِالأَخْسَرِينَ﴾ جمع أخسر، إما بمعنى أشد الناس خسراناً، أو بمعنى خاسر. قوله: (**طابق المميز**) جواب عما يقال: كيف جمع التمييز مع أن أصله الإفراد؟ ولم جمع المصدر مع أنه لا يثني ولا يجمع؟ فأجاب: بأنه جمع لمشاكلة مميزه. قوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هم الذين الخ. قوله: (**بطل عملهم**) أي لأن شرط الثواب الإسلام، والكفر لا تنفع معه طاعة. قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿ضَلَّ﴾. قوله: (**أي وبالبعث**) أي فالمراد بلقاء الله، لقاء بعثه وحسابه الخ. قوله: ﴿فَحَبِطَتْ﴾ أي فبسبب ذلك. قوله: (**أي لا نجعل لهم قدراً**) أي منزلة، وإنما قال ذلك، لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم، وبعضهم أجاب: بأن الآية فيها حذف النعت، والتقدير وزناً نافعاً.

قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ (**أي الأمر**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: (**الذي ذكرت**) تفسير لاسم الإشارة. قوله: (**وابتدأ**) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مستأنفة، وهو صادق بأن يكون ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿جَهَنَّمُ﴾ خبر، أو بالعكس، ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول، وجزاؤهم مبتدأ ثان، وجهنم خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب كفرهم واتخاذهم. قوله: (**في علم الله**) أي قبل أن يخلقوا، وهو جواب عما يقال: إنهم يدخلونها في المستقبل، فلم عبر بالماضي؟ فأجاب: بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الآية. قوله: (**هو وسط الجنة**) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات، أو بفتحها بمعنى خيارها، قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والفردوس الجنة من الكرم خاصة، أو ما غالبها كرم، واختلف فيه فقيل هو عربي، وقيل أعجمي، وقيل هو رومي، وقيل فارسي، وقيل سرياني. قوله: (**منزلاً**) أي وقيل ما يهيأ للضيف. قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ﴾ حال أخرى. قوله: (**تحولاً**) أي انتقالاً عنها إلى غيرها، لأن فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وأعلاها والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ منزلاً ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ تحولاً إلى غيرها ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾ بالتاء والياء تفرغ ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي البحر ﴿مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾ زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها والمعنى يوحي إليّ وحدانية الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾ يأمل ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًۢا﴾ ﴿١١٠﴾ .

قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت: يا محمد إننا قد أوتينا التوراة، وفيها علم كثير، فكيف تقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وقصدهم بذلك الإنكار عليه، وإثبات الفضل لهم. قوله: (أي ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي النفسية القائمة بذاته، ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة، ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها. قوله: ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ أي فرغ. قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾ إن قلت: إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها، لأن مقتضى قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ أنها تفرغ بعد فراغ المداد. وأجيب: بأن قيل بمعنى غير. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لنفد)** قدره إشارة إلى أن لو شرطية جوابها محذوف ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾. قوله: **(ونصبه)** أي مداداً. وقوله: **(على التمييز)** أي لمثل. قوله: **(باقية على مصدريتها)** أي فما وإن كفتها عن العمل، لا تخرجها عن المصدرية. قوله: **(والمعنى)** أي المأخوذ من التركيب. قوله: ﴿عَمَلاً صَالِحاً﴾ أي بشروطه وأركانه. قوله: **(بأن يرائي)** هذا قدر زائد على التوحيد والعمل، وحينئذ فيكون بياناً للإيمان الكامل، الذي يرقى به صاحبه المراتب العلية واللقى الخاص، وإلا فالمراتب ثلاث: من أراد بعمله الحظ الفاني فهو في أدنى المراتب، ومن أراد به الخوف من العذاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه، ومن أراد وجه الله فهو في أعلى المراتب.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكيّة

إلا سجدتها فمدنية أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الآيتين فمدنيتان.
وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم مكية

إلا سجدتها فمدنية أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الآيتين فمدنيتان.
وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

سميت بذلك لذكر قصتها فيها، على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها، وفي بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها، وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لا العلم المشهور، ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن إلا مريم، فذكرت فيه في ثلاثين موضعاً، وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار، أنها زوجة الله، لأن العظيم يأنف من ذكر زوجته باسمها، فكأن الله يقول لهم: لو كان ما تزعمون حقاً ما صرحت باسمها. قوله: (أو إلا ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ الخ، تحصل أن الأقوال ثلاثة: قيل مكية بتمامها، وقيل المدني منها آية السجدة فيها، وقيل المدني منها آيتان، قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ إلى قوله: ﴿شيئاً﴾.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ① الله أعلم بمراده بذلك هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ② بيان ﴿إِذْ﴾ متعلق برحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ ③ سراً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعه ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر

قوله: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ اعلم أن الكاف والصاد يمدان مداً لازماً باتفاق السبعة، وهو قدر ثلاث ألفات، والهاء والياء يمدان مداً طبيعياً باتفاقهم وهو قدر ألف، ويجوز في العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان، ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنتها وفتح العين، ويجوز في الدال الإظهار والإدغام في ذال ذكر، والقراءتان سبعيتان. قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق، وللسلف أقوال أخر، منها ما قاله ابن عباس: إنه اسم من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم الله الأعظم، ولذا يذكره العارفون في أحزابهم، كالسيد الدسوقي، وأبي الحسن الشاذلي، وقيل هو اسم السورة، وقيل قسم أقسم الله به، وعن الكلبي: هو ثناء أثنى الله به على نفسه، وقيل معناه كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده، فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعاني، وقيل غير ذلك قوله: (هذا) قدره إشارة إلى أن ذكر خبر لمحذوف.

قوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ﴾ هو مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف أي ذكر الله رحمته عبده زكريا. قوله: (مفعول رحمة) أي ورحمته من إضافة المصدر لفاعله، وهذه التاء لا تمنع عمل المصدر، لأنها من بنية الكلمة لا للوحدة، ومعنى ذكر الرحمة، بلوغها وإصابتها لعبده زكريا، بمعنى عامله بالرحمة والنعمة، لا بالغضب والنقمة، وليس المراد بالذكر حقيقته، وهو ضد النسيان، لأنه مستحيل. قوله: (متعلق برحمة) أي على أنه ظرف له، أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه. قوله: (مشتملاً على دعاء) أي وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً﴾ فجملة النداء ثمان جمل، والدعاء منه هو قوله: ﴿فَهِبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ الخ. قوله: (جوف الليل) أي في جوفه. قوله: (لأنه أسرع للإجابة) أي ما ذكر من كونه خفياً حاصلاً في جوف الليل، فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الإجابة، سيما إذا كان في جوف الليل.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي يا مالكي ومربي. قوله: ﴿وَهَنَ﴾ من باب وعد، بفتح الهاء للسبعية، وقرىء بضمها وكسرها. قوله: (جميعه) أشار بذلك إلى أن أل في العظم للاستغراق. قوله: (أي انتشر) أشار بذلك إلى أن في ﴿اشْتَعَلَ﴾ استعارة تبعية، حيث شبه انتشار الشيب، باشتعال النار في الحطب، واستعير الاشتعال للانتشار، واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر، والجامع أن كلاً يضعف ما نزل به، وأعاد الضمير على الرأس مذكراً لأنها تذكر لا غير. قوله: (وإني أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾ الخ. قوله: (أي بدعائي إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف. قوله: (فيما مضى) أي أنت قد أجبتني في الزمان الماضي حال شبوبيتي، وعودتني منك بالإحسان والإجابة، فلا تخيبني فيما يأتي في حال شيخوختي.

شعاع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ ﴿٤﴾ أي خائباً فيما مضى فلا تخيبني فيما يأتي﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي بعد موتي على الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿٥﴾ ابناً ﴿يَرِثُنِى﴾ بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة ولياً ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدي العلم والنبوة ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ ﴿٦﴾ أي مرضياً عندك، قال تعالى في إجابة طلبه الابن والحاصل به رحمته ﴿ يَا زَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ﴿٧﴾ أي مسمى بيحيى ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ ﴿٨﴾

قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ جمع مولى وهو العاصب. قوله: (كبني العم) أي لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل، فخاف أن يبدلوا دينهم. قوله: ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ متعلق بمحذوف، أي جور الموالي من ورائي. قوله: (على الدين) متعلق بخفت. قوله: (من تبديل الدين) بيان لما. قوله: ﴿وَكَانَتْ امْرَأَتِي﴾ أي وهي أشاع أخت حنة، كلتاهما بنت فاقود، فولد لأشاع يحيى، ولحنة مريم. قوله: (لا تلد) أي لم تلد أصلاً لا في صغرها، ولا في كبرها. قوله: (وبالرفع صفة وليا) هي سبعية أيضاً، وهي أظهر معنى، لأنها تفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه. قوله: (العلم والنبوة) أي لا المال، لأن الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله، ولا ينافيه ما تقدم في سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة، لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين، أو المعنى على لسان الملائكة. قوله: (والحاصل به) نعت للابن.

قوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ بين هذه البشارة، ووجود الولد في الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة. قوله: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾ إنما سماه بذلك، لأن رحم أمه حيي به بعد موته بالعقم، أو لحياة القلوب به، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وتقول في تثنيته يحييان رفعاً، ويحيين نصباً وجراً، وتقول في جمعه للسلامة يحييون رفعاً، ويحيين نصباً وجراً. قوله: (أي مسمى بيحيى) أي لم يسم بيحيى قوله: (كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك، بحسب العادة لا بحسب القدرة الإلهية، أو استفهام تعجب وسرور في هذا الأمر العجيب.

قوله: ﴿وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِراً﴾ أي ولم تزل. قوله: (يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس، يقال عتا العود بمعنى يبس وجف، ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد. قوله: (عتوو) هو بضمتين وواوين. قوله: (كسرت التاء) الخ، اشتمل كلامه على أربع إعمالات في الكلمة، غير كسر التاء وقلب الواو الأولى ياء، وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو، وسبق إحداهما بالسكون وإدغام الياء في الياء وهذا على غير قراءة حفص، وأما على قراءته من كسر العين إتباعاً للتاء، ففيه خمس إعمالات. قوله: (الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف.

من عتا يبس أي نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانية وتسعين سنة، وأصل عتي عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي بأن أرد عليك قوة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي بأيامها كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا ۝١٠﴾ حال من فاعل تكلم أي بلا علة ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ أواثل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد

قوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أي على لسان ملك أو بإلقاء في قلب، وأما الخطاب جهراً مشافهة، فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام. قوله: (وأفتق) من باب نصر أي أشق. قوله: (للعلوق) بفتح العين أو المني ويصح ضمها مصدر علق. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ الجملة حالية. قوله: (ولما تاقت نفسه) أي تطلعت وتشوقت، وأشار بذلك إلى أن قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ مرتب على محذوف. قوله: (إلى سرعة المبشر به) أي بعلامة تدل على حصوله بالفعل، وليس عند زكريا شك في إجابة الله دعاءه، بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحاً وشكراً. قوله: (أي تمنع) أي قهراً بلا آفة. قوله: (أي بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران. وحكمة ذكر الليالي هنا، أن الليل سابق على النهار، وهذه السورة مكية، والمكي مقدم على المدني، وآل عمران مدنية، فأعطى السابق للسابق، والمتأخر للمتأخر. قوله: (حال من فاعل تكلم) أي ينعدم منك الكلام حال كونك سليماً، لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام، ويصح أن يكون صفة لثلاث، أي ثلاثاً كاملات لا نقص فيهن.

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي متغير اللون، عاجزاً عن الكلام، فأنكروا ذلك عليه وقالوا له: ما لك؟ فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشياً. قوله: ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ يطلق على الغرفة، وصدر البيت، وأكرم مواضعه، ومقام الإمام من المسجد، والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه، فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديماً. قوله: (أي المسجد) أي موضع الصلاة. قوله: (وكانوا ينتظرون فتحه) أي فكان مقيماً به، ولا يفتحه إلا وقت الصلاة، ولا يدخلونه إلا بإذنه. قوله: (أشار) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي بأصبعه وقيل كتب لهم. قوله: (أوائل النهار وأواخره) أي فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين، صلاة الصبح وصلاة العصر، والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم، ولا تنتظروني أكلمكم، بل دعوني وحالي. قوله: (فعلم) أي زكريا. قوله: (وبعد ولادته) الخ، قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿يَا يَحْيَى﴾ الخ،

ولادته بسنتين، قال تعالى له ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ النبوة ﴿صَبِيًّا﴾ ﴿١٢﴾ ابن ثلاث سنين ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٣﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾ ﴿١٤﴾ عاصياً لربه ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿١٥﴾ أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها

مرتب على محذوف. قوله: (قال تعالى له) أي على لسان الملك. قوله: ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ أي اعمل بأحكامه، وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلاً، لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله: ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾. قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي بجد واجتهاد، وإنما أمر بذلك، لأن كلام الله عظيم جليل القدر، فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه، ومن هنا ينبغي لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه، ولا يتراخى في طلبه، فإنك إن أعطيت العلم كلك، أعطاك بعضه، وإن أعطيته بعضك، لم يعطك شيئاً منه، ولذا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلم إلاّ بِستة ... سَأُنبيك عَنْهَا مخبراً بِبَيَان
ذكاء وَحِرْص وَاجْتِهَاد وَبلْغَة ... نَصيحة أستاذ وَطُول زَمَان

ولم يأمر الله سيدنا محمداً بتلقي ما أوحى بقوة، لأن الله أعطاه عزماً وقوة عظيمة، فلم يحتج للأمر، بل قيل له (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً). قوله: (ابن ثلاث سنين) أي فأحكم الله عقله وقوى فهمه، وقولهم النبوة على رأس الأربعين، محله في غير يحيى وعيسى على ما يأتي، وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها، وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره. قوله: ﴿حَنَاناً﴾ أي رحمة ورقة في قلبه، وتعطفاً على الناس. قوله: (صدقة عليهم) أي توفيقاً للتصدق، وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ، أو طهارة من اتبعه، أو المراد أن الله تصدق به على والديه. قوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ أي مجبولاً على التقوى، ومن جملة تقواه، أنه كان يتقوت بالعشب، وكان كثير البكاء، فكان لدمعه مجار على خده. قوله: (ولم يهم بها) أي لم تخطر بباله، ولا خصوصية له بذلك، بل جميع الأنبياء كذلك. قوله: (عاصياً لربه) أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة، بل المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه.

قوله: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ﴾ أي أمان له من المخاوف ونكرهنا، وعرف في قصة عيسى، لأن ما هنا حاصل من الله، والقليل منه كثير، وما ذكر في قصة عيسى أل فيه للعهد أي السلام المعهود، وهو الكائن من الله. قوله: ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ أي من أن يناله الشيطان بمكروه. قوله: ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ أي من عذاب القبر. قوله: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي من هول الموقف، ولا ينافي هذا ما ورد أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون: رب سلم سلم، لأن جلال الله محيط بهم، فهم خائفون من هيبته وجلاله، لا من عذابه وعقابه، لصدق وعد الله في تأمينهم، فلا يخلف وعده. بقي شيء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل في حياة والده، فكيف ذلك مع طلبه ولداً يرثه، وإجابة الله له بقوله: ﴿كذلك هو علي هين﴾. أجيب: بأن هذه الرواية ضعيفة، والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل، وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب.

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿ مَرۡيَمَ ﴾ أي خبرها ﴿ إِذِ ﴾ حين ﴿ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ ﴿١٦﴾ أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا ﴾ أرسلت ستراً تستتر به لتفلي رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿ بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾ ﴿١٧﴾ تام الخلق ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾ ﴿١٨﴾ فتنتهي عني بتعوذي ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ ﴿١٩﴾ بالنبوة

قوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ أي قصة ولادتها لعيسى وحملها به، فإنها من الآيات الكبرى، وتقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب. قوله: **(القرآن)** أشار بذلك إلى أن أل في الكتاب للعهد. قوله: ﴿إِذَا انْتَبَذَتْ﴾ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(أي خبرها)** وهو بدل اشتمال، وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانتباذ، بل هو وما بعده إلى آخر القصة. قوله: **(أي اعتزلت في مكان)** أشار بذلك إلى أن مكان منصوب على الظرفية، ويصح أن يكون مفعولاً به؛ على أن معنى ﴿انْتَبَذَتْ﴾ أتت مكاناً. قوله: **(من الدار)** أي دار زوج خالتها، وهو زكريا القيم عليها، وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس، أي فقوله في الآية: ﴿شَرْقِيًّا﴾ يحتمل أن يكون شرقياً من دارها، أو من بيت المقدس. قوله: **(أو تغتسل من حيضها)** أي لأنها كانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت، وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين. قوله: ﴿رُوحَنَا﴾ سمي بذلك لأن الله أحيا به القلوب والأديان، كما أن الروح به حياة الأجساد، أو كناية عن محبة الله له، كما يقول الإنسان لمن يحبه أنت روحي.

قوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ اختلف في كيفية تمثل الملك في غير صورته الأصلية، هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل، مع كونها باقية، أو لا تنفصل؟ وإنما تخفى عن الرائي، وهو الذي ندين الله به، لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم. قوله: **(بعد لبسها ثيابها)** جواب عما يقال: إن الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس، فضلاً عن كونها مكشوفة البدن، فكيف أتى مريم وهي تغتسل؟ فأجاب المفسر: بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها.

قوله: ﴿بَشَراً سَوِياً﴾ أي بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتأنس بكلامه، ولعله يهيج شهوتها، فتنحدر نطفتها إلى رحمها، ولا يقال إن النظر المهيج للشهوة حرام، لأن ذلك إذا كان مع اختيار، وأما الميل الطبيعي فلا يؤاخذ به الإنسان. قوله: ﴿بِالرَّحْمٰنِ﴾ خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه، لعدم المغيث لها من الخلق. قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أي عاملاً بمقتضى تقواك وإيمانك. قوله: **(فتنتهي عني)** هو جواب الشرط، وقدره فعلاً مضارعاً مقروناً بالفاء، فهو على تقدير المبتدأ، ليكون الجواب جملة اسمية، حتى يسوغ اقترانه بالفاء، أي فأنت تنتهي عني.

قوله: ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي جبريل، وقولهم إن الوحي لم ينزل على امرأة قط أي برسالة، وأما بغيرها فلا مانع منه. قوله: ﴿لِيَهَبَ لَكِ﴾ بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى الإسناد لله، وعلى الثانية الإسناد لجبريل، لكونه سبباً فيه. قوله: ﴿غُلَاماً زَكِيًّا﴾ فيه مجاز الأول، لأنه حينئذ لم يكن غلاماً.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿٢٠﴾ زانية ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ﴿٢١﴾ به في علمي، فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾ بعيداً من أهلها ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة ﴿قَالَتْ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمر

قوله: (بتزوج) دفع به ما يقال إن قولها ﴿لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يدخل تحته ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فأجاب: بأن المس عبارة عن النكاح في الحلال، والزنا ليس كذلك، بل يقال فجر بها وما أشبه. قوله: ﴿بَغِيًّا﴾ لم يقل بغية لأن بغياً غالب في النساء، فأجروه إجراء حائض وطامث وعاقر، أو يقال إن أصله بغوياً بوزن فعول، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكسرت الغين لتصح الياء، وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء، كما قال ابن مالك:

وَلَا تَلِي فَارِقَةٌ فَعُولا أَصْلاً وَلَا المفعَال وَالمفعِيلا

وهذا ليس استبعاداً منها لقدرة الله، وإنما هو تعجب من مخالفة العادة. قوله: (الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف. قوله: ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ بمنزلة العلة كأنه قيل: الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله الخ. قوله: (على قدرتنا) أي كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى. قوله: ﴿أَمْراً مَقْضِياً﴾ أي لا يتغير ولا يتبدل. قوله: (فنفخ جبريل) أي نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها، وليس المراد أنه نفخ في فرجها مباشرة. قوله: (درعها) أي قميصها. قوله: ﴿مَكَاناً قَصِيًّا﴾ أي بعيداً من أهلها، وهو بيت لحم، فراراً من تعيير قومها بولادتها من غير زوج.

قوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ أي ألجأها. قوله: (لتعتمد عليه) أي فاعتمدت عليه، وقيل حضنته وكان يابساً فاخضر وأثمر لوقته. قوله: (فولدت) أي ببيت لحم، فخافت عليه، فجاءت به إلى بيت المقدس، فوضعته على صخرة، فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد، وهي الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس، ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه، وهو اليوم الذي يتخذه النصارى عيداً ويسمونه يوم الغطاس، وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقدست، فلذلك يغطسون في كل ماء. قوله: (في ساعة) هو الصحيح، وقيل حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، وقيل كانت مدة حملها تسعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر، وسنها إذ ذاك عشر سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة. قوله: ﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ إنما تمنت الموت لئلا تقع المصيبة بمن تتكلم في

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ ﴿٢٣﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ أي جبريل وكان أسفل منها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿٢٤﴾ نهر ماء كان انقطع ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة والباء زائدة ﴿تُسَٰقِطْ﴾ أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت في السين وفي قراءة تركها ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ ﴿٢٥﴾ صفته ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾

شأنها بسوء، وإلا فهي راضية بما بشرت به. قوله: ﴿وَكُنْتُ نَسْياً﴾ بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان، وقوله: ﴿مَنْسِيًّا﴾ تأكيد لنسياً.

قوله: ﴿فَنَادَاهَا﴾ أي لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تتهم، ولا بعد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها، قيل أول من علم بها يوسف النجار، وكان رفيقاً لها يخدمان المسجد، ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهاداً منها، فبقي متحيراً في أمرها، ثم قال لها: قد وقع في نفسي من أمرك شيء، وقد حرصت على كتمانه، فغلبني ذلك، فرأيت أن أتكلم به أشفي صدري، فقالت: قل قولاً جميلاً، قال: أخبريني يا مريم، هل ينبت زرع بغير بذر؟ فقالت: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير بذر ولا غيث؟ أو تقول: إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباتها؟ قال يوسف: لا أقول هذا، ولكني أقول: إن الله يقدر على ما يشاء، يقول له كن فيكون، قالت مريم: ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى، فعند ذلك زال ما في نفسه من التهمة، وكان ينوب عنها في خدمة المسجد مدة نفاسها.

قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته، وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر، والجار والمجرور متعلق بنادي. قوله: (أي جبريل) تفسير لمن على الفتح، والضمير المستتر في نادى على الكسر، وقيل المنادي لها عيسى، ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها، وحينئذ فيكون قوله: ﴿أَنْ لَا تَحْزَنِي﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أول كلام عيسى. قوله: (وكان أسفل منها) أي كان جبريل في مكان أسفل من مريم.

قوله: ﴿أَنْ لَا تَحْزَنِي﴾ يحتمل أن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة وقد وجد شرطها، وهو تقدم ما هو بمعنى القول، و ﴿لَا﴾ ناهية وحذفت النون للجازم، أو ناصبة ولا نافية، وحذفت النون للناصب. قوله: (نهر ماء) أي وجمعه سريان كرغيف ورغفان، ويطلق السري على الشريف الرئيس، وأصله سريو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء كسيد، ويكون المراد به عيسى، وما مشى عليه المفسر، أظهر لمناسبة قوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾. قوله: (كان انقطع) أي ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه. قوله: (والباء زائدة) أي ويصح أن تكون أصلية، والمفعول محذوف، والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطباً، والتقدير وهزي إليك رطباً كائناً بجذع النخلة. قوله: (وفي قراءة بتركها) أي التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقي قراءة سبعية أيضاً وهي ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطباً مفعول به. قوله: (تمييز) أي على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة. قوله: ﴿جَنِياً﴾ أي تاماً نضجه صالحاً للاجتناء.

من السري ﴿وَقَرِّي عَيۡنًا﴾ بالولد تمييز محول من الفاعل أي لتقر عينك به أي تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ ﴿٢٦﴾ أي بعد ذلك ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾ حال، فرأوه ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ ﴿٢٧﴾ عظيماً حيث أتيت بولد من غير أب ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ هو رجل صالح

قوله: ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ العامة على فتح القاف من قر يقر، بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع من باب تعب، وقرىء شذوذاً بكسر القاف، وهي لغة نجد بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع من باب ضرب. قوله: **(أي تسكن)** أي فهو من القرار بمعنى عدم الحركة، ويصح أن يكون من القر وهو البرد، لأن العين إذا فرح صاحبها، كان دمعها بارداً، وإذا حزن كان دمعها حاراً، كأنه قال: اتركي الحزن وافرحي بما أعطاك ربك. قوله: **(حذفت منه لام الفعل)** أي وأصله ترأيين، بهمزه عين الكلمة وياء مكسورة، هي لامها، وأخرى ساكنة هي ياء الضمير، والنون علامة الرفع، نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما، ثم أكد بالنون وحرك بالكسر، ففيه ست إعمالات، نقل الحركة وسكون الهمزة وقلب الياء ألفاً وحذفها وتأكيد بالنون وتحريكه بالكسر، وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة، أفاد المفسر منها خمساً، ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل. قوله: **(فسألك عن ولدك)** جواب عما يقال إن قولها ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِياً﴾ كلام فقد حصل التناقض، فأجاب: بأن المراد إذا رأيت أحداً من البشر، وسألك عن أمرك فقولي الخ، ويكون إنشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة. قوله: ﴿صَوْماً﴾ قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد، صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي، وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغيظ لهم. قوله: **(مع الأناسي)** أي لا مع الله كالذكر ولا مع الملائكة، لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة، ولا تكلم الإنس، والأناسي بفتح الهمزة جمع إنسي أو إنسان، وأصله على هذا أناسين، قلبت النون ياء وأدغمت في الياء. قوله: **(أي بعد ذلك)** أي بعد قولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً﴾.

قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ أي في يوم وضعه، وقيل بعد أربعين يوماً لما طهرت من نفاسها. قوله: **(فرأوه)** أي أبصروه. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي أهلها وكانوا أهل بيت صالحين، بمصدوق قوله تعالى ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾. قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتِ﴾ أي فعلت وأتيت. قوله: ﴿فَرِيّاً﴾ من فريت الجلد قطعته، أي شيئاً قاطعاً وخارقاً للعادة، ومقطعاً للعرض. قوله: **(هو رجل صالح)** أي في بني إسرائيل، شبهت به في عفتها وصلاحها، قيل إنه تبع جنازته يوم مات

أي يا شبيهته في العفة ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ أي زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ﴿٢٨﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد؟ ﴿ فَأَشَارَتْ ﴾ لهم ﴿ إِلَيْهِ ﴾ أن كلموه ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ ﴾ أي وجد ﴿ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي الإنجيل ﴿ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ أي نفاعاً للناس إخبار بما كتب له ﴿ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ أمرني بهما ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى ﴾ منصوب بجعلني مقدراً ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا ﴾ متعاظماً ﴿ شَقِيًّا ﴾ ﴿٣٢﴾ عاصياً لربه ﴿ وَٱلسَّلَـٰمُ ﴾ من الله ﴿ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ﴿٣٣﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى، قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ بالرفع

أربعون ألفاً من بني إسرائيل، كلهم يسمون هارون سوى سائر الناس. قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ أي عمران، وقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ أي حنة.

قوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي وحينئذٍ غضب القوم وقالوا: أتسخرين بنا؟ ثم قالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً﴾. قوله: **(وجد)** أشار المفسر إلى أن ﴿كَانَ﴾ تامة، وحينئذ فصبياً حال، ويصح أن تكون ناقصة وصبياً خبرها. قوله: ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ قيل المرد به حجرها، وقيل هو المهد بعينه، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع، واتكأ على يساره، وأقبل عليهم؛ وجعل يشير بيمينه وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الخ. قوله: ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾ وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ إلهاً، وكل هذه الأوصاف تقتضي براءة أمه، لأن هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس. قوله: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ أي في الحال، وقيل المراد سيجعلني بعد الأربعين قولان للعلماء، والله أعلم بحقيقة الحال. قوله: **(أي نفاعاً للناس)** أي لأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويهدي من ضل. قوله: **(إخبار بما كتب له)** أي فالماضي بمعنى المستقبل، وقيل على حقيقته. قوله: **(أمرني بهما)** أي بفعلهما. قوله: ﴿وَبَرّاً﴾ العامة على فتح الباء وقرىء بكسرها، إما على حذف مضاف أي ذا بر، أو مبالغة. قوله: **(متعاظماً)** أي بل جعلني متواضعاً، ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر، ويجلس على التراب، ولم يتخذ له مسكناً.

قوله: ﴿وَالسَّلَامُ﴾ أل فيه للعهد، أي السلام الحاصل ليحيى حاصل لي، فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه، وعيسى سلم على نفسه، بل هو حاك السلام عن الله. قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ هذا آخر كلامه، ثم سكت بعد ذلك، فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى، وأما كلام عيسى فقد انتهى إلى قوله: ﴿حَيّاً﴾ قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي المذكور بتلك الأوصاف، واسم الإشارة مبتدأ، و﴿عِيسَى﴾ خبره، و﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ صفته، و﴿قَوْلُ الْحَقِّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي قول ابن مريم قول الحق، وهو من إضافة الموصوف للصفة، أي القول الحق، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف، هو عيسى ابن مريم، وقوله: القول الحق أي الصدق المطابق للواقع. قوله: **(وبالنصب)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بتقدير قلت)** أي فهو مصدر مؤكد لعامله. قوله: **(والمعنى)** أي على كل من القراءتين، فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق، وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكياً عن عيسى القول الحق، والقائل ذلك هو الله تعالى.

خبر مبتدأ مقدر أي قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت والمعنى الحق ﴿ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ من المرية أي يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله كذبوا ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا ﴾ أي أراد أن يحدثه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ﴿٣٥﴾ بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ومن ذلك خلق عيسى من غير أب ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾﴿٣٦﴾ مؤد إلى الجنة ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ أي النصارى في عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ فشدة

قوله: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ خبر لمحذوف أي هو عيسى الذي فيه يترددون ويتحيرون. قوله: **(قالوا إن عيسى ابن الله)** أي وقالوا غير هذه المقالة كما في قوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ وإنما اقتصر على هذه هنا، لأنها التي يتضح إبطالها بقوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ﴾ الخ. قوله: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ﴾ أي لا يمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل، لا تتعلق به القدرة. قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم كان، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال، قال تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا﴾. قوله: **(عن ذلك)** أي اتخاذ الولد.

قوله: ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً﴾ هذا كالدليل لما قبله كأنه قال: إن اتخاذ الولد والسعي في أسبابه، شأن العاجز الضعيف المحتاج الذي لا يقدر على شيء، وأما القادر الغني الذي يقول للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، فلا يحتاج في اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى، وحيث أوجده بقول ﴿كُنْ﴾ لا يسمى ابناً له، بل هو عبده ومخلوقه، فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة. قوله: **(بتقدير أن)** أي بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر. قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ هذا من كلام عيسى، سواء قرىء بكسر إن أو فتحها، فهو من تعلقات قوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ الخ. قوله: **(بتقدير اذكر)** أي اذكر يا عيسى أن الله الخ. قوله: **(بتقدير قل)** أي وإن تكسر بعد القول. قوله: ﴿هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ من كلام عيسى أيضاً. قوله: **(المذكور)** يعني القول بالتوحيد ونفي الولد.

قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾ أي أن النصارى تحزبوا وتفرقوا في شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق: اليعقوبية والنسطورية والملكانية والإسلامية، لما روي أنه اجتمع بنو إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، من كل قوم عالمهم، فامتروا في شأن عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض، فأحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، فقالت الثلاثة: كذبت. ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، قال: هو ابن الله، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت. ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة، الله إله وهو إله، وأمه إله، وهم الملكانية. فقال الرابع: كذبت. بل هو عبد الله ورسوله وكلمته، وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا وظهروا على المسلمين، وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا ﷺ من حين البعث، وأما

عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي حضور يوم القيامة وأهواله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم صيغتنا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أي اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الاحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فيه للجزاء ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي

الذين اتبعوه منهم، فهم الذين يعطون أجرهم مرتين، كالنجاشي وأتباعه، وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا﴾ الآيات. قوله: **(فشدة عذاب)** وقيل المراد بالويل واد في جهنم، يأكل الحجارة والحديد، قوتهم فيه الجيف. قوله: **﴿مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور، وهو المراد هنا، وسمي بذلك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا، قال تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

قوله: **﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾** هو فعل ماض جاء على صورة الأمر، ومعناه التعجب، وإعرابه: أسمع فعل ماض للتعجب، والباء زائدة، والضمير فاعله، وأبصر مثله، وحذف بهم من الثاني لدلالة الأول عليه، وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه، بل المراد التعجيب، وهو حمل المخاطب على التعجب، أي اعجبوا يا عبادي، من شدة سمعهم وبصرهم في ذلك اليوم. قوله: **(من إقامة الظاهر مقام المضمر)** أي أشار إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالماً. قوله: **﴿فِي ضَلَالٍ﴾** أي خطأ وعدم اهتداء للحق. قوله: **(به صموا)** أي بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ في الدنيا، فالعجب منهم في الحالتين، شدة الإسماع والإبصار في الآخرة؛ وضدهما في الدنيا. قوله: **(يوم القيامة)** أي وله أسماء كثيرة منها: يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، والحاقة، والقارعة، واليوم الموعود، وغير ذلك. قوله: **(يتحسر فيه المسيء)** الخ، أي والمحسن على ترك الزيادة في الإحسان، كما في الحديث.

قوله: **﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾** أي حكم وأمضي، وذلك أنه ورد: إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، يؤتى بالموت في صورة كبش، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي المنادي: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم، وأهل الجنة فرحاً على فرحهم. قوله: **﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾** الجملة حالية، وكذا قوله: **﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** وهذا الإنذار لكل مكلف، وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **(بإهلاكهم)** أي فلا يبقى حي سوى الله تعالى لما ورد: أن الله تعالى ينادي بعد انقراض

ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي خبره ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ مبالغاً في الصدق ﴿ نَّبِيًّا ﴾ ﴿٤١﴾ ويبدل من خبره ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ آزر ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ ﴾ لا يكفيك ﴿ شَيْـًٔا ﴾ ﴿٤٢﴾ من نفع أو ضر ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا ﴾ طريقاً ﴿ سَوِيًّا ﴾ ﴿٤٣﴾ مستقيماً ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ ﴿٤٤﴾ كثير العصيان ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ إن لم تتب ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ

الدنيا بأهلها: لمن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بقوله: لله الواحد القهار. قوله: ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أي يردون فيجازى كل أحد بما قدمه من خير وشر.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ ابْرَاهِيمَ﴾ يحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم، لعلهم يعتبرون فيؤمنوا، ويحتمل أنه معطوف على قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾ عطف قصة على قصة، وهو الأقرب. قوله: (مبالغاً في الصدق) أي في أقواله وأفعاله وأحواله. قوله: ﴿نَبِيًّا﴾ وصف خاص، لأن كل نبي صديق ولا عكس، وبين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضاً، فكل صديق ولي ولا عكس، لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة. قوله: (ويبدل منه) أي بدل اشتمال، وحينئذ فقوله: ﴿إنه كان صديقاً نبياً﴾ معترض بين البدل والمبدل منه. قوله: ﴿لأَبِيهِ﴾ قيل حقيقة، وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة الأنعام تبعاً للمفسر هنا، ولا يضر كفر أصول الأنبياء، فإن الله يخرج الحي من الميت، ولا ينافيه قوله ﷺ: «ما زلت أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية، وإن كانوا كفاراً، أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بعثة إبراهيم، وحينئذٍ فقد انتقل منه النور المحمدي إلى ولده، وهو في حالة الفترة، وقيل هو عمه، واسم أبيه تارخ، وسمي أباً على عادة الأكابر، من تسمية العم أباً، وعليه فلا يرد الحديث المتقدم، وهما قولان للمفسرين. قوله: (التاء عوض عن ياء الإضافة) أي فأصله أبي، فيقال في إعرابه: يا حرف نداء، وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والتاء عوض عن الياء. قوله: (ولا يجمع بينهما) أي فلا يقال يا أبتي، لأن فيه الجمع بين العوض والمعوض، ويقال يا أبتا، لأن الألف عوض عن الياء أيضاً، ففيه جمع بين عوضين.

قوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ أي لأي سبب تعبد ما لا سمع فيه ولا بصر. قوله: (أو ضر) أي أو دفع ضر. قوله: ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي العلم بالتوحيد والشرع. قوله: ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾ أي امتثل أمري فيما آمرك به. قوله: (مستقيماً) أي لا اعوجاج فيه. قوله: (بطاعتك إياه) أي فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الأصنام، حيث حسنها له بوسوسته. قوله: ﴿عَصِيًّا﴾ أي وطاعة العاصي عصيان. قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ أي في المستقبل إن لم ترجع، وإنما عبر بالخوف، لأنه لم يكن قاطعاً بموته على الكفر، بل كان مترجياً إيمانه، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول، لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا

وَلِيًّا ﴾ ﴿٤٥﴾ ناصراً وقريناً في النار ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ فتعيبها ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن التعرض لها ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ﴿٤٦﴾ دهراً طويلاً ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ﴾ مني أي لا أصيبك بمكروه ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ ﴿٤٧﴾ من حفي أي باراً فيجيب دعائي وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء واغفر لأبي. وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ ﴾ تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ ﴾ أعبد ﴿ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي ﴾ بعبادته ﴿ شَقِيًّا ﴾ ﴿٤٨﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿ وَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿ إِسْحَٰقَ

الخطاب اللطيف. قوله: (ناصراً وقريناً) المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين، لأنه بعد الدخول في العذاب، لا يتأتى معاونة ولا مناصرة.

قوله: ﴿أَرَاغِبٌ﴾ مبتدأ و ﴿أَنْتَ﴾ فاعل سد مسد الخبر، وسوغه اعتماده على الاستفهام، وهو أولى من جعله خبراً مقدماً، و ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ مؤخر لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو ﴿أَرَاغِبٌ﴾ والمعمول وهو ﴿عَنْ آلِهَتِي﴾ بأجنبي وهو أنت، لأن المبتدأ غير المعمول للخبر. قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ الخ قابل التعطف واللطافة في الخطاب بالفظاظة والغلظة، فناداه باسمه وصدر كلامه بالإنكار وهدده بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾. وكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: (بالحجارة) أي حتى تموت أو تخلي سبيلي. قوله: (أو بالكلام القبيح) أي الشتم والذم. قوله: (فاحذرني) قدره إشارة إلى أن قوله، ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه، فإن جملة ﴿اهْجُرْنِي﴾ إنشائية، وجملة ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ الخ خبرية، ولا يصح عطف الإنشاء على الخبر. قوله: ﴿مَلِيًّا﴾ إما منصوب على الظرفية، وإليه يشير المفسر بقوله: (دهراً طويلاً) أو على الحال من فاعل اهجرني، أي اعتزلني سالماً لا يصيبك مني مضرة. قوله: (أي لا أصيبك بمكروه) أي فهو سلام متاركة ومقاطعة.

قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ أي أطلب غفرانه لك، المترتب على هدايتك وإسلامك. قوله: ﴿حفيًّا﴾ أي مبالغاً في إكرامي، واللطف بي، والاعتناء بشأني، ويطلق الحفي على المستقصي في السؤال، ومنه قوله تعالى: ﴿كأنك حفي عنها﴾. قوله: (وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله) هذا جواب عما يقال: كيف يجوز الاستغفار للكفار؟ فأجاب: بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله، فلما علم ذلك تبرأ منه، وبهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر، إن قصد بها هدايته وإسلامه، فإن قطع بكفره فلا يجوز. قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أي ارتحل من أرضكم وبلادكم، وقد فعل ذلك. قوله: (بأن ذهب) أي من بابل العراق إلى الأرض المقدسة. قوله: (يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك، لما تقدم أنه بشر بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وقد عاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة، وبينه وبين آدم ألفا سنة، وبينه وبين نوح ألف سنة.

﴿وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا﴾ منهما ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ۝٤٩﴾ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ۝٥٠﴾ رفيعاً هو الثناء بالحسن في جميع أهل الأديان ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بقول يا موسى إني أنا الله ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾ مناجياً بأن أسمعه الله تعالى كلامه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيّٗا ۝٥٣﴾

قوله: ﴿**إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ خصهما لأنه سيذكر إسماعيل بمزايا تخصه. قوله: (**للثلاثة**) أي إبراهيم وولديه. قوله: (**المال والولد**) أي فبسط لهم الدنيا، ووسع لهم الأرزاق، وأكثر لهم الأولاد، فجميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده من ذريته. قوله: (**في جميع أهل الأديان**) أي فكل أهل دين، يترضون عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى**﴾ معطوف على قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾عطف قصة على قصة. والحاصل: أن الله تعالى ذكر في هذه السورة أسماء عشرة من الأنبياء: زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهارون وإدريس. وذكر لكل أوصافاً ومناقب يجب الإيمان بها، تنبيهاً على عظيم شأنهم، وتعليماً للأمة المحمدية ليقتدوا بهم، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن. قوله: (**بكسر اللام وفتحها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**من أخلص في عبادته**) أي لم يلتفت لغير مولاه، وهذا راجع لقراءة الكسر. قوله: (**وخلصه الله**) أي صفاه وبقاه، وهو راجع لقراءة الفتح، فيكون لفاً ونشراً مرتباً، فموسى عليه السلام صفاه مولاه، واختاره لخدمته ومحبته، فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته.

قوله: ﴿**وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**﴾ أي ثبت واستقر أزلاً في علمنا نبوته ورسالته، وإلا فرسالته في الخارج حين المناداة. قوله: (**بقوله يا موسى**) أي في سورة القصص في قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله﴾ الآيات. قوله: (**اسم جبل**) هو معروف بين مدين ومصر. قوله: (**يلي يمين موسى**) هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس، لا الطور الذي عند السويس، لأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر، كما هو مشاهد، والأيمن صفة للجانب، بدليل تبعيته له في الإعراب في قوله تعالى: ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان، بجميع أجزائه من كل جهة.

قوله: ﴿**وَقَرَّبْنَاهُ**﴾ أي تقريب شرف ومكانة لا مكان. قوله: (**من كل جهة**) أي جارحة قوله: (**بدل أو عطف بيان**) أي و﴿**أَخَاهُ**﴾ مفعول به، وقوله: ﴿**مِنْ رَحْمَتِنَا**﴾ أي من أجل رحمتنا. قوله: (**هي المقصود بالهبة**) جواب عما يقال: ما معنى هبته له مع كونه أسن منه، والموهوب يكون متأخراً عن الموهوب له؟ فأجاب: بأن المراد جعله نبياً يعينه ويشد عضده. قوله: (**إجابة لسؤاله**) تعليل لقوله: ﴿**وَهَبْنَا**﴾

حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه وكان أسن منه ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾ لم يعد شيئاً إلا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿ وَكَانَ رَسُولًا ﴾ إلى جرهم ﴿ نَّبِيًّا ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ ﴾ أي قومه ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا ﴾ ﴿٥٥﴾ أصله مرضوو قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ ﴾ هو جد أبي نوح ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ﴿٥٧﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج

حيث قال: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾. قوله: **(وكان أسن منه)** أي بسنة، وقيل بأربع سنين. قوله: ﴿**إِسْمَاعِيلَ**﴾ أي ابن إبراهيم، وكان من هاجر جارية سارة التي وهبتها له، فلما ولدت له إسماعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت، فتربى إسماعيل بين جرهم عرب من اليمن فزوجوه، فلما كبر أرسله الله إليهم، كما قال المفسر، ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله ﷺ، وكفاه بهذا فخراً، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم، أفرده بالذكر والثناء. قوله: ﴿**صَادِقَ ٱلْوَعْدِ**﴾ خص بهذا الوصف، وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء، لأنه المشهور بين خصاله. قوله: **(وانتظر من وعده)** أي شخصاً وعده إسماعيل، وكان عليه إبراز الضمير، لأن الصلة جرت على غير من هي له، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصاً أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له. فمكث ثلاثة أيام أو حولاً.

قوله: ﴿**وَكَانَ رَسُولاً**﴾ أي بشريعة أبيه. قوله: **(قلبت الواوان)** الخ أي فوقعت الواو الثانية متطرفة، قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وهذا الوصف جامع لكل خير، لأن من كانت أفعاله مرضية لربه، ولا يصدر عنه إلا كل بر وإحسان، ولا شك أن الأنبياء كذلك، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته. قوله: ﴿**إِدْرِيسَ**﴾ هذا لقبه، واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة، قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها، وهو أول من خط القلم، وخاط الثياب، واتخذ السلاح، وقاتل الكفار، ونظر في علم النجوم والحساب. قوله: **(هو جد أبي نوح)** أي لأن نوحاً بن لمك، بفتح اللام وسكون الميم، ابن متوشلخ بن إدريس. قوله: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً**﴾ اختلف المفسرون في المكان العلي، فقيل المراد به المكان المعنوي، وهو الرفعة وعلو المنزلة، وقيل المراد به المكان الحسي، وعليه فقيل هو السماء الرابعة، وقيل الجنة، واختلفوا في سبب رفعه، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة، مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره، دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، ففعل ثلاث ليال، فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربي أن أصحبك، فقال إدريس: لي إليك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تقبض روحي، فأوحى الله إليه أن أقبض روحه، فقبضها وردها إليه في ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق الموت وغمته، فأكون أشد استعداداً، ثم قال له

منها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين، فقوله ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي إسماعيل وإسحق ويعقوب

إدريس: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال ترفعني إلى السماء، لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله له فرفعه، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتح أبوابها ففعل، فقال له: كما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففتح أبوابها، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة وقال: ما أخرج منها، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقد ذقته، وقال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وقد وردتها، وقال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ ولست أخرج، فأوحى الله إلى ملك الموت، بإذني دخل الجنة، وبأمري لا يخرج منها، فهو حي هناك، وقيل سببه أنه نام ذات يوم، فاشتد عليه حر الشمس فقال: اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه، فإنه يمارس ناراً حامية فأصبح ملك الشمس، وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومثلها عن يساره، يخدمونه ويتولون عمله من تحت حكمه، فقال ملك الشمس: يا رب، من أين لي هذا؟ قال: دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس فقال: يا رب اجعل بيني وبينه خلة، فأذن له في ذلك، فصار يتردد على إدريس فقال له: إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت، فاشفع لي عنده ليؤخر أجلي فأزداد عبادة وشكراً، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، فرفعه في مكانه، ثم أتى ملك الموت فقال له: صديق من بني آدم، يتشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال: ليس ذلك إلي، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس، قال: إني أتيتك وتركته هناك، فانطلق فوجده قد مات ثم أحياه الله، فهو يرفع في الجنة تارة، ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارة أخرى، قال العلماء: أربعة من الأنبياء أحياء، اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس، واثنان في السماء وهما عيسى وإدريس.

قوله: ﴿أولئك﴾ اسم الإشارة عائد على الأنبياء المذكورين في هذه السورة وهم عشرة، أولهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم. قوله: (صفة له) أي لاسم الإشارة، أي أولئك الموصوفون بإنعام الله عليهم، وذلك أن الله لما وصف كلاً من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً، ذكر ثانياً لهم صفة تعمهم. قوله: (بيان لهم) أي للمنعم عليهم. قوله: (أي إدريس) تفسير للذرية، أي إن إدريس من ذرية آدم، لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم. قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ أي ومن ذرية من حملنا. قوله: (أي إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح، لأن من حمل معه أولاده الثلاثة، وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام، لكن بوسائط، فإن بين إبراهيم ونوح عشرة قرون. قوله: (وعيسى) أي فأولاد البنات من الذرية، والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس، ومن ذرية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهارون ويحيى وعيسى.

﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهو يعقوب أي موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ أي من جملتهم وخبر أولئك ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ ﴿٥٨﴾ جمع ساجد وباك أي فكونوا مثلهم، وأصل بكى بكوي قلبت الواو ياء والضمة كسرة ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ﴿٥٩﴾ هو واد في جهنم أي يقعون فيه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْـًٔا﴾ ﴿٦٠﴾ من ثوابهم ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة بدل من الجنة ﴿ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ حال أي غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ أي موعوده ﴿مَأْتِيًّا﴾ ﴿٦١﴾ بمعنى آتياً وأصله مأتوي أو موعده هنا الجنة يأتيه أهله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَٰمًا﴾(٦٢) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿٦٢﴾ أي على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿٦٣﴾ بطاعته،

قوله: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ عطف على ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ زيادة في تمجيدهم. قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ أي أن الأنبياء إذا سمعوا آيات الله التي خصهم بها في الكتب المنزلة عليهم، سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً. قوله: (وباك) أي على غير قياس، وقياسه بكاة كقاض وقضاة. قوله: (فكونوا مثلهم) أي في السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما في الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا». قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي وجد من بعد النبيين. قوله: ﴿خَلْفَ﴾ هو بالسكون في الشر، وبالفتح في الخير، يقال خلف سوء وخلف صدق. قوله: (هو واد في جهنم) أي تستعيذ من حره أوديتها.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ قدرالمفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع، لأن المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار. قوله: (بدل من الجنة) قال بعضهم: إنه بدل كل من بعض، لأن الجنة بعض الجنات، ورد بأن أل في الجنة جنسية، فهو بدل كل من كل. قوله: (أي غائبين عنها) أي غير مشاهدين لها، لأن الوعد حاصل في الدنيا، ومن فيها لا يشاهد الجنة. قوله: (أي موعوده) أي الذي وعد به من الجنة وغيرها له. قوله: (بمعنى آتياً) أي فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل. قوله: (أو موعوده) الخ أشار لتفسير آخر، وعليه فاسم المفعول باق على ما هو عليه، وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة. قوله: ﴿لَغْواً﴾ هو الكلام الزائد المستغنى عنه. قوله: (لكن يسمعون) ﴿سَلَاماً﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن السلام ليس من جنس اللغو. قوله: (وليس في الجنة نهار ولا ليل) وإنما يعرفون الليل، بارخاء الحجب وغلق الأبواب، والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روي، وليس معرفة الليل للاستراحة فيه والنوم، إذ لا نوم ولا تعب فيها، بل ذلك على عادة الملوك في الدنيا، من تهيئة تحف في الصباح والمساء ليتم نظامهم.

قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ إسم الإشارة عائد على الجنة في قوله ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾

ونزل لما تأخر الوحي أياماً وقال النبي ﷺ لجبريل «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ بمعنى ناسياً أي تاركاً لك بتأخير الوحي عنك هو ﴿رَّبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ أي مسمى بذلك؟ لا ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث أبي بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية ﴿أَءِذَا﴾

وأتى باسم الإشارة البعيد، إشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها. قوله: ﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل، كالميراث. قوله: ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ أي سعيداً، وهو من مات على كلمة الإخلاص، ولو مصراً على الكبائر فمآله للجنة، وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه، لأن الجنة جعلت مسكناً للموحدين، والنار جعلت مسكناً للمشركين، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾ إلى أن قال ﴿جنات عدن يدخلونها﴾. وقوله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر» ولكن الجنة مراتب ودرجات، على حسب التفاوت في الأعمال الصالحة. قوله: **(بطاعته)** أي ولا بمجرد الإسلام. قوله: **(ونزل لما تأخر الوحي)** أي حين سأله اليهود، عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال: أخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله، فتأخر الوحي حتى شق على النبي ﷺ، ثم نزل بعد أربعين يوماً، وقيل خمسة عشر، فقال له رسول الله ﷺ: أبطأت علي حتى ساءني واشتقت إليك، فقال جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست. قوله: **(أكثر مما تزورنا)** هذا عتاب من رسول الله ﷺ لجبريل، كأنه قال له: إن شوقي إليك في ازدياد، فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر.

قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ هذا على لسان جبريل، أمره الله تعالى بذلك اعتذاراً لرسول الله ﷺ، وجواباً لسؤاله المذكور، والتنزل النزول شيئاً فشيئاً. قوله: **(من أمور الآخرة)** بيان لما، ويصح أن تهمل. قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ على ما يأتي، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ على ما سبق، وقوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ على الحالة الراهنة. قوله: **(له علم ذلك جميعه)** أي تفصيلاً، وأما علم بعضه إجمالاً، فيكون لبعض الحوادث، كالأنبياء والأولياء، بإلهام من الله تعالى، ومع ذلك فيكتمونه، ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه، إذا علمت ذلك، فالتشدق بالتجري على المغيبات من الضلال المبين؛ لأنه لو استند لقواعد فهي كاذبة، ولو صادفت الحق بمصداق قوله ﷺ: «كذب المنجمون ولو صدقوا» وإن استند لكشف، فصاحبه لا يطلع إلا على بعض جزئيات، ومع ذلك هو مأمور بكتمها، لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ فكيف بغيره من آحاد الخلق. قوله: **(أي تاركاً لك)** أي إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركاً لك وهجراناً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.
قوله: **(هو)** قدره إشارة إلى أن رب خبر لمحذوف.

بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ﴿٦٦﴾ من القبر كما يقول محمد، فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت، وما زائدة للتأكيد، وكذا اللام ورد عليه بقوله تعالى ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ﴾ أصله يتذكر أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ ﴿٦٧﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيًّا﴾ ﴿٦٨﴾ على الركب جمع جاث وأصله جثووا أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان ﴿ثُمَّ

قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي دم على عبادته، ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفر. قوله: **(أي مسمى بذلك)** أي بلفظ الجلالة وبرب السماوات والأرض، وقيل معنى سميا مثلاً يستحق أن يسمى إلهاً واحداً يسمى بالله. فإن المشركين وإن سموا الصنم إلهاً، لم يسموه الله قط، لظهور أحديته وأنه ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾. وقد ورد أن امرأة سمت ولدها الله، فنزلت عليه نار فأحرقته. قوله: **(المنكر للبعث)** أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان، خصوص الكافر المنكر للبعث. قوله: **(أو الوليد)** أو لتنويع الخلاف في المراد بالإنسان الذي قال تلك المقالة، وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها.

قوله: ﴿أَئِذَا﴾ منصوبة بقوله: ﴿أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ولا يقال إن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، لأن ذاك في لام الابتداء، وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر. قوله: **(وإدخال ألف بينها)** أي الثانية، وقوله: **(وبين الأخرى)** أي الأولى، وكان المناسب أن يقول وتركه، فتكون القراءات أربعاً، وهي سبعيات. قوله: ﴿أَوَلَا يَذَّكَّرُ﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من بعثه. قوله: **(فيستدل بالابتداء على الإعادة)** أي لأنها أهون، قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾. قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ أضاف اسمه تعالى إليه ﷺ تشريفاً وتعظيماً. قوله: ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي وهو الموقف. قوله: **(وأصله جثووا)** أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها، فاجتمعت مع الواو الساكنة، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء. قوله: **(أو جثوي)** أي بياء بعد الواو، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وعلى كل كسرت التاء لتصح الياء. قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي من كل أمة. قوله: ﴿أَيُّهُمْ﴾ موصولة بمعنى الذي، بنيت على الضم لإضافتها، وحذف صدر صلتها، وقوله: ﴿أَشَدُّ﴾ خبر لمحذوف، والجملة صلتها، وهي وصلتها في محل نصب مفعول ﴿لِنَنْزِعَنَّ﴾، و ﴿عِتِيًّا﴾ تمييز محول عن المبتدأ المحذوف، أي عتوه أشد. والمعنى أنه يميز طوائف الكفار، فيطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب، لأن عذاب الضال المضل، يكون فوق عذاب من يضل تبعاً لغيره، وليس عذاب من يتمرد ويتجبر، كعذاب المقلد. قوله: ﴿صِلِيًّا﴾ بضم الصاد وكسرها، قراءتان سبعيتان، جمع صال، كجثياً جمع جاث. قوله: (فنبدأ بهم) أي بالذين هم أولى بها. قوله: **(من صلي بكسر اللام)** أي كرضي، وقوله: **(وفتحها)** أي كرمى.

﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ جرأة ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم الأشد وغيره منهم ﴿صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ دخولاً واحتراقاً فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلي بكسر اللام وفتحها ﴿وَإِن﴾ أي ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ حتمه وقضى به لا يتركه ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشدداً ومخففاً ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشرك والكفر منها ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ على الركب ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين والكافرين ﴿آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ بمعنى النادي وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم. قال تعالى ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي مسلماً أو كافراً. والحاصل أنه اختلف المفسرون في المراد بالورود، فقيل الدخول، وقيل الحضور معها في الموقف، والذي عول عليه الأشياخ، أن المراد به المرور على الصراط، وهو على ظهرها أحد من السيف، وأرق من الشعرة، ويتسع للمؤمن بقدر عمله، ومن هنا تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي، وهم في المرور مختلفون، لما في الحديث: «يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البصر، ثم الريح، ثم كعدو الفرس، ثم كالراكب المجد، ثم كشد الرجل في مشيه». قوله: (أي داخل جهنم) أي وتكون على المؤمنين، ولو ماتوا عصاة، غير من تحقق فيهم الوعيد برداً وسلاماً لدخولهم فيها وهي خامدة، فلا يشعرون بها. قوله: ﴿كَانَ﴾ أي الورود. قوله: ﴿حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ أي بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه.

قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي نخرجهم منها من غير أن يمسهم عذابها، وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد، أو بعد العذاب، وهم من نفذ فيهم الوعيد. قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ أي نتركهم فيها على سبيل الخلود، وقوله: ﴿جِثِيًّا﴾ حال من الظالمين. قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ الخ، أي حين نزلت على النبي ﷺ آيات القرآن، وتلاها على المؤمنين والكافرين، وعجزوا عن معارضتها، أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين، بما لهم من حظوظ الدنيا، حيث قالوا لهم: انظروا إلى منازلنا، فتروها أحسن من منازلكم، وإلى مجالسنا، فتروها أحسن من مجالسكم، نجلس في صدر المجلس، وتجلسون في طرفه الحقير، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا، فنحن عند الله خير منكم، ولو كنتم على خير لأكرمكم كما أكرمنا، وقصدهم بذلك فتنة فقراء المدينة بزينة الدنيا، قال تعالى: ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي أغنياؤهم. قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي الفقراء منهم. قوله: (نحن وأنتم) بيان للفريقين. قوله: (بالفتح والضم) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالفتح على أنه من قام ثلاثياً، والضم على أنه من أقام رباعياً، وكان يحتمل أن يكون اسم مكان، أو اسم مصدر. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم. قوله: ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة صفة لقرن و ﴿أَثَاثاً وَرِئْياً﴾ تمييز. قوله:

الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ مالاً ومتاعاً ﴿وَرِءْيًا﴾ ﴿٧٤﴾ منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ شرط جوابه ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بمعنى الخبر أي يمد ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ ﴿٧٥﴾ أعواناً أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ ﴿٧٦﴾ أي ما يرد اليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في

﴿وَرِئْياً﴾ أي مرئياً كالذبح بمعنى المذبوح، وقوله: (منظراً) أي هيئة وصورة. قوله: ﴿قُلْ﴾ أي للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين. قوله: ﴿فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي الكفر والغفلة عن عواقب الأمور. قوله: (بمعنى الخبر) أي وأتى به على صورة الأمر، إعلاماً بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته، كما أنه ألزم نفسه بذلك. قوله: (أي يمد) ﴿لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾ إنما ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه. قوله: (يستدرجه) أي بأن يطيل عمره ويكثر ماله، ويمكنه من التصرف فيه.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ﴾. قوله: ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ إما حرف تفصيل، وهي مانعة خلو تجوز الجمع والعذاب والساعة بدلان من ما، والمعنى يستمرون في الطغيان، إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً. قوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، وقوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً﴾ راجع لقوله: ﴿خَيْرٌ مَقَاماً﴾، وقوله: ﴿وَأَضْعَفُ جُنْداً﴾ راجع لقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ على طريف اللف والنشر المرتب. قوله: (أهم أم المؤمنون) أشار بذلك إلى أن من استفهامية، ويصح كونها موصولة مفعول يعلمون. قوله: (عليهم) متعلق بجنداً، لتضمينه، معنى المعاونين، وذلك كما وقع لهم في بدر، فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه، جاءوا إليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التي قاتلت معهم، كما تقدم في الأنفال وآل عمران.

قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ﴾ هذه الجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول، وكأنه قال: قل لهم من كان في الضلالة، الخ، وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا، الخ. قوله: (بما ينزل عليهم من الآيات) أي فكلما نزلت عليهم آية من القرآن، ازدادوا بها هدى وإيماناً، قال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾. قوله: (هي الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير في الباقيات الصالحات، وهو الأحسن. قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي من زينة الدنيا التي يتنعم بها الكفار. قوله: (بخلاف أعمال الكفار) أي فإنها شر مرداً، لكونهم يردون إلى جهنم، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها، فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة، فيتنعمون بها في الجنة، والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة، فيعذبون بها في النار، فالعاقل يختار لنفسه أي العملين يبقى له؟ قوله: (والخيرية) الخ، أي أفعل التفضيل، ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق، فاندفع ما يقال: إن أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً، فكيف تصح المفاضلة؟

مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاماً ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧﴾ فأقضيك. قال تعالى ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همز الوصل فحذفت ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ بأن يؤتى ما قاله ﴿كَلَّا﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا ۝٨٠﴾ لا مال له ولا ولد ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ

قوله: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا**﴾ الاستفهام تعجبي، أي تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة. قوله: (**العاص بن وائل**) هو أبو سيدنا عمرو، الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهورة. قوله: (**لخباب بن الأرث**) هو بدري من فقراء الصحابة، وذلك أن خباباً كان صائغاً، فصاغ العاصي حلياً، ثم طالبه بأجرته فقال له: لن أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقال خباب: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد. قوله: (**واستغنى بهمزة الاستفهام**) الخ، أي فأصله أأطلع، حذفت همزة الوصل تخفيفاً.

قوله: ﴿**كَلَّا**﴾ ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب، أحسنها أنها حرف ردع وزجر، والثاني أنها حرف تصديق بمعنى نعم، الثالث بمعنى أنها حق، الرابع أنها رد لما قبلها، الخامس أنها صلة في الكلام بمعنى أي، السادس أنها حرف استفتاح، وذكرت في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وكلها في النصف الثاني منه، في خمس عشرة سورة، كلها مكية، ترجع إلى ثلاثة أقسام: قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها، وذلك في خمسة مواضع، اللتان في هذه السورة، واللتان في الشعراء، وواحدة في سبأ. وقسم اختلف فيه، هل يجوز الوقف عليها، أو يتعين على ما قبلها؟ وذلك في تسعة مواضع: واحدة في المؤمنون، واثنتان في سأل سائل، والأولى والثالثة في المدثر، والأولى في سورة القيامة، والثانية في سورة ويل للمطففين، والأولى في سورة الفجر، والتي في سورة ويل لكل. وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق، وهو التسع عشرة الباقية. قوله: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ**﴾ أي نظهره له ونعلمه أنا كتبناه، فاندفع ما يقال: إن الكتابة لا تتأخر عن القول، قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾. قوله: (**نزيد بذلك عذاباً**) الخ، أي لما تقدم أن كل من كان أشد كفراً، كان أعظم عذاباً.

قوله: ﴿**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ**﴾ أي نسلبه ونأخذه منه، بأن يخرج من الدنيا خالياً من ذلك. قوله: ﴿**فَرْداً**﴾ أي منقطعاً من ماله وولده بالكلية، فلا يلقى مالاً ولا ولداً أصلاً لا في البعث، ولا في النار، لانقطاع الأسباب بينهم وبين أولادهم، بل وبين ما يشتهون، كما قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وأما المؤمنون وإن كانوا يبعثون فرداً، إلا أنهم يلاقون أحبابهم وأولادهم وما يشتهونه. قوله: ﴿**وَاتَّخَذُوا**﴾ حكاية عما وقع للكفار عموماً. قوله: (**الأوثان**) هو مفعول أول و ﴿**آلِهَةً**﴾ مفعول ثان.

عِزًّا﴾ ﴿٨١﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا ﴿كَلَّا﴾ أي لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي ينفونها كما في آية أخرى (ما كانوا إيانا يعبدون) ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿٨٢﴾ أعواناً وأعداءً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سلطناهم ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَزًّا﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾ ﴿٨٤﴾ إلى وقت عذابهم، اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ جمع وافد بمعنى راكب ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ ﴿٨٦﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي الناس ﴿الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ ﴿٨٧﴾ أي

قوله: ﴿**سَيَكْفُرُونَ**﴾ الخ في معنى التعليل. قوله: ﴿**ضِداً**﴾ أي أضداداً، وإنما أفرده، إما لكونه مصدراً في الأصل، أو لأنه مفرد في معنى الجمع. قوله: ﴿**عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ أي وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل، قال تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾. قوله: (**تهيجهم إلى المعاصي**) أي تغريهم بتزيين الشهوات لهم. قوله: ﴿**أَزّاً**﴾ مفعول مطلق لتؤزهم، والأز يطلق على الغليان، وعلى الحركة الشديدة، وعلى التهييج والإزعاج وهو المراد هنا.

قوله: ﴿**فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ**﴾ أي لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم، وتطهر الأرض من فسادهم، لأن لهم أياماً محصورة وأنفاساً معدودة، يعيشونها ثم يردون إلى عذاب. قوله: ﴿**إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً**﴾ أي نضبط ما يقع منهم، ولا نهمل منه شيئاً ليؤاخذوا به. قوله: (**أو الأنفاس**) تفسير ثان قوله: (**إلى وقت عذابهم**) أي وهو موتهم، لأن بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار، فيعذبون فيها إلى قيام الساعة، فيعذبون في النار.

قوله: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ**﴾ ظرف معمول لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (**اذكر**) أي اذكر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم، فإنه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار. قوله: (**بمعنى راكب**) هذا المعنى ليس مأخوذاً من معنى الوفد لأن الوفد في اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا، من غير تقييد بركوب؛ بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقي، لما ورد أنهم يحشرون ركباناً، على نجائب سرجها من ياقوت، وعلى نوق رحالها من ذهب، وأزمّتها من زبرجد، واختلف في وقت ركوبهم، فقيل من أول خروجهم من القبور، وقيل من منصرفهم من الموقف، وعلى كل، فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم من القبور حتى يأتوا الموقف، ثم بعد انفضاض الموقف، يركبون حتى يدخلوا الجنة، وعن ابن عباس: من كان يحب ركوب الخيل، وفد إلى الله تعالى على خيل لا تروث ولا تبول، لجمها من الياقوت الأحمر، ومن الزبرجد الأخضر، ومن الدر الأبيض، وسرجها السندس والاستبرق، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب، لا تبعر ولا تبول، أزمتها من الياقوت والزبرجد، ومن كان يحب ركوب السفن، فعلى سفن من زبرجد وياقوت، قد أمنوا الغرق، وأمنوا الأهوال، وورد أيضاً: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. قوله: (**بكفرهم**) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين

شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَقَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ قال تعالى لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ أي منكراً عظيماً ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالنون وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق ﴿مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ أي تنطبق عليهم من أجل ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ قال تعالى ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ أي ما يليق به ذلك ﴿إِنْ﴾ أي ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة منهم عزير وعيسى ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم ﴿وَكُلُّهُمْ

الكفار. قوله: ﴿وِرْداً﴾ أي مشاة عطاشاً، قد تقطعت أعناقهم من العطش، ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم، لما ورد: أن المؤمن إذا خرج من قبره، استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الصالح، طالما ركبتك واتبعتك في الدنيا، اركبني اليوم، وإن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك السيىء، طالما ركبتني واتعبتني في الدنيا، وأنا اليوم أركبك، قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾.

قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي الخلق عموماً، مؤمنهم وكافرهم، وقوله: ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ أي كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه. قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ﴾ مستثنى من العموم المتقدم وهو متصل. قوله: ﴿عِنْدَ الرَّحْمٰنِ﴾ كرر لفظ الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة، إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه. قوله: (أي **شهادة أن لا إله إلا الله**) أي مع عديلتها، وهي محمد رسول الله. قوله: (**ولا حول ولا قوة إلا بالله**) في رواية، والتبري من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره. قوله: (**ومن زعم أن الملائكة بنات الله**) أي وهم مشركو العرب، وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار، وإثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين. قوله: (**قال تعالى**) أي تقريعاً وتوبيخاً. قوله: (**منكراً عظيماً**) أي فظيعاً شديداً.

قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ﴾ الخ بيان لكون ذلك الشيء منكراً عظيماً. قوله: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي يتفتتن ويتقطعن. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً، وظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك، بل هي ثلاث فقط، لأن في قراءة التاء من تكاد وجهين: التاء والنون من يتفطرن، وفي قراءة الياء وجهاً واحداً وهو التاء من يتفطرن، والثلاث سبعيات. قوله: ﴿وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ﴾ أي تنخسف بهم. قوله: (**من أجل**) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً﴾ المعنى أن هذه المقالة منهم، موجبة للغضب عليهم، الذي ينشأ عنه نزول السماء قطعاً قطعاً عليهم، وخسف الأرض بهم، وسقوط الجبال عليهم، لولا حلمه وسبق رحمته، أو المعنى: أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السماوات والأرض والجبال، وتتمنى أنها لو أهلكت من تفوه بها، لولا رحمة الله. قوله: (**قال تعالى**) أي رداً عليهم.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ﴾ أي لا يليق به ذلك ولا يتأتى، لاستحالته عليه عقلاً ونقلاً، لأن الولد علامة الضعف والحدوث. قوله: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ أي أحاط بهم علمه. قوله: ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾

ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ ﴿٩٥﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ يخوف ﴿بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ ﴿٩٧﴾ جمع ألد أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ﴿وَكَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ ﴿٩٨﴾ صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

أي عد أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم، فلا يخفى عليه شيء من أمورهم. قوله: (مبلغ جميعهم) راجع لقوله: ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ وقوله: (ولا واحد منهم) راجع لقوله: ﴿أَحْصَاهُمْ﴾ فكأنه قال: أحاط بهم علمه جمعاً وفرادى. قوله: ﴿فَرْداً﴾ أي منفرداً.

قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ أي في الدنيا والآخرة، والتنوين للتعظيم، أي وداً عظيماً، فكلما عظمت طاعاتهم، عظم ودهم لربهم ولأحبابه، وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة، فإن المحبة رأس الإيمان وأساسه، لما في الحديث: «ألا لا إيمان لمن لا محبة له، فمن أعطي المحبة لله ولأحبابه، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة»، لأن المحبة حكمه إيجاد الخلق، لما في الحديث القدسي «فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني» وبالجملة فالمحبة أمرها عظيم، ولذا كان تنافس العارفين فيها، فكل من عظمت معرفته، ازداد محبة وشغفاً، وعبر بأداء الاستقبال، لأن المؤمنين كانوا بمكة في مبدأ الإسلام مفرقين، فوعد الله رسوله، بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين، ويضع فيها المحبة، فهذه الآية نزلت في مبدإ الإسلام تسلية له ﷺ، و ﴿وُدّاً﴾ بضم الواو للسبعة، وقرىء بفتحها وكسرها فهو مثلث.

قوله: ﴿فإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي أنزلناه ميسراً. قوله: (العربي) أي فالمراد باللسان اللغة العربية. قوله: (جمع ألد) أي شديد الخصومة. قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ الخ، تخويف لهم وتسلية له ﷺ. قوله: ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ بضم التاء وكسر الحاء من أحس رباعياً، والاستفهام إنكاري، كما أشار له بقوله: (لا)، وقرىء شذوذاً بفتح التاء وضم الحاء أو كسرها. قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ حال من ﴿أَحَدٍ﴾ لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: (صوتاً خفياً) أي والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعاً، حتى لا يرى منهم أحد، ولا يسمع له صوت خفي.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ طه

مكيّة

وهي مائة وخمس وثلاثون آية أو وأربعون أو واثنتان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طه﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَىٰ﴾ (٢) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة طه مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية أو وأربعون أو واثنتان

أي كلها، وقيل إلا ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ الآية، وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت سبباً فيه. قوله: **(وأربعون)** الخ، أي فالخلاف في سبع آيات أو خمس. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** أشار بذلك إلى أن ﴿طَهَ﴾ حروف مقطعة استأثر الله بعلمها، وقيل إن ﴿طَهَ﴾ اسم من أسماء رسول الله ﷺ حذف منه حرف النداء، وقيل إنه فعل أمر، وأصله طاها، والمعنى طأ الأرض بقدميك معاً؛ خوطب به لما كان يشدد على نفسه في تهجده، حيث كان يقوم الليل كله، ويقف على إحدى رجليه، ويريح الأخرى من شدة التعب، فأمره الله بالتخفيف على نفسه، فكان يصلي وينام ويقوم على رجليه معاً. قوله: **(من طول قيامك)** بيان لما، وقيل إن معنى ﴿لِتَشْقَى﴾ لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر، فإنما عليك البلاغ، فأرح نفسك من هذا التعب، فإنا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة، حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته: إنك لتشقى بترك ديننا، وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به. قوله: **(لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، لأن التذكرة ليست

نفسك ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه ﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ يخاف الله ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾﴾ جمع عليا ككبرى وكبر، هو ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ استواء يليق به ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ هو التراب الندي والمراد الأرضون السبع لأنها تحته ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ في ذكر أو دعاء فالله غني عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ منه أي ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به، فلا تجهد نفسك بالجهر ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن

من جنس الشقاء. قوله: ﴿تَذْكِرَةً﴾ مفعول لأجله ولتشقى كذلك، وإنما نصب الثاني دون الأول، لأن فاعل الذكرى والإنزال هو الله، بخلاف الأول.

قوله: ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ أي لمن في قلبه رقة يتأثر بالمواعظ. قوله: **(بدل من اللفظ)** أي عوض عن التلفظ والنطق بفعله المقدر، والأصل نزلناه تنزيلاً، فحذف الفعل وجوباً، لنيابة المصدر عنه في المعنى والعمل. قوله: **(هو)** قدره إشارة إلى أن ﴿الرَّحْمٰنُ﴾ خبر لمحذوف، وحينئذٍ فيكون نعتاً مقطوعاً قصد به المدح. قوله: **(سرير الملك)** أي الذي يجلس عليه الملك، قال تعالى في حق بلقيس ﴿قال نكروا لها عرشها﴾. قوله: **(استواء يليق به)** هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى، ومن ذلك جواب الإمام مالك رضي الله عنه، عن معنى الاستواء على العرش في حقه تعالى، حيث قال للسائل: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا عني هذا المبتدع، وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة، فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون: إن المراد بالاستواء، الاستيلاء بالتصرف والقهر، فالاستواء له معنيان، الركوب والجلوس، والاستيلاء بالقهر والتصرف، وكلا المعنيين وارد في اللغة، يقال استوى السلطان على الكرسي، بمعنى جلس واستوى على الأقطار، بمعنى ملك وقهر، ومن الثاني قول الشاعر:

قَدِ اسْتَوَى بشر عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

وحينئذٍ، فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثاني. قوله: **(من المخلوقات)** بيان للثلاثة. قوله: **(هو التراب الندي)** أي الذي فيه نداوة، فإن لم يكن ندياً فهو تراب، ولا يقال له ثرى. قوله: ﴿وَإِنْ تَجْهَرَ بِالْقَوْلِ﴾ المقصود منه النهي عن الجهر، لغير أمر شرعي، كأنه يقول: إن الله غني عن الجهر، فلا تجهد نفسك به، فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى، إما جهل أو كفر، وإما لغرض آخر، كإرشاد العباد، وحضور القلب، ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب. قوله: **(فالله غني)** الخ، قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الخ، تعليل لذلك المحذوف. قوله: ﴿وَأَخْفَى﴾ هو أفعل تفضيل، أي والذي هو أخفى من السر. قوله: **(أي ما حدثت به النفس)** الخ، هذا أحد أقوال في تفسير السر وأخفى، وقال ابن عباس: السر ما أسره ابن آدم في نفسه،

﴿وَهَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ لامرأته ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ هنا وذلك في مسيره من مدين طالباً مصر ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ شعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ أي هادياً يدلني على الطريق وكان أخطأها

وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد، وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة. قوله: (**فلا تجهد**) بفتح التاء والهاء، أو ضم التاء وكسر الهاء من جهد وأجهد، أي لا تتعب نفسك بالجهر، بقصد إسماع الله تعالى، وهذا نهي له ﷺ، والمراد به غيره. قوله: (**والحسنى مؤنث الأحسن**) أي فهو اسم تفضيل، يوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر الغير العاقل كما هنا.

قوله: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**﴾ استفهام للتشويق والتقرير في ذهن السامع، والجملة مستأنفة، خطاب لسيدنا محمد ﷺ، كأن الله يقول له: إنا أرسلناك بالتوحيد، ولا غرابة في ذلك، فإنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء، كابراً عن كابر، وقد خوطب به موسى حيث قيل له: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ وبه ختم موسى مقالته حيث قال: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ فالمقصود من الاستفهام، تشويق السامع ليتلقى ما ذكر بتطلع والتفات وحضور قلب، لا حقيقته، فإنه مستحيل عليه تعالى، أو أن ﴿**هَلْ**﴾ بمعنى (**قد**) كما قال المفسر. قوله: ﴿**إِذْ رَأَى نَاراً**﴾ ظرف لحديث. قوله: (**امرأته**) أي وهي بنت شعيب واسمها صفورا، وقيل صفوريا، وقيل صفورة، واسم أختها ليا، وقيل شرفا، وقيل عبدا، واختلف في التي تزوجها، فقيل هي الصغرى، وقيل الكبرى، وتقدم ذلك.

قوله: ﴿**امْكُثُوا**﴾ إنما أتى بجمع الذكور، وإن كان الخطاب لامرأته، تعظيماً أو مراعاة لمن معها من الخدم والأولاد. قوله: (**وذلك في مسيره**) الخ، روي أنه عليه السلام، استأذن شعيباً عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر، فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق، مخافة من ملوك الشام، فلما وافى وادي طوى، وهو الجانب الغربي من الطور الذي هو بفلسطين، لأنه هو الذي على يمين المتوجه من مدين، وقيل هو الذي بين مصر وأيلة، ورد بأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد، وقد قال تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية باردة، وكانت ليلة الجمعة، وقد أخطأ الطريق، وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده، وقدح زنده فلم يخرج ناراً، فبينما هو في ذلك، إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور ناراً، فأمر أهله بالمكث، لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد، لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر، فإنه مما لا يخطر بالبال، فلما وصل إلى تلك النار التي أبصرها، خاطبه الله وأرسله إلى فرعون، وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه، فلم يزالوا مقيمين فيه، حتى مر بهم راع من أهل مدين، فعرفهم فحملهم إلى شعيب، فمكثوا عنده، حتى جاوز موسى ببني إسرائيل البحر، وغرق فرعون وقومه، فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر.

قوله: ﴿**إِنِّي آنَسْتُ**﴾ من الإيناس وهو الإبصار، ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء. قوله: ﴿**أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**﴾ أو مانعة خلو يجوز الجمع، وعلى بمعنى عند، أي عند النار. قوله: (**وكان أخطأها**)

لظلمة الليل، وقال لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شجرة عوسج ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾ ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل وبفتحها بتقدير الباء ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوٗى ١٢﴾ بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ إليك مني ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ فيها ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ به من خير أو شر ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنك ﴿عَنۡهَا﴾

أي لأنه سار على غير الطريق، مخافة من ملوك الشام. قوله: (لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لا يدري ما يفعل الله به. قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أي النار التي آنسها. قوله: (وهي شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها، وقيل عليق، وقيل عناب. قوله: ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ هذا أول المكالمة بينه وبين الله تعالى، وآخرها قوله فيما يأتي ﴿أن العذاب على من كذب وتولى﴾ وهذا بالنسبة لهذه الواقعة، وإلا فله مكالمات أخر، وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته، حتى أن كل جارحة منه كانت أذناً. قوله: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أي تواضعاً لله، ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة، وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما، لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ، روي أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادي. قوله: (بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ أي للنبوة والرسالة، وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة، كما سيأتي عند قوله تعالى: ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾.

قوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ بدل مما يوحى، وهو إشارة للعقائد العقلية، وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ إشارة للأعمال الفرعية، وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ إشارة للعقائد السمعية، فقد اشتمل ذلك على جملة الدين. قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ خصها بالذكر، وإن كانت داخلة في جملة العبادات، لعظم شأنها واحتوائها على الذكر، وشغل القلب واللسان والجوارح، فهي أفضل أركان الدين بعد التوحيد. قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾ (فيها) أي لتذكرني فيها، لأنها مشتملة على كلامي وغيره من أنواع الذكر.

قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ أي حاصلة ولا بد، وسميت ساعة لأنها تأتي في ساعة، أي قطعة من الزمان. قوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي أريد إخفاء وقتها، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت، أن الله تعالى، حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفي الغرغرة، فلو عرف الخلق وقتها، لاشتغلوا بالمعاصي إلى قرب ذلك الوقت، ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية، فتعريف وقتها كالإغراء بفعل المعاصي. قوله: (بعلاماتها) أي أماراتها، وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله ﷺ، وآخرها ظهور المهدي. قوله: ﴿لِتُجْزَى﴾ إما متعلق بأخفيها أو بآتية، وقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق. قوله: ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ ما موصولة، وجملة ﴿تَسْعَى﴾ صلته، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: (به) وقوله: (من خير وشر) بيان لما قوله: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ الخطاب لموسى، والمراد غيره، والفعل مبني على

أي عن الإيمان بها ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في إنكارها ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ ﴿١٦﴾ أي فتهلك إن انصددت عنها ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ كائنة ﴿ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ ﴿١٧﴾ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ ﴾ أعتمد ﴿ عَلَيْهَا ﴾ عند الوثوب والمشي ﴿ وَأَهُشُّ ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿ بِهَا ﴾ ليسقط ﴿ عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ فتأكله ﴿ وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ ﴾ جمع مأرب مثلث الراء أي حوائج ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ ﴿١٨﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام زاد في الجواب بيان حاجاته بها ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ ﴾ ثعبان عظيم ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ ﴿٢٠﴾ تمشي على بطنها سريعاً

الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. قوله: ﴿فَتَرْدَى﴾ منصوب بفتحة مقدرة على الألف، بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي.

قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ أي بعد أن خلع عليه خلعة النبوة والرسالة، بسط له الكلام، ليزداد حباً وشغفاً، ويؤيده بالمعجزات الباهرة، و ﴿مَا﴾ اسم استفهام مبتدأ و ﴿تِلْكَ﴾ اسم إشارة خبر، وقوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ متعلق بمحذوف حال، والعامل فيه معنى الإشارة، وهذا أحسن من جعل تلك اسماً موصولاً بمعنى التي، وبيمينك صلتها، لأنه ليس مذهب البصريين. قوله: **(الاستفهام للتقرير)** أي فحكمة الاستفهام كون موسى يقر ويعترف بصفات **تلك** العصا، فيمنحه فوق ما يعلم منها، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذي هو طلب الفهم، فإنه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها.

قوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ أي وكانت من آس الجنة، نزل بها آدم منها، ثم ورثها شعيب، فلما زوجه ابنته، أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم، فأخذها موسى بعلم شعيب، وإنما زاد في الجواب، لأن المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب، ولا شك أن الزيادة في الجواب في هذا المقام، مما يريح الفؤاد، وإلا فكان يكفيه أن يقول هي عصاي. قوله: **(عند الوثوب)** أي النهوض للقيام. قوله: ﴿وَأَهُشُّ﴾ بضم الهاء، من هش يهش، بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه، وأما هش يهش بكسر الهاء، فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة.

قوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ أجمل في هذا الجواب، إما حياء من الله تعالى لطول الكلام، أو اتكالاً على علمه تعالى. قوله: **(كحمل الزاد)** أشار بالكاف إلى أن لها منافع أخرى، فكان يستقي بها الماء من البئر، فيجعلها موضع الحبل، وكل شعبة من شعبتيها تصير دلواً ممتلئاً، وكانت تماشيه وتحادثه، وكان يضرب بها الأرض، فيخرج له ما يأكله يومه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها، فتغصن غصنين، فصارت شجرة وأورقت وأثمرت، وكانت شعبتاها تضيئان بالليل كالسراج، وإذا ظهر له عدو كانت تحاربه. قوله: ﴿فَأَلْقَاهَا﴾ أي طرحها على الأرض. قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ عبر عنها بالحية، وفي آية أخرى بثعبان، وفي أخرى بأنها كالجان، ووجه الجمع أشار له المفسر بقوله: **(تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان)** الخ. والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعباناً عظيماً، وجاناً باعتبار سرعة مشيها. قوله: **(المسمى بالجان)** أي وهو الثعبان الصغير، وأما الجن فهو النوع المعروف.

كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض أي إلى حالتها ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ ﴿٢١﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك اليد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ أي جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي برص تضيء كشعاع الشمس تغشي البصر ﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ ﴿٢٢﴾ وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج ﴿ لِنُرِيَكَ ﴾ بها إذا إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية ﴿ٱلْكُبْرَى﴾ ﴿٢٣﴾ أي العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها ﴿ٱذْهَبْ﴾ رسولاً ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ ومن معه ﴿ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ ﴿٢٤﴾ جاوز الحد في كفره

قوله: **﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾** إنما حصل له الخوف، لأن صورتها هائلة، فشعبتاها صارتا شدقين لها، والمحجن عنقها، وعيناها تتقدان ناراً تمر بالشجرة العظيمة فتلقمها، وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها، ويسمع لأنيابها صوت عظيم، فظن أنها سطوة من الله عليه، فولى مدبراً ولم يعقب، فلما قال الله له: **﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾** تبين له أنها نعمة لا نقمة. قوله: **(فأدخل يده)** أي مكشوفة، وقيل كان عليه مدرعة صوف، فلما قال له خذها، لف كم المدرعة على يده، فأمره الله أن يكشف يده وقال: أرأيت لو أذن الله لها، أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً؟ قال: لا، ولكني ضعيف، من الضعف خلقت، فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية. قوله: **(وتبين)** هو فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على موسى أي علم. قوله: **(أن موضع)** الخ، في محل المفعول به. قوله: **(موضع مسكها)** أي الاتكاء عليها، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها، وانقلبت عصا ويده بحالها، رأى محل يده هو ما بين الشعبتين، فالشعبتان صارتا شدقين، وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقاً لها. قوله: **(ورأى ذلك)** أي بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع، الخ. قوله: **(لدى فرعون)** أي عنده. قوله: **(بمعنى الكف)** أي لا بمعنى حقيقتها، وهي من الأصابع إلى المنكب. قوله: **(تحت العضد)** بيان للمراد من الجنب، وقوله: **(إلى الإبط)** أي من المرفق منتهياً إلى الإبط. قوله: **(من الأدمة)** أي السمرة.

قوله: **﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾** متعلق بتخرج، وهذا يسمى عند أهل البيان احتراساً وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، لأن البياض قد يراد به البرص والبهق. قوله: **(تضيء كشعاع الشمس)** أي فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه، وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها، كان لها نور ساطع، يضيء بالليل والنهار، كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً، ثم إذا ردها إلى جيبه، صارت إلى لونها الأول. قوله: **(الآية) ﴿الْكُبْرَى﴾** قدره إشارة إلى أن **﴿الْكُبْرَى﴾** صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله نريك، والكاف مفعول أول، والكبرى اسم تفضيل، والمعنى التي هي أكبر من غيرها، حتى من العصا، لأنها لم تعارض أصلاً، وأما العصا فقد عارضها السحرة.

قوله: **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾** أي بهاتين الآيتين، وهما العصا واليد، روي أن الله تعالى قال

إلى ادعاء الإلهية ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ﴿٢٥﴾ وسعه لتحمل الرسالة ﴿وَيَسِّرْ﴾ سهل ﴿لِيٓ أَمْرِي﴾ ﴿٢٦﴾ لأبلغها ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ ﴿٢٧﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير ﴿ يَفْقَهُواْ ﴾ يفهموا ﴿ قَوْلِي ﴾ ﴿٢٨﴾ عند تبليغ الرسالة ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا ﴾ معيناً عليها ﴿ مِّنْ أَهْلِي ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ هَٰرُونَ ﴾ مفعول ثان ﴿ أَخِي ﴾ ﴿٣٠﴾ عطف بيان ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ ﴿٣١﴾ ظهري ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ ﴿٣٢﴾ أي الرسالة والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ ﴾ تسبيحاً ﴿ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ وَنَذْكُرَكَ ﴾ ذكراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا

لموسى عليه السلام: اسمع كلامي، واحفظ وصيتي، وانطلق برسالتي، فإنك بعيني وسمعي، وإن معك يدي ونصري، وإني ألبسك جبة من سلطاني، تستكمل بها القوة في أمرك، أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقي، بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا، حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي، أقسم بعزتي، لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي، لبطشت به بطشة جبار، ولكن هان علي وسقط من عيني، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وحذره نقمتي، وقل له قولاً ليناً، لا يغتر بلباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمي، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم، ثم جاءه الملك فقال له: أجب ربك فيما أمرك، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ الخ. قوله: **(وسعه لتحمل الرسالة)** أي فإنك كلفتني بأمر عظيم، لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته.

قوله: **﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾** أي لكنة حاصلة فيه، وقد أجيب بحلها، فعاد لفصاحته الأصلية، وهذا هو الأحسن، وقيل زال بعضها بدليل قوله هو أفصح مني لساناً، وقول فرعون ولا يكاد يبين، ورد بأن معنى هو أفصح، أنه لم يطرأ عليه لكنة، وقول فرعون باعتبار ما يعهده منه. قوله: **(بجمرة وضعها)** الخ، أي وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم، فنتف لحيته ولطمه على وجهه، فاغتم وهم بقتله، فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم: مثل هذا الغلام لا يغتم منه، لا يفرق بين الثمرة والجمرة، فأتى له بطشت فيه تمر، وقيل جوهر، وبطشت فيه جمر، فأراد أن يأخذ الثمرة أو الجوهر، فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر، فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه، وصار فيه لكنة.

قوله: **﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾** مجزوم في جواب الدعاء. قوله: **﴿وَزِيراً﴾** من الوزر وهو الثقل، سمي بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك، ويعينه على أموره ويقوم بها. قوله: **(مفعول ثان)** أي والأول وزيراً، والأحسن عكسه، بأن يجعل **﴿وَزِيراً﴾** مفعولاً ثانياً مقدماً، و **﴿هَارُونَ﴾** مفعول أول مؤخر، لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة، يجعل المفعول الأول هو المعرفة، لأن أصله المبتدأ، والنكرة المفعول الثاني، لأن أصله الخبر، ووزيراً نكرة، وهارون معرفة بالعلمية. قوله: **(والفعلان بصيغتي الأمر والمضارع)** الخ، حاصل ما هنا، أن القراءات السبعية خمس، اثنتان عند الوقف على ياء أخي، وهما قراءة الفعلين بصيغتي الأمر، فتضم الهمزة في الأول، وتفتح في الثاني، والمضارع فتفتح في الأول، وتضم في الثاني، وثلاثة عند وصل أخي بما بعده، وهي أن تسكن الياء ممدودة قدر الفين، مع قراءة الفعلين بالمضارع أو تفتحها، والفعلان بالأمر، أو تحذفها وهما بالأمر أيضاً. قوله: **(وهو جواب الطلب)** أي وهو اجعل لي. قوله: **﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾** تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التي هي: اجعل واشدد وأشرك.

بَصِيرًا ﴾ ﴿٣٥﴾ عالماً فأنعمت بالرسالة ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ ﴿٣٦﴾ مناً عليك ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ مناماً إو إلهاماً لما ولدتك وخافت أن

قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ﴾ أي جواباً لمطلوباته، وقوله: ﴿سُؤْلَكَ﴾ أي مسؤولك، ففعل بمعنى مفعول، كأكل وخبز، بمعنى مأكول ومخبوز. قوله: ﴿يَا مُوسَى﴾ خاطبه باسمه، إشعاراً بمحبته، وتعظيم شأنه، ورفعة قدره ﷺ. قوله: (مناً عليك) أي تفضلاً حاصلاً عليك، وقدره دخولاً على ما بعده. قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى، كأن الله يقول له: إنا قد مننا عليك بمنن سابقة، من غير دعاء منك ولا طلب، فلأن نعطيك ما تطلبه بالأولى، وصدر الجملة بالقسم، زيادة في الاعتناء بشأنه. قوله: ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ تأنيث آخر بمعنى غير، أي تحققت منتنا عليك مرة أخرى، غير المنة التي تحققت لك بسؤالك، والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة. قوله: (للتعليل) أي لقوله مننا، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ، ويصح أن تكون للظرفية، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيحائنا إلى أمك الخ، وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية: الأولى قوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾ الثانية قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾. الثالثة قوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾. الرابعة قوله: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾. الخامسة قوله: ﴿وقتلت نفساً﴾. السادسة قوله: ﴿وفتناك فتوناً﴾ السابعة قوله: ﴿فلبثت سنين﴾. الثامنة قوله: ﴿واصطنعتك لنفسي﴾.

قوله: ﴿إِلَى أُمِّكَ﴾ أي واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فألف فنون مكسورة فذال معجمة. قوله: (مناماً أو إلهاماً) أي أو يقظة، ولا ينافيه كونها ليست نبية، فإن المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف، وأما الوحي بغير الشرع فجائز حتى للنساء، كما وقع لمريم أم عيسى. قوله: (لما ولدتك) أي في السنة التي رتب فرعون اتباعه، لذبح كل من يولد من الذكور في تلك السنة، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته، فقصها على الكهنة، فعبرت له بمولود يكون زوال ملكه على يديه، فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الذكور، حتى شق الأمر، فأبقى القتل في سنة ورفعه في سنة، فصادف ولادة موسى، في السنة التي فيها القتل، فلما ولد، جاء أتباع فرعون يفتشون عن المولود، فوضعته أمه في التنور، فجاءت أخته وأوقدته، ففتشوا عليه فلم يجدوه، فخرجوا من عندها، فنظرت إلى التنور فوجدته موقداً، فخافت عليه، فناداها من التنور فأخرجته سالماً، فأوحى الله إليها أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، فأخذت صندوقاً وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه، ثم طلت رأس التابوت بالقار، وألقته في اليم، فموجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون، وكان فرعون جالساً مع آسية زوجته، فأمر به فأخرج ففتح، فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً، فأحبه عدو الله حباً شديداً، حتى إنه لم يقدر على بعده عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾. قوله: ﴿مَا يُوحَى﴾ أبهمه للتعظيم كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾. قوله: (في أمرك) أي شأنك. قوله: (ويبدل منه) أي بدل مفصل من مجمل. قوله: (أي شاطئه) المراد قربه، لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البر. قوله: (والأمر بمعنى الخبر) أي وحكمة العدول عنه، لما كان ألقاه البحر إياه بالساحل، أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به، نزل البحر منزلة شخص مطيع، أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته.

يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ ﴿٣٨﴾ في أمرك ويبدل منه ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾ ألقيه ﴿ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ ﴾ بالتابوت ﴿ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ بحر النيل ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ وهو فرعون ﴿ وَأَلْقَيْتُ ﴾ بعد أن أخذوك ﴿ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ لتحب من الناس فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ ﴿٣٩﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك ﴿ إِذْ ﴾ للتعليل ﴿ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منها ﴿ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ بلقائك ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾ حينئذ ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ هو القبطي بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ ﴾ عشراً ﴿ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبي وتزوجك بابنته ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ في علمي بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك ﴿ يَٰ

قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة مني بأن أحببتك، فتسبب عن محبتي محبة الناس لك، ويحتمل أن المعنى، ألقيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فأحبوك، والأول أحسن لعدم الكلفة فيه. قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: (لتحب من الناس). قوله: (تربى على رعايتي) الخ، أي فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ، مجازاً مرسلاً من إطلاق السبب وهو نظر العين، على المسبب وهو الحفظ والرعاية، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه، أن يحفظه ويرعاه. قوله: ﴿أُخْتُكَ﴾ (مريم) أي وكانت شقيقته، وهي غير أم عيسى. قوله: (لتعرف خبرك) أي فوجدتك وقعت في يد فرعون، فدلتهم على أمك حيث قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ الخ. قوله: (وأنت لا تقبل) الخ، أي لحكمة عظيمة، وهي وقوعك في يد أمك، لأنك لو رضعت غيرها، لاستغنوا عن أمك. قوله: ﴿عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ أي يكمل رضاعه، وقد أرضعته أمه، قيل ثلاثة أشهر، وقيل أربعة.

قوله: ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾ معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله: (فأجيبت) الخ. قوله: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ أي تسكن وتبرد دمعة حزنها. قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ (حينئذ) أي حين إذ قبلت ثديها، والمراد نفي دوام الحزن. قوله: (هو القبطي) أي واسمه قاب قان، وكان طباخاً لفرعون. قوله: (من جهة فرعون) أي لا من جهة قتله، فإنه كان كافراً. قوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ أي خلصناك من محنة بعد أخرى، روي أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية فقال: خلصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير، والقته أمه في البحر، وهم فرعون بقتله، وقتل قبطياً، وآجر نفسه عشر سنين، وضل الطريق، وضلت غنمه في ليلة مظلمة، وكان عند كل واحدة، فهذه فتنة يا ابن جبير. قوله: ﴿سِنِينَ﴾ (عشراً) أي ولبث في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة، وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فمكث بمدين لرعي الغنم عشر سنين، وبعدها ثماني عشرة سنة. قوله: ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾ أي مقدار من الزمان.

مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ بالرسالة ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِآيَاتِي﴾ التسع ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٢﴾ بتسبيح وغيره ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ بادعائه الربوبية ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿٤٤﴾ الله فيرجع والترجي بالنسبة اليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ ﴿٤٥﴾ علينا أي يتكبر ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ ما يفعل ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي

قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي لتشتغل بأوامري وتبليغ رسالتي، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لي لا لغيري. قوله: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ أي قد أجبناك فيما طلبت، وأعطينا أخاك الرسالة، فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه. قوله: (إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا، لدلالة قوله فيما يأتي ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ عليه، كما أنه حذف فيما يأتي قوله: ﴿بِآيَاتِي﴾ لدلالة ما هنا عليه، ففي الكلام احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿بِآيَاتِي﴾ (التسع) المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد، لأن باقي التسع لم يكن في المبدإ، بل كان في أثناء المدة، وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة.

قوله: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ يقال ونى يني ونياً، كوعد يعد وعداً إذا فتر، وأصله تونيا، حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة والكسرة. قوله: (وغيره) أي كتبليغ الرسالة، وهو المقصود بالذات. قوله: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾. إن قلت: ما حكمة جمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضراً في محل المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر؟ أجيب: بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن سمع هارون، حتى سمع الخطاب مع أخيه، لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة، وهارون سمعه من جبريل عن الله، وهذا أحسن ما يقال.

قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً﴾ أي سهلاً لطيفاً، وقد قصه الله في سورة النازعات في قوله ﴿هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى﴾ فإنه دعوة في صورة عرض. قوله: (في رجوعه عن ذلك) أي عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر. قوله: (والترجي بالنسبة إليهما) أي إلى موسى وهارون، والمعنى اذهبا مترجيين إيمانه وطامعين فيه، ولا تذهبا آيسين منه. قوله: (لعلمه تعالى بأنه لا يرجع) أي والفائدة في إرسالهما، إلزامه الحجة وقطع عذره، لجريان عادته سبحانه وتعالى، أنه لا يعذب أحداً، إلا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك. قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا﴾ أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما، وإن كان مكانهما مختلفاً لما تقدم، أنه لا مانع من إزالة الحجاب عن هارون، وسماعه من جبريل ما قيل لموسى وقت المناجاة. قوله: (أو يعجل بالعقوبة) أي فلا يصير إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة. قوله: ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أي يزداد تكبراً وكفراً، وأو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾ أي لا تنزعجا منه. قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ أي اذهبا بأنفسكما إليه، ولا تقعدا في مكان وترسلا له. قوله: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أمرهما الله أن يقولا له ست جمل، أولها قوله: ﴿إِنَّا

إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ﴾ أي خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ﴾ بحجة ﴿ مِّن رَّبِّكَۖ ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ ﴿٤٧﴾ أي السلامة له من العذاب ﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ ﴿٤٨﴾ أعرض عنه. فأتياه وقالا له جميع ما ذكر ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ ﴿٤٩﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ من الخلق ﴿خَلۡقَهُۥ﴾ الذي هو عليه متميز به عن غيره ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ ﴿٥٠﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ ٱلۡقُرُونِ ﴾ الأمم ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ ﴿٥١﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلۡمُهَا﴾ أي علم حالهم محفوظ ﴿ عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ ﴾ هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ﴿٥٢﴾ ربي شيئاً هو ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ﴾ في جملة الخلق ﴿ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا ﴾ فراشاً

رَسُولاَ رَبِّكَ﴾. الثانية قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. الثالثة: ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ الرابعة: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾. الخامسة: ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾. السادسة: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم، فإنهم أولاد الأنبياء، ولا يليق أن يولى عليهم خسيس، والمعنى أن موسى وهارون أرسلا إلى فرعون، بأنه يؤمن بالله وحده، ولا يتولى على بني إسرائيل. قوله: **(بحجة)** أي دليل وبرهان على ما ادعيناه من الرسالة. قوله: **(فأتياه وقالا له جميع ما ذكر)** قدر ذلك إشارة إلى أن قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ الخ، مرتب على محذوف وإشعاراً بأنهما سارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه.

قوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ لم يضف الرب لنفسه تكبراً وطغياناً وخوفاً على قومه، إذ أضاف الرب لنفسه أن يميلوا لموسى. قوله: **(اقتصر عليه)** أي على توجيهه الخطاب لهما. قوله: **(لأنه الأصل)** أي في الرسالة، وهارون وإن كان رسولاً، إلا أن المقصود منه معاونة موسى. قوله: **(ولإدلاله عليه بالتربية)** أي ولإقامة فرعون الدليل على موسى، بأن ذكره بتربيته له في قوله الآتي في الشعراء ﴿ألم نربك فينا وليدا﴾. قوله: ﴿خَلْقَهُ﴾ أي صورته وشكله. قوله: **(الحيوان منه)** أي من كل شيء.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ لما ظهر للعين حقية ما قال موسى وبطلان ما هو عليه، أراد أن يصرفه عليه السلام إلى ما لا يعنيه من الأمور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات، خوفاً على رياسته أن تذهب، فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال: علمها عند ربي. قوله: **(في عبادتهم الأوثان)** أي أكان سبباً في شقاوتهم أو سعادتهم، وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مأمور بملاطفته، فإذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير. قوله: ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يذهب شيء عن علمه. قوله: ﴿وَلاَ يَنْسَى﴾ أي بعد علمه.

قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾ هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول. قوله:

﴿وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً، قال تعالى تتميماً لما وصفه به موسى وخطابه لأهل مكة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ ﴿٥٣﴾ صفة أزواجاً أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شتَّ الأمر تفرق ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ فيها جمع نعم هي الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها، والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لعبراً ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ ﴿٥٤﴾ لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح ﴿مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ ﴿٥٥﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي بصرنا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ أن يوحد الله تعالى ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿سُوًى﴾ ﴿٥٨﴾ بكسر أوله وضمه أي وسطاً

﴿مِهَاداً﴾ أي كالمهاد. قوله: (طرقاً) أي تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا مآربكم. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً﴾ من كلامه تعالى، لا بطريق الحكاية عن موسى، بل خطاباً لأهل مكة وامتناناً عليهم، وينتهي إلى قوله: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ وقيل إنه من كلام موسى أيضاً، وفيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: (وخطاباً لأهل مكة) أي في قوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾. قوله: (شتى) ألفه للتأنيث. قوله: (يقال رعت الأنعام) الخ، أي فيستعمل لازماً ومتعدياً. قوله: (أي مبيحين لكم) المناسب أن يقول أي قائلين لكم كلوا الخ، فهو أمر إباحة. قوله: (جمع نهية) وقيل إنه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى. قوله: (بخلق أبيكم آدم منها) أي فجميع الخلق غير آدم، خلقوا من الأرض بواسطة، وهذا أحد قولين، وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة، لأن كل نطفة وقعت في الرحم، يأخذ الملك الموكل بها شيئاً من تراب المكان الذي يدفن فيه، فيذره على النطفة، فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ إخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون، وبهذا التقرير صح قول المفسر (التسع) واندفع ما يقال إن فرعون في ابتداء الأمر، لم ير إلا العصا واليد، وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة. قوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ أي بعد أن رأى ما رأى من معجزة العصا واليد، قال ما ذكر تستراً وخوفاً على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه. قوله: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي، وقوله: ﴿بِسِحْرٍ﴾ متعلق بنأتينك. قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾ أي في الغرابة. قوله: ﴿مَوْعِداً﴾ الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل،

تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ ﴿٥٩﴾ وقته للنظر فيما يقع ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ ﴿٦٠﴾ بهم الموعد ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أي يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ﴿٦١﴾ كذب على الله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ ﴿٦٢﴾ أي الكلام بينهم فيهما ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث

وقوله: ﴿بَيْنَنَا﴾ مفعول ثان مقدم، وقوله: (**بنزع الخافض**) أي فالمعنى عين زماناً بيننا وبينك نجتمع فيه في مكان سوى أي متوسط. قوله: (**بكسر أوله وضمه**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ خصه عليه السلام بالتعيين، لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم، وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد، فيكون أعظم فخر لموسى عليه السلام. قوله: (**يوم عيد لهم**) أي وكان يوم عاشوراء، واتفق أنه يوم سبت. قوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الزينة، أي ويوم حشر الناس ضحى. قوله: (**وقته**) أي وقت الضحى، وهو ارتفاع الشمس. قوله: (**ادبر**) أي انصرف من المجلس. قوله: (**أي ذوي كيده**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ (**بهم الموعد**) أي في يوم الزينة في المكان المتوسط وهو الإسكندرية. قوله: (**وهم اثنان وسبعون**) الاثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وهذا أحد أقوال في عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفاً، وهو ما في بعض النسخ، وقيل اثني عشر ألفاً. قوله: (**مع كل واحد حبل وعصا**) تقدم أنها كانت حمل أربعمائة بعير. قوله: (**أي ألزمكم الله الويل**) أشار بذلك إلى أن ﴿وَيْلَكُمْ﴾ منصوب بفعل محذوف، والويل معناه الدمار والهلاك. قوله: (**بإشراك أحد معه**) أي بسبب إشراك أحد مع الله، والمعنى ألزمكم الله الويل إن افتريتم على الله الكذب بسبب إشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون. قوله: (**بضم الياء**) الخ، أي فهما قراءتان سبعيتان، فالضم من الرباعي، والفتح من الثلاثي.

قوله: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي تناظروا وتشاوروا في أمر موسى وأخيه سراً، واختلف فيما أسروه، فقيل هو قولهم ﴿إِنَّ هٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ﴾ الخ، وقيل هو قول بعضهم لبعض: ما هذا ساحر، فإن غلبنا اتبعناه، وإن غلبناه بقينا على ما نحن عليه. قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أي تحدثوا سراً فيما بينهم. قوله: (**لأبي عمرو**) أي فقراءته بالياء اسم ﴿إِنَّ﴾، وساحران خبرها، واللام للابتداء زحلقت للخبر، وقوله: (**ولغيره**) خبر مقدم، و(**هذان**) مبتدأ مؤخر، وقوله: (**وهو موافق**) أي هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف، فيبني اسم الإشارة الدال عليه على الألف، وقد أجمل المفسر في قوله:

﴿ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ ﴿٦٣﴾ مؤنث أمثل بمعنى أشرف أي بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ من السحرة بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أي لَمّ وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ﴾ حال أي مصطفين ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ﴾ فاز ﴿ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ ﴿٦٤﴾ غلب ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ﴾ اختر ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ ﴾ عصاك أي أولاً ﴿ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ ﴿٦٥﴾ عصاه ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ فألقوا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ أصله عصوو قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا ﴾ حيات ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ ﴿٦٦﴾ على بطونها ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ أحس ﴿ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ ﴿٦٧﴾ أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به ﴿قُلْنَا﴾ له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿٦٨﴾ عليهم بالغلبة ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ وهي عصاه ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا

(ولغيره هذان). والحاصل أن القراءات السبعيات أربع: الأولى لأبي عمرو التي ذكرها المفسر، وبقي ثلاث: الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان، مع تشديد نون إن أو تخفيفها، فعلى تشديد نون إن، يكون هذان اسمها مبنياً على الألف، وساحران خبرها، وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبراً، وإن مخففة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبر إن. قوله: (أي بأشرافكم) تفسير لطريقتكم، فإن من جملة معاني الطريقة، أماثل الناس وأشرافهم، أي وذلك كفرعون وجلسائه.

قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي اجعلوه مجمعاً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم. قوله: (بهمزة وصل) الخ، أي فهما سبعيتان. قوله: ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ أي لأنه أهيب في صدور الرائين. قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (اختر). قوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ أي ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر.

قوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ إذا فجائية، و ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ مبتدأ خبره جملة ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ الخ. قوله: (أصله عصوو) بوزن فلوس، وقوله: (قلبت الواو ياءين) الخ، أي قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة، فاجتمعت مع الواو، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء. قوله: (وكسرت العين) أي اتباعاً للصاد، (والصاد) لتصح الياء. قوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ أي لأنهم طلوها بالزئبق، فلما اشتد حر الشمس، اضطربت واهتزت، فتخيل أنها تتحرك. قوله: ﴿خِيفَةً﴾ أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها. قوله: (من جهة أن سحرهم) الخ، جواب عما يقال: كيف حصل له الخوف، مع علمه بأنه على الحق، ولا يصل له سوء منهم.

قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ فيه إشارة إلى أن لهم علواً وغلبة بالنسبة لسائر الناس، فطمنه الله بأمور لا تخطر بباله، فإن ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم، أمر لا يخطر ببال موسى. قوله: ﴿تَلْقَفْ﴾ بفتح اللام وتشديد القاف، أو بسكون اللام وفتح القاف، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي اخترعوا

صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ ﴾ أي جنسه ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ ﴿٦٩﴾ بسحره فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا ﴾ خروا ساجدين لله تعالى و ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ ءَامَنتُمۡ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ ﴾ أنا ﴿ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ معلمكم ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ﴾ حال بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ

مما لا حقيقة له. قوله: (أي جنسه) دفع بذلك ما يقال: لم لَمْ يقل: ولا يفلح السحرة؟ بصيغة الجمع، وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم، فكأنه قال: لا يفلح كل ساحر، سواء كان من هؤلاء، أو من غيرهم. قوله: ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ أي في أي زمان أو مكان أقبل منه. (فألقى موسى عصاه) الخ، قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ مرتب على محذوف. قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ أي إيماناً بالله، وكفراً بفرعون، وهذا من غرائب قدرة الله، حيث ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين، قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود، حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب، ورأوا منازلهم في الجنة. قولهم: (و) ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾ وفيه إيماء إلى أنهم جمعوا في الإيمان بين القول والفعل.

قوله: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي لما شاهد فرعون من السحرة السجود والإقرار، خاف أن يقتدي الناس بهم في الإيمان بالله وحده، فألقى شبهتين: الأولى قوله: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي لم تشاوروني ولم تستعينوا بنظر غيركم، بل في الحال آمنتم له، فحينئذٍ دل ذلك على أن إيمانكم ليس عن بصيرة، بل بسبب آخر، الثانية قوله: ﴿إِنَّه لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ أي فأنتم أتباعه في السحر، فتواطأتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم، ترويجاً لأمره وتفخيماً لشأنه، لتنتزعوا الملك مني، وهاتان الشبهتان لا يقبلهما إلا من عنده تردد أو شك، وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة، فلا يدخل عليه شيء من ذلك، لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي الأولى وهي للاستفهام، والثانية وهي المزيدة في الفعل الرباعي، وقوله: (وإبدال الثانية ألفاً) صوابه الثالثة، وهي فاء الكلمة، فيكون في كلامه إشارة لقراءة واحدة، أو يقال إن معنى قوله: (الثانية) أي في الفعل، بقطع النظر عن همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية، والثلاث سبعيات، ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في الأعراف، وهي قلب الأولى واواً، لعدم الضمة قبلها هنا، بخلاف ما تقدم، فإنها تقدمها ضمة، ونص الآية: قال فرعون أآمنتم، وأصل الفعل أأمن كأكرم بهمزتين، الأولى زائدة، والثانية فاء الكلمة، قلبت الثانية ألفاً على القاعدة، قال ابن مالك:

ومدا ابدل ثاني الهمزين من كلمة إن يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام. قوله: ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية أي فالقطع ابتدىء، من مخالفة العضو للعضو. قوله: (أي عليها) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الاستعلاء

﴿ٱلنَّخۡلِ﴾ أي عليها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾ ﴿٧١﴾ أدوم على مخالفته ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خلقنا قسم أو عطف على ما ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ ﴿٧٢﴾ النصب على الاتساع أي فيها وتجزى عليه في الآخرة ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ تعلماً وعملاً لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ ﴿٧٣﴾ منك عذاباً إذا عصى، قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ

المطلق بالظرفية المطلقة، فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات، فاستعيرت لفظة في الموضوعة للظرفية الخاصة، لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن في كل. قوله: **(على مخالفته)** متعلق بكل من أشد وأبقى.

قوله: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا**﴾ أي قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم. قوله: ﴿**مِنَ الْبَيِّنَاتِ**﴾ أي المعجزات الظاهرة، وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق العادات، وإنما نسب المجيء لهم، وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضاً، لأنهم هم المنتفعون بها. قوله: **(قسم)** أي وجوابه محذوف تقديره لا نؤثرك على الحق، ولا يجوز أن يكون. قوله: ﴿**لَنْ نُؤْثِرَكَ**﴾ جوابه، لأن القسم لا يجاب بلن إلا شذوذاً، ولا ينبغي حمل التنزيل عليه. قوله: **(أو عطف على ما)** أي والتقدير لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات، ولا على الذي فطرنا.

قوله: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾ اقض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت و﴿**مَا**﴾ اسم موصول مفعوله، وأنت قاض صلته، والعائد محذوف تقديره الذي أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله:

كَذَاك حذف ما بوصف خفضا كأنت قاض بعد أمر من قَضَى

وهو جواب عن تهديده المذكور، كأنهم قالوا: لا نبالي بك ولا بتهديدك، فافعل ما بدا لك، ولم يثبت في الكتاب، ولا في السنة، أنه فعل ما هددهم به. قوله: **(النصب على الاتساع)** أي، نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض.

قوله: ﴿**وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ**﴾ معطوف على ﴿**خَطَايَانَا**﴾ أي ويغفر لنا الذي أكرهتنا عليه من السحر. قوله: **(تعلماً وعملاً)** أي لأن فرعون كان يخبره الكهنة، بظهور مولود من بني إسرائيل، يكون زوال ملكه على يديه، فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين، فأحب أن يتهيأ لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر، وإكراههم أيضاً على الإتيان بهم من المدائن البعيدة، ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله، ما روي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى وهو نائم، ففعل، فوجدوه تحرسه عصاه، فقالوا: ما هذا ساحر، فإن الساحر إذا نام بطل سحره، فأبى إلا أن يعارضوه. قوله: ﴿**وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ رد لقوله: ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى**﴾. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ**﴾ الخ، مستأنف من كلامه تعالى، وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه. قوله: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ**

﴿مُجۡرِمٗا﴾ كافراً كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ حياة تنفعه ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ جمع عليا مؤنث أعلى ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي إقامة بيان له ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ تطهر من الذنوب ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أي سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُمۡ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي يابساً فامتثل ما أمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ أي أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ غرقاً ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ

﴿مُجْرِماً﴾ أي بأن يموت على كفره. قوله: (فيستريح) أي من العذاب. قوله: (حياة تنفعه) أي بأن تكون هنية مرية. قوله: ﴿مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أي تحت قصورها. قوله: ﴿وَذٰلِكَ﴾ أي ما تقدم من قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ الخ. قوله: (تطهر من الذنوب) أي بعدم فعلها، أو بالتوبة النصوح منها.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ عطف قصة على قصة، لأن الله تعالى قص علينا أولاً، مبدأ رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه، وقص علينا ثانياً منتهى أمر فرعون وجنوده، وكل ذلك عبرة للأمة المحمدية، ليعلموا أن الظالم، وإن أمهله الله وأمده بالنعم لا يهمله، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة، وتقدم ذكرها في الأعراف مبسوطاً. قوله: ﴿بِعِبَادِي﴾ أي وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً. قوله: (لغتان) أي وهي قراءتان سبعيتان، وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك. قوله: (أي سر بهم ليلاً) تفسير لكل من القراءتين. قوله: (من أرض مصر) أي إلى البحر، فهو مأمور بالسير له، فلا يقال: لِمَ لَمْ يسر بهم في البر في طريق الشام.

قوله: ﴿طَرِيقاً﴾ مفعول به لتضمن اضرب معنى (اجعل) كما أشار له المفسر، والمراد بالطريق جنسه، فإن الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد أسباط بني إسرائيل. قوله: ﴿يَبِساً﴾ أي يؤول إلى ذلك، لأنه لم يكن يابساً قبل، وإنما مرت عليه الصبا فجففته. قال ابن عباس: لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر، وكان يوسف عهد إليهم عند موته، أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر، فلم يعرفوا مكانها، حتى دلتهم عليها عجوز، فأخذوها وقال لها موسى: اطلبي مني شيئاً، فقالت: أكون معك في الجنة، فلما خرجوا تبعهم فرعون، فلما وصل البحر وكان على حصان، أقبل جبريل على فرس أنثى، في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون، فأبصر الحصان الفرس، فاقتحم بفرعون على أثرها، فصاحت الملائكة بالقبط: الحقوا، حتى إذا لحق آخرهم، وكاد أولهم أن يخرج، التقى البحر عليهم فغرقوا، فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا: يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم، فلفظهم البحر إلى الساحل، فأصابوا من أمتعتهم شيئاً كثيراً. قوله: ﴿لَا تَخَافُ﴾ العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع، وعليه فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو حال من فاعل اضرب، أي اضرب لهم طريقاً حال كونك غير خائف، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية، وتخف مجزوم بها، قوله: ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ هو بالألف باتفاق

فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ ﴾ وهو معهم ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ ﴾ أي البحر ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ ﴿٧٨﴾ فأغرقهم ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ ﴿٧٩﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون بإغراقه ﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ﴿٨٠﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ أي المنعم به عليكم ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴾ بكسر الحاء أي يجب وبضمها أي ينزل ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى ﴾ بكسر اللام وضمها ﴿ فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ ﴿٨١﴾ سقط في النار ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ وحد

القراء فعلى رفع ﴿لَّا تَخَافُ﴾ العطف ظاهر، وعلى الجزم فيكون قوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ معطوف على لا تخف مجزوماً، وعلامة جزمه حذف الألف، والألف الموجودة للإشباع أتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي.

قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش، فجمعوا جيوشاً كثيرة، حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة ألف، فضلاً عن الجناحين والقلب والساقة. قوله: ﴿بِجُنُودِهِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ﴿فِرْعَوْنُ﴾. قوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي علاهم وغمرهم من الأمر الهائل ما لم يبلغ كنهه أحد. قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ إخبار عن حاله قبل الغرق. قوله: **(خلاف قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)** أي إنه مخالف له، فهو تكذيب لفرعون في قوله.

قوله: ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ الخ، قدم أولاً نعمة الإنجاء، ثم النعمة الدينية، ثم الدنيوية، فهو ترتيب في غاية الحسن. قوله: **(فنؤتي موسى التوراة)** جواب عما يقال: إن المواعدة كانت لموسى لا لهم، فكيف أضيفت لهم؟ وأجيب أيضاً: بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلاً، فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار. قوله: **(هما الترنجبين)** هو شيء حلو أبيض مثل الثلج، كان ينزل عليهم في التيه من الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع. قوله: **(والطير السماني)** أي فكان ريح الجنوب يأتيهم به، فيذبح الرجل منهم ما يكفيه، وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر. قوله: **(والمنادى من وجد من اليهود)** الخ، هذا أحد قولين، وقيل المخاطب من كان في عهد موسى. قوله: **(توطئة)** أي تمهيداً.

قوله: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي لذائذه وحلالاته. قوله: **(بأن تكفروا النعمة)** أي بعدم شكرها وبطركم لها. قوله: **(بكسر الحاء)** الخ، أي ففي كل قراءتان سبعيتان. قوله: **(سقط في النار)** أي على سبيل الخلود. قوله: **(يصدق بالفرض والنفل)** أي العمل الصالح يشمل كلاً منهما. قوله: **(باستمراره على ما ذكر إلى موته)** أي بأن يدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، وهو جواب عما يقال: ما فائدة ذكر الاهتداء آخراً، مع أنه داخل في عموم قوله: ﴿وَآمَنَ﴾ فأفاد المفسر أن النجاة التامة والمغفرة الشاملة، لمن حصلت منه التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، ثم استمر عليها إلى أن لقي مولاه.

الله ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ يصدق بالفرض والنفل ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ ﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ ﴾ أي بالقرب مني يأتون ﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ عني أي زيادة على رضاك وقيل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ ﴾ أي بعد فراقك لهم ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ فعبدوا العجل ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ ﴾ من جهتهم ﴿ أَسِفًا ۚ ﴾ شديد الحزن ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ ﴾ أي صدقاً

قوله: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى**﴾ ﴿**مَا**﴾ استفهامية مبتدأ، و ﴿**أَعْجَلَكَ**﴾ خبره، و ﴿**عَنْ قَوْمِكَ**﴾ متعلق بأعجلك، والمعنى أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم. وحاصل ذلك، أن الله سبحانه وتعالى، وعد موسى ثلاثين يوماً وأتمها بعشر، بعد إغراق فرعون وقومه، يصومها ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها، وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلاً، يختارهم من بني إسرائيل، ليذهبوا معه إلى الطور، لأجل أن يأخذوا التوراة، فخرج بهم وخلف هارون على من بقي، وفي رواية أنه أمر هارون أن لا يأتي بهم عند تمام الميقات، فسار موسى بالسبعين، ثم عجل من بينهم تشوقاً، إلى ربه، وخلفهم وراءه، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى له: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ**﴾ الخ، والمقصود من سؤال الله تعالى لموسى، إعلامه بما حصل من قومه، وإلا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم. قوله: ﴿**عَنْ قَوْمِكَ**﴾ سياق المفسر يقتضي أن المراد بهم جملة بني إسرائيل، وأيده جماعة من المفسرين. قوله: (**لمجيء ميعاد أخذ التوراة**) أي لمجيئك في ميعاد أخذ التوراة.

قوله: ﴿**قَالَ هُمْ أُوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي**﴾ ﴿**هُمْ**﴾ مبتدأ، و ﴿**أُوْلَاءِ**﴾ خبر، وقوله: ﴿**عَلَى أَثَرِي**﴾ خبر بعد خبر. قوله: (**أي زيادة على رضاك**) أي فسارعت إلى امتثال أمرك، طلباً لزيادة رضاك، لا لأصل الرضا، فإنه حاصل، وطلبه لا يليق بحال الأنبياء. قوله: (**وقيل الجواب**) أي جواب السؤال وهو قوله: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾. قوله: (**أتى بالاعتذار**) أي عن سبقه لقومه، وقوله: (**بحسب ظنه**) متعلق بالاعتذار. قوله: (**وتخلف المظنون لما**) ﴿**قَالَ**﴾ (**تعالى**) أي ظهر لموسى أن ظنه تخلف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل، وهذا يؤيد ما قلناه أولاً، أن المراد بالقوم جميع بني إسرائيل. قوله: (**أي بعد فراقك لهم**) أي بعشرين يوماً، وهذا الإخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين.

قوله: ﴿**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾ اسمه موسى بن ظفر، منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل، كان منافقاً، وكان قد رباه جبريل، لأن فرعون لما شرع في ذبح الولدان، وضعته أمه في حفرة، فتعهده جبريل، وكان يغذيه من أصابعه الثلاثة، فيخرج له من إحداها لبن، ومن الأخرى سمن، ومن الأخرى عسل. قوله: ﴿**فَرَجَعَ مُوسَى**﴾ أي بعد أن تمم الأربعين وأخذ التوراة، روي أنه لما رجع موسى، سمع الصياح والضجيج، وكانوا يرقصون حول العجل، فقال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة. قوله: (**أنه يعطيكم التوراة**) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله: ﴿**يَعِدْكُمْ**﴾ والأول الكاف.

أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ ﴿٨٦﴾ وتركتم المجيء بعدي ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ مثلث الميم أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ بفتح الحاء مخففاً وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾أي حلي قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ ﴿٨٧﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامري وأتباعه﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ ﴿٨٨﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه. قال تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه ﴿يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ أي فكيف يتخذ إلهاً؟ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أن يرجع موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ ﴿٩٠﴾ فيها ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ

قوله: ﴿أَمْ أَرَدْتُّمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غضبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد، فإنه لم يطل، وإن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم، فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه. قوله: **(وتركتم المجيء بعدي)** أي لأنه وعدهم أن يتبعوه على أثر للميقات، فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل. قوله: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكْ بِمَلْكِنَا﴾ أي لأنا لو خلينا وأنفسنا ما أخلفنا، ولكن السامري سول لنا وغلب على عقولنا فأطعناه. قوله: **(مثلث الميم)** أي وكلها قراءات سبعيات. قوله: **(وبضمها وكسر الميم)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(استعارها منهم بنو إسرائيل)** أي قبل مسخ أموالهم. قوله: **(بعلة عرس)** أي إن بني إسرائيل أظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس، وفي الواقع ليس كذلك. قوله: **(بأمر السامري)** أي فقال لهم: تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار، فالرأي أن تحفروا لها حفيرة، وتوقدوا فيها ناراً، وتقذفوها فيها لتتخلصوا من ذنبها.

قوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً﴾ هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري، فهو معطوف على قوله **(وأضلهم السامري)**. قوله: ﴿جَسَداً﴾ حال من العجل، ولا يقال جسد إلا للحيوان، ولا يقال لغيره جسد إلا للزعفران، والدم إذا يبس. قوله: **(وأتباعه)** أي الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بني إسرائيل. قوله: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: ﴿أَنْ﴾ **(مخففة من الثقيلة)** أي فقوله: ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ بالرفع في قراءة العامة.

قوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ﴾ الخ، أي فنصحهم هارون قبل رجوع موسى. قوله: ﴿وَإِنَّ

عَـٰكِفِينَ ﴾ على عبادته مقيمين ﴿ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿ قَالَ ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ ﴿٩٢﴾ بعبادته ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ ﴾ لا زائدة ﴿ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾ ﴿٩٣﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى ﴿ قَالَ ﴾ هارون ﴿ يَبۡنَؤُمَّ ﴾ بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي ﴾ وكان أخذها بشماله ﴿ وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿ إِنِّي خَشِيتُ ﴾ لو اتبعتك ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبد العجل ﴿ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴾ وتغضب علي ﴿ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ ﴾ تنتظر ﴿ قَوۡلِي ﴾ ﴿٩٤﴾ فيما رأيته في ذلك ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ ﴾ بالياء والتاء أي علمت ما لم يعلموه ﴿ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ ﴾ تراب ﴿ أَثَرِ ﴾ حافر فرس ﴿ ٱلرَّسُولِ ﴾ جبريل ﴿ فَنَبَذۡتُهَا ﴾ ألقيتها في صورة العجل المصاغ ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ ﴾ زينت ﴿ لِي نَفۡسِي ﴾ ﴿٩٦﴾ وألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم ﴿ قَالَ ﴾ له موسى ﴿ فَٱذۡهَبۡ ﴾ من

رَبُّكُمُ الرَّحْمٰنُ﴾ إنما ذكر هذا الاسم، تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم، لأنه هو الرحمن. قوله: **﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾** غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف، لا بطريق الوعد وترك عبادته عند رجوعه. قوله: **﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ﴾** ظرف منصوب بمنعك. والمعنى أي شيء منعك وقت رؤيتك ضلالهم. قوله: **(لا زائدة)** أي للتأكيد. والمعنى ما منعك من اتباعي في الغضب لله، والمقاتلة لمن كفر. قوله: **(بإقامتك بين من يعبد غير الله)** أي ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم. قوله: **(بكسر الميم)** أي فحذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها، وقوله: **(وفتحها)** أي فحذفت الألف المنقلبة عن الياء، وبقيت الفتحة دالة عليها، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(أعطف لقلبه)** أي لا لكونه أخاه من أمه فقط، فإن الحق أنه شقيقه. قوله: **(وكان أخذ شعره)** أي الرأس.

قوله: **﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** معطوف على **﴿أَنْ تَقُولَ﴾** أي وخشيت عدم ترقبك، أي انتظارك وتأملك في قولي حتى تفهم عذري، فالياء في **﴿قَوْلِي﴾** واقعة على هارون، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر، وقيل إنه معطوف على **﴿فَرَّقْتَ﴾** أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي، أي تحفظه وتعمل به، فعليه الياء واقعة على موسى. قوله: **﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾** بضم الصاد في قراءة العامة من باب ظرف، وقرىء بكسرها من باب تعب. قوله: **(بالياء)** أي بنو إسرائيل وقوله: **(والتاء)** أي أنت وقومك، والقراءتان سبعيتان. قوله: **﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾** أي وعرفه لسابق الألفة، فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة، كان راكباً على فرس، كلما وضعت حافرها على شيء أخضر، فعرف السامري أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً. قوله: **(في صورة العجل)** أي في فمه. قوله: **(المصاغ)** صوابه المصوغ كما في بعض النسخ. قوله: **(طلبوا منك)** أي حين جاوزوا البحر كما قال تعالى: **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾** الآية.

بينا ﴿ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ أي مدة حياتك ﴿ أَن تَقُولَ ﴾ لمن رأيته ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ أي لا تقربني فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً أو مسه أحد حُمَّا جميعاً ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ لعذابك ﴿ لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ بكسر اللام أي لن تغيب عنه وبفتحها أي بل تبعث إليه ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ ﴾ أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً أي دمت ﴿ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي مقيماً تعبده ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ بالنار ﴿ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ ﴿٩٧﴾ نذرينه في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿٩٨﴾ تمييز محول عن الفاعل أي وسع علمه كل شيء ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ﴾ أخبار ﴿ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من الأمم ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ ﴾ أعطيناك ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾ من عندنا ﴿ ذِكْرًا ﴾ ﴿٩٩﴾ قرآناً ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ فلم يؤمن به ﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ ﴿١٠٠﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم

قوله: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ إن حرف توكيد ونصب، والجار والمجرور خبرها مقدم، و﴿أَنْ تَقُولَ﴾ في محل نصب اسمها مؤخر. والمعنى أن هذا القول ثابت لك ما دمت حياً، لا ينفك عنك، فكان يصيح في البرية لا مساس، وحرم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن، وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم. قوله: **(فكان يهيم في البرية)** أي مع السباع والوحوش، يقال إن موسى هم بقتله، فقال الله له: لا تقتله فإنه سخي. قوله: **(وبفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ﴾ أي فلا يبقى له عين ولا أثر. قوله: **(بعد ذبحه)** أي ولما ذبحه سال منه الدم.

قوله: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ﴾ الخ، كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ جملة مستأنفة، ذكرت تسلية له ﷺ وتكثيراً لمعجزاته، وزيادة في علم أمته، ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم، وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأناً، حيث اطلعوا على سير الأوائل. قوله: **(أي كما قصصنا عليك)** أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف، تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقص عليك الخ. قوله: **(هذه القصة)** أل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص، قصة موسى مع فرعون، ومع بني إسرائيل، ومع السامري. قوله: ﴿ذِكْراً﴾ سمي بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة.

قوله: ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ هذه الجملة في محل نصب صفة لذكراً. قوله: **(فلم يؤمن به)** أشار بذلك إلى أن المراد بالإعراض عنه الكفر به، وإنكار كونه من عند الله، كلاً أو بعضاً. قوله: **(من الإثم)** بيان للحمل الثقيل. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يحمل العائد على من باعتبار معناها، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه. قوله: **(أي في الوزر)** أي عقابه، فالكلام على حذف مضاف.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ أي في عذاب الوزر ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ ﴿١٠١﴾ تمييز مفسر للضمير في ساء، والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم، واللام للبيان، ويبدل من يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الكافرين ﴿ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ ﴿١٠٢﴾ عيونهم مع سواد وجوههم ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ يتسارون ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ لَّبِثْتُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴾ ﴿١٠٣﴾ من الليالي بأيامها ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ في ذلك أي ليس كما قالوا ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ ﴾ أعدلهم ﴿ طَرِيقَةً ﴾ فيه ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ ﴿١٠٤﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جداً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ ﴿١٠٥﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا ﴾ منبسطاً ﴿ صَفْصَفًا ﴾ ﴿١٠٦﴾ مستوياً ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ انخفاضاً ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ ﴿١٠٧﴾ ارتفاعاً ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي يوم إذ نسفت الجبال ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ أي الناس بعد القيام من القبور ﴿ ٱلدَّاعِىَ ﴾ إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول هلموا إلى عرض الرحمن ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿ وَخَشَعَتِ ﴾

قوله: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ ﴿سَاءَ﴾ فعل ماض لإنشاء الذم، والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله: ﴿حِمْلاً﴾ و﴿لَهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق بقولك محذوف، و ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لساء، و ﴿حِمْلاً﴾ تمييز، والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله: (وزرهم). قوله: ﴿يَوْمَ نَنْفُخُ﴾ أي نأمر بالنفخ، وفي قراءة سبعية أيضاً بالياء، مع بناء الفعل للمفعول، أي ينفخ إسرافيل. قوله: **(القرن)** أي وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق. قوله: **(النفخة الثانية)** أي لحشر الخلائق. قوله: ﴿زُرْقاً﴾ حال من المجرمين. قوله: **(مع سواد وجوههم)** خصت بالذكر لأنها مظهر القبيح والحسن.

قوله: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يخفضون أصواتهم ويخفونها، لما شاهدوه من الرعب والهول. قوله: **(من الليالي بأيامها)** حمل المفسر العشر على الليالي دون الأيام لتجريده من التاء، فإن المعدود إذا كان مؤنثاً جرد العدد من التاء عكس المذكر. قوله: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي أعدلهم رأياً في الدنيا. قوله: **(لما عاينوه في الآخرة من الهول)** أي فنسب ذلك القول لهم، لشدة ما عاينوا من الهول، لا لكونه أقرب إلى الصدق.

قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي كفار مكة تعنتاً واستهزاء. قوله: **(ثم يطيرها بالرياح)** أي فالمعنى أنها تذهب بقدرة الله، فلا يبقى لهم أثر. قوله: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي يتركها، والضمير عائد على الأرض. قوله: ﴿قَاعاً صَفْصَفاً﴾ حالان من الضمير في يذرها، والقاع المستوي الصلب، والصفصف الأرض الملساء، فهو قريب في المعنى من القاع، فهو توكيد له. قوله: ﴿عِوَجاً﴾ تقدم أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في المحسوسات، وما هنا من الثاني، لكن عبر فيه بالكسر، لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعاني. قوله: ﴿الدَّاعِيَ﴾ أي فيقبلون من كل جهة. قوله: **(وهو إسرافيل)** أي فيضع الصور على فيه، ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول: يا أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه، وقيل المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل، وصححه

سكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ﴿١٠٨﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ ﴿١٠٩﴾ بأن يقول لا إله إلا الله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ ﴿١١٠﴾ لا يعلمون ذلك ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت ﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ﴿١١١﴾ أي شركاً ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ بنقص من حسناته ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على كذلك نقص أي مثل إنزال ما ذكر

بعضهم. قوله: (إلى عرض الرحمن) أي العرض عليه. قوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً، بل يأتونه سراعاً. قوله: ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي لجلاله وهيبته. قوله: ﴿إِلَّا هَمْساً﴾ مفعول به وهو استثناء مفرغ.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ من مفعول به، وهي واقعة على المشفوع له أو على الشفيع، فقول المفسر (أن يشفع له) أي أو يشفع في غيره. قوله: (بأن يقول لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله، والمعنى أن من مات على الإسلام، فقد رضي الله قوله، وأذن له أن يشفع في غيره، وأن يشفع غيره فيه. قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق عموماً. قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ أي بما بين أيديهم وما خلفهم. قوله: (لا يعلمون ذلك) أي لا تفصيلاً ولا إجمالاً، وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ عنا فعل ماض، والتاء للتأنيث و﴿الْوُجُوهُ﴾ فاعل وأصله عنوت، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فهو من باب سما يسمو سمواً، وأما عنى كرضي يعني عنا فهو بمعنى تعب، وليس مراداً هنا، بل المراد خضعت وذلت، وأل في الوجوه للاستغراق أي كل الوجوه، والمراد أصحابها، وخصت الوجوه بالذكر، لأن الذل أول ما يظهر فيها. قوله: ﴿لِلْحَيِّ﴾ أي الذي حياته أبدية، لا أول لها ولا آخر. قوله: ﴿الْقَيُّومِ﴾ أي القائم على كل نفس بما كسبت، فيجازيها على الخير والشر.

قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ أشار بذلك إلى أن الخلائق تنقسم في القيامة قسمين: أهل سعادة، وأهل شقاوة، وكلاهما في خضوع وذل لله جل جلاله، لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالاً وهيبة ورغبة في الله، وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقاً من عذاب الله، ويأساً من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾. قوله: (خسر) أي ظهر خسرانه. قوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ أي تحمله وارتكبه، وهذه الآية باعتبار ظاهرها، تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون، أي معرضون لذلك، ففي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة» فإن الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى، فإذا مات على ذلك، فهو مخلد في النار، وإن مات على الإسلام، فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة في سيئاته والنقص من حسناته. قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ أي وبضدها تتميز الأشياء، فالعاصي الظالم يخاف

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١١٣﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ أي بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه

زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه «يؤخذ من حسناته للمظلوم، فإن لم يبق له حسنات، طرح من سيئات المظلوم عليه». قوله: **(أي مثل إنزال ما ذكر)** أي الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة.

قوله: **﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾** أي على لسان جبريل، مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع. قوله: **﴿عَرَبِيّاً﴾** أي بلغة العرب، ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر. قوله: **﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾** أي التخويف. قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الشرك)** أي يجعلون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا. قوله: **﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾** أي موعظة في القلوب، فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكرار المواعظ في القرآن من مزيد رحمته بعباده، سيما مع إمهالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ، ولذلك يقال للكفار يوم القيامة: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾. قوله: **﴿الْمَلِكُ﴾** أي النافذ حكمه وأمره. قوله: **﴿الْحَقُّ﴾** أي الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً.

قوله: **﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾** المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل في قلبك، حتى يقرأه عليك، وسبب ذلك: أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن، فيلابس جسمه ويضعه في قلبه، فيريد النبي التعجيل والنطق به، فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل باللسان عليه ظاهراً، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً، أنه يكون سنة متبعة لأمته، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشايخ، ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور، بل التلقي له سر آخر.

قوله: **﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾** أي سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول القرآن، فإنها أفضل ما يسأل وأعز ما يطلب، ومن هنا أمر المشايخ المريدين بتلاوة القرآن والتعبد به، بعد كمالهم ونظافة قلوبهم، وما داموا لم يكملوا، يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم، والحكمة في ذلك، أن الغفلة في الذكر أخف منها في القرآن لما في الأثر: رب قارى للقرآن والقرآن يلعنه، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها، ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارف وأخلاقاً، وحينئذ فليس تركهم القراءة في المبدإ، لكون غيره أفضل منه، بل لينظفوا أنفسهم للقراءة. قوله: **(وصيناه أن لا يأكل من الشجرة)** أي نهيناه عن الأكل منها، وحتمنا عليه الأكل منها، فغلب مرادنا على أمرنا. قوله: **(ترك عهدنا)** أي متأولاً حيث غلطه إبليس بقوله: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ وقاسمهما ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ فظن أنه لا يحلف أحد بالله كذباً.

زاد به علمه ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ ﴾ وصينا أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أكله منها ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ ﴿١١٥﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ ﴾ ﴿١١٦﴾ عن السجود لآدم قال أنا خير منه ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ حواء بالمد ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ ﴿١١٧﴾ تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك واقتصر على شقائه لأن الرجل يسعى على زوجته ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها ﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا ﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ ﴿١١٩﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ ﴿١٢٠﴾ لا يفنى وهو لازم الخلد ﴿فَأَكَلَا﴾ أي آدم وحواء ﴿ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يلزقان ﴿ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ليستترا به ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ ﴿١٢١﴾

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ كررت هذه القصة في سبع سور من القرآن، تعليماً للعباد امتثال الأمر واجتناب النهي، وعطف هذه القصة على ما قبلها، من عطف السبب على المسبب، لأن هذه القصة سبب في عداوة إبليس لآدم. قوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي جميعاً، وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه. قوله: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل أو منقطع. قوله: **(كان يصحب الملائكة)** الخ، توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن. قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ النهي لإبليس صورة، والمراد نهيهما عن تعاطي أسباب الخروج، فيتسبب عن ذلك حصول التعب له في الدنيا. قوله: **(واقتصر على شقائه)** أي مع أن النهي لهما معاً.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ الخ، قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعري، والظمأ والضحو، وإن كان الجوع يقابل العطش، والعري يقابل الضحو، لأن الجوع ذل الباطن، والعري ذل الظاهر، والظمأ حر الباطن، والضحو حر الظاهر، فنفى عن ساكن الجنة، ذل الظاهر والباطن، وحر الظاهر والباطن. قوله: **(بفتح الهمزة وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ بيان لصورة الوسوسة. قوله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي بسبب تساقط حلل الجنة عنهما، لما أكلا من الشجرة. قوله: **(يسوء صاحبه)** أي يحزنه. قوله: ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي ورق التين، فصارا يلزقان بعضه ببعض، حتى يصير طويلاً عريضاً يصلح للاستتار به.

قوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي وقع فيما نهى عنه متأولاً، حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة، وضل عن مطلوبه وهو الخلود في الجنة، فمعصيته وقوعه في المخالفة باعتبار الواقع، لا في القصد والنية، بل قصده ونيته امتثال الأمر، وتجنب ما يوجب الخروج، وحينئذ فلا يجوز أن يطلق على آدم

بالأكل من الشجرة ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ قربه ﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ قبل توبته ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ ﴿١٢٢﴾ أي هداه إلى المداومة على التوبة ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا ﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنۡهَا﴾ من الجنة ﴿ جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ ﴾ بعض الذرية ﴿ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿ فَإِمَّا ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿ يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ أي القرآن ﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ ﴿١٢٣﴾ في الآخرة ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي ﴾ أي القرآن فلم يؤمن به ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ

العصيان والغواية، من غير اقتران بالتأويل، ولا نفي اسم العصيان عنه لصريح الآية، وعلى كل حال، فالله عنه راض، وهو معصوم قبل النبوة وبعدها، من كل ما يخالف أمر الله، هذا هو الحق في تقرير هذا المقام. واعلم أن الخطأ والنسيان، يقع من المعصومين للتشريع والمصالح، كما هو معهود في نصوص الشرع، وتسمية الله له في حقهم معصية، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (**بالأكل من الشجرة**)، تقدم أنها الحنطة، وقيل التين، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ**﴾ أي اصطفاه واختاره. قوله: (**قبل توبته**) أي بقوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ الخ. قوله: (**إلى المداومة على التوبة**) أي الاستمرار عليها. قوله: ﴿**قَالَ اهْبِطَا**﴾ أي قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة، لأن مكثهما فيها كان معلقاً على عدم أكلهما من الشجرة، وقد سبق في علمه تعالى أنهما يأكلان منها، فهو أمر مبرم، والمعلق على المبرم مبرم، فإخراجهما ليس للغضب عليهما، بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما، لأنهما خرجا من الجنة منفردين، ويعودان إليها بمائة وعشرين صفاً من أولادهما، لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى. إن قلت: ما الحكمة في تعليق الخروج على الأكل من الشجرة، ولم يكن بلا سبب؟ أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى كريم، ومن عادة الكريم، أن لا يسلب نعمته عن المنعم إليه إلا بحجة، قال تعالى ذلك، بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. قوله: (**أي آدم وحواء**) يحتمل أن (أي) حرف نداء، و (آدم) منادى مبني على الضم في محل نصب، و (**حواء**) معطوف على آدم، ويحتمل أن أي حرف تفسير، وآدم وحواء تفسير للضمير في اهبطا. قوله: (**بما اشتملتما عليه**) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف، حيث جمع فيها، وتقدم لنا وجه آخر في التوفيق بينهما، بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية، وعلى هذا فقوله: ﴿**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**﴾ باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته. قوله: (**من ظلم بعضهم بعضاً**) أي من أجل ظلم بعضهم بعضاً لما في الحديث: «سألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً من سوى أنفسها فاستجاب لي».

قوله: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**﴾ إن شرطية مدغمة في ما الزائدة و ﴿**يَأْتِيَنَّكُمْ**﴾ فعل الشرط مبني على الفتح في محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة و ﴿**مِنِّي**﴾ متعلق بهدى و ﴿**هُدًى**﴾ فاعل، وقوله: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ**﴾ الخ، من شرطية و ﴿**وَاتَّبَعَ**﴾ فعل الشرط، وجملة ﴿**فَلَا يَضِلُّ**﴾ جوابه، وقوله: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ**﴾ الخ، جملة شرطية أيضاً، والجملتان في محل جزم جواب الشرط الأول. قوله: (**أي القرآن**) في تفسير الهدى والذكر فيما يأتي بالقرآن قصور، لأن الخطاب مع آدم وذريته، وهداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل، فالمناسب أن يقول أي كتاب ورسول. قوله:

مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة، وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ﴿١٢٤﴾ أي أعمى البصر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ ﴿١٢٥﴾ في الدنيا وعند البعث ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ ﴿١٢٦﴾ تترك في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ ﴿١٢٧﴾ أدوم ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي كثيراً إهلاكنا ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري لرعاية المعنى لا

(بالتنوين) أي وصلاً وإبداله ألفاً وقفاً، وفي قراءة شاذة ضنكى كسكرى، بألف بدل عن التنوين، إجراء للوصل مجرى الوقف. قوله: (مصدر) أي وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، بل هو بلفظ واحد للجميع، ولذلك لم يقل ضنكة. قوله: (بعذاب الكافر في قبره) أي لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه، ولا يزال في العذاب حتى يبعث، وقيل المراد بالمعيشة الضنكى، الحياة فيما يغضب الله تعالى، وإن كان في رخاء ونعمة، إذ لا خير في نعمة بعدها النار، لما في الحديث: «رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً». قوله: (أي المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت. قوله: (أي أعمى البصر) أي وذلك في المحشر، فإذا دخل النار زال عماه، ليرى مقعده في النار وعذابه بها. قوله: (الأمر) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قدره إشارة إلى أن كذا خبر لمحذوف. قوله: (تركتها ولم تؤمن بها) أي فالمراد بالنسيان الإعراض وعدم الإيمان بها، وليس المراد حقيقة النسيان، وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية، على أن من حفظ القرآن ثم نسيه، يحشر يوم القيامة أعمى، لأنه أمر اختلف فيه العلماء، فمذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب أكيد ابتداء ودواماً فنسيانه مكروه، ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه. قوله: (أدوم) أي لأنه لا ينقطع، بخلاف عذاب الدنيا والقبر.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا فلم يهد لهم. قوله: (يتبين) أشار بذلك إلى أن ﴿يَهْدِ﴾ فعل لازم، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيراً من قبلهم من القرون. قوله: (مفعول به) أي وتمييزها محذوف أي قرناً، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز. قوله: (بتكذيب الرسل) الباء سببية، أي إن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان بالله ورسوله. قوله: (وما ذكر) مبتدأ، وقوله: (لا مانع منه) خبره، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى، لا يتوقف على الحرف المصدري، بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك، لتوقف المعنى عليه، وأما لصحة الإعراب، فلا يكون غالباً إلا بحرف مصدري. قوله: (لذوي العقول) أي السليمة الصافية، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون.

مانع منه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ لعبراً ﴿ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ ﴿١٢٨﴾ لذوي العقول ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازماً لهم في الدنيا ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ﴿١٢٩﴾ مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صلِّ ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ حال أي ملتبساً به ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ صلاة الصبح ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ صلاة العصر ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلِّ المغرب والعشاء ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ عطف على محل من آناء المنصوب أي صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿ لَعَلَّكَ

قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً﴾ أي إن الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة، إكراماً لنبيها، ولولا ذلك، لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية، فتأخيره إمهال لا إهمال، ليتدارك الكافر ما فاته بما بقي من عمره، فإن تاب قبله ربه. قوله: (**معطوف على الضمير المستتر في كان**) أي والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزاماً، أي لازماً لهم، ولم يقل لازمين، لأن لزاماً مصدر في الأصل؛ وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل، وقوله: (**وقام الفصل**) الخ، أي أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل، أو فاصل ما كما هنا، قال ابن مالك:

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلِ عطفت فَافْصُلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلِ

أو فاصل ما. وأحسن ما قرره المفسر أن يجعل قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ معطوفاً على ﴿كَلِمَةٌ﴾ والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسمى، وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم، لكان العذاب العام لازماً. قوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل هو لازم لهم في القيامة، فتسل واصبر ولا تنزعج. قوله: (**منسوخ بآية القتال**) أي وعليه فالمراد بقوله اصبر لا تعاجلهم بالقتال، وقيل إن الآية محكمة، وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية. قوله: (صلِّ) إنما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما، ولأن المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص. والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم، بل صلِّ الصلوات الخمس، ولما كان الأصل في الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة. قوله: (حال) أي من فاعل ﴿سَبِّحْ﴾ والباء في ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ للملابسة كما قال المفسر.

قوله: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ جمع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعى، وأصله أأناه بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المعروفة. قوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المراد بالجمع ما فوق الواحد، لأن المراد به الزمن الذي هو آخر النصف الأول وأول الثاني. قوله: (**المنصوب**) أي بسبح. والمعنى صلِّ في أطراف النهار، وهو الوقت الذي يجمع الطرفين وهو الزوال. قوله: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ متعلق بسبح، أي سبح في هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه ﷺ حبيب رب العالمين

تَرْضَىٰ ﴾ ﴿١٣٠﴾ بما تعطى من الثواب ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿ مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ زينتها وبهجتها ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ بأن يطغوا ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ في الجنة ﴿ خَيْرٌ ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿ وَأَبْقَىٰ ﴾ ﴿١٣١﴾ أدوم ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ ﴾ اصبر ﴿ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ ﴾ نكلفك ﴿ رِزْقًا ﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ الجنة ﴿ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ﴿١٣٢﴾ لأهلها ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي المشركون ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ يَأْتِينَا ﴾ محمد ﴿ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ مما يقترحونه ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم ﴾ بالتاء والياء ﴿ بَيِّنَةُ ﴾ بيان ﴿ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ ﴿١٣٣﴾ المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ قبل محمد الرسول ﴿ لَقَالُوا۟ ﴾ يوم

وأفضل الخلق أجمعين حيث قال له ربه ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ ولم يقل لعلي أرضي عليك ونحو ذلك، ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، وقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، فصلاته ﷺ مأمور بها ليرضى هو، لا ليكفر الله عنه سيئاته، ولا ليرضى عليه، وحينئذ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرة عينه، وللعارفين الكاملين من أمته، نصيب من هذا المقام.

قوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ عطف على ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي لا تنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة، وهذا الخطاب لرسول الله والمراد غيره، لأن ذلك مستحيل عليه، لما ورد: أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، وورد «لست من الدنيا، وليست الدنيا مني». قوله: (أصنافاً) ﴿مِنْهُمْ﴾ أي الخلق، فالدنيا دائرة في أصناف الخلق، فتارة تكون مع الشريف، وتارة مع الوضيع، وهكذا. قوله: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا، بتضمينه معنى أعطينا، والأول هو قوله: ﴿أَزْوَاجاً﴾. قوله: (بأن يطغوا) الباء سببية، أي نفتنهم بسبب طغيانهم فيه. قوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي فعلى الإنسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى، وهو الجنة ونعيمها، ويترك ما يفنى وهو الدنيا، وقسمته الأزلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة.

قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أي أمتك. قوله: ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي وأمرهم بذلك. قوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي نحن متكفلون برزقك، فتفرغ لما كلفت به، ولا تشتغل بما تكفلنا لك به، وروي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهل بيته ضيق، أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. قوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي الجميلة المحمودة لأهل التقوى. قوله: (أي المشركون) أي وهم كفار مكة. قوله: (مما يقترحونه) أي يطلبونه هنا كما تقدم في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ الآيات.

قوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، أي أعموا ولم تأتهم الخ. قوله: (بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أي الكتب المتقدمة، والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوي على أخبار الأمم الماضية. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ كلام

القيامة ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ المرسل بها ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ ﴾ في القيامة﴿ وَنَخْزَىٰ ﴾﴿١٣٤﴾ في جهنم﴿ قُلْ ﴾لهم﴿ كُلٌّ ﴾منا ومنكم ﴿ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ في القيامة ﴿ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ الطريق ﴿ ٱلسَّوِيِّ ﴾ المستقيم ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ ﴿١٣٥﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم.

مستأنف لتقرير ما قبله. قوله: ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا﴾ الخ أي لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة، ويعتذروا بهذا العذر، فقطع عذرهم بإرسال الرسول لهم، ولم يهلكهم قبل مجيئه. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ يحصل لنا الذل والهوان. قوله: ﴿نَخْزَى﴾ أي نفضح. قوله: (ما يؤول إليه الأمر) أي أمرنا وأمركم. قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أي انتظروا. قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ ﴿مَنِ﴾ في الموضعين استفهامية، والكلام على حذف مضاف، والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ، وهو أنهم هم المؤمنون. قوله: ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (من الضلالة) أشار المفسر إلى وجه المغايرة بين القسمين، فأصحاب الصراط السوي، من لم يضل أصلاً كالنبي، ومن أسلم صبياً. ومن اهتدى، هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مكيّة

وهي مائة واحدى أو اثنتا عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ (١) عن التأهب له بالإيمان ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئاً فشيئاً أي لفظ قرآن ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢) يستهزئون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

سورة الأنبياء مكية

وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

سميت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها. قوله: **(مكية)** أي نزلت قبل الهجرة باتفاق. قوله: **(أو اثنتا عشرة آية)** هذا الخلاف مرتب على الخلاف في قوله تعالى: ﴿أفتعبدون من دون الله﴾ إلى قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ هل هو آية واحدة أو آيتان، وأول الثانية قوله: ﴿أف لكم﴾ الخ. قوله: **(أهل مكة)** أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا: محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيد، فأنزل الله ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ وجه قرب الحساب أنه آت لا محالة، وكل آت قريب، أو يقال إن قربه باعتبار ما مضى من الزمان، فإن ما بقي أقل مما مضى. قوله: ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ الجملة حالية أي قرب حسابهم، والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية، وإن كان سببها الرد على كفار مكة، إلا أن العبرة بعمومها.

قوله: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ**﴾ هذا في معنى العلة لما قبله، كأنه قال: معرضون لأنه يأتيهم من ذكر

﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أي الكلام ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو وأسروا النجوى ﴿هَلْ هَذَا﴾ أي محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ تعلمون أنه سحر ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ ۝٤﴾ به ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ كالناقة والعصا واليد

الخ. قوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الجار والمجرور متعلق بيأتيهم. قوله: **(أي لفظ قرآن)** دفع بذلك ما يقال: كيف وصف الذكر بالحدوث، مع أن المراد به القرآن وهو قديم؟ فأجاب: بأن وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا، وأما باعتبار المدلول، وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم، وأما ما دلت عليه الألفاظ الحادثة، فمنها ما هو قديم، كمدلول آية الكرسي والصمدية، ومنها ما هو حادث، كمدلول القصص وأخبار المتقدمين، ومنها ما هو مستحيل، كمدلول ما اتخذ الله من ولد.

قوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾، وكذا قوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ والمعنى ما يقرأ عليهم القرآن، إلا استمعوه في حال استهزائهم، وكون قلوبهم غافلة عن معناه، فلا يسمعونه سماع تدبر وقبول، وكل آية وردت في الكفار، جرت بذيلها على عصاة الأمة، ففي هذه الآية، تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه، وأقبح منه من يطرب سماعه، من حيث اشتماله على الأنغام المعروفة، لا من حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قوله: **(بدل من واو وأسروا النجوى)** أشار بذلك إلى أن أسر فعل ماض، والواو فاعله، و ﴿النَّجْوَى﴾ مفعوله، و ﴿الَّذِينَ﴾ بدل، وهذه إحدى طريقتين للنحويين في الفعل الذي لحقته العلامة وأسند للظاهر، والطريقة الثانية: أن الواو حرف علامة، و ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل وتسمى بلغة أكلوني البراغيث، ولما كانت ضعيفة، لا ينبغي حمل الآية عليها، أعرض عنها المفسر.

قوله: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ بدل من ﴿النَّجْوَى﴾ مفسر لها، أي فكانوا يتناجون بذلك سراً بينهم، ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره. قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أي تحضرونه وتقبلونه. قوله: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ الجملة حالية من فاعل تأتون. قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أشار المفسر إلى أنه حال من القول، أي يعلم القول، حال كون القول كائناً في السماء والأرض. قوله: **(للانتقال من غرض إلى آخر)** أي فلا تقع بل في القرآن، إلا للانتقال لا للإبطال، لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق وإعراضاً عنه، لكونه صدر على وجه الغلط، وتنزه الله عنه، خلافاً لمن يقول: إنها تأتي للإبطال، واستدل بقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾، وقوله: ﴿أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق﴾ ولا دليل في ذلك، لأن بل فيهما للانتقال من الإخبار بقولهم، إلى الإخبار بالواقع، فتأمل. قوله: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: (هو)، والجملة مقول القول. قوله: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها، وليس المراد بالشعر هنا، خصوص الكلام المقفى

قال تعالى ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ ﴾ أي أهلها ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ ٦ ؟ لا ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿ إِلَيۡهِمۡۖ ﴾ لا ملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ٧ ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ ﴾ أي الرسل ﴿جَسَدٗا﴾ بمعنى أجساداً ﴿ لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾ ٨ في الدنيا ﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ ﴾ بإنجائهم ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ أي المصدقين لهم ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ ٩ المكذبين لهم ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ﴾ لأنه بلغتكم

الموزون قصداً، بل ما هو أعم. قوله: **﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾** جواب شراط مقدر، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، بل كان رسولاً كما يزعم فليأتنا الخ. قوله: **﴿كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾** صفة لمصدر محذوف، والتقدير إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين.

قوله: **﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾** **﴿مِنْ﴾** زائدة في الفاعل. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾** رد لقولهم **﴿هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾**. قوله: **﴿يُوحَى إِلَيْهِمْ﴾** أي يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك، إلا رجالاً من أفراد جنسك متأهلين للإرسال. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾** أي المطلعين على أحوال الرسل الماضية، فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال. قوله: **(العلماء بالتوراة والإنجيل)** إنما أحالهم عليهم، لأنهم كانوا يرسلون للمشركين، أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم، فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه، فلا يكذبونهم فيما هم فيه. قوله: **(من تصديق المؤمنين)** المصدر مضاف لمفعوله، والفاعل محذوف، أي أقرب من تصديقكم المؤمنين. والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد، وحال الرسل المتقدمين، وأخبركم أهل الكتاب بذلك، صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين، لألفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين.

قوله: **﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾** رد لقولهم ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ والمعنى لم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام. قوله: **﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾** أي ماكثين على سبيل الخلود في الدنيا، بل يموتون كغيرهم. قوله: **﴿صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾** أي بإهلاك أعدائهم. قوله: **(بإنجائهم)** محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد، فلا يرد من قتل من الرسل، فإنهم لم يؤمروا بالجهاد. قوله: **﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾** أي المؤمنين الذين اتبعوهم. وقد وقع ذلك لرسول الله ﷺ، فإن كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه، لم يموتوا في حروبه، بل بقوا بعده ومهدوا دينه.

قوله: **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً﴾** كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم. والمعنى: كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم، لأنه بلسانكم وعلى لغتكم، فكان بمقتضى الحمية والعقل، أن تعظموا هذا الكتاب، وهذا النبي الذي جاء به، وتكونوا أول مؤمن به، فإعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ فتؤمنون به ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مِن قَرْيَةٍ ﴾ أي أهلها ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ كافرة ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ ﴿١١﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ أي شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة استهزاء ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ ﴾ نعمتم ﴿ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ شيئاً من دنياكم على العادة ﴿ قَالُواْ يَٰ ﴾ للتنبيه ﴿ وَيْلَنَآ ﴾ هلاكنا ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿١٤﴾ بالكفر ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ ﴾ الكلمات ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا ﴾ أي كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف

قوله: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي الثناء عليكم بالجميل، أو شرفكم ومواعظكم. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك؟

قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول مقدم لقصمنا، و﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ بيان لكم. قوله: **(أي أهلها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والمقصود من هذه الآية، تحذير الكفار من هذه الأمة، عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر، بأنهم لا يغرنهم سعة الدنيا عليهم، والتفاخر بالأموال والأولاد، كأن الله يقول لهم: لا تغتروا بذلك، فإننا أهلكنا كثيراً من أهل القرى الكفار، وما جرى عليهم يجري عليكم، وأهل القرى: قيل المراد بهم الأمم الماضية، كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور، بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبياً قبل موسى بن عمران، فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر، فقتل رجالهم وسبى نساءهم، فلما استمر فيهم القتل هربوا، فقالت الملائكة لهم استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم، لعلكم تسألون شيئاً من دنياكم، فإنكم أهل نعمة وغنى، فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى منادي من جو السماء: يا ثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب، حيث لم ينفعهم، فعلى القول الأول كم واقعة على القرى، وعلى الثاني واقعة على أشخاص تلك القرية. قوله: **(أي شعر أهل القرية)** بفتح العين بمعنى علم، وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر قوله: **(يهربون)** أي فالركض كناية عن الهرب. قوله: **(استهزاء بهم)** جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون من الكذب، فكيف يقولون لهم ذلك، مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم؟ فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته، بل سخرية بهم على حد: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾. قوله: ﴿وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ بالجر عطفاً على ﴿مَا﴾. قوله: **(شيئاً من دنياكم)** أي فأنتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء، وهذا توبيخ وتهكم بهم. قوله: **(بالكفر)** أي وقتل موسى.

قوله: ﴿فَمَا زَالَتْ﴾ ما نافية، وزال فعل ماض ناقص، و﴿تِلْكَ﴾ اسمها و﴿دَعْوَاهُمْ﴾ خبرها. قوله: **(الكلمات)** المراد بها قولهم ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. قوله: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي رجالهم، وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم، وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور. قوله: **(كخمود النار)** أي سكون لهبها مع بقاء جمرها، وأما الهمود، فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير

﴿خَٰمِدِينَ﴾ ⑮ ميتين كخمود النار إذا طفئت ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ⑯
عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به من زوجة أو ولد
﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ⑰ ذلك لكنا لم نفعله
فلم نرده ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ نرمي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ﴾ ذاهب، ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب، وهو مقتل ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة
﴿ٱلْوَيْلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ⑱ الله به من الزوجة أو الولد ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ أي الملائكة مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ⑲ لا يعيون ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ⑳ عنه فهو منهم كالنفس منا لا
يشغلنا عنه شاغل ﴿أَمِ﴾ بمعنى بل للانتقال وهمزة الإنكار ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾
كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ ㉑ أي يحيون الموتى لا ولا يكون إلهاً إلا من
يحيي الموتى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ خرجتا

رماداً. قوله: ﴿لاَعِبِينَ﴾ حال من فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾ وهو محط النفي. قوله: **(بل دالين على قدرتنا)** ويسبحوننا بدليل قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾. قوله: **(ونافعين لعبادنا)** أي وتفصيل جهات النفع بها، لا يعلمها إلا الله تعالى.

قوله: **﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً﴾** رد على من أثبت الولد والزوجة لله. قوله: **﴿لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾** جواب **﴿لَوْ﴾** واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم. والمعنى لو تعلقت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد، لاتخذناه من عندنا، لكنا لم نتخذه، فلم تتعلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا. قوله: **﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** يحتمل أن تكون **﴿إِنْ﴾** نافية أي ما كنا فاعلين. قوله: **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾** أي شأننا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل. قوله: **﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الله به)** أشار بذلك إلى أن ما موصولة والعائد محذوف، ويصح أن تكون مصدرية. والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق. قوله: **(أي الملائكة)** عبر عنهم بالعندية، إشارة إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة.

قوله: **﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾** أي يتكبرون. قوله: **﴿وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾** أي لا يكلون ولا يتعبون. قوله: **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾** المقصود من هذا الإخبار، تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها، لأن العبادة والتسبيح، وصف أهل القرب والشرف، وتركها وصف أهل البعد والخسة. قوله: **(فهو منهم كالنفس منا)** أي فهو سجية وطبيعة لهم، ولا يشغلهم التسبيح عن غيره، كلعن الكفرة، ونزول الأرض، وتبليغ الأحكام، وغير ذلك، كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام. إن قلت: إن هذا قياس مع الفارق، لأن آلة النفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن، فهما من جنس الكلام، فاجتماعهما محال. أجيب: بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة، بعضها يسبحون الله به، وبعضها يلعنون أعداء الله به، فلا يقاسون على بني آدم. قوله: **(وهمزة الإنكار)** أي وهو راجع لقوله: **﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾**.

عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء

قوله: ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي حيث ادعوا أنها آلهة لزمهم ما ذكر ضمناً والتزاماً، وإلا فهم لم يدعوا أنها تحيي الموتى.

قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ﴿لَوْ﴾ حرف شرط، و﴿كَانَ﴾ تامة فعل الشرط و﴿آلِهَةٌ﴾ فاعلها، و﴿فِيهِمَا﴾ متعلق بكان، و﴿إِلَّا﴾ بمعنى غير صفة لآلهة، ظهر إعرابها فيما بعدها، وقوله: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ جواب الشرط، ففعل الشرط يقال له المقدم، وجوابه يقال له التالي، واستثناء نقيض التالي، ينتج نقيض المقدم. والمعنى لكنهما لم تفسدا، فلم يكن فيهما آلهة غير الله، والجمع في ﴿آلِهَةٌ﴾ ليس قيداً، وكذا قوله: ﴿فِيهِمَا﴾ وإنما أتى بذلك، رداً على الكفار في اتخاذهم الآلهة في السماء والأرض. قوله: (أي غيره) أشار بذلك إلى أن ﴿إِلَّا﴾ صفة بمعنى غير، فهي اسم، لكن لم يظهر إعرابها إلا فيما بعدها، لكونها على صورة الحرف، ولا يجوز أن تكون أداة استثناء، لا من جهة المعنى، ولا من جهة اللفظ، أما الأول فلأنه يلزم منه نفي التوحيد، إذ التقدير: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا، فيقتضي بمفهومه، أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل، وأما الثاني: فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاماً، وآلهة جمع منكر في الإثبات، فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه. قوله: (**لوجود التمانع بينهم**) أي التخالف بين الآلهة، ويسمى الدليل على ذلك، ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما. وتقريره أن يقال: لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية، وأراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه، فإما أن يتم مرادهما معاً وهو باطل، للزوم اجتماع الضدين، أو لا يتم مرادهما معاً وهو باطل، للزوم عجز من لا يتم مراده، وعجز من يتم مراده أيضاً، لوجود المماثلة بينهما، فبطل التعدد وثبت الوحدانية، وإذا فرض اتفاقهما، فهو باطل، لوجود برهان التوارد، وتقريره أيضاً أن يقال: لو فرض إلهان، وأرادا معاً إيجاد شيء، فإما أن يحصل بإرادتهما معاً وذلك باطل، لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، أو يسبق أحدهما إلى إيجاده، فيلزم عليه عجز الآخر، أو تحصيل الحاصل، ويلزم عجز الأول، لوجود المماثلة بينهما، واعلم أن الدليل على ثبوت الوحدانية لله، النقل والعقل، أما النقل فآيات كثيرة جداً منها ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الحي القيوم هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو﴾ إلى غير ذلك، وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ وكهذه الآية. إذا علمت ذلك، فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق، لكون الفساد مرتباً على فرض الاتفاق والاختلاف، وليس إقناعياً بحسب ما يفهمه المخاطب؛ خلافاً لما تقتضيه عبارة المفسر، حيث أحاله على العادة، وبهذه الآية انتفت الكموم الخمسة: الكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها، والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها، والكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها، والكم المنفصل فيها وهو النظير، والكم المنفصل في الأفعال، وهو المشارك له فيها، والمتصل فيها لا ينفى، لأنه ثابت، لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه. قوله: (**الكرسي**) الصواب إبقاء العرش على ما هو عليه، لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته، والكرسي تحته، وخص العرش بالذكر، لأنه أعظم من غيره، فإذا كان الله رب العرش، كان رب غيره بالأولى.

وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبْحَانَ﴾ تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ أي الكفار الله به من الشريك له وغيره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ عن أفعالهم ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالى أي سواه ﴿ءَالِهَةً﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ أي أمتي وهو القرآن ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا تعالى عن ذلك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي توحيد الله ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ عن النظر الموصل إليه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ أي وحدوني ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ عنده والعبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي بعده ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ تعالى أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ تعالى

قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أي لا يسأل عما يحكم في عباده، من إعزاز وإذلال، وهدى وإضلال، وإسعاد وإشقاء، لأن الرب الخالق المالك لجميع الأشياء. إذا علمت ذلك، فالاعتراض على أفعال الله، إما كفر أو قريب منه. قوله: ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ يقال للخلق: لم فعلتم كذا؟ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم، وتبين بهذا، أن من يسأل عن أعماله كعيسى والملائكة، لا يصلح للألوهية. قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ إضراب انتقالي، من بطلان التعدد، إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها. قوله: (فيه استفهام توبيخ) أي من حيث إن ﴿أَمِ﴾ بمعنى الهمزة، وسكت عن كونها بمعنى بل هنا، والمناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضاً. قوله: (على ذلك) أي الاتخاذ، كأن الله يقول لهم: نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا، فأتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا. قوله: ﴿هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي﴾ أي عظتهم ومتمسكهم على التوحيد. قوله: (ليس في واحد منها) أي فراجعوها وانظروا، هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك؟ قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إضراب انتقالي، من محاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم، لا يميزون بين الحق والباطل. قوله: ﴿الْحَقَّ﴾ الكلام على حذف مضاف، أي توحيد الحق.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الخ، تقرير لما قبله من كون التوحيد، نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير عائد على فرق من العرب، وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة حيث قالوا: الملائكة بنات الله. قوله: (والعبودية تنافي الولادة) أي لأن عبد الإنسان لا يكون ولده، وهذا بحسب المعتاد عندهم. قوله: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل. قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي فهم يراقبونه في جميع أحوالهم، فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده، لعلمهم بأنه تعالى محيط بهم. قوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ

﴿مُشۡفِقُونَ﴾ ٢٨ أي خائفون ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٢٩ أي المشركين ﴿أَوَلَمۡ﴾ بواو وتركها ﴿يَرَ﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي سداً بمعنى مسدودة ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ أي جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ٣٠ بتوحيدي ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا﴾ أي

ٱرۡتَضَىٰ﴾ أي إن كان مؤمناً فلا يقدمون على الشفاعة، إلا لمن علموا أن الله راض عنه ويقبل شفاعتهم فيه. قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ أي وجلون لا يأمنون مكره، والإشفاق الخوف مع الإجلال؛ ويرادفه الخشية.

قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وهذا على سبيل الفرض والتقدير، لأنهم معصومون من الكفر والمعاصي، ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم **(وهو إبليس)** كما قال المفسر، وكونه من الملائكة، باعتبار أنه كان بينهم وملحقاً بهم في العبادة حتى قيل: إنه كان أعبدهم. قوله: **(دعا إلى عبادة نفسه)** أي لأجل الاضلال والإغواء، ولا مانع من ذلك، كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة، كالقمر والشمس وغير ذلك، ودعواه أنه رب العالمين، وكما وقع لبرصيصا العابد، حيث أتى له وهو مصلوب وقال له: اسجد لي وأنا أخلصك، وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله وتعالى وآيساً من رحمته. إذا علمت ذلك، فكلام المفسر لا غبار عليه. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي إياها.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ الهمزة داخله على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير ألم يتفكروا ولم يعلموا. قوله: **(بواو ودونها)** قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد، وأن ما سوى الله مقهور، وهو القاهر فوق عباده. قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقاً﴾ أي شيئاً واحداً، لما روي أن الله خلق السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحاً توسطها ففتقها بها، وقيل خلق السماوات قطعة واحدة مرتفعة، والأرض قطعة واحدة منخفضة، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، لكن السماوات طباق، والأرض مختلف فيها، قيل مجاوزة لبعضها، كناية عن الأقاليم السبعة، وتقدم الجواب عن جمع السماوات وإفراد الأرض، بأن جنس السماوات مختلف بخلاف الأرض. قوله: **(أن كانت لا تمطر)** بفتح الهمزة مصدرية، أي كونها لا تمطر فأمطرت.

قوله: ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم، و ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول أول مؤخر، والمعنى ناشئاً ومتسبباً عنه. قوله: **(نبات وغيره)** أي فالحياة في كل شيء بحسبه، فحياة الحيوان قيام الروح به، وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره. قوله: ﴿رَوَاسِي﴾ جمع راسية من رسا

الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل أي طرقاً نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٣١﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَّحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو لنجوم ﴿فِى فَلَكٍ﴾ أي مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ يسيرون بسرعة كالسابح في الماء وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل، ونزل لما قال الكفار إن محمداً سيموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ أي البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿كُلُّ

الشيء إذا ثبت واستقر. قوله: ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ قدر المفسر (لا) النافية لصحة التعليل، أي لأجل عدم تحركها بهم، لأن تثبيتها بالجبال، لأجل عدم التحرك لا للتحرك. قوله: **(إلى مقاصدهم)** أي الدنيوية والأخروية. قوله: **(كالسقف للبيت)** أي وهذا ما عليه أهل السنة، وقالت الحكماء: إن السماء محيطة بالأرض، كإحاطة بياض البيضة بصفارها. إذا علمت ذلك، فلا فرار من قضاء الله إلا إليه. قوله: ﴿مَحْفُوظاً﴾ **(عن الوقوع)** أي أو عن الفساد والخلل. قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ آيَاتِهَا﴾ أي الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله. قوله: **(من الشمس والقمر)** أي وغيرهما كالنجوم، وارتفاعها من غير عمد، ونزول الماء منها. قوله: **(لا يتفكرون فيها)** أي مع أنهم لو سئلوا عمن خلق السماوات والأرض ليقولن الله.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ﴾ فيه التفات من التكلم للغيبة. قوله: **(من الشمس والقمر)** بيان للمضاف إليه المحذوف. قوله: **(أي مستدير كالطاحونة)** أي كهيئة فلك المغزل أي تقالته، وقيل الفلك السماء التي فيها تسير تلك الكواكب، كما تسير السفن في البحر، واختلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال: قيل إن الفلك ساكن، والسير للكواكب، وهو الذي يدل عليه لفظ القرآن. وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة، وحركة كل تدافع حركة الآخر. وقيل إن الفلك متحرك، والكواكب ساكنة، ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى، واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض، وعليه الحكماء، أو منتهى سيرهما في العالم العلوي، وعليه أهل السنة. قوله: **(وللتشبيه به)** جواب عما يقال: لم جمعهما بضمير العقلاء؟ فأجاب: بأنه لما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعاً جمعهم. قوله: **(نزل لما قال الكفار إن محمداً سيموت)** أي شماتة به.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أي سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك، بل ومن بعدك، لا يخلد في الدنيا، بل يذوق الموت، واقتصر على البشر وإن كان غيره كذلك، بدليل ما بعده للرد عليهم لكونهم من البشر. قوله: **(فالجملة الأخيرة)** الخ، أي فالهمزة مقدمة من تأخير، لأن الاستفهام له الصدارة، والأصل أفهم الخالدون إن متّ.

نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾ مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أو لا ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥﴾ فنجازيكم ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي مهزوءاً به يقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي يعيبها ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمۡ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ به إذ قالوا ما نعرفه، ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ۝٣٧﴾ فيه فأراهم القتل ببدر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ فيه، قال تعالى ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٣٩﴾ يمنعون منها في القيامة وجواب لو ما قالوا ذلك ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ تحيرهم

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى، وهو دليل لما قبله أعم منه، وليس معيناً، وقوله: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم، وهي في غاية الصعوبة جداً، ومثلوه بعصر القصب بالآلة المعروفة، فإنه لا يبقى فيه طراوة أصلاً، بل يؤخذ للنار حالاً، غير أن المؤمن يتسلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم، والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب المقيم. قوله: (نختبركم) أي نعاملكم معاملة المختبر، إذ لا يخفى على الله شيء. قوله: (تصبرون) راجع للشر، وقوله: (وتشكرون) راجع للخير، فالمؤمن الكامل يشاهد الأشياء عن الله، فإذا ابتلي بالفقر والمرض مثلاً، رضي به وازداد إقبالاً عليه، وإذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلاً، ازداد شكراً وخوفاً من الله، فهو راض عن الله في الحالتين، وأما الكافر والفاسق، فيشاهد الأشياء من الخالق، فإذا ابتلي سخط، وإذا أنعم عليه بطر، فهو مغضوب عليه في الحالين. قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون، فيظهر لكم جزاء أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رأى بصرية، أي أبصرك المشركون. قوله: ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ و ﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى (ما) كما قال المفسر. قوله: (يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿أَهٰذَا الَّذِي﴾ الخ، مقول لقول محذوف، والمعنى يقول بعضهم لبعض في حال الهزء والسخرية ﴿أَهٰذَا﴾ الخ. قوله: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿كَافِرُونَ﴾ خبره، و ﴿بِذِكْرِ﴾ متعلق به، و ﴿هُمْ﴾ الثانية، تأكيد لفظي للأولى، وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد، وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول، وإضافة ذكر للرحمن، من إضافة المصدر لفاعله، كما أشار له المفسر، حيث قدر لهم، وحينئذ فالمراد بالذكر، إرشاد الله لعباده، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ويحتمل أنه مضاف لمفعوله، أي ذكرهم الرحمن بالتوحيد. قوله: (إذ قالوا ما نعرفه) أي الرحمن، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، وهو مسيلمة الكذاب. قوله: (في استعجالهم العذاب) أي حيث قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ يحفظكم ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ من عذابه إن نزل بكم، أي لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ أي القرآن ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ لا يتفكرون فيه ﴿ أَمْ ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار أي أ ﴿ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم ﴾ مما يسوؤهم ﴿ مِّن دُونِنَا ﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ أي الآلهة ﴿ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ فلا ينصرونهم ﴿ وَلَا هُم ﴾ أي الكفار ﴿ مِّنَّا ﴾ من عذابنا ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ يجارون يقال صحبك الله أي حفظك وأجارك ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ فاغتروا بذلك ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي

قوله: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ هو ضد البطء، أي السرعة في الأمور. قوله: **(أي إنه لكثرة عجله في أحواله)** الخ، أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة بالكناية، حيث شبه العجل من حيث إن الإنسان طبع عليه، حتى صار كالجبلة له بالطين الذي خلق منه البشر، وطوى ذكر المشبه، ورمز له بشيء من لوازمه وهو خلق، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة في الأمور والعجلة فيها، حتى إنه يقع في المضرة ولا يشعر. قوله: **(مواعيدي بالعذاب)** المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب في الدنيا، كوقعة بدر وغيرها، وفي الآخرة كعذاب النار. قوله: **﴿وَيَقُولُونَ﴾** أي استهزاء واستعجالاً للعذاب. قوله: **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** شرط حذف جوابه، والتقدير فأتوا به، وهو خطاب منهم للنبي وأصحابه. قوله: **(قال تعالى)** كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به. قوله: **﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾** أي فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية. قوله: **(ما قالوا ذلك)** قدره إشارة إلى أن جواب **(لو)** محذوف.

قوله: **﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾** إضراب انتقالي من قولهم إلى بيان كيفية وقوع العذاب بهم. قوله: **﴿رَدَّهَا﴾** أي دفعها. قوله: **(فيه تسلية للنبي)** أي حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم. قوله: **﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾** الخ، أي قل يا محمد للمستهزئين القائلين لا نعرف الرحمن: من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه ان أراده بكم؟ وقدم الليل لكثرة الآفات فيه. قوله: **(والمخاطبون)** الخ، توطئة لقوله: **﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**. والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن، غير أنهم لا يخالفونه لإعراضهم عن ذكره. قوله: **(فيها معنى الهمزة)** أي زيادة على **﴿بَلْ﴾**. قوله: **﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾** أي فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم. قوله: **(يجارون)** أي ينقذون. قوله: **﴿بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ﴾** الخ، إضراب عما توهموه من أن حفظهم وإمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم، بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم. قوله: **(بالفتح على النبي)** أي وتسليط المسلمين عليهم. قوله: **﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾** استفهام توبيخ وتقريع، وفيه معنى الإنكار، ولذا قدر المفسر **(لا)**، وقوله: **(بل النبي وأصحابه)** أي وهم الغالبون.

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بالفتح على النبي ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾، لا، بل النبي وأصحابه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يُنذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أي هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ بالإشراك وتكذيب محمد ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ذات العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من نقص حسنة أو

قوله: ﴿قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم، حيث أقام لهم الحجج والبراهين، فلم يذعنوا لها. قوله: ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بالياء المفتوحة، ورفع ﴿الصُّمُّ﴾ على الفاعلية، ونصب ﴿الدُّعَاءَ﴾ على المفعولية، وفي قراءة سبعية أيضاً بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبي، والصم مفعوله الأول، والدعاء مفعوله الثاني، والمقصود من ذلك تسليته ﷺ، كأن الله يقول له: أرح قلبك ولا تعلقه بهم، وارض بحكم الله فيهم. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي همزة الدعاء وهمزة إذا. قوله: (وتسهيل الثانية) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (وقعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالمس والنفخ، والتاء الدالة على المرة، والنفخ في الأصل هبوب رائحة الشيء، والمعنى ولئن أصابهم عذاب خفيف، ليقولن تحسراً وتندماً يا ويلنا الخ، وهو كناية عن كونهم في غاية الضعف والحقارة، ومن كان كذلك فلا يبالى به.

قوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ هذه الآية آخر خطابات قريش في هذه السورة، والجمع في الموازين للتعظيم، فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعامود، كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب، ومكانه قبل الصراط، كفته اليمنى للحسنات وهي نيرة عن يمين العرش، وكفته اليسرى للسيئات، وهي مظلمة عن يساره، يأخذ جبريل بعاموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل أمين عليه، يحضره الجن والإنس، ووقته بعد الحساب، ولا يكون الوزن في حق كل أحد، بل هو تابع للحساب، فمن حوسب وزنت أعماله، ومن لا فلا، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر، ليجازوا عليها بالعقاب، زيادة على عذاب الكفر، وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية، كالعتق وصلة الرحم والوقف، فيخفف عنهم بذلك من عذاب الكفر، فتوزن أعمالهم لأجل ذلك، لا للنجاة من عذاب الكفر، فإنه لا يخفف عنهم ولا ينقطع، وأما قوله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ فمعناه نافعاً بحيث ينجون من الخلود في النار، وقيل حسناتهم التي فعلوها، يجازون عليها في الدنيا، كصحة وعافية، ولا يجازون عليها في الآخرة أصلاً، واختلف هل الوزن بصنج أو لا، واستظهر الأول تحقيقاً للعدل، فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات، فإن رجح أحدهما، وضع صنج بقدر ما رجح، فينعم بقدره، أو يعذب بقدره، فإن لم يكن له إلا حسنات فقط، أو سيئات فقط، وضعت الصنج في الكفة الأخرى. واختلف أيضاً، هل الأعمال تصور وتوزن، فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية، ثم توضع في كفة الحسنات، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية، ثم توضع في كفة السيئات، أو توزن

زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ محصين في كل شيء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ أي عظة بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس أي في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ﴾ أي أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أي خائفون ﴿وَهَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِ

الصحائف، أو توزن الأشخاص؟ ولا مانع من حصول ذلك كله. قوله: ﴿الْقِسْطَ﴾ أفرد لأنه مصدر، وصف به مبالغة أو على حذف مضاف. قوله: ﴿شَيْئاً﴾ إما مفعول ثان أو مفعول مطلق.

قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ (العمل) قدره المفسر إشارة إلى أن ﴿كَانَ﴾ ناقصة اسمها مستتر يعود على (العمل) و ﴿مِثْقَالَ﴾ بالنصب خبرها، وفي قراءة سبعية برفعه على أنها تامة. قوله: ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ المراد أقل قليل. قوله: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ أي عالمين، والمقصود منه التحذير، لأن الإنسان العاقل، إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه، وإحاطة علمه بجزئيات أعماله، فإنه يكون على حذر وخوف منه. قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ شروع في ذكر قصص الأنبياء، تسلية له ﷺ، وزيادة في علم أمته، وذكر منها عشر قصص: الأولى قصة موسى وهارون، الثانية قصة إبراهيم، الثالثة قصة لوط، الرابعة قصة نوح، الخامسة قصة داود وسليمان، السادسة قصة أيوب، السابعة قصة إسماعيل وإدريس وذي الكفل، الثامنة قصة يونس، التاسعة قصة زكريا، العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع. قوله: ﴿وَضِيَاءً﴾ أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي عذابه. قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل في ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس، والناس في ذلك مراتب، فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه، ولكن قلبه غير ذائق لذلك، وهذا محجوب قد تقع منه المعاصي، ومنهم من يراقب الله بقلبه، بحيث يشاهد أنه في حضرة الله، وأنه مطلع عليه، وهذا أعلى من الأول، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة، ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته، وهذا أعلى المقامات، ويسمى مقام المشاهدة. قوله: ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ خصت بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه. قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي كثير الخير.

قوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ الخطاب لأهل مكة تقريعاً لهم، أي إن هذا القرآن فيه تذكيركم، وفيه خير كثير، أيليق منكم إنكاره والاستهزاء به. قوله: (أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا، حين خرج من السرب وهو صغير، وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله، وليس المراد به النبوة، وقيل من قبل موسى وهارون، وعليه فالمراد بالرشد النبوة، فتحصل أنه وإن كان المراد بقوله: ﴿قَبْلُ﴾ قبل البلوغ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا، لأن الله لم يتخذ ولياً جاهلاً بمعرفته فضلاً عن نبي، وإن كان المراد به قبل موسى وهارون، فالمراد بالرشد النبوة وإرشاد الخلق. قوله: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي ولم نزل كذلك.

عَلِمِينَ﴾ (٥١) أي بأنه أهل لذلك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ (٥٢) أي على عبادتها مقيمون ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ (٥٣) فاقتدينا بهم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٤) بين ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ (٥٥) فيه ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (٥٦) به ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ (٥٧) ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَٰذًا﴾ بضم الجيم وكسرها فتاتاً بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) فيرون ما فعل بغيره ﴿قَالُواْ﴾

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ﴾ ظرف لقوله: ﴿آتَيْنَا﴾ أو لمحذوف أي اذكر. قوله: ﴿لأَبِيهِ﴾ أي آزر. قوله: ﴿التَّمَاثِيلُ﴾ جمع تمثال، وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب، وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنماً، بعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وبعضها من نحاس، وبعضها من حجر، وبعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وفي عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل. قوله: ﴿عَاكِفُونَ﴾ عبر بالعكوف الذي هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما، ولم يعبر بالعبادة تحقيراً لهم. قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ الخ، أجابوا بذلك، وإن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه مآل سؤاله، إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره، كأنه قال: ما هي؟ لأي شيء عبدتموها، وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد. قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي لعدم استنادكم إلى دليل.

قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ الخ، أي لما استبعدوا تضليل آبائهم، ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا: أصدق ما تقوله؟ أم أنت هازل فيه؟ قوله: ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ﴾ الخ، إضراب عن قولهم بإقامة البرهان على صدق ما ادعاه. قوله: ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ أي على ما ذكرته من كون ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دون ما عداه. قوله: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي العالمين بالبرهان.

قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية، فلما لم يفد فيهم الدليل القولي، عدل إلى الدليل الفعلي وهو الكسر، والمعنى لأجتهدن في كسرها، وأكيدنكم فيها. قوله: **(بعد ذهابهم إلى مجتمعهم)** أي وقد ذهب معهم إبراهيم، فلما كان في أثناء الطريق، ألقى نفسه وقال: إني سقيم، اشتكى رجله فتركوه ومضوا، ثم نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفاء الناس: تالله لأكيدن أصنامكم، فسمعها الضعفاء، فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام، وقبالة الباب صنم عظيم، وإلى جنبه أصغر منه، وهكذا كل صنم أصغر من الذي يليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاماً يأكلون منه، إذا رجعوا من عيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه فكسرها. قوله: **(بضم الجيم وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بفتحها. قوله: **(بفأس)** هو مهموز الآلة التي يكسر بها الحجر. قوله: ﴿إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾ أي لم يكسره بل تركه، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يصح أن يعود على الأصنام

بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ فيه ﴿قَالُوا۟﴾ أي بعضهم لبعض ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي ظاهراً ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾ عليه أنه الفاعل ﴿قَالُوٓا۟﴾ له بعد إتيانه ﴿ءَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿قَالَ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ أي بعبادتكم من لا ينطق ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟﴾ من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي ردوا إلى

أو على عابديها. قوله: ﴿مَنْ فَعَلَ هٰذَا﴾ أي التكسير، و﴿مَنْ﴾ يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ، و﴿فَعَلَ هٰذَا﴾ خبره أو موصولة، و﴿فَعَلَ﴾ صلته، و﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ خبره.

قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى﴾ القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه. قوله: **(أي يعيبهم)** أي ينقصهم ويستهزىء بهم. قوله: ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه، أو مبتدأ خبره محذوف، أي يقال له إبراهيم فاعل ذلك، أو منادى، وحرف النداء محذوف، أو خبر لمحذوف، أي يقال له هذا ابراهيم. قوله: ﴿قَالُوا فَائْتُوا بِهِ﴾ القائل لذلك النمروذ. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي لعل الناس يشهدون عليه بفعله، بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** أي بإدخال ألف بينهما وتركه، فتكون القراءات السبعيات خمساً، وحاصلها أن الهمزتين إما محققتان، أو الثانية مسهلة، وفي كل إما بإدخال ألف بينهما أو لا، فهذه أربع، والخامسة إبدال الثانية ألفاً.

قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا﴾ اعلم أن هذا من التعريض، لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه، وعاجز عنه، وأثبت للعاجز بطريق التهكم به، لزم منه انحصاره في الآخر، فهو إشارة لنفسه، مضمناً فيه الاستهزاء والتضليل. وقوله: ﴿هٰذَا﴾ بدل من ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ أو نعت له، ورد أن ابراهيم قال لهم: إن الكبير غضب من إشراككم معه غيره الصغار في العبادة فكسرهن، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ أي إن كانوا ممن يمكن أن ينطق، وخص النطق بالذكر، وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبكيتهم. قوله: **(فيه تقديم جواب الشرط)** أي وهو قوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ﴾ وفيه إشارة إلى أن قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا﴾ مرتبط بقوله: ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ والمعنى بل فعله كبيرهم هذا، إن كانوا ينطقون فاسألوهم.

قوله: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي إلى عقولهم، وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة، أو جلب المنفعة، كيف يصلح أن يكون إلهاً؟ قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ أي انقلبوا إلى المجادلة والكفر، بعد استقامتهم بالمراجعة، ونكسوا بالتخفيف مبنياً للمفعول في القراءة العامة، وفاعل النكس هو الله كما

كفرهم وقالوا والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه ﴿أُفٍّ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أي نتناً وقبحاً ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

يشير له المفسر، وقرىء شذوذاً بالتشديد وبالتخفيف مبنياً للفاعل. قوله: **(أي ردوا إلى كفرهم)** أي الاستمرار عليه. قوله: **(وقالوا والله)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾ الخ، جواب قسم محذوف. قوله: **(بكسر الفاء)** أي مع التنوين وتركه، وقوله: **(وفتحها)** أي بترك التنوين، فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فلا تعقلون.

- **فائدة** - ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتان منها في ذات الله، قوله: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾، وقوله: ﴿**كَبِيرُهُمْ هَٰذَا**﴾، وقوله لسارة: ﴿**هَٰذِهِ أُخْتِي**﴾» والمعنى لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب، إلا هذه الكلمات الثلاث، فقوله: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ أراد سقيم القلب من ضلالتكم، وقوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا**﴾ تبكيت لقومه: وقوله: ﴿**هَٰذِهِ أُخْتِي**﴾ أي في الدين والخلقة، فهذه الألفاظ صدق في نفسها، ليس فيها كذب أصلاً، ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله، أنهما من أجل غيرته على الله، وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته، وهذا ما فتح الله به.

قوله: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ**﴾ القائل ذلك: النمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن نمروذ بن كوس بن حسام بن نوح عليه السلام، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هينوب، خسف الله به الأرض. والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل، أن إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم، فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة. قوله: **(فجمعوا له الحطب)** الخ، حاصل القصة في ذلك: أنه لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم، حبسوه في بيت، وبنوا بنياناً كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى، ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر، حتى كان الرجل يمرض فيقول: لئن عوفيت لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه، لئن أصابته لتحطبن في نار إبراهيم، وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بغزلها احتساباً في دينها، وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه، فلما جمعوا ما أرادوا، وأشعلوا في كل ناحية من الحطب ناراً فاشتعلت النار واشتدت، حتى إن كان الطير ليمر بها، فيحترق من شدة وهجها وحرها، فأوقدوا عليها سبعة أيام، فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم، فلم يعلموا كيف يلقونه، فقيل: إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه، ثم عمدوا إلى إبراهيم، فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان، ووضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً، فصاحت السماء والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة: أي ربنا، إبراهيم خليلك يلقى في النار، وليس في أرضك أحد يعبدك غيره، فائذن لنا في نصرته، فقال الله تعالى: إنه خليلي،

نصرتها، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله (وسلاماً) سلم من الموت ببردها ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ وهو التحريق ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ ﴿٧٠﴾ في مردهم ﴿ونجيناه وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هاران

ليس لي خليل غيره، وأنا الإله ليس له إله غيري، فإن استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري، فأنا وليه وأنا أعلم به، فخلوا بيني وبينه، فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خازن المياه وقال: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الهواء وقال: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، روي أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. ثم رموا به في المنجنيق إلى النار، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن ست وعشرين سنة، ولما ألقي فيها، جعل كل شيء يطفىء النار إلا الوزغ، فإنه كان ينفخ في النار، فصم بسبب ذلك، وأمر ﷺ بقتله، وكان من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك. ذكر بعض الحكماء، أن الوزغ لا يدخل بيتاً فيه زعفران. ومدة مكثه في النار سبعة أيام، وقيل أربعون يوماً، وقيل خمسون يوماً. قوله: (في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة، فارسي معرب، لأن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب.

قوله: ﴿كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً﴾ أي ابردي برداً غير ضار. ورد أنه لما ألقي، أخذت الملائكة بضبعيه، فأقعدوه على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس، وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وجلس معه يحدثه ويقول له: يا إبراهيم إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبائي؟ قال إبراهيم: ما كنت أياماً قط، أنعم مني من الأيام التي كنت في النار، ثم نظر نمروذ، وأشرف على إبراهيم من صرح له، فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه، فناداه يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته، أن حال بينك وبين النار لكبير، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم، قال: هل تخشى إذا قمت أن تضرك؟ قال: لا، قال: قم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما وصل إليه قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظل، أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها، قال نمروذ: يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قرباناً، لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، حين أبيت إلا عبادته وتوحيده، وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة، قال إبراهيم: إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبحها له، فذبحها له نمروذ، وكف عن إبراهيم عليه السلام. قوله: (وبقوله سلاماً) الخ. أي ولو لم يقل على إبراهيم، لما أحرقت النار أحداً ولما أوقدت.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الأَخْسَرِينَ﴾ أي لأنهم خسروا السعي والنفقة، فلم يحصلوا مرادهم، ويحتمل

من العراق ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ أي لإبراهيم وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافَّات ﴿ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ ﴿٧٢﴾ أنبياء ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ ﴾ الناس ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ إلى ديننا ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا ﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي

أن المراد بالأخسرين الهالكون، لأن الله سلط عليهم البعوض، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت في رأس النمروذ بعوضة فأهلكته. قوله: **(ابن أخيه هاران)** أي الأصغر، وكان له أخ ثالث اسمه ناخور، والثلاثة أولاد آزر، وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به. قوله: **(من العراق)** أي وصحب معه لوطاً وسارة، ونزل بحران فمكث بها، ثم خرج منها حتى قدم مصر، ثم خرج ورجع إلى الشام، فنزل بالسبع من أرض فلسطين، وترك لوطاً بالمؤتفكة، فبعثه الله نبياً إلى أهلها وما قرب منها. قوله: **(بكثرة الأنهار والأشجار)** أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية، وعليه يحمل ما ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره؟ فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين، إن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده، وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق. قوله: **(بفلسطين)** بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لا غير، قرى بيت المقدس. قوله: **(ولوط بالمؤتفكة)** هي قرى قوم لوط، رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله. قوله: **(كما ذكر في الصافات)** أي في قوله: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾. قوله: **﴿نَافِلَةً﴾** حال من يعقوب، أي أعطى يعقوب لإبراهيم زيادة على مطلوبه. قوله: **(وولداه)** أي إسحاق ويعقوب. قوله: **(وإبدال الثانية ياء)** هو وجه من جملة خمسة أوجه، تقدمت في سورة براءة. قوله: **﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** أي يدعون الناس بوحينا. قوله: **﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾** عطف خاص على عام، لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والزكاة أفضل العبادات المالية. قوله: **﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾** تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، أي كانوا لنا لا لغيرنا.

قوله: **﴿وَلُوطاً﴾** منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا. قوله: **(فصلاً بين الخصوم)** أي على وجه الحق. قوله: **﴿وَعِلْماً﴾** أي بالشرائع والأحكام. قوله: **(أي أهلها)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أو فيه مجاز عقلي. قوله: **(الأعمال)** قدره إشارة إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف. قوله: **(والرمي بالبندق)** أي رمي المارة بالبرام، وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا في هذه الأمة. قوله: **(وغير ذلك)** أي كالضراط في المجالس. قوله: **(بأن أنجيناه من قومه)** المناسب أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا أي جنتنا، وإلا فيلزم عليه التكرار. قوله: **﴿وَ﴾ (اذكر)** قدره إشارة إلى أن **﴿نُوحاً﴾** منصوب بفعل محذوف، وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان

كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي أهلها الأعمال ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه نقيض سره ﴿فَٰسِقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله رب لا تذر الخ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٦﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾ منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي قصتهما، ويبدل منهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم، وقال

ستين سنة، فجملة عمره ألف وخمسون سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: **(بقوله رب لا تذر على الأرض)** الخ، أي بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن. قوله: **(الذين في سفينته)** وجملتهم ستة رجال ونساؤهم، وقيل أربعون رجلاً وأربعون امرأة. قوله: **(منعناه)** أشار بذلك إلا أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدي بمن. قوله: **(أن يصلوا إليه)** أي لئلا يصلوا إليه، فهو تعليل لنصرناه.

قوله: **﴿وَدَاوُد وَسُلَيْمَانَ﴾** معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**، وعاش داود مائة سنة، وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة، وقيل وتسع وسبعون، وعاش ولده سليمان تسعاً وخمسين، وبينه وبين مولد النبي ﷺ نحو ألف سنة وسبعمائة سنة. قوله: **(أي قصتهما)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(ويبدل منهما)** في الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف. قوله: **﴿إِذْ يَحْكُمَانِ﴾** عبر عنه بالمضارع، استحضاراً للحال الماضية لغرابتها. قوله: **(هو زرع أو كرم)** هما قولان للمفسرين، وعلى كل كان قبل تمام نضجه. قوله: **﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾** أي تفرقت وانتشرت فيه فأفسدته. قوله: **﴿غَنَمُ الْقَوْمِ﴾** أي بعض القوم، أي قوم داود وهم أمته.

قوله: **﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾** أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا، فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها. قوله: **(فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين)** أي بناء على أن أقل الجمع اثنان، ويجاب أيضاً بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما. قوله: **(قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم)** أي عوضاً عن حرثه. وحاصل تلك القصة: أن رجلين دخلا على داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا قد انفلتت غنمه ليلاً، فوقعت في حرثي فأفسدته، فلم تبق منه شيئاً، فأعطاه داود رقاب الغنم في الحرث، فخرجا فمرا على سليمان، وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا، وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين، فأخبر بذلك داود، فدعاه فقال له: بحق النبوة والأبوة، إلا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: أدفع الغنم لصاحب الحرث، ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها، ويزرع صاحب الغنم

سليمان: ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان وقيل بوحي والثاني ناسخ للأول﴿وَكُلًّا﴾منهما﴿ءَاتَيْنَا﴾ه ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾كذلك سخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجباً عندكم أي مجاوبته للسيد داود﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾وهي الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح﴿لَّكُمْ﴾في جملة الناس

لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه، وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت، ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روي: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصغرى.

قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي فهمناه الصواب فيها. قوله: **(وحكمهما باجتهاد)** الخ، أي ويجوز الخطأ على الأنبياء، إذا لم يكن فيه مفسدة، ولكن لا يبقيهم الله عليه لعصمتهم، والمجتهد مأجور، أخطأ أو أصاب، لكن المصيب له أجران، والمخطىء له أجر واحد. قوله: **(وقيل بوحي)** أي لكل منهما وهذا في شريعتهم، وأما في شريعتنا فمذهب مالك ما أتلفته البهائم ليلاً، وهي غير معروفة بالعداء، ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها، وإن زاد على قيمتها يقوم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف، وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت، وأما ما أتلفته نهاراً وهي غير عادية، ولم يكن معها راع، وسرحت بعيدة عن المزارع، فلا ضمان على ربها، وإن كان معها راع، أو سرحها ربها قرب المزارع، أو كانت عادية، فعلى ربها ليلاً أو نهاراً، ومذهب أبي حنيفة، لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلاً أو نهاراً، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، ومذهب الشافعي فيه تفصيل فانظره، ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا، بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل الحرث، وصاحب الغنم مفلس، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث. قوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ دفع بذلك ما يتوهم من قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أن داود ناقص في العلم.

قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ أي ذللنا. قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حال من ﴿الْجِبَالَ﴾، وقوله: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب، فالنصب إما على أنه مفعول معه، أو معطوف على الجبال، والرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله: **(كذلك)** وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب. قوله: **(لأمره به إذا وجد فترة)** أي فكأنه إذا وجد فترة، أمر الجبال والطير فيسبحن. قوله: **(إن كان عجباً عندكم)** أي مستغرباً، وقد اتفق في هذه الأمة لغير واحد منها، كالسيد الدسوقي وأمثاله.

قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صُنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وسبب ذلك، أنه مر به ملكان على صورة رجلين، فقال أحدهما للآخر: نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال، فسأل الله أن يرزقه من كسبه، فألان الله له الحديد، فكان يعمل منه الدروع بغير نار، كأنه طين في يده. قوله: **(وهي الدرع)** أنث الضمير لكون درع الحديد

﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بالنون لله، وبالتحتانية لداود، وبالفوقانية للبوس ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰكِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ نعمي بتصديق الرسول أي اشكروني بذلك ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى رخاء أي شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ ﴿٨١﴾ من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ من

تؤنث وتذكر، وأما درع المرأة أي قميصها فهو مذكر. قوله: **(وهو أول من صنعها)** أي حلقاً بعضها داخل في بعض، وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض. قوله: **﴿لَكُمْ﴾** أي يا أهل مكة. قوله: **(في جملة الناس)** دفع به ما يرد، كيف تكون لأهل مكة، مع أن صنع داود لم يكن في زمنهم؟ فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده، إلى أن كانوا من جملتهم. قوله: **(وبالفوقانية للبوس)** أي لأنه بمعنى الدرع وهي تؤنث.

قوله: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾** عبر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح، وجعلها ممتثلة لأمره، وعبر بمع في حق داود، لأن الجبال والطير قد صاحباه في التسبيح واشتركا معه. قوله: **(أي شديدة الهبوب)** الخ، لف ونشر مرتب. قوله: **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾** حال. قوله: **﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾** أي لأنها مقره، فكان ينتقل منها ويرجع إليها، قال وهب: كان سليمان عليه الصلاة والسلام، إذا خرج إلى مجلسه، عكفت عليه الطيور، وقام له الإنس والجن حيث يجلس على سريره، وكان أمرأ غازياً، قلما كان يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وقال مقاتل: نسجت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في أبريسم، وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط، فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة، يقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح، وقال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل، حتى فاتته صلاة العصر، غضب لله فعقر الخيل، فأبدله الله مكانها خيراً منها، وأسرعت الريح تجري بأمره كيف شاء، فكان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر، حتى ملك الأرض مشرقاً ومغرباً، ملك سلطنة وحكم، وأما رسالته فكانت لبني إسرائيل.

قوله: **﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾** أي الكفار منهم. قوله: **(وغيره)** أي كالنورة والطاحون والقوارير والصابون، فإن ذلك من استخراجاتهم. قوله: **(لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل)** الخ، قيل إذا بعث شيطاناً مع إنسان ليعمل له عملاً قال: إذا فرغ من عمله قبل الليل، فاشغله بعمل آخر، لئلا يفسد ما عمله ويخربه.

أن يفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره ﴿و﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة وضيق عيشه ﴿أني﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مَسَّنِيَ

قوله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ قدر (اذكر) إشارة إلى أن ﴿أَيُّوبَ﴾ معمول لمحذوف. قوله: **(ويبدل منه)** أي من أيوب، والمعنى اذكر قصة أيوب ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ ففي الحقيقة الإبدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتي. قوله: **(لما ابتلي)** متعلق بنادى. قوله: **(بفقد جميع ماله)** أي فجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور. وحاصل قصته باختصار: أن أيوب كان رجلاً من الروم، وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمة من ولد لوط بن هاران أخي ابراهيم، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمر، ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له خمسمائة فدان، يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وكان له أهل وولد من رجال ونساء، وكان نبياً تقياً شاكراً لأنعم ربه، وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به، وكانوا كهولاً، وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السماوات، فيقف فيهن من حيث ما أراد، فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده وقال: إلهي نظرت في عبدك أيوب، فوجدته شاكراً حامداً لك، ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك، فقال له الله: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم: قد سلطت على مال أيوب، فقال عفريت: أعطيت من القوة، ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فأحرق كل شيء آتي عليه، قال إبليس: اذهب فائت الإبل ورعاتها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار، فأحرق الإبل ورعاتها، حتى أتى على آخرها، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب، فوجده قائماً يصلي فقال له: أحرقت نار إبلك ورعاتها، فقال أيوب: الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها، ثم سلط عفريتاً على الغنم ورعاتها، فصاح عليهم فماتوا جميعاً، وعلى الحرث فتحول ريحاً عاصفاً فأطارها، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء، صعد إلى السماء وقال: يا رب سلطني على أولاده، فقال له: انطلق فقد سلطتك على أولاده، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعاً، ثم جاء في صورة المعلم الذي يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه، فأخبره بموت أولاده، وفصل له ذلك حتى رق قلبه وبكى، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال: يا ليت أمي لم تلدني، ففرح إبليس وصعد إلى السماء سريعاً لينظر ما يفعل به، فأوحى الله إلى أيوب إنه إبليس فاستغفر، فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً فقال: يا رب سلطني على جسده، فقال له: انطلق فقد سلطتك على جسده، غير قلبه ولسانه وعقله، فانقض عدو الله سريعاً، فأتاه فوجده ساجداً، فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده، فخرج منها ثآليل مثل إليات الغنم، ووقعت فيه حكة، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة، فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وأنتن، فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشاً، وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفراثيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام، وهجره الثلاثة الذين آمنوا به، ولم يتركوا دينهم، ونقل أن سبب قوله:

﴿ٱلضُّرُّ﴾ أي الشدة ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له، وكل من الصنفين ثلاث أو سبع ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ من زوجته وزيد في شبابها، وكان له أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض ﴿رَحۡمَةٗ﴾ مفعول له ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ ليصبروا فيثابوا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ على طاعة الله وعن معاصيه ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ من النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾ لها، وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ **الضُّرُّ**﴾ أن الدود قصد قلبه ولسانه، فخشي أن يفتر عن الذكر، ولا ينافي صبره قوله: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾ لأنه شكوى للخالق، وهي لا تنافي الصبر. إن قلت: إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض. أجيب: بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء، وإنما هو حرارة وحكة، ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس، وأعظم الله ضرها لخصوص أيوب تعظيماً لقدره، لأن أشد الناس بلاء، الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، كما ورد بذلك الحديث. قوله: (**أو ثماني عشرة**) هذا هو الصحيح. قوله: (**وضيق**) إما فعل مبني للمفعول عطف على (**ابتلي**) أو مصدر عطف على فقد. قوله: ﴿**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ تعريض بطلب الرحمة.

قوله: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ نِدَاءَهُ**﴾ أي الذي في ضمنه الدعاء. قوله: ﴿**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ**﴾ روي أن الله تعالى قال له: اركض برجلك الأرض فركض، فخرجت عين ماء، فأمره أن يغتسل منها ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل، فنبعت عين ماء بارد، فأمره أن يشرب منها فشرب، فذهب كل داء كان بباطنه، فصار كأصح ما كان، وهو معنى قوله تعالى في سورة ص ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾. قوله: (**بأن أحيوا له**) أي لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل رزقه الله مثلهم، روي أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين إبناً. قوله: (**ثلاث أو سبع**) أي فجملتهم ستة أو أربعة عشر. قوله: (**وكان له أندر**) هو الموضع الذي يدرس فيه الطعام. قوله: (**أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب**) أي لمناسبته له الحمرة، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك.

قوله: ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ**﴾ عاش مائة وثلاثين سنة، وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة، وقصة صبره على الذبح ستأتي مفصلة في سورة الصافات. قوله: ﴿**وَإِدْرِيسَ**﴾ هو جد نوح، ولد في حياة آدم قبل موته بمائة سنة، وبعث بعد موته بمائتي سنة، وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة، فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة، وكان بينه وبين نوح ألف سنة. قوله: ﴿**وَذَا الْكِفْلِ**﴾ هذا لقبه واسمه بشر، وهو ابن أيوب.

قوله: ﴿**وَأَدْخَلْنَاهُمْ**﴾ معطوف على محذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ. قوله: (**لأنه تكفل بصيام جميع نهاره**) الخ، أي فكان يصوم النهار ويصلي الليل ولا يفتر، وكان ينام وقت

نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك، وقيل لم يكن نبياً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت وهو يونس بن متى، ويبدل منه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي نقضي عليه بما

القيلولة، وكان لا ينام إلا تلك النومة، فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا، فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه، فدق عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال: شيخ كبير مظلوم، بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، فقام وفتح له الباب، وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له: إذا قعدت للحكم فائتني أخلص حقك، فلما جلس للحكم لم يجده، فلما رجع إلى القائلة من الغد، أتاه ودق الباب، فقال له: من هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم، ففتح الباب فقال: ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فائتني؟ فقال: إن خصومي أخبث قوم، إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني، فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله: لا تدعن أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام، فإنه قد شق علي النعاس، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل، فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له: أتنام والخصوم ببابك، فعرف أنه عدو الله، وقال: فعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله. قوله: (**وقيل لم يكن نبياً**) أي بل كان عبداً صالحاً، والصحيح أنه نبي بعث إلى رجل واحد.

قوله: ﴿**وَذَا النُّونِ**﴾ لقب ليونس وجمعه أنوان ونينان، وهو اسم للحوت كبيراً أو صغيراً. قوله: (**ابن متى**) اسم أبيه وقيل اسم أمه. قوله: (**ويبدل منه**) أي بدل اشتمال.

قوله: ﴿**مُغَاضِباً**﴾ (**لقومه**) أي لا لربه، لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب، فلما لم ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه، لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب. قوله: (**أي غضبان عليهم**) أشار بذلك إلى أن المفاعلة ليست على بابها. قوله: (**أي نقضي عليه بما قضينا**) أشار بذلك إلى أن معنى ﴿**أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾ نقضي عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء، والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه. قوله: (**أو نضيق عليه**) أي فمعنى نقدر نضيق كما في قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضد العجز. قوله: (**من حبسه في بطن الحوت**) أي وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوماً، أو سبعة أيام، أو ثلاثة، أو أربع ساعات، وأوحى الله إلى ذلك الحوت: لا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً، فإنه ليس رزقاً لك، وإنما جعلتك سجناً له. وحاصل ذلك: أنه حين غاضب قومه، لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به، خرج فركب سفينة، فسارت قليلاً ثم وقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة، فضربوها فخرجت على يونس، فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه، فدعا ربه فألقاه الحوت بالساحل ضعيفاً، وكانت تأتيه غزالة صباحاً ومساءً، فيشرب من لبنها حتى قوي، فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعاً، قال تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾. قوله: ﴿**أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**﴾ ﴿**أَنْ**﴾ إما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها، أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، وهذا الدعاء عظيم

قضينا من حبسه في بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ الباقي بعد فناء خلقك ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ متواضعين في عبادتهم ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩١﴾ الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾

جداً، لاشتماله على التهليل والتسبيح والإقرار بالذنب، ولذا ورد في الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له».

قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا﴾ معمول لمحذوف قدره بقوله: **(اذكر)**. قوله: **(أي بلا ولد يرثني)** أي في العلم والنبوة. قوله: **(بعد عقمها)** المراد به انسداد الرحم عن الولادة. قوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾** علة لمحذوف، أي قالوا ما قالوا لأنهم الخ. قوله: **﴿رَغَباً وَرَهَباً﴾** إما منصوبان على المفعول من أجله، أو على أنهما واقعان موقع الحال، أي راغبين راهبين.

قوله: **﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾** صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك المفسر بقوله: **(واذكر مريم)**. قوله: **(من أن ينال)** أي يصل إليه أحد بحلال أو حرام. إن قلت: المزية ظاهرة في حفظه من الحرام، وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه؟ أجيب بأن الترهيب كان مشروعاً لهم، أو لتكون ولادتها خارقة للعادة. قوله: **(حيث نفخ في جيب درعها)** أي أمرناه ففعل ذلك، أو المراد نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا، وهي روح عيسى. قوله: **﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** لم يقل آيتين، لأن كلاً من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة، أو فيه الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه.

قوله: **﴿إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾** أشار المفسر إلى أن اسم الإشارة يعود على **(ملة الإسلام)** والأمة في الأصل الجماعة، ثم أطلقت على الملة لأنها تستلزم الاجتماع. والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد، فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين، وإنما التغاير في الفروع، فمن غير وبدل في الملة، فهو خارج عنها ضال مضل. وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص، دفع ما يتوهم أن

وحدون ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى، قال تعالى ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي فنجازيه بعمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي جحود ﴿لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد

رسول الله ﷺ بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل. قوله: **(حال لازمة)** أي من أمة، وقيل بدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾، ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر أن نحو إن زيداً قائم أخاك، و ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ بالرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وقرىء شذوذاً بالنصب على أنه بدل من هذه أو عطف بيان. قوله: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ إن كان الخطاب للمؤمنين، فمعناه دوموا على العبادة، وإن كان الخطاب للكفار، فمعناه إنشاء العبادة والتوحيد.

قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي تفرقوا في أمرهم واختلفوا في دينهم، وهذا إخبار من الله بأن الجميع لم يكونوا على دين واحد، لسبق حكمته البالغة بذلك. والحكمة ذكر العبادة هنا، والتقوى في المؤمنون، وذكر الواو هنا والفاء هناك، قيل تفنن، وقيل لأن الخطاب هنا للكفار، فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل، فناسبه ذكر التقوى، وأتى بالواو هنا لأنها لا تقتضي الترتيب، وهو المراد هنا، فإن التفرق كان حاصلاً من قبل بخلاف ما يأتي، فإن التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء. قوله: **(وهم طوائف اليهود والنصارى)** لا مفهوم له، بل هذه الأمة افترقت ثلاثاً وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة ناجية كما في الحديث.

قوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ تهديد للكفار. والمعنى أن الله تعالى لا يفلت أحداً، بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع إليه. قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي الأعمال الحسنة من فرض ونفل. قوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه، فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذي هو الجحود والإنكار، فشبه منع الثواب بالكفر والجحود. قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي حافظون للعمل، فلا يضيع منه شيء.

قوله: ﴿وَحَرَامٌ﴾ خبر مقدم، و ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مبتدأ مؤخر. والمعنى رجوع أهل قرية أهلكناها ممتنع، وقوله: **(إلى الدنيا)** أي إلى البقاء والمعيشة فيها وقيل إلى الإيمان، يعني أن رجوعهم إلى الإيمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم، قال تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾. قوله: **(غاية لامتناع رجوعهم)** أي فهي متعلقة بحرام غاية لما قبلها، ويصح أن تكون ابتدائية، وتكون الجملة مستأنفة. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: **(بالهمز وتركه)** قراءتان سبعيتان. قوله: **(اسم قبيلتين)** أي من بني آدم، يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم، وتقدمت قصتهم. قوله: **(وذلك قرب القيامة)** أي بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتي ويمكث أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر؛ ويوم كجمعة، وسائر أيامه كباقي الأيام، وفي الحديث فقلنا: يا رسول الله في اليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة

﴿ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدهما، وذلك قرب القيامة﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾مرتفع من الأرض﴿يَنسِلُونَ ﴾﴿٩٦﴾ يسرعون﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ ﴾ أي القصة ﴿ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون﴿ يَا ﴾ للتنبيه﴿وَيْلَنَا﴾هلاكنا﴿ قَدْ كُنَّا﴾في الدنيا﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿ بَلْ كُنَّا

يوم؟ قال: لا أقدر له قدره، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فينزل عيسى على منارة بني أمية شرقي دمشق، عليه حلتان ممصرتان فيقتله، ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد، فيحصل للخلق جدب عظيم، حتى تكون رأس الثور خيراً من مائة ديناراً، ثم يدعو الله عيسى، فيرسل الله عز وجل النغف في رقابهم فيهلكون جميعاً فتملأ رممهم وجيفهم الأرض، فيدعو الله عيسى، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، فيغسل الأرض من آثارهم، ثم يقول الله للأرض: أنبتي ثمرك، فيكثر الرزق جداً، ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله عليهم ريحاً لينة، تقبض روح كل مؤمن ومسلم، وتبقي شرار الناس يتهارجون في الأرض كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة، وبين موت عيسى والنفخة الأولى، مائة وعشرون سنة، لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة، والجمعة بقدر يوم، واليوم بقدر ساعة، فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثنتي عشرة سنة من السنين المعتادة، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم». قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أي يأجوج ومأجوج، ينتشرون في الأرض، ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض.

قوله: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ﴾ عطف على ﴿فُتِحَتْ﴾. قوله: (أي للقصة) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة، و ﴿شَاخِصَةٌ﴾ خبر مقدم، و ﴿أَبْصَارُ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ﴿هِيَ﴾ والتعقيب عرفي، لأن التفاوت القليل كالعدم، فاندفع ما يقال إنه رتب الشخوص على فتح السد، واقتراب الساعة مع الشخوص، لا يوجد إلا مع القيامة. قوله: (يقولون) ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ مقول لقول محذوف. قوله: ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ إضراب عن قولهم ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾ لعله ينفعهم الإقرار بالذنب فلا ينفعهم. قوله: (من الأوثان) خصها بالذكر لأنها كانت معظم معبوداتهم، وإلا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين في النار. قوله: (وقودها) أي وسمي حصباً، لأنه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء.

قوله: ﴿لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً﴾ الخ، تبكيت عليهم. قوله: ﴿زَفِيرٌ﴾ أي أنين وتنفس شديد. قوله: (لشدة غليانها) أي فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد: إذا بقي من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى عليها مسامير من نار، فلا يسمعون ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره. قوله: (ونزل لما قال ابن الزبعرى) الخ، حاصل ذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلاثمائة

ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿٩٧﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وقودها ﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ ﴿٩٨﴾ داخلون فيها ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأوثان ﴿ ءَالِهَةً ﴾ كما زعمتم ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ دخلوها ﴿ وَكُلٌّ ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿ لَهُمْ ﴾ للعابدين ﴿ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾ شيئاً لشدة غليانها ونزل لما قال ابن الزبعرى: عبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ﴾ المنزلة ﴿ ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ ومنهم من ذكر ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ صوتها ﴿ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ ﴾ من النعيم ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ﴾ تستقبلهم ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ عند خروجهم من القبور

وستون صنماً، فعرض له النضر بن الحرث، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾** الآيات الثلاث، ثم قام فأقبل ابن الزبعرى، وهو بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصوراً، وقد أسلم بعد ذلك، فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم، فقال: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله، فقال له ابن الزبعرى: أنت قلت **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**؟ قال: نعم، قال: أليست اليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، وبنو مدلج يعبدون الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: بل هم يعبدون الشيطان، فنزلت هذه الآية رداً عليه. قوله: **(المنزلة)** **﴿الْحُسْنَىٰ﴾** أي الدرجة والرتبة الحسنى، أو المراد الكلمة الحسنى وهي لا إله إلا الله، أو المراد السعادة الأبدية. قوله: **(ومنهم من ذكر)** أي العزير وعيسى والملائكة، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى، سواء عبد أو لا فهو مبعد عن النار.

قوله: **﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾** أي عن جهنم. إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: **﴿وإن منكم إلا واردها﴾** والورود يقتضي القرب منها؟ أجيب: بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها، فإن المؤمنين إذا مروا على النار تخمد وتقول جز يا مؤمن، فإن نورك قد أطفأ لهبي، وهذا لا ينافي الورود. قوله: **﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾** أي حركة تلهبها، وفي هذا تأكيد بعدهم عنها.

قوله: **﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾** هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان نجاتهم من النار. قوله: **(وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار)** أي الكافر، وقيل: هو حين تغلق النار على أهلها وييأسون من الخروج، وقيل: هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادي يا أهل النار خلود بلا موت، وقيل: هو جميع أهوال القيامة. قوله: **(عند خروجهم من القبور)** أي تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة، ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين. قوله: **(اسم ملك)** أي في السماء الثالثة، وعلى هذا فالمصدر مضاف لقائله، فإن هذا الملك يطوي كتب الأعمال إذا رفعت إليه. قوله: **(واللام زائدة)** أي والكتاب مفعوله. قوله: **(أو السجل الصحيفة)** أي والمعنى كطي الصحف على مكتوبها، وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله، والفاعل محذوف تقديره كما يطوي الرجل الصحيفة على ما فيها. قوله: **(وفي قراءة)** أي سبعية أيضاً. قوله: **(جمعاً)** أي وأما على قراءة الإفراد، فأل للجنس. قوله: **﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ**

يقولون لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾ في الدنيا ﴿يَوْمَ﴾ منصوب باذكر مقدراً قبله ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ اسم ملك ﴿لِلْكُتُبِ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب، واللام بمعنى على، وفي قراءة للكتب جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عدم ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى (أول) وما مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ منصوب بوعدنا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ ما وعدنا ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب أي كتب الله المنزلة ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ بمعنى أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ

خَلْقٍ﴾ أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم، حفاة عراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة، والخلق بمعنى المخلوق، وإضافة ﴿أَوَّلَ﴾ له من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيده ثانياً. قوله: (**بعد إعدامه**) هذا أحد قولين لأهل السنة، والقول الثاني أن الإعادة بعد تفرق الأجزاء، قال في الجوهرة:

وَقُلْ يُعَادُ الْجِسْمُ بِالتحقيق … عن عدم وقيل عن تفريق

قوله: (**وما مصدرية**) أي وبدأنا صلتها، والجملة في محل جر بالكاف، و ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ مفعول به لبدأنا. قوله: ﴿وَعْداً عَلَيْنَا﴾ أي فعلينا إنجازه، لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على إنفاذه. قوله: (**لمضمون ما قبله**) أي الجملة الخبرية. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ توكيد لما قبله. قوله: (**بمعنى الكتاب**) أي فأل في الزبور للجنس، والمعنى جنس الكتب السماوية. قوله: (**بمعنى أم الكتاب**) أي وهو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿إِنَّ الأَرْضَ﴾ مفعول ﴿كَتَبْنَا﴾. قوله: (**عام في كل صالح**) أي من هذه الأمة وغيرها من الأمم، والمراد بالصلاح الموت على الإيمان، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة، ويتنعمون بها على قدر أعمالهم، وعبر بالميراث لأنه ملك مستمر يأتي من غير تكسب، وأما من مات على الكفر، فليس له في الجنة نصيب، لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لأعدائه، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر، لعدم عزتها عنده، لما في الحديث: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها جرعة ماء» ومعناه: لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه، ولو كانت باقية، ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه، فقدر الله في الأزل، أن الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده، فنعم فيها الكفار. قوله: (**كفاية في دخول الجنة**) أي من حيث إنه يوصل لمراضي الله تعالى في الدنيا ويؤنس صاحبه في القبر، ويوضع في الميزان، ويرقى به في درجات الجنة. قوله: (**عاملين به**) أي ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه. قوله: (**أي للرحمة**) أشار بذلك إلى أن ﴿رَحْمَةً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، ويصح أن يكون منصوباً على الحال، أي أنه نفس الرحمة لما ورد: أن الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا عين الرحمة، أو على حذف مضاف، أي ذا رحمة أو راحماً، لما في الحديث: «إنما أنا رحمة مهداة». قوله: (**الإنس والجن**) أي براً وفاجراً، مؤمناً وكافراً، لأنه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال، ورحمة أيضاً، من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى، فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى، ومن كفر فهو رحمة له في الدنيا فقط.

﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ عامّ في كل صالح ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ عاملين به ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي للرحمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠٧﴾ الإنس والجن بك ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ منقادون لما يوحى إليَّ من وحدانية الإله، والاستفهام بمعنى الأمر ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول أي مستوين في علمه لا أستبد به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ أنتم وغيركم من السر ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ أي ما أعلمتكم به وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿١١١﴾ أي انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل، وليس الثاني محلاً للترجي ﴿قَٰلَ﴾ وفي قراءة قال ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بيني وبين مكذبيَّ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ على ما

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ اعلم أن في هذه الآية قصرين، الأول قصر الصفة على الموصوف، والثاني بالعكس، والمعنى كما قال المفسر: **(ما يوحى إلي في أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية)** ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله. قوله: **(بمعنى الأمر)** أي فالمراد منه التحضيض على الإسلام، لا الاستفهام عنه. قوله: **(أعلمتكم بالحرب)** أي أنذرتكم به، والمراد بالحرب محاربته هو وأصحابه لهم، والمعنى أعلمتكم بأني محاربكم، والحال أني وأنتم مستوون في العلم بنقض الصلح، لئلا انسب للغدر المذموم فاعله. قوله: **(لتتأهبوا)** أي لتستعدوا وتتهيأوا له، وهو علة للنفي لا للمنفي، فالمعنى لا أستبد به، بل أعلمكم لتتأهبوا. قوله: ﴿**وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ**﴾ أي لا أدري الوقت الذي يحل بكم العذاب فيه، وإنما علمه موكول إلى الله. والمراد بالعذاب تعذيبه إياهم بحربه في الدنيا. وقوله: **(أو القيامة)** أي تعذيبهم بالنار. قوله: ﴿**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ أي ما تقولونه جهراً مما لا يليق. قوله: **(والفعل)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء. قوله: **(أي ما أعلمتكم به)** أي وهو تأخير العذاب عنهم في الدنيا. قوله: **(اختبار)** ﴿**لَكُمْ**﴾ أي معاملتكم معاملة المختبر. قوله: **(وهذا مقابل للأول)** الخ، حاصله أن قوله: ﴿**لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ**﴾ محتمل للوقوع وعدمه، وأما قوله: ﴿**وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ فهو محقق الحصول، والأحسن أن يجعل قوله: ﴿**وَمَتَاعٌ**﴾ خبر المحذوف تقديره وهذا متاع إلى حين، أي وتأخير عذابكم متاع، أي تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل، والجملة مستأنفة. قوله: **(وفي قراءة قال)** أي وهي سبعية أيضاً، فالأولى أمر، والثانية إخبار عن مقالته. قوله: ﴿**احْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾ أي عجل النصر لي والعذاب لأعدائي. قوله: **(والخندق)** المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب. قوله: ﴿**الْمُسْتَعَانُ**﴾ أي الذي

تَصِفُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ من كذبكم على الله في قولكم اتخذ ولداً وعليَّ في قولكم ساحر وعلى القرآن في قولكم شعر.

تطلب منه الإعانة. قوله: ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ أي على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص. فقد أمر رسول الله ﷺ بتفويض الأمر إلى الله، والصبر على المشاق، تعليماً لأمته حسن الالتجاء إلى ربهم.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الحَجِّ

مدنيّة

إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآيتين، وإلا ﴿وهذان خصمان﴾ الست آيات فمدنيات.
وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج مكية

إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله﴾ الآيتين، وإلا ﴿هذان خصمان﴾ الست آيات فمدنيات.
وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

سميت بذلك لذكر الحج فيها. قوله: **(إلا ومن الناس)** الخ، هذا أحد قولين في المدني منها. قوله: **(وإلا هذان خصمان)** هذا قول ثان، وقوله: **(الست آيات)** أي وتنتهي إلى صراط الحميد، لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار، وآيتان متعلقتان بالمؤمنين، وقيل إن السورة كلها مدنية، وقيل إلا أربع آيات من قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ إلى قوله: ﴿عذاب مقيم﴾ فهي مكيات، والتحقيق أنها مختلطة، منها مكي، ومنها مدني، وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً. قوله: **(أو ثمان وسبعون آية)** أي إنها سبعون آية جزماً، والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال. قوله: **(أي أهل مكة)** إما برفع **(أهل)** على أن **(أي)** حرف تفسير و **(أهل)** تفسير للناس، أو نصبه على أن **(أي)** حرف نداء و **(أهل)** منادى، وقوله: **(وغيرهم)** بالرفع أو بالنصب، وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: **(بأن تطيعوه)** أي بفعل المأمورات واجتناب المنهيات.

عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ فهم يخافونه. ونزل في النضر بن الحرث وجماعة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾ أي متمرد ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾

قوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الخ، تعليل للأمر بالتقوى، والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف، فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج، قال تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ وإضافة زلزلة للساعة، من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول محذوف تقديره الأرض، وإسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلي لأنها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى، لما روي في حديث الصور: «إنه قرن عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وإن عند نفخة الفزع، يسير الله الجبال وترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج، كالمنديل المعلق تحركه الرياح». قوله: **(أي الحركة الشديدة)** أي وتكون تلك الحركة في نصف رمضان. قوله: **(التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها)** أشار المفسر بذلك، إلى أن تلك الزلزلة، تكون في الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها، ويقوي هذا القول قوله تعالى: ﴿**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾ الآية، والرضاع والحمل إنما هو في الدنيا، وقيل تكون مع النفخة الأولى، وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية، وحينئذ يكون قوله: ﴿**تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ**﴾ مبالغة، أي إن الزلزلة، من شدة هولها وعظمة شأنها، أن تذهل كل مرضعة عن ولدها.

قوله: ﴿**كُلُّ مُرْضِعَةٍ**﴾ **(بالفعل)** والمعنى مباشرة للإرضاع. قوله: ﴿**عَمَّا أَرْضَعَتْ**﴾ يصح أن تكون ما مصدرية، أي عن إرضاعها، ويصح أن تكون ما موصولة، أي عن الذي أرضعته. قوله: ﴿**كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ**﴾ هو بفتح الحاء، ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وأما الحمل بكسر الحاء، فهو ما يحمل على الظهر. قوله: ﴿**وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ استدراك على محذوف تقديره: فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فيها بعد، لكن مخالف لما قبلها، وهاتان الآيتان قيل: نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً، فنادى رسول الله ﷺ الناس حتى كانوا حوله، فقرأهما عليهم، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام، ولم يطبخوا؛ والناس من بين باك وجالس حزين متفكر.

قوله: ﴿**مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ**﴾ أي في قدرته وصفاته العظيمة. قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ حال من فاعل يجادل. قوله: **(وأنكروا البعث)** أي حيث قالوا: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾. قوله: ﴿**مَرِيدٍ**﴾ أي عات، والمراد: إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر، وإما إبليس

قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿٤﴾ أي النار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثم مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصوَّرة تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشدّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ

وجنوده، وهو الأقرب لقوله في الآية الأخرى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾.

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ هو فعل مبني للمفعول، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل. قوله: ﴿مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ إما شرطية والفاء واقعة في جوابها، أو موصولة، والفاء زائدة في الخبر لشبه المبتدإ بالشرط. قوله: (يدعوه) أي وسمى الدعاء هداية تهكماً بهم. قوله: (أي النار) أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها، لا الطبقة المسماة بذلك.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل في قدرة الله بغير علم، وكان جدالهم في البعث، ذكر دليلين على ذلك، الأول في نفس الإنسان وابتداء خلقه، والثاني في الأرض وما يخرج منها، فإذا تأمل الإنسان فيهما، ثبت عنده البعث، وأنه واقع لا محالة. قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي بأن تصير النطفة دماً جامداً، وهكذا يقال فيما بعده، بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنين ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾ لما ورد: أن النطفة إذا وقعت في الرحم، وأراد الله أن يخلق منها بشراً، طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة، ثم تمكث أربعين يوماً ثم تصير دماً في الرحم، فذلك جمعها، وهو وقت جعلها علقة، واتفقوا على أن نفخ الروح فيه، يكون بعد مائة وعشرين يوماً، وذلك أربعة أشهر. قوله: (تامة الخلق) أي تامة التصوير، بأن خلق الرأس واليدان والرجلان. قوله: (أي غير تامة الخلق) أي غير تامة التصوير، بأن لم يخلق فيها شيء من ذلك. قوله: (كمال قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف.

قوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ أي فلا تسقطه الرحم. قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي معين لإخراجه، فتارة يخرج لستة أشهر، وتارة لأكثر. قوله: ﴿طِفْلًا﴾ حال مفعوله ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ وأفرده لأنه مصدر في الأصل، أو لأنه يراد به الجنس، أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلاً، كقولك: القوم يشبعهم رغيف، أي كل واحد منهم، والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ. قوله: ﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ قيل هو خمس وسبعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل تسعون. قوله: (والخرف)

العمر ﴾أخسه من الهرم والخوف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾ زائدة ﴿كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ حسن ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ ونزل في أبي جهل ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ له نور معه ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ حال أي لاوي عنقه تكبراً عن الإيمان والعطف الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي دينه ﴿لَهُۥ فِى

بفتحتين، هو فساد العقل من الكبر. قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ متعلق بيرد، أي لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً، ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية، من سخافة العقل وقلة الفهم، فينسى ما علمه، وينكر ما عرفه. قوله: **(قال عكرمة: من قرأ القرآن)** الخ، أي فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء، وأما هم فلا يردون إلى الأرذل، بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم، كما هو مشاهد.

قوله: ﴿**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً**﴾ هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى. قوله: **(تحركت)** أي في رأي العين بسبب حركة النبات. قوله: ﴿**بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ**﴾ أي هذا الصنع، بسبب أنه تعالى هو الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً، الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته. قوله: ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ**﴾ توكيد لقوله: ﴿**وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى**﴾، وكذا قوله: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾. قوله: **(ونزل في أبي جهل)** واسمه عمرو بن هشام، وأبو جهل كنيته، ويكنى أيضاً بأبي الحكم.

قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ عطف على قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾ الأول، والمعنى أن الكفار تنوعوا في كفرهم، فبعضهم كان يقلد غيره في الكفر، وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم، وبعضهم كان قدوة يقتدي به غيره في الضلال والكفر، وقد دلت هذه الآية عليه، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان، وفي قلبه الريب والشك، وهو الآتي في قوله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ وحينئذ فليس في الآية تكرار. قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ أي معرفة، وقوله: ﴿**وَلَا هُدًى**﴾ أي استدلال، وقوله: ﴿**وَلَا كِتَابٍ**﴾ أي وحي. والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلاً.

قوله: ﴿**ثَانِيَ عِطْفِهِ**﴾ أي لاوي جنبه، والمراد منه الإعراض عن الحق، لأن شأن من أعرض عن شيء لوى جنبه عنه، فشبه عدم التمسك بالحق بليّ الجانب، واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الإعراض في كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والعامة على كسر العين وهو الجانب، وقرىء شذوذاً بفتحها، وهو مصدر بمعنى التعطف، كأنه قال: تاركاً تعطفه أي رحمته وتمسك بالقسوة. قوله: **(أي لاوي عنقه)** الأوضح أن يقول جنبه، لأن العطف بالكسر الجانب، إلا أن يقال: يلزم من ليّ الجانب ليّ العنق.

﴿ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ عذاب فقتل يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ ﴿٩﴾ أي الإحراق بالنار ويقال له ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي قدمته، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ ﴿١٠﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ

قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ متعلق بيجادل، وقوله: (بفتح الياء) أي فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل له الضلال في نفسه، وقوله: (وضمها) أي فهو متعد، والمعنى ليوقع غيره في الضلال. وهما قراءتان سبعيتان، واللام للعاقبة والصيرورة. قوله: (عذاب) في بعض النسخ زيادة ثقيل، ومعناه عظم متكرر، وأخذ ذلك من التنوين على حد: أشر هر ذا ناب. قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ من إضافة الموصوف لصفته، أي العذاب المحرق أو الحريق، طبقة من طباق جهنم. قوله: (ويقال له) أي من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب.

قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق. قوله: (عبر عنه بهما) الخ، جواب عما يقال: لم خص اليدين بالذكر، مع أن الفاعل هو الشخص ذاته؟ قوله: (تزاول) أي تعالج. قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ عطف على ﴿قَدَّمَتْ﴾. قوله: (أي بذي ظلم) أي فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار، ودفع بذلك ما يقال: إن نفي الكثرة يستدعي ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل، لأن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك لأحد معه، لأن حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل، فلا يسأل عما يفعل، وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى، وإنما يرضى ويسلم، ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة. قوله: (فيعذبهم بغير ذنب) أي وسماه ظلماً، لأنه وعد الطائع بالجنة، ووعده لا يتخلف، لكن لو فرض لم يكن ظلماً.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في المنافقين وأعراب البوادي، كان أحدهم إذا قدم المدينة، فصح فيها جسمه، ونتجت بها فرسه مهراً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله، قال: هذا دين حسن، وقد أصبت فيه خيراً واطمأن له، وإن أصابه مرض، وولدت امرأته جارية، ولم تلد فرسه، وقل ماله: قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً، فينقلب عن دينه، وقوله: (على حرف) حال من فاعل يعبد أي متزلزلاً، وقد صار مثلاً، لكل من كان عنده شك في شيء. قوله: (أي شك في عبادته) أي ضعف يقين فيها. قوله: (شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته) أشار بذلك إلى أن في الآية استعارة تمثيلية، حيث شبه حال من دخل الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد، بحال الجالس على طرف جبل، تحته مهاوي بجامع التزلزل وعدم الثبات في كلّ.

قوله: ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ أي رضي به وسكن إليه. قوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾ المراد بها هنا، كل مكروه للطبع وثقيل على النفس، ولم يقل وإن أصابه شر ليقع في مقابلة الخير، لأن ما ينفر عنه الطبع ليس شراً في نفسه، بل قد يكون

وَجۡهِهِۦ﴾ أي رجع إلى الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ﴿١١﴾ البين ﴿يَدۡعُواْ﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ إن عبده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ ﴿١٢﴾ عن الحق ﴿يَدۡعُواْ لَمَن﴾ اللام زائدة ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بعبادته ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ إن نفع بتخيله ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ هو أي الناصر ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ ﴿١٣﴾ الصاحب هو وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٤﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي محمداً نبيه ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح ﴿فَلۡيَنظُرۡ

خيراً، إذا حصل معه الرضا والتسليم. قوله: ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي ارتد للحالة التي كان عليها أولاً، من الكفر والاعتراض على الله تعالى. قوله: **(بفوات ما أمله)** أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه.

قوله: ﴿ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي الذي لا خسران مثله، لفوات حظه من الدنيا والآخرة. قوله: **(من الصنم)** لا مفهوم له، بل مثله كل مخلوق، والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق، وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق، وأما الالتجاء للمخلوق، من حيث إنه مهبط الرحمات، كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب، وهو في الحقيقة التجاء للخالق، يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد، والطواف بالبيت، وقيام ليلة القدر ونحوها، وما ذاك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها، فهم مهبط الرحمات لا منشؤها تأمل. قوله: **(اللام زائدة)** أي ومن مفعول يدعو، و ﴿يَضُرُّهُ﴾ مبتدأ، و ﴿أَقْرَبُ﴾ خبره، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ إن قلت: إنه أثبت الضر والنفع هنا، ونفاهما فيما تقدم، فقد حصل التعارض والتناقض. أجيب: بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر، والإثبات باعتبار زعمهم الباطل. قوله: **(هو)** قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف. قوله: **(وعقب ذكر الشاك بالخسران)** الجار والمجرور حال من **(الشاك)** والباء للملابسة، وقوله: **(بذكر المؤمنين)** متعلق بعقب، والمعنى لما ذكر الشاك في الدين حال كونه ملتبساً بالخسران، ذكر عقبه المؤمنين، وما أعد لهم من الثواب الجزيل. قوله: **(من الفروض)** أي وهي ما أمر بها المكلف أمراً جازماً، يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب، وقوله: **(والنوافل)** هي ما أمر بها الشخص أمراً غير جازم، يترتب على فعلها الثواب، وليس في تركها عقاب. قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي من تحت قصورها. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي فلا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الخ، فهو معترض بين

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ ـه منها. المعنى: فليختنق غيظاً منها فلا بد منها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن الباقي ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ هداه معطوف على أنزلناه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ عالم به علم مشاهدة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي يخضع له بما يراد منه

أوصاف الشك، لجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد. والمعنى: من كان يظن من الكفار والشاكين في دينهم، أن الله لا ينصر محمداً في الدنيا وفي الآخرة، فليأت بحبل يشده في سقف بيته وفي عنقه، ثم يختنق به حتى يموت، فلينظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد؟ فالإتيان بالحبل والاختناق به، كناية عن كونه يموت غيظاً، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ وهذا هو المشهور في تفسير الآية، ولذا مشى عليه المفسر. وقيل: إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء، ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك؟ قوله: (**بأن يقطع نفسه**) بالتحريك وهو إشارة إلى أن مفعول يقع محذوف. قوله: (**كما في الصحاح**) راجع لجميع ما ذكر من قوله: (**بحبل**) ﴿**إِلَى السَّمَاءِ**﴾ الخ، و (**الصحاح**) بفتح الصاد اسم كتاب في اللغة، للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

قوله: ﴿**مَا يَغِيظُ**﴾ ﴿**مَا**﴾ اسم موصول صفة لموصوف محذوف، و ﴿**يَغِيظُ**﴾ صلته والعائد محذوف، والتقدير الشيء الذي يغيظه. قوله: (**منها**) بيان لما الواقعة على نصرة النبي. قوله: (**حال**) أي من الهاء في ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾. قوله: (**على أنزلناه**) أي فالمعنى وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، أي ويضل من يريد، ففي الآية اكتفاء. قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الخ، أي فالأديان ستة، واحد للرحمن وأصحابه في الجنة، وخمسة للشيطان وأصحابها في النار. قوله: ﴿**وَالْمَجُوسَ**﴾ قيل هم قوم يعبدون النار، وقيل الشمس، ويقولون: العالم له أصلان، النور والظلمة، وقيل هم قوم يستعملون النجاسات، والأصل نجوس أبدلت النون ميماً. قوله: (**طائفة منهم**) أي من اليهود، وقيل هم طائفة من النصارى. قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ تعليل لقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ**﴾. قوله: (**عالم**) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذي لا يغيب عنه شيء. قوله: ﴿**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ**﴾ عطف خاص على قوله: ﴿**مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ ونص عليها لما ورد: أن بعضهم كان يعبدها. قوله: ﴿**وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**﴾ عطف خاص على ﴿**مَنْ فِي الْأَرْضِ**﴾ وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها. قوله: (**أي يخضع له**) أشار إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله، وهو أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته لأنه ورد: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، وقال تعالى: ﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ﴾ يشقه ﴿فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مسعد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ من الإهانة والإكرام ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي في دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها يعني أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به ﴿الْجُلُودُ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ ﴿٢١﴾ لضرب رؤوسهم

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاس﴾ أشار المفسر إلى أنه معطوف على فاعل ﴿يَسْجُدُ﴾. قوله: (يشقه) أي يحتم عليه الشقاء، وهو عدم الاهتداء. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ أي فلا حرج عليه ولا منازع له في حكمه.

قوله: ﴿هٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر، وسبب نزولها: تخاصم حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث، مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر، وقيل نزلت في المسلمين وأهل الكتاب، حيث قال أهل الكتاب: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المسلمون: نحن أحق بالله منكم، آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسداً. واختلف هل هذا الخصام في الدنيا والتعقيب بقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، باعتبار تحقق مضمونه، أو في الآخرة بدليل التعقيب، ولذا قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى. قوله: (وهو يطلق على الواحد والجماعة) أي لأنه مصدر في الأصل، والغالب استعماله مفرداً مذكراً، وعليه قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ ويثنى ويجمع كما هنا. قوله: ﴿اخْتَصَمُوا﴾ جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص، فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾. قوله: (أي في دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ أي قدرت على قدر جثثهم، ففي الكلام استعارة تمثيلية، حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم، بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم وجمع الثياب، لأن تراكم النار عليهم، كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض، وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع. قوله: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ لما ذكر أن الثياب تغطي الجسد غير الرأس، ذكر ما يصيب الرأس، ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد، ذكر ما يصيب باطنه، وهو الحميم الذي يذيب ما في البطون من الأحشاء، لما في الحديث: «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم، فينفذ من جمجمة أحدهم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان» قوله: ﴿وَ﴾ (تشوى به) ﴿الْجُلُودُ﴾ أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع بفعل مقدر، لأن الجلود لا تذاب نظير: علفتها تبناً وماءً بارداً. ويصح أن يكون معطوفاً على ماء، ويراد بالإذابة التقطع. قوله: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أي الضرب والزجر. قوله: ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أي من

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ أي النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ ردوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ﴿٢٢﴾ أي البالغ نهاية الإحراق، وقال في المؤمنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر أي منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب وبالنصب عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ﴿٢٤﴾ أي طريق الله المحمودة

أجل حصوله لهم. قوله: ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ أي لما ورد: أن جهنم تفور بهم، فيصعدون إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون فيها سبعين خريفاً. قوله: ﴿وَ﴾ (قيل لهم) أي تقول لهم الملائكة ذلك. قوله: ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ من إضافة الموصوف للصفة، أي العذاب المحرق. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، لم يقل في حقهم والذين آمنوا عطفاً على قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إشارة لتعظيم شأن المؤمنين. قوله: ﴿الأَنْهَارُ﴾ جمع نهر. والمعنى: تجري من تحت قصورهم. قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿مِنْ﴾ إما زائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس، وقوله: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية. قوله: (بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب، والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ، وقيل إنهم يلبسون الأساور من نوعين: الذهب واللؤلؤ وفي آية هل أتى ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد: أن المؤمن يسور في الجنة بثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وفي الحديث: «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء». قوله: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ غاير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريراً، إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فإن العدول إلى الجملة الإسمية يدل على الدوام. قوله: (وهو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا) أي يوصلهم الله في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام: «من لبس الحرير في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة» واختلف في معنى الحديث فقيل: لم يلبسه في الآخرة إذا مات مصراً ودخل النار، فلا ينافي أنه إذا دخل الجنة يلبسه، وقيل لم يلبسه أصلاً ولو دخل الجنة، بل يتنعم بغير الحرير، وأما هو فلا يشتهيه فيها، والمعتمد الأول، وكذا يقال في الأحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب. قوله: (وهو لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله فهي أفضل القول، لما في الحديث: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله، فهي رأس المال لذاكرها، لا يقبل شيء من الأعمال إلا بها، فمن مات عليها حصلت له السعادة» نسأل الله الثبات عليها في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي وهو دين الإسلام، وسمي صراطاً لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى. قوله: (أي طريق الله المحمودة) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى، ومعناه المحمود في أفعاله. قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ معطوف على ﴿كَفَرُوا﴾ ففيه عطف المستقبل على الماضي، وحينئذ فإما أن يراد بالماضي المضارع، أو يجرد المضارع عن معناه، بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف، وهذا

ودينه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ منسكاً ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾ المقيم ﴿فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾ الطارىء ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الباء زائدة ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بسببه بأن ارتكب منهياً ولو شتم الخادم ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مؤلم أي بعضه ومن هذا يؤخذ خبر إن أي نذيقهم من عذاب أليم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بينا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ ليبنيه، وكان قد رفع زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى

هو الأحسن، ولا يصح جعل جملة ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ حالاً، لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالاً لا تقرن بالواو، قال ابن مالك:

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة، لأن الأصل عدمها، وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف يقدر بعد قوله: ﴿وَالْبَادِ﴾ لدلالة قوله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والتقدير (نذيقهم من عذاب أليم) كما سيأتي للمفسر. قوله: (منسكاً) قدره إشارة إلى أن مفعول جعلنا الثاني محذوف، وقوله: (ومتعبداً) عطف تفسير. قوله: ﴿لِلْنَّاسِ﴾ ظرف لغو، إما متعلق بمنسكاً الذي قدره المفسر أو بجعلنا، وهذا التقدير إنما هو لإيضاح المعنى، وإلا فيصح جعل جملة ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ مفعولاً ثانياً، وعلى ما قدره المفسر تكون حالية. قوله: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ ﴿سَوَاءٌ﴾ بالرفع خبر مقدم، و ﴿الْعَاكِفُ﴾ وما عطف عليه مبتدأ مؤخر، وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالاً، والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء، لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقريره: جعلناه مستوياً فيه العاكف، الخ. والمعنى أن المقيم في المسجد والطارىء سواء في النزول به، فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه، لا يقيمه منه غيره، وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها؛ فالغريب وأهل البلد سواء فيها، بل هي مملوكة لأربابها، ويجوز بيعها وإجارتها. قوله: ﴿وَالْبَادِ﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، أو حذفها فيهما، أو حذفها وقفاً وإثباتها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيات، وقوله: (الطارىء) دفع به ما يتوهم من قوله البادي، أن المراد به ساكن البادية، بل المراد به الطارىء كان من البادية أو لا، وإنما سمي الطارىء بادياً، لأنه لا يأتي إليها إلا من البادية.

قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ أي يقصد في المسجد الحرام. قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ أي عدول عن الاعتدال قوله: (الباء زائدة) أي في المفعول. قوله: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي في الآخرة إلا أن يتوب. وأخذ منه أن السيئة في مكة أعظم من السيئة في غيرها، ومن هنا كره مالك المجاورة في مكة لغير أهلها وندبها بالمدينة. قوله: (ومن هذا) أي جواب الشرط. قوله: (يؤخذ خبر إن) أي ويكون مقدراً بعد قوله: ﴿وَ﴾ (اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿بَوَّأْنَا﴾ ظرف لمحذوف. قوله: (بينا) ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي أريناه أصله ليبنيه حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر في تلك الأرض، وأنعم الله عليهما بزمزم، فدعا الله بعمارة هذا البيت، فبعث الله له ريحاً هفافة، فكشفت عن أساس آدم، فرتب قواعده عليه، لأن أساسه في الأرض كما قيل ثلاثون ذراعاً بذراع آدم، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت، فقامت بحذاء البيت وفيه رأس يتكلم يا إبراهيم ابن علي دوري فبنى عليه، وجعل طوله في السماء سبعة أذرع

﴿شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ جمع راكع وساجد المصلين ﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركباناً ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي الضوامر حملاً على المعنى ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ طريق بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ أي يحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو

بذراعه، وأدخل الحجر في البيت، ولم يجعل له سقفاً، وجعل له باباً، وحفر له بئراً يلقى فيه ما يهدى للبيت، وبناه قبله شيث، وقبل شيث آدم، وقبل آدم الملائكة، ثم بعد إبراهيم بناه العمالقة، ثم جرهم، ثم قصي، ثم قريش، ثم الزبير، ثم الحجاج، وهي باقية الآن على بنائه، ثم يهدمها في آخر الزمان ذو السويقتين، فيجددها عيسى ابن مريم عليه السلام. قوله: **(وأمرناه)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾** معمول لمحذوف، وذلك المحذوف معطوف على **﴿بَوَّأْنَا﴾**. قوله: **(من الأوثان)** قيل المراد بها الأصنام، لأن جرهماً والعمالقة، كانت لهم أصنام في محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام، وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى، فهو كناية عن إظهار التوحيد، ويصح أن يكون المراد طهره من الأقذار والأنجاس والدماء، وجميع ما تنفر منه النفوس. قوله: **﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾** أي بالدعاء إليه والأمر به. قوله: **(على جبل أبي قبيس)** أي فلما صعد للنداء، خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى، فنادى في الناس بالحج، فأول من أجابه أهل اليمن، فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة، إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ، فمن لبى مرة حج مرة، ومن لبى مرتين حج مرتين، ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته. قوله: **(لبيك اللهم لبيك)** أي أجبتك إجابة بعد إجابة. قوله: **﴿يَأْتُوكَ﴾** أي يأتوا مكانك، لأن المقصود إتيان البيت لا إتيان إبراهيم، وقوله: **﴿رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾** ليس فيه دليل على أن راكب البحر لا يجب عليه الحج، لأن مكة ليست على البحر، وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين.

قوله: **﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾** التضمير في الأصل أن تعلف الفرس حتى يسمن، ثم تقلل عنه الأكل شيئاً فشيئاً، حتى يصل إلى حد القوت، وحينئذ فيكون سريع الجري، وقدم الراجل لما ورد: أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات المحرم، كل حسنة مائة ألف حسنة، وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة، وأخذ الشافعي من هذا الحديث، أن المشي أفضل من الركوب. وقال مالك: الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر، ولأن رسول الله ﷺ حج راكباً، ولو كان المشي أفضل لفعله رسول الله، أجاب عن الحديث بأنه مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية. قوله: **(حملاً على المعنى)** أي حيث ألحق الفعل العلامة، ولو راعى اللفظ لقال يأتي. قوله: **(بالتجارة)** أي لأنها جائزة للحاج من غير كراهة، إذا لم تكن مقصودة بالسفر.

فيهما أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ أي عشر ذي الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي الشديد الفقر ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٢٩﴾ أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾

قوله: ﴿**وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ**﴾ أي عند إعداد الهدايا وذبحها. قوله: (**عشر ذي الحجة**) أي وسميت معلومات، لحرص الحجاج على علمها، لأن وقت الحج في آخرها. قوله: (**إلى آخر أيام التشريق**) راجع للقولين قبله. قوله: ﴿**عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ**﴾ أي لأجل ما رزقهم. قوله: ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا**﴾ أمر إباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم، فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً جاز الأكل منه، واختلفوا في الهدي الواجب، فقال الشافعي: لا يأكل منه، وقال مالك: يأكل من كل هدي وجب، إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين، وقال أصحاب أبي حنيفة: يأكل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما.

قوله: ﴿**ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ**﴾ أي بعد تمام حجهم وتحللهم، لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب: الرمي فالنحر فالحلق فطواف الإفاضة، فبعد الفراغ منها، حل له كل شيء كان محرماً عليه قبل الإحرام. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) هما قراءتان سبعيتان. قوله: (**لأنه أول بيت وضع**) وقيل سمي عتيقاً، لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، ومن الغرق لأنه رفع أيام الطوفان. قوله: (**أي الأمر أو الشأن ذلك**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ خبر لمحذوف، وهذا على عادة الفصحاء، إذا ذكروا جملة من الكلام، ثم أرادوا الخوض في كلام آخر، يقولون هذا وقد كان كذا، فهو يذكر للفصل بين كلامين، أو بين وجهي كلام واحد. قوله: (**هي ما لا يحل انتهاكه**) أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده، من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام، وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها، فتعظيمه في الواجب والسنة والمندوب فعل كل، وفي المكروه والحرام ترك كل، بل وترك ما يؤدي لذلك.

قوله: ﴿**خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**﴾ أي قربة وطاعة يثاب عليها في الآخرة، واسم التفضيل على بابه، باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق، من أن من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظه، فهو خير باعتبار ما عندهم، لاعتبار ما عند الله لما ورد: رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. قوله: ﴿**الْأَنْعَامُ**﴾ أي الإبل والبقر والغنم. قوله: (**بعد الذبح**) أي أو النحر أو العقر. قوله: ﴿**إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ**﴾ أي إلا مدلول الآية التي تتلى عليكم. قوله: (**فالاستثناء منقطع**) أي ووجهه أن في الآية ما ليس من جنس

تحريمه في ﴿حرمت عليك الميتة﴾ الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ من للبيان أي الذي هو الأوثان ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ ﴿٣٠﴾ أي الشرك بالله في تلبيتكم أو شهادة الزور ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي تأخذه بسرعة ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي تسقطه ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ ﴿٣١﴾ بعيد أي فهو لا يرجى خلاصه ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي فإن تعظيمها وهي البدن التي تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدي كطعن حديدة بسنامها ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي مكان حل نحرها ﴿إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ ﴿٣٣﴾ أي عنده والمراد والحرم جميعه

الأنعام، كالدم ولحم الخنزير. قوله: **(ويجوز أن يكون متصلاً)** أي ووجهه العموم في قوله الأنعام، لأن ظاهره حل الأنعام مطلقاً، ولو منخنقة وموقوذة ومتردية، فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية.

قوله: **﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾** هو في الأصل القذر والأوساخ، وعبادة الأوثان قذر معنوي. قوله: **﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾** تعميم بعد تخصيص، لأن عبادة الأوثان رأس الزور. قوله: **(أي الشرك بالله في تلبيتهم)** أي فإنهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك. إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. قوله: **(أو شهادة الزور)** أي الشهادة بما لا يعلم حقيقته. قوله: **﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾** أي مخلصين له. قوله: **(حالان من الواو)** أي في **﴿اجْتَنِبُوا﴾** لكن الأولى مؤسسة، والثانية مؤكدة.

قوله: **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾** الخ، هذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك، والمعنى أنه شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء، في أن كلًّا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع، فهو هالك لا محالة، إما بتخطف الطير لحمه، أو تفرقة الرياح لأجزائه، في أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه. قوله: **(يقدر قبله الأمر مبتدأ)** أي واسم الإشارة خبر نظير ما تقدم. قوله: **﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾** جمع شعيرة أو شعارة. قوله: **(وهي البدن)** فسرها بذلك، وإن كانت الشعائر في الأصل أعلام الحج وأفعاله مراعاة للسياق. قوله: **(بأن تستحسن)** أي تختار حسنة، بأن تكون غالية الثمن، لما روي أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار.

قوله: **﴿مِنَ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** أي من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وقوله: **(منهم)** قدره إشارة إلى أن العائد محذوف. قوله: **(بما تعرف به)** أي بعلامة يعرف بها أنها هدي. قوله: **(كطعن حديدة بسنامها)** أي وشق الجلال وإخراج السنام من الشق، وكتعليق النعال في رقبتها. قوله: **(كركوبها والحمل عليها)** أي وشرب لبنها الفاضل عن ولدها. قوله؛ **(أي عنده)** أشار بذلك إلى أن **﴿إِلَى﴾** بمعنى **عند**. قوله: **(والمراد الحرم جميعه)** أي لا خصوص الكعبة. قوله: **(أي ذبحاً قرباناً)** مفعول للمصدر الذي هو ذبحاً. والمعنى أن يذبحوا القربان، وقيل معنى منسكاً نوعاً من التعبد والتقرب.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أي ذبحاً قرباناً أو مكانه ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ المطيعين المتواضعين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يتصدقون ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة وهي الإبل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم وأجر في العقبى ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافَّ﴾ قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي

قوله: ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله. قوله: ﴿مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ أي عند ذبحها ونحرها. قوله: **(انقادوا)** أي خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه. قوله: **(المتواضعين)** هذا أصل معناه، لأن الإخبات نزول الخبت، وهو المكان المنخفض. قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي بأنهم سمعوا الذكر من غيرهم، أو ذكروا بأنفسهم. قوله: **(من البلايا)** أي المحن بأن لا يجزعوا عند نزولها بهم. قوله: **(يتصدقون)** أي صدقة التطوع، ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى. قوله: **(وهي الإبل)** أي فالبدن عند الشافعي خاصة بالإبل، وقال أبو حنيفة: البدن الإبل والبقر، وعلى كل حال، فالبقر من شعائر الله أيضاً. قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ الجملة إما حالية أو مستأنفة.

قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي بأن تقولوا عند ذبحها: بسم الله والله أكبر، اللهم إن هذا منك وإليك. قوله: **(قائمة)** المناسب أن يقول قائمات. قوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ كناية عن الموت وجمع الجنوب، مع أن البعير إذا سقط عند النحر، إنما يسقط على أحد جنبيه، لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن. قوله: **(سقطت إلى الأرض)** أي فالوجوب السقوط، يقال وجبت الشمس أي سقطت. قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي إن كانت مستحبة باتفاق، وكذا إن كانت واجبة عند مالك، إلا في جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين، ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي. قوله: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ أي المستغني بما أعطيه، المتعفف عما في أيدي الناس، الذي لا التفات له إليهم، الذي قال الله في حق من اتصف بصفته ﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً﴾ وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أمتُّ مطامعي فأرحت نفسي ... فإن النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً ... ففي إحيائه عرضي مصون
إذا طمعٌ يحل بقلب شخص ... علته مهانة وعلاه هون

مثل ذلك التسخير ﴿ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ بأن تنحر وتركب وإلا لم تطق ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ إنعامي عليكم ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ أي لا يرفعان إليه ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ أي الموحدين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ غوائل المشركين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ ﴾ في أمانته ﴿ كَفُورٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ لنعمته وهم المشركون، المعنى أنه يعاقبهم ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ﴾ أي المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ ظُلِمُوا۟ ﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

قوله: **(أي في مثل التسخير)** أي المفهوم من قوله صواف. قوله: **(وإلا لم تطق)** أي وإلا تسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها. قوله: **﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾** رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم، وجعله حول الكعبة، وتضميخها بالدم، تقرباً إلى الله تعالى. قوله: **(أي لا يرفعان إليه)** أي وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصدق. قوله: **﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** أي بأن تقولوا: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا. قوله: **﴿وَبَشِّرْ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي برضا الله والدرجات الرفيعة. قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** مناسبة هذه الآية لما قبلها، أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه، وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام، كأن قائلاً يقول: بأي شيء تتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع، فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين، وأنهم يتمكنون من المسجد الحرام، ويدفع عنهم أعداءهم، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم، فالمؤمنون مآلهم للعز والنصر والفوز الأكبر، وإن امتحنوا ببلاء أو غيره، فذلك لتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم، فهم بخير على كل حال. قوله: **(غوائل المشركين)** قدره إشارة إلى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه، **والغوائل** جمع غائلة، وهي ما يصيب الإنسان من المكروه. قوله: **(في أمانته)** مفرد مضاف أي أماناته، وهي الأوامر والنواهي. قوله: **(وهم المشركون)** أي لأنهم خائنون كافرون في كل وقت، وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك، وهذا وعيد للكفار إثر وعيد المؤمنين، لأن شأن الخائن يجازى على خيانته بالخزي والعقاب.

قوله: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾** أي يريدون القتال، والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله: **(أن يقاتلوا)** وفي قراءة سبعية أيضاً يقاتلون بالبناء للمفعول. قوله: **(وهذه أول آية نزلت في الجهاد)** أي بعد أن نهي عنه رسول الله ﷺ في نيف وسبعين آية؛ وذلك أن مشركي مكة، كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم، فيشكون لرسول الله ﷺ فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين. قوله: **﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾** جملة مستأنفة، سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية. قوله: **(هم) ﴿الَّذِينَ﴾** قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن الموصول خبر لمحذوف، وهو أحد أوجه في إعرابه، ويصح أن يكون نعتاً أو بياناً أو بدلاً من الذين الأول، أو منصوباً على المدح.

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ هم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج ما أخرجوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي بقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ بالتشديد للتكثير والتخفيف ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي في المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ منيع في سلطانه وقدرته ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ جواب الشرط وهو وجوابه صلة

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ استثناء مفرغ من محذوف، قدره المفسر بقوله: (**ما أخرجوا**) وهو متصل، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم، إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين. إن قلت: إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه. أجيب: بأن سبب الخروج باطناً، أمر الله لهم بالخروج، وظاهراً تعصب المشركين عليهم، ولا يصح استثناؤه من المذكور، لأنه يصير المعنى: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله، وهو لا يصح.

قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿دَفْعُ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير موجود، وإضافة ﴿دَفْعُ﴾ لما بعده من إضافة المصدر لفاعله. وقوله: ﴿بَعْضَهُمْ﴾ أي للكافرين، وقوله: ﴿بِبَعْضٍ﴾ أي المؤمنين، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود، لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن نبينا المساجد، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ، وأما من يوم بعث الله محمداً ﷺ، فقد بطل كل دين يخالف دينه، قال تعالى: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ فالمعنى: لولا عز الإسلام وقوة شوكته، ما عبد الله في أي زمن. قوله: (**بالتشديد للتكثير**) باعتبار المواضع. قوله: (**وبالتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة وهي المحل المرتفع البناء في الأماكن الخلية. قوله: (**للرهبان**) أي وقيل للصابئين. قوله: ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ جمع صلاة، سميت الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها، وقيل هي كلمة معربة، أصلها بالعبرانية صلوثا، بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر، ومعناه في لغتهم المصلى. قوله: (**أي ينصر الله دينه**)، أي وأولياءه، ومعنى نصره تعالى، هو أن يظفر أولياءه بأعدائه، ومعنى نصر العبيد لربهم، هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله، أو بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلماء. قوله: (**منيع في سلطانه**) المناسب أن يقول غالب على أمره، وقد أنجز الله وعده، بأن أذل الكفار، وأعز المسلمين، فأورثهم أرضهم وديارهم.

قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الخ، يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله. قوله: (**جواب الشرط**) أي قوله: ﴿أَقَامُوا﴾ وما عطف عليه. قوله: (**وهو وجوابه**) أي الشرط وفعله وجوابه.

الموصول، ويقدر قبله هم مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ أي إليه مرجعها في الآخرة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾ ﴿٤٢﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذبه القبط لا قومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٤﴾ أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير، أي هو واقع موقعه ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ وفي قراءة أهلكتها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي أهلها بكفرهم ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها

قوله: (صلة الموصول) أي لا محل لها من الإعراب. قوله: (ويقدر قبله) الخ، أي على أحد الاحتمالات المتقدمة، وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم. قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه، فيجازي كل شخص بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك، والضمير عائد على أهل مكة، والمعنى لا تحزن وتسلّ، فلست بأول من كذبه قومه. قوله: (باعتبار المعنى) أي وهو الأمة والقبيلة. قوله: ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ لم يقل قوم هود وقوم صالح، لاشتهارهما بهذين الاسمين. قوله: ﴿وَأَصحَابُ مَدْيَنَ﴾ خصهم بالذكر، وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضاً، لأنهم سابقون عليهم في التكذيب له، فخصوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب. قوله: (كذبه القبط لا قومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل في هذا الأخير للمفعول، والقبط بوزن القسط أهل مصر.

قوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التشنيع عليهم. قوله: (أي إنكاري عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الإنكار. قوله: (بإهلاكهم) أي بعذاب الاستئصال. قوله: (للتقرير) أي والمعنى: فليقر المخاطبون بأن إهلاكي لهؤلاء كان واقعاً موقعه، وفي الحقيقة هو مضمن معنى التعجب. والمعنى: ما أشدّ ما كان إنكاري عليهم. قوله: ﴿فَكَأَيِّنْ﴾ مبتدأ، و ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ تمييز، وقوله: ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾ خبره، وقوله: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ الجملة حالية. والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها، والحال أنها ظالمة. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي تهدمت حيطانها، فسقطت الحيطان فوق السقوف.

قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ قدر المفسر (كم) والجار إشارة إلى أنه معطوف على ﴿قَرْيَةٍ﴾ والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها، وقيل إن البئر الواحدة معهودة، وهي التي نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت. وسميت بذلك، لأن صالحاً حين حضرها مات، وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضورا، بناها قوم صالح، وأمروا عليهم

﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ ﴿٤٥﴾ رفيع خال بموت أهله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ إخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ تأكيد ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب فأنجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٤٧﴾ بالتاء والياء في الدنيا ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤٨﴾ المرجع ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٤٩﴾ بين الإنذار وأنا بشير للمؤمنين

جلهس بن جلاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدوا صنماً، وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم، والمتبادر من الآية العموم، ولذا مشى عليه المفسر.

قوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره: أغفلوا فلم يسيروا؟ فهو تحريض لهم على السير، ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا، وهم وإن كانوا سافروا، ولم يسافروا للاعتبار والنظر، فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا. قوله: ﴿**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ**﴾ مفرع على قوله: ﴿**يَسِيرُوا**﴾ فهو منفي أيضاً. قوله: (**ما نزل بالمكذبين**) مفعول يفعلون. قوله: (**أي القصة**) أي وما بعده تفسير له. قوله: ﴿**لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ**﴾ الخ، أي فالخلل ليس في حواسهم الظاهرية، وإنما هو في قلوبهم، فترتب على ذلك انهماكهم في الشهوات وعدم إذعانهم للحق، لأن عمى القلب هو الضار في الدين، لما ورد في الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». قوله: (**تأكيد**) أي قوله: ﴿**الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ تأكيد للقلوب، لأن من المعلوم أن القلوب حالة في الصدور، ومنه قولهم: سمعت بأذني ونظرت بعيني.

قوله: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ**﴾ أي يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون: أين ما توعدتنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الأمم الماضية رسلهم؟ قوله: ﴿**وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ**﴾ تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا، وتضمن قوله: ﴿**وَإِنْ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ الخ؛ عذابهم في الآخرة، فهم يعذبون مرتين: في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بدخول النار الدائم. قوله: (**فأنجزه يوم بدر**) أي فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون من صناديدهم. قوله: ﴿**كَأَلْفِ سَنَةٍ**﴾ اقتصر على الألف، لأنه منتهى العدد بلا تكرار، وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ أتى هنا بالواو لمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿**وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْماً**﴾ الخ، بخلاف الأولى، فأتى بالفاء لمناسبة ما قبلها في قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ فأتى في كل بما يناسبه.

قوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ أي الموصوفون باستعجال العذاب، وقد جرت عادة الله في كتابه، أنه يخاطب المؤمنين: بيا أيها الذين آمنوا، وكفار مكة: بيا أيها الناس. قوله: (**وأنا بشير للمؤمنين**) قدره

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾﴾ هو الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ النار ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن

إشارة إلى أن في الآية اكتفاء، بدليل التعميم المذكور بعد. قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي من الذنوب الصغائر والكبائر. قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ أي اجتهدوا. قوله: (**بإبطالها**) الباء بمعنى في، والمعنى اجتدوا في إبطالها حيث قالوا في القرآن: (إنه أساطير الأولين) وسحر وكهانة. قوله: (**من اتبع النبي**) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف. قوله: (**يثبطونهم**) أي يعوقونهم ويشغلونهم. قوله: (**أو مقدرين عجزنا**) أي فالمفعول محذوف تقديره الله. والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم. قوله: (**وفي قراءة معاجزين**) أي وهي سبعية أيضاً، وتقدير المفعول عليها معاجزين الله، أي مسابقين له، ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله، ومعنى مسابقة الله العذاب بهم وعدم فرارهم منه. قوله: (**يظنون أن يفوتونا**) أي فلا يلحقهم عذابنا. قوله: ﴿**أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ أي مآلهم لها، وهي معدة لهم.

قوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**﴾ الخ، هذه تسلية ثانية لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول أي رسولاً. قوله: (**هو نبي أمر بالتبليغ**) أي إنسان ذكر حر، أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. قوله: ﴿**وَلَا نَبِيٍّ**﴾ عطف على ﴿رَسُولٍ﴾. إن قلت: **إن** تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ، ينافي قوله أرسلنا. أجيب: **بأن** الإرسال معناه البعث لنفسه، لأنه أوحي إليه بشرع يعمل به في نفسه، وليس مأموراً بتبليغه للخلق، أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه، كأن يقال مثلاً: ولا نبأنا من نبي على حد: علفتها تبناً وماءً بارداً. قوله: (**أي لم يؤمر بالتبليغ**) أشار المفسر بهذا، إلى أن العطف في الآية مغاير، وإن كان لفظ النبي أعم. قوله: (**قراءته**) إنما سميت القراءة أمنية، لأن القارىء إذا وصل إلى آية رحمة تمنى حصولها، أو آية عذاب تمنى البعد عنه. قوله: (**ما ليس من القرآن**) مفعول ألقى. قوله: (**مما يرضاه**) بيان لما. قوله: (**المرسل إليهم**) أي وهم الكفار. قوله: (**وقد قرأ النبي**) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية، قراءة النبي سورة النجم، وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة، وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك السنة.
قوله: (**بإلقاء الشيطان**) متعلق بقرأ. قوله: (**تلك الغرانيق**) معمول (**قرأ**) والغرانيق في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس، أو غرنوق كعصفور، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع. قوله: (**ففرحوا بذلك**) أي بما سمعوه وقالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. قوله: (**يبطل**) أي يزيل، فالنسخ في اللغة معناه الإزالة، وما ذكره المفسر من قصة الغرانيق، رواية عامة المفسرين الظاهريين. قال الرازي: أما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول، أما القرآن فبوجوه: أحدها قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ الآية. ثانيها ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ الآية: ثالثها قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾. وأما السنة فمنها ما روي عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة

رَسُولٍ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلي بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يثبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٢﴾ في تمكينه منه يفعل ما يشاء ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي المشركين عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٣﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٤﴾ أي دين الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي القرآن بما

فقال: هي من وضع الزنادقة، وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، فقد روى البخاري في صحيحه، أنه ﷺ قرأ سورة النجم، وسجد فيها المسلمون والكفار والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق. وأما المعقول فمن أوجه: أحدها: أن من جوز على النبي ﷺ تعظيماً للأوثان فقد كفر. ثانيها: لو كان الإلقاء على الرسول ثم الإزالة عنه، لكانت عصمته من أول الأمر أولى، وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي. ثالثها، وهو أقوى الأوجه: أنا لو جوزنا ذلك، لارتفع الأمان عن شرعه. ثم قال الرازي: وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة، قاله الخطيب، ثم قال: وهذا هو الذي يطمئن إليه القلب، وإن أطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها، انتهى. ويكون معنى الآية على هذا التحقيق، ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته شبهاً وتخيلات في قلوب الأمم، بأن يقول لهم الشيطان: هذا سحر وكهانة، فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى، ويحكم الله آياته في قلوبهم، والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم، حكيم في تسليطه عليهم، ليميز المفسد من المصلح.

قوله: **﴿وَلِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾** متعلق بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل، الخ. قوله: **﴿وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ﴾** عطف على الذين، أي فتنة للقاسية قلوبهم. قوله: **(حيث جرى على لسانه)** الخ، قد علمت أن هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن. قوله: **﴿وَلِيَعْلَمَ﴾** عطف على ليجعل. قوله: **﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾** أي بالقرآن. قوله: **(أي دين الإسلام)** أي وسمي صراطاً لأنه يوصل لمرضاة الله، كما أن الصراط يوصل لدار النعيم.

قوله: **﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه. قوله: **(أي القرآن)** أشار

ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ﴿٥٥﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظروف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ فضلاً من الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿٥٧﴾ شديد بسبب كفرهم ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ أفضل المعطين ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنياتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ عن عقابهم، الأمر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظلماً من المشركين أي

بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن، وقيل عائد على الرسول، أي في شك من أمر الرسول من كونه صادقاً أو لا. قوله: (**بما ألقاه الشيطان على لسان النبي**) هذا خلاف الصواب، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله. قوله: ﴿**يَوْمٍ عَقِيمٍ**﴾ العقم في الأصل عدم الولادة، فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العقم، فإثباته تخييل، والجامع عدم الثمرة في كل.

قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ التنوين عوض عن جملة أي الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة، أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله، ومعنى كونه لله، عدم نسبة شيء في الملك لأحد سواه في ذلك اليوم. قوله: (**ناصب للظرف**) أي قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾. قوله: ﴿**يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**﴾ جملة مستأنفة سيقت جواباً لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم. قوله: (**فضلاً من الله**) أي لا بسبب أعمالهم.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا**﴾ مبتدأ خبره ﴿**لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ**﴾، وخصهم بالذكر وإن كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيماً لشأنهم. قوله: ﴿**ثُمَّ قُتِلُوا**﴾ أي في الحروب، وقوله: ﴿**أَوْ مَاتُوا**﴾ أي على فراشهم من غير قتل. قوله: (**هو رزق الجنة**) أي التنعم فيها. قوله: (**أفضل المعطين**) أي فالمراد بالرزق الإعطاء، وهو ينسب للخلق كما ينسب للخالق، إلا أن نسبته للخالق حقيقة، ولغيره مجاز. قوله: ﴿**لَيُدْخِلَنَّهُمْ**﴾ الخ، إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم. قوله: (**بضم الميم وفتحها**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**حَلِيمٌ**﴾ أي فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه، بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة. قوله: ﴿**ذَٰلِكَ**﴾ (**الذي قصصناه عليك**) أي من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين، واسم الإشارة خبر لمحذوف تقديره الأمر الذي قصصناه عليك، أي لا تغيير فيه ولا تبديل، فهي كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر.

قوله: ﴿**وَمَنْ عَاقَبَ**﴾ العقاب مأخوذ من التعاقب، وهو مجيء الشيء بعد غيره، وحينئذ فقوله:

قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم أي ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ ٦٠﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ أي يدخل كلاً منهما في الآخرة بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ ٦١﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته ﴿ٱلْكَبِيرُ ٦٢﴾ الذي يصغر كل شيء سواه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات وهذا من أثر قدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ ٦٣﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ ٦٤﴾

﴿عَاقَبَ﴾ بمعنى جازى حقيقة لغوية، وأما قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أتى به لمشاكلة الأول للازدواج نظير ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، والباء في ﴿بِهِ﴾ للسببية. قوله: **(أي قاتلهم)** أي قاتل من كان يقاتله، نزلت هذه الآية في قوم من المشركين، لقوا قوماً من المسلمين، لليلتين بقيتا من المحرم، فقالوا: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا، فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: ﴿غَفُورٌ﴾ **(لهم عن قتالهم في الشهر الحرام)** وقيل نزلت في قوم من المشركين، مثلوا بقوم من المسلمين، قتلوهم يوم أحد، فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله، وقيل إنها عامة في النبي وأصحابه، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم، وآذوا من آمن به، وأخرجوهم من مكة، فوعد الله بالنصر محمداً وأصحابه فإنهم حزب الله، والكفار حزب الشيطان. قوله: ﴿غَفُورٌ﴾ **(لهم)** أي ما فعلوه، لأنهم فعلوه دفعاً عن أنفسهم، لا تجرياً على المحرم.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ خبره. قوله: **(بأن يزيد)** أي الآخر، وقوله: **(ذلك)** أي الإيلاج، فهو إشارة إلى أن الإيلاج دليل القدرة، والقدرة دليل النصر، لأن القادر على إدخال كل منهما في الآخر، قادر على نصر أحبائه وخذلان أعدائه. قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح في قراءة العامة، عطف على أن الأولى، وقرىء شذوذاً بالكسر استئنافاً. قوله: ﴿وَذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿هُوَ﴾ إما مبتدأ أو ضمير فصل. قوله: **(الثابت)** الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(الزائل)** أي الفاني الذي لا بقاء له. قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ نتيجة ما قبله من الأوصاف.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ شروع في ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق، وما سواه باطل، وفي الحقيقة، كل دليل نتيجة للدليل الذي قبله ففي الأدلة الترقي في الاحتجاج والمعرفة فتأمل.

لأوليائه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أَن﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ في التسخير والإمساك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الإنسان﴾ أي المشرك ﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لنعم الله بتركه توحيده ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ يراد به لا تنازعهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾

الأول: إنزال الماء الناشىء عنه اخضرار الأرض. الثاني: قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾. الثالث: تسخير ما في الأرض. الرابع: تسخير الفلك. الخامس: إمساك السماء. السادس: الإحياء ثم الإماتة ثم الإحياء ثانياً. قوله: (تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الإبصار، لأن الماء وإن كان مرئياً، إلا أن كون الله منزلاً له من السماء غير مرئي. قوله: (مطراً) لا مفهوم له، لأن النيل وماء الآبار من السماء، إلا أن يقال اقتصر على المطر، لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره. قوله: ﴿فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عبر بالمضارع إشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله. قوله: (بما في قلوبهم عند تأخير المطر) أي من التأثر والقنوط. قوله: (على جهة الملك) أي فلا ملك لأحد معه.

قوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ أي ذلل لكم ما فيها من الدواب لتنتفعوا بها. قوله: ﴿وَالْفُلْكَ﴾ بالنصب في قراءة العامة، عطف على ما في قوله: ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾ أي وسخر لكم الفلك وأفردها بالذكر، لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات، والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد، فوزن الواحد قفل، ووزن الجمع بدن. قوله: (من) ﴿أَنْ﴾ (أو لئلا) ﴿تَقَعَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ تَقَعَ﴾ إما في محل نصب على المفعول لأجله، أي لأجل أن لا تقع، أو في محل جر على حذف حرف الجر، والتقدير من أن تقع أي من وقوعها. قوله: ﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ استثناء مفرغ من معنى قوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ﴾ والتقدير لا يتركها تقع في حال من الأحوال، إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى. قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ أي أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا، فكل من الإحياء الأول والثاني، إما نعمة أو نقمة. قوله: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (عند البعث) أي للثواب أو العقاب. قوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ أي جحود لنعم خالقه.

قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي أهل دين، فالمراد بالأمة من له ملة وشرع. قوله: (بفتح السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (شريعة) أي أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم، بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى، فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة، ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد ﷺ منسكهم الإنجيل، والأمة الموجودون عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لا غيره، وحينئذ فقوله: ﴿فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾ أي لا ينازعنك هؤلاء الأمم في أمر دينك، زعماً منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ، فإن التوراة والإنجيل شريعتان لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد، ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه ﷺ إذا

أي أمر الذبيحة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ أي في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي علم ما ذكر ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ سهل ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ هو الأصنام ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ يمنع عنهم عذاب الله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي الإنكار لها أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا

علمت ذلك، فقول المفسر: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾ **(أي أمر الذبيحة)** الخ، لا يسلم لأنه يقتضي أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التي جعلها الله لبعض الأمم، ولا شك في بطلان ذلك، فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به.

قوله: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي ادعهم أو ادع الناس عموماً. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ بآية القتال، وهذا أحد قولين، وقيل إن الآية محكمة، وحينئذ فيكون المعنى: أترك جدالهم، وفوض الأمر إلى الله بقولك: الله أعلم بما تعملون، فيكون وعيداً لهم على أعمالهم، حيث داموا على الكفر، وهو لا ينافي قتالهم، لأن القتال يرفعه أحد أمرين: الإسلام أو الجزية، مع البقاء على الكفر. قوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي يقضي ويفصل. قوله: **(الاستفهام فيه للتقرير)** أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: **(أي علم ما ذكر)** أي الموجود في السماء والأرض. قوله: **(هو اللوح المحفوظ)** هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب. قوله: ﴿سُلْطَاناً﴾ أي من جهة الوحي.

قوله: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي دليل عقلي. قوله: **(حال)** أي من آيات. قوله: ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وضع الظاهر موضع المضمر تبكيتاً عليهم. قوله: **(أي الإنكار لها)** أشار بذلك إلى أن المنكر مصدر ميمي على حذف مضاف. قوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ هذه الجملة حال، إما من الموصول أو من الوجوه، وضمن يسطون معنى يبطشون، فعداه بالباء، وإلا فهو متعد بعلى. قوله: ﴿النَّارُ﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف، كأنه قيل: وما الأشر؟ فقيل: هو النار. قوله: ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وعد يتعدى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدم، و ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول مؤخر، نظير قوله تعالى: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم﴾ ويصح العكس، بأن يجعل الضمير هو

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٢﴾ هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ وهو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ اسم جنس واحدة ذبابة يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ لخلقه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله تعالى هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ﴿٧٣﴾ المعبود ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾

المفعول الأول، و﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ هو المفعول الثاني، وإليه يشير المفسر بقوله: (**بأن مصيرهم إليها**) حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به، والنار هي الموعودة. والمعنى جعل الله الكفار طعاماً للنار وعدها بهم، والأول أنسب من جهة العربية، لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ، كأعطيت زيداً درهماً.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ هذه الآية مرتبطة بقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ فالخطاب وإن كان لأهل مكة، إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام، والمثل في اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير، ثم صار حقيقة عرفية في ما شبه مضربه بمورده، كقولهم: الصيف ضيعت اللبن، وليس مراداً هنا، بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة، وإليه يشير المفسر في آخر العبارة بقوله: (**هذا أمر مستغرب**). قوله: ﴿**فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ أي اصغوا إليه لتعتبروا. قوله: (**وهو**) أي المثل المضروب. قوله: (**واحدة ذبابة**) أي ويجمع على ذبان بالكسر كغربان، وذبان بالضم كقضبان، وأذبة كأغربة، مأخوذ من ذب إذا طرد، وآب إذا رجع، لأنه يذب فيرجع، وهو أحرص الحيوانات وأجهلها، لأنه يرمي نفسه في المهلكات. ومدة عيشه أربعون يوماً، وأصل خلقته من العفونات، ثم يتوالد بعضه من بعض، يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود، وعلى الأسود فيرى أبيض. قوله: ﴿**وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**﴾ الجملة حالية كأنه قال: انتفى خلقهم الذباب على كل حال، ولو في حال اجتماعهم.

قوله: ﴿**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ**﴾ أي يأخذ ويختطف منهم. قوله: (**مما عليهم من الطيب والزعفران**) الخ، أي لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران، ورؤوسها بالعسل، ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله، وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر، ويطيبونها بأنواع الطيب، فربما سقط شيء منها، فيأخذه طائر أو ذباب، فلا تقدر الآلهة على استرداده. قوله: (**الملطخون بها**) المناسب أن يقول المتلطخين، لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. قوله: ﴿**لَا يَسْتَنْقِذُوهُ**﴾ أي لا يخلصون منه. قوله: (**عبر عنه بضرب المثل**) جواب عما يقال: إن الذي ضرب وبين ليس بمثل حقيقة، فكيف سماه مثلاً؟ فأجاب: بأن القصة العجيبة تسمى مثلاً، تشبيهاً لها ببعض الأمثال في الغرابة.

قوله: ﴿**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها، وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل، أن رسول الله ﷺ كان جالساً وحوله أصحابه، وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أحبار اليهود، فقال له رسول الله: ناشدتك الله، هل رأيت في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ فقال: نعم، فقال له رسول الله: وأنت حبر سمين، فضحك القوم، فالتفت مالك إلى عمر بن الخطاب وقال:

عظمته إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ غالب ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدموا وما خلفوا وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ أي صلوا ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب حق على المصدر ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ

ما أنزل الله على بشر من شيء، وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا: خلق الله السماوات يوم الأحد، والأرض يوم الاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والأوراق والأشجار يوم الأربعاء، والشمس والقمر في يوم الخميس، وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة، ثم استوى على ظهره، ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح، فغضب رسول الله ﷺ، وقيل إنها من تتمة المثل، وعليه درج المفسر.

قوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي﴾ أي يختار. قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ إن قلت إن هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضي أن الكل رسل. أجيب بأن التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبني آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضاً. قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (رسلًا) أشار بذلك إلى أن في الآية الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه. قوله: (**نزل لما قال المشركون**) القائل هو الوليد بن المغيرة، ووافقه على ذلك قومه. قوله: (**كجبريل**) الخ، مثل باثنين من الملائكة واثنين من الإنس. قوله: (**ما قدموا**) أي من الأعمال. قوله: (**وما خلفوا**) أي لم يعملوه بالفعل. قوله: (**أو ما عملوا**) أي بالفعل، وقوله: (**وما هم عاملون**) أي في المستقبل. قوله: ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي تصير أمور الخلائق اليه تعالى، ويجازي كلًا بعمله. قوله: (**أي صلوا**) أي وعبر عنها بالركوع والسجود، من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه. قوله: (**كصلة الرحم ومكارم الأخلاق**) أي وغيرهما من الخيرات الواجبة والمندوبة. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، فالفلاح محقق لمن فعل هذه الأمور.

قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ﴾ أي أعداءكم الظاهرية والباطنية، فالظاهرية فرق الضلال والكفر، ومجاهدتها معلومة، ويسمى الجهاد الأصغر، والباطنية النفس والهوى والشيطان، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً، ويسمى الجهاد الأكبر كما في الحديث، ووجه تسميته أكبر، أن الأعداء الظاهرية، تحضر تارة وتغيب أخرى وتصالح، وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة، بخلاف الأعداء الباطنية، فلا تغيب أصلاً، ولا يمكن الصلح معها، وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار. قوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف، أي جهاداً حقاً. قوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ﴾ أي اصطفاكم وجعلكم أمة وسطاً.

مِنْ حَرَجٍۚ﴾ أي ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ أن رسلهم بلغتهم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ أي الناصر لكم.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ المراد بالدين أصوله وفروعه، حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، فمن ذلك قبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا، ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم، وإذا أذنب الشخص منهم ذنباً، ستره الله ولم يفضحه في الدنيا، بأن يجده مكتوباً في جبهته أو على باب داره، كما كان فيمن قبلهم، وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك، إن قلت: كيف لا حرج في الدين، مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار، والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك؟ أجيب: بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السراق وأصحاب الحدود، فقد انتهكوا حرمة الشرع، وانتقلوا من السهولة للصعوبة، لأن الله لم يحرم المال مطلقاً، ولا النكاح مطلقاً، بل أحل أشياء وحرم أشياء، فما جزاء من يتعدى الحدود، إلا التشديد عليه. قوله: (**بنزع الخافض الكاف**) أي كملة أبيكم، فالتشبيه في أصول الدين وفي سهولة الفروع.

قوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى، وقيل الضمير عائد على إبراهيم. قوله: (**أي قبل هذا الكتاب**) أي في الكتب القديمة. قوله: ﴿وَفِي هٰذَا﴾ أي بقوله: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. قوله: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ متعلق بسماكم واللام للعاقبة.

قوله: (**داوموا عليها**) أي بشروطها وأركانها. قوله: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ لمستحقيها. قوله: (**ثقوا**) أي في جميع أموركم. قوله: ﴿هُوَ﴾ قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف، وحذفه من الثاني لدلالة هذا عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

مكيّة

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ ﴿٢﴾ متواضعون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون مكية

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(سورة) مبتدأ، و **(المؤمنون)** مضاف إليه مجرور بباء مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية، و **(مكية)** خبر وظاهره أن جميعها مكي، وقيل إلا ثلاث آيات وهي قوله: **(ولو رحمناهم)** إلى آخرها، فإنهن مدنيات. قوله: **(وثمان)** هذا قول الكوفيين، وقوله: **(أو تسع عشرة آية)** هو قول البصريين، وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ هل هو آية كما قاله البصريون، أو بعض آية كما قاله الكوفيون؟ قوله: ﴿قَدْ﴾ **(للتحقيق)** أي لتحقيق ما يحصل في المستقبل، وتنزيله منزلة الواقع. قوله: **(فاز)** ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ظفروا بمقصودهم، ونجوا من كل مكروه، قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ و ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قوله: ﴿خَاشِعُونَ﴾ أي ظاهراً وباطناً فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة، كعدم الالتفات والعبث وسبق الإمام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطني استحضار عظمة الله، وعدم التفكر بدنيوي. وقدم الصلاة، لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴾ ﴿٤﴾ مؤدون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴾ ﴿٥﴾ عن الحرام ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ أي من زوجاتهم ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ ﴾ أي السراري ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ﴿٦﴾ في إتيانهن ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد في إتيانهن ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ ﴿٧﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿ رَٰعُونَ ﴾ ﴿٨﴾ حافظون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ ﴿٩﴾ يقيمونها في أوقاتها ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ لا غيرهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ ﴿١١﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ**﴾ المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا، كان قولاً أو فعلاً أو مكروهاً أو مباحاً، كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يغني، والتغول في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه، وبالجملة فينبغي للإنسان أن يرى ساعياً في حسنة لمعاده، أو درهم لمعاشه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ**﴾ اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج، كربع العشر من النقدين، والعشر أو نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل، فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون، لأن القدر المخرج لا معنى لفعله، وعلى الثاني ففاعلون على بابه. قوله: ﴿**حَافِظُونَ**﴾ أي مانعون. قوله: (**عن الحرام**) أي عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه. قوله: (**أي من زوجاتهم**) أشار بذلك إلى أن على بمعنى من.

قوله: ﴿**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ عبر بما دون من إن كان المقام له، لأن الإناث ناقصات، ولاسيما الأرقاء ففيهن شبه بالبهائم، في حل البيع والشراء. قوله: (**أي السراري**) جمع سرية بالضم، وهي في الأصل الأمة التي بوئت ببيت، مأخوذة من السر، وهو الجماع أو الإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته، أو من السرور لأن مالكها يسر بها. قوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ**﴾ علة للاستثناء. قوله: (**كالاستمناء باليد**) أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقال أحمد بن حنبل: يجوز بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، وألا يجد مهر حرة أو ثمن أمة، وأن يفعله بيده، لا بيد أجنبي أو أجنبية. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ**﴾ أي ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق، كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق، كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم. قوله: (**جمعاً ومفرداً**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَعَهْدِهِمْ**﴾ مرادف للأمانات. قوله: (**حافظون**) أي غير مضيعين لها. قوله: ﴿**يُحَافِظُونَ**﴾ أي يحامون عليها بشروطها وأركانها وآدابها، ولكون الصلاة عماد الدين، وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها. قوله: (**لا غيرهم**) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل، لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، وهو إضافي لا حقيقي، لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو، لقوله تعالى ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أو يقال: إن الحصر فيهم حقيقي بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافراً.

قوله: ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ**﴾ عبر بالإرث دون الاستحقاق، لأن الإرث ملك دائم. قوله:

ويناسبه ذكر المبدإ بعده ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ متعلق بسلالة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ هو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحماً قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة عظماً في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي المقدرين، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي

(ويناسبه ذكر المبدإ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، والمعنى أن الآية التي سبقت، ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من اتصف بتلك الصفات، وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدإ، وحينئذ فبين الآيتين مناسبة، وهذا أتم مما قيل، إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ**﴾ الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله: ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى، الأول: تقلب الانسان في أطوار خلقته وهي تسعة آخرها قوله: (تبعثون) الثاني: خلق السماوات. الثالث: إنزال الماء. الرابع: منافع الحيوانات. وذكر منها أربعة أنواع، واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: **(والله)**. قوله: ﴿**مِنْ سُلَالَةٍ**﴾ متعلق بخلقنا. قوله: **(متعلق بسلالة)** أي لأنه بمعنى مسلول. قوله: **(أي الإنسان نسل آدم)** أشار بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان، لكن لا بالمعنى الأول، وحينئذ ففي الكلام استخدام، ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾. قوله: ﴿**في قَرَارٍ مَكِينٍ**﴾ أي في مقر متمكن. وصف بذلك لأنه محفوظ، لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقاً.

قوله: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**﴾ قيل كلها، وقيل جزء منها، والباقي يوضع نصفه في موضع تربته، والنصف الثاني يوضع في السماء، فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور، أمطرت السماء منياً، فتتلاقى النطف النازلة من السماء، بالنطف الباقية في الأرض، فتوجد الخلائق بينهما، وهذا هو حكمة قوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾. قوله: **(وفي قراءة عظماً)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**﴾ أي من غير توان، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها، إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين. قوله: **(بنفخ الروح فيه)** هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا، وقيل خروج أسنانه وشعره، وقيل كمال شبابه، والأتم أنه عام في هذا وغيره من النطق والإدراك وتحصيل المعقولات، وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم، من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين.

وتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

قوله: ﴿**فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ**﴾ أي تعاظم وارتفع قدره. قوله: **(المقدرين)** أي المصورين، ودفع بذلك ما يقال: إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة، مع أنه لا خالق غيره. فأجاب: بأن المراد بالخلق التقدير لا

خلقاً ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٦﴾ للحساب والجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي سبع سماوات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ تحتها ﴿غَٰفِلِينَ﴾ ﴿١٧﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ صيفاً وشتاء ﴿وَ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ

الإيجاد والإبداع، والتقدير حاصل من الحوادث. قوله: **(للعلم به)** أي من قوله الخالقين فإنه يدل عليه. قوله: **﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾** أي من الأمور العجيبة. قوله: **﴿يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾** أي عند النفخة الثانية. إن قلت: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء، لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوماً، فإن نظر لآخر المدة وأولها، اقتضى أن يعطف بثم، وإن نظر لآخرها، اقتضى أن يعطف بالفاء؟ أجيب: بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من التراب غريب جداً، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريب لمشابهته في اللون أو الصورة، وكذا جعلها عظاماً، وأما جعلها خلقاً آخر فغريب، وكذا الموت والبعث، فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه.

قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ﴾** المراد به جهة العلو، لأن كونها فوق، وإنما هو بعد خلق الخلق، وإلا فوقت خلق السماوات لم يكونوا مخلوقين. قوله: **(لأنها طرق الملائكة)** أي في العروج والهبوط والطيران، وقيل معنى طرائق مطروقات، أي موضوعاً بعضها فوق بعض، فهو معنى طباقاً في الآية الأخرى. قوله: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾** الجار والمجرور متعلق بأنزلنا. قوله: **﴿بِقَدَرٍ﴾** أي تقدير بجلب منافعهم ودفع مضارهم، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم، واليه يشير المفسر.

قوله: **﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾** أي جعلناه ساكناً ثابتاً مستقراً في الأرض، بعضه على ظهرها، وبعضه في بطنها. قوله: **﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾** الباء في **﴿بِهِ﴾** للتعدية، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه. روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل، أنزل من الجنة خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، فذلك قول تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، أرسل الله عز وجل جبريل، فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض، فقد أهلها خير الدنيا والدين. قوله: **﴿لَكُمْ فِيهَا﴾** أي الجنات. قوله: **﴿وَمِنْهَا﴾** أي من ثمر الجنات، كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك.

مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ﴾ من الرباعي والثلاثي ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي الإبل ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾

قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ﴾ المراد بها شجرة الزيتون، وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت، وهي أول شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان، وتبقى في الأرض كثيراً، حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة. قوله: ﴿سِينَاءَ﴾ قيل معناه المبارك أو الحسن الملتف بالأشجار، وهو الجبل الذي نودي عليه موسى. قوله: **(منع الصرف للعلمية والتأنيث)** أي وقيل للعلمية والعجمة، لأنه اسم أعجمي نطقت به العرب، فاختلفت فيه لغاتهم، فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها، وسينين، فهو علم مركب كامرىء القيس ومنع من الصرف، وإن كان جزء علم، نظراً إلى أنه عومل معاملة العلم. قوله: **(والتأنيث للبقعة)** أي والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للإلحاق بقرطاس، وهي منقلبة عن ياء أو واو، لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة. قوله: **(من الرباعي والثلاثي)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ عبر في جانب الأنعام بالعبرة دون النبات، لأن العبرة فيها أظهر. قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ عبر بلفظ الجمع هنا، لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ الخ، وذكر الضمير في النحل باعتبار البعض، فإن المراد خصوص الإناث، بدليل الاقتصار على اللبن. قوله: **(أي الابل)** خصها لأنها المحمول عليها غالباً، ويصح عوده على الأنعام، لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم، فتكون ستاً: الأولى قصة نوح، الثانية قصة هود، الثالثة قصة القرون الآخرين، الرابعة قصة موسى وهارون، الخامسة قصة عيسى وأمه، والمقصود منه اطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى، ليقتدوا بهم في الخصال، ويتباعدوا عن خصالهم المذمومة، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار، وقيل عبد الله، وقيل يشكر، وعاش من العمر ألف سنة وخمسين، لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ﴾ بمنزلة التعليل لما قبله. قوله: **(وهو اسم ما)** أي قوله: ﴿إِلٰهٍ﴾، وأما لفظ ﴿غَيْرُهُ﴾ فيصح فيه الرفع اتباعاً لمحل إله، والجر اتباعاً للفظه قراءتان. قوله: **(وما قبله الخبر)** أي وهو الجار والمجرور، وما مشى عليه المفسر، طريقة ضعيفة للنحاة، وهي جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها، إذا كان الخبر ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، والمشهور إهمالها حينئذ، فكان المناسب أن يقول: وهو مبتدأ مؤخر وما قبله

وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ أي الأمم الماضية ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٥﴾ إلى زمن موته ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ﴿٢٦﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيباً دعاءه ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك

الخبر. قوله: ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فلا تتقون. قوله: ﴿**فَقَالَ ٱلْمَلَأُ**﴾ أي الأشراف. وحاصل ما ذكروه خمس مقالات: الأولى ﴿**مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾. الثانية: ﴿**وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً**﴾. الثالثة: ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ**﴾. الرابعة: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ**﴾. الخامسة: ﴿**فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ**﴾. ولكونها ظاهرة الفساد، لم يتعرض لردها. قوله: (**بأن يكون متبوعاً**) أي بادعاء الرسالة. قوله: (**أن لا يعبد غيره**) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف. قوله: (**بذلك**) أي بأن لا يعبد غيره. قوله: (**إلا بشراً**) أي لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم، ينقاد الخلق اليهم من غير شك، فلما لم يفعل ذلك، علمنا أنه ما أرسل رسولاً. قوله: (**حالة جنون**) أي ففعلة بالكسر للهيئة. قال ابن مالك: وفعلة لهيئة كجلسة. قوله: (**إلى زمن موته**) أي فكانوا يقولون لبعضهم: اصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً، فالله ينصره ويقوي أمره، وإن كان كاذباً، فالله يخذله ويبطل أمره فنستريح منه، أو المراد بالحين، الزمان الذي تظهر فيه العواقب، فالمعنى انتظروا عاقبة أمره، فإن أفاق وإلا فاقتلوه.

قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي**﴾ أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم. قوله: ﴿**أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ**﴾ ﴿**أَنِ**﴾ مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: ﴿**بِأَعْيُنِنَا**﴾ حال من الضمير في اصنع، وجمع الأعين للمبالغة. قوله: (**بمرأى منا وحفظنا**) أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسلاً، لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه، فأطلق اللازم وأريد الملزوم. قوله: ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾ أي تعليمنا، فإن الله أرسل إليه جبريل، فعلمه صنعتها وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وارتفاعها ثلاثين، والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل غير ذلك، وقد تقدم في هود، وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للإنس.

قوله: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا**﴾ أي ابتداء ظهوره. قوله: ﴿**وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ**﴾ عطف بيان لمجيء الأمر. روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا فار الماء من التنور، فاركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء، فصار إلى نوح، فلما نبع منه الماء، أخبرته امرأته فركبوا، واختلف في مكانه،

علامة لنوح ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي أدخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى من كل أنواعها ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك، وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة وفي قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل جميع من كانوا في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ الكافرين وإهلاكهم ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ ما ذكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن

فقيل كان بمسجد الكوفة، على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل كان في عين وردة من الشام.
قوله: (**علامة لنوح**) أي على ركوب السفينة.

قوله: ﴿**مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ**﴾ أي غير البشر، لما يأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين. قوله: (**وغيرهما**) أي من كل ما يلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق، فلم يحمله فيها. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**بالتنوين**) أي فحذف ما أضيف إليه كل، وعوض عن التنوين. قوله: (**أي زوجته**) أي المؤمنة لأنه كان له زوجتان، إحداهما مؤمنة فأخذها معه في السفينة، والأخرى كافرة تركها، وهي أم ولده كنعان. قوله: (**وهو زوجته**) أي الكافرة. قوله: (**بخلاف سام**) أي وهو أبو العرب، وحام هو أبو السودان، ويافث هو أبو الترك. قوله: (**ستة رجال**) أي فالجملة اثنا عشر. قوله: (**بترك إهلاكهم**) متعلق بتخاطبني. قوله: ﴿**إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ أي محكوم عليهم بالغرق. قوله: (**وإهلاكهم**) أي ونجانا من إهلاكهم.

قوله: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً**﴾ الخ، العبرة بعموم اللفظ، فهذا الدعاء ينبغي قراءته لكل من نزل في محل يريد الاقامة فيه. قوله: (**عند نزولك من الفلك**) أي حين استوت على الجودي، وكان يوم عاشوراء، وابتداء ركوبه السفينة، كان لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر. قوله: (**بضم الميم**) أي فهما قراءتان سبعيتان، وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك، بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين. قوله: ﴿**مُبَارَكاً**﴾ (**ذلك الانزال**) تفسير للضمير في مباركاً،

﴿بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوماً ﴿ءَاخَرِينَ﴾ ﴿٣١﴾ هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هوداً ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ عقابه فتؤمنون ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأوّلهما وهو مغنٍ عن جواب الثاني ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي إذا أطعتموه ﴿لَّخَاسِرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ أي مغبونون ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ

والوجهان لكل من الضم والفتح. قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخففة واللام فارقة، والمعنى وإننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر، هل يتبعونه ويتعظون بوعظه.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿قَرْناً﴾ أي قوماً سموا بذلك، لأن بعضهم مقترن ببعض في الزمان. قوله: (هم عاد) اسم قبيلة أرسل اليها هود، وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد، وبالرسول هود، هو ما عليه أكثر المفسرين، ويشهد له مجيء قصة هود، عقب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء. وخير ما فسرته بالوارد. ولا يشكل على هذا قوله في آخر القصة (فأخذتهم الصيحة) الموهم أن القرن ثمود، وأن الرسول صالح، لأنه يقال: المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته.

قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ أي في القرن، وإنما جعل القرن موضع الإرسال، ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم. قوله: ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ أي من جنسهم وقبيلتهم، لأن هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم ينسبون لعاد، وتقدم ذلك في هود. قوله: (بأن) ﴿اعْبُدُوا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لمجيئها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ﴾ عطف على ما قبله، وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين، بخلاف ما في الأعراف وهود، فإنه في جواب سؤال مقدر، ولذا تركت الواو. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وصف مخصص، لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر. قوله: ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي أعطيناهم ملكاً عظيماً، قال تعالى مذكراً لهم بهذه النعم على لسان نبيهم ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ قوله: ﴿مَا هٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذه شبهة أولى تنتهي لقوله: ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ والثانية إنكارهم البعث وتنتهي لقوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ وأهمل الجواب عنها لفسادهما وركاكتهما. قوله: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي منه، فحذف العائد لاستكمال الشروط التي أشار إليها ابن مالك بقوله:

كذا الذي جر بما الموصول جر ... كمر بالذي مررت فهو بر

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: (والله). قوله: (والجواب لأولهما) أي على القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح أن يكون جواباً للشرط لعدم وجود الفاء. قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ الخ، الكاف اسم

﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝٣٥﴾ هو خبر إنكم الأولى، وإنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بعد بعد ﴿لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨﴾ أي مصدقين في البعث بعد الموت ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، وما زائدة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نبت يبس، أي صيرناهم مثله في اليبس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾ المكذبين ﴿ثُمَّ

أن، وخاسرون خبرها، واللام للابتداء زحلقت للخبر، و ﴿وإذاً﴾ لتأكيد مضمون الشرط، ولذا قال المفسر **(إذا أطعتموه)**. قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام لتقرير ما قبله. قوله: ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ أي من القبور، أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى. قوله: **(تأكيد لها)** أي تأكيد لفظي. قوله: **(اسم فعل ماض)** اختلف في اسم الفعل، فقيل معناه لفظ الفعل، وعليه فهو مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب، والثاني توكيد له، واللام زائدة، وما اسم موصول فاعله، و ﴿تُوعَدُونَ﴾ صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، وقيل معناه المصدر، وعليه فهو مبتدأ في محل رفع، والثاني توكيد له، و ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام ليست زائدة، إذا علمت ذلك، فكلام المفسر رضي الله عنه في غاية الإجمال، لأن قوله: **(اسم فعل ماض)** أحد قولين، وقوله: **(بمعنى مصدر)** هو القول الثاني. وقوله: **(أي بعد بعد)** يصح أن يقرأ بلفظ الفعل، فيكون تفسيراً للفعل الماضي أو بلفظ المصدر، فيكون تفسيراً للمصدر، وقوله: **(واللام زائدة)** ظاهره على كل من القولين، وليس كذلك، بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل، والموصول فاعل، لا على كونها للبيان، ولا على كونه مصدراً، وقوله: **(للبيان)** هذا قول ثان، فكان المناسب أن يأتي بأو، وترك التفريع على المصدر، وتقدم أنها ليست زائدة، بل متعلقة بمحذوف خبر، وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، والمشهور منها ستة عشر وهي ﴿هَيْهَاتْ﴾ بفتح التاء وضمها وكسرها، وفي كل مع التنوين وبدونه، و ﴿هَيْهَاتَ﴾ بإسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة، وفي كل من الثمان، إما بالهاء أو لا، أو إبدالها همزة، وقرىء بالجميع، لكن المتواتر القراءة الأولى، وهي الفتح من غير تنوين. قوله: **(أي ما الحياة)** أشار بذلك إلى أن ﴿إِنْ﴾ نافية، والضمير عائد على الحياة. قوله: **(بحياة أبنائنا)** جواب عما يقال: إن في قولهم ﴿وَنَحْيَا﴾ اعترافاً بالبعث، مع كونهم منكرين له. فأجاب: بأن المراد وتحيا أبناؤنا بعد موتنا.

قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي. قوله: **(صيحة العذاب والهلاك)** جواب عما يقال: إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود. قوله: **(كائنة)** ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة. قوله: ﴿غُثَاءً﴾ مفعول ثان لجعلنا. قوله: **(وهو نبت يبس)** الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يبس. قوله: ﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعداً مصدر

﴿أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواماً ﴿ءَاخَرِينَ ۝٤٢﴾ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٤٣﴾ عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ بالتنوين وعدمه أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٤٤﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥﴾ حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ۝٤٧﴾ مطيعون خاضعون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ۝٤٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة

بدل من لفظ الفعل، والأصل بعدوا بعداً، واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعداً، وهو إخبار أو دعاء عليهم.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم هود ونوح، وقوله: ﴿قُرُوناً آخَرِينَ﴾ أي كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب. قوله: ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة. قوله: ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي لا يتأخرون عنه، والمقصود من هذه الآية، التقريع والتخويف لأهل مكة كأنه قال: لا تفتروا بطول الأمل، فإن للظالم وقتاً يؤخذ فيه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه. قوله: **(بعد تأنيثه) أي في قوله**: ﴿أَجَلَهَا﴾ الراجع إلى ﴿أُمَّةٍ﴾، وقوله: **(رعاية المعنى)** أي لأن أمة بمعنى قوم: ﴿تَتْراً﴾ التاء مبدلة من واو وأصله وتراً، وهو مصدر على التحقيق، ومعناه المتابعة مع مهلة، وقيل المتابعة مطلقاً، وإن لم تكن مهلة، ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع. قوله: **(التنوين وعدمه)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فمن نون قال: إن ألفه للإلحاق بجعفر كعلقى، فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين، ومن لم ينون قال: إن ألفه للتأنيث كدعوى. قوله: **(وتسهيل الثانية)** الخ أي فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمع أحدوثة كأعجوبة وأضحوكة، ما يتحدث به عجباً وتسلياً، ولا يقال ذلك إلا في الشر، ولا يقال في الخير. قوله: ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بعداً منصوب بمحذوف، أي بعدوا عن رحمتنا بعداً لا يزول. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي التسع وهي: العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ عطف مرادف، إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضاً. قوله: **(وغيرهما)** أي من باقي التسع. قوله: ﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أفرد مثل، لأنه يجري مجرى المصادر في الإفراد والتذكير، ولا يؤنث أصلاً. قوله: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي من جملة من هلك. قوله: **(أي قومه بني اسرائيل)** أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه، لأن التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه. **(جملة واحدة)** إما راجع لقوله: **(وأوتيها)** أو راجع لهلاك فرعون وقومه. قوله: **(لأن الآية فيهما واحدة)** أي لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة، فيصح نسبته لها وله.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ﴿٥٠﴾ أي ماء جار ظاهر تراه العيون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ فأجازيكم عليه ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة، وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أخرى بكسرها مشددة استئنافاً ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾ فاحذرون ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى

قوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ سبب ذلك، أن ملك ذلك الزمان، كان أراد أن يقتل عيسى، فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة، حتى هلك ذلك الملك. قوله: **(وهو بيت المقدس)** هو أعلى مكان من الأرض، لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً، فهو أقرب البقاع إلى السماء. قوله: ﴿وَمَعِينٍ﴾ اسم مفعول من عان يعين فهو معين، وأصله معيون كمبيوع، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وكسرت العين لتصح الياء.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ خطاب لجميع الرسل على وجه الإجمال، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة، بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك، بأن قيل مثلاً لكل رسول: كل من الطيبات واعمل صالحاً، إني بما تعمل عليم، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الإجمال، التشنيع على رهبانية النصارى، حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله، فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات. قوله: **(الحلالات)** أي مستلذات أم لا.

قوله: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ أي شكراً على تلك النعم، لتزدادوا بها قرباً من ربكم. قوله: **(فأجازيكم عليه)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فالآية فيها ترغيب وترهيب. قوله: ﴿وَ﴾ **(اعلموا)** ﴿أَنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ قدر المفسر لفظ **(اعلموا)** إشارة إلى أن ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة معمولة لمحذوف و ﴿هٰذِهِ﴾ اسمها، و ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ خبرها، وأمة حال، وواحدة صفة له. قوله: **(دينكم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين، والمراد به العقائد، لأنها هي التي اتحدت في جميع الشرائع، وأما الأحكام الفرعية، فقد اختلفت باختلاف الشرائع. قوله: **(وفي قراءة بتخفيف النون)** أي والهمزة مفتوحة، والعامل مقدر كما في المشددة، واسمها ضمير الشأن، و ﴿هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر ﴿أَنَّ﴾. قوله: **(استئنافاً)** أي فهو إخبار من الله، بأن جميع الشرائع متفقة الأصول، والقراءات الثلاث سبعيات. قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه.

قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي جعلوا دينهم مفرقاً، فلذلك صاروا فرقاً مختلفة، كاليهود والنصارى

وغيرهم ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي عندهم من الدين ﴿ فَرِحُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ مسروررون ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أي اترك كفار مكة ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ ضلالتهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ أي حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ في الدنيا ﴿ نُسَارِعُ ﴾ نعجل ﴿ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ لا ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ أن ذلك استدراج لهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾ خوفهم منه ﴿ مُّشْفِقُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ خائفون من عذابه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ يصدقون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ معه غيره ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ مَآ ءَاتَواْ ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة أن لاتقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبله لام الجر ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ في علم الله ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل جالساً ومن لم يستطع أن

والمجوس، وغير ذلك من الأديان الباطلة. قوله: ﴿زُبُراً﴾ جمع زبور بمعنى فريق. قوله) ﴿فَرِحُونَ﴾ أي لاعتقادهم أنهم على الحق. قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والضمير لكفار مكة، كما أشار لذلك المفسر، وهو تسلية له. قوله: ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ مفعول ثان لذرهم، أي مستقرين فيها، والغمرة في الأصل الماء الذي يغمر القامة، ثم استعير ذلك للجهالة، والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الأمور، والغمر بالكسر الحقد. قوله: ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ بيان لما. قوله: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إضراب انتقالي، أي لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم، بل استدراج لهم، قال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، و ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خبره و ﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بمشفقون، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿مُشْفِقُونَ﴾ الإشفاق الخوف مع زيادة التعظيم، فهو أعلى من الخشية، وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقي. قوله: (القرآن) أي وغيره من باقي الكتب السماوية. قوله: (يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يُؤْتُونَ﴾ من الإيتاء وهو الإعطاء. قوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾ أي والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة، لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه، ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها، وكان كثير البكاء من خشية الله، حتى أثرت الدموع في خديه. قوله: (يقدر قبله لام الجر) أي فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ﴾ هذه الجملة خبر عن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ وما عطف عليه، فاسم ﴿إِنَّ﴾ أربع موصولات، وخبرها جملة ﴿أُولَئِكَ﴾ الخ. قوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة، وقوله: (في علم الله) أي كتبوا سابقين في علم الله، فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم. قوله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ أي تفضلاً منه سبحانه

يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الكفار ﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ فيعذبون عليها ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي السيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ يضجون يقال لهم ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ لا تمنعون ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ترجعون قهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في

وتعالى، وإلا فلا يسأل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين، إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الإنسان، وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفقه الله وكشف عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين:

إذا رفع الحجاب فلا ملالة ... لتكليف الإله ولا مشقة

قوله: **(عندنا)** أي عندية رتبة ومكانة واختصاص. قوله: **﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾** أي يبين أعمال العباد خيرها وشرها. قوله: **(بما عملته)** الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها. قوله: **﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس، لأنه نكرة في سياق النفي. قوله: **(فلا ينقص من ثواب أعمال الخير)** أي لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة في اللوح المحفوظ، وهو مطابق لما في علم الله. قوله: **﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾** رجوع لأحوال الكفار. قوله: **﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾** أي سيئة. قوله: **﴿مِنْ دُونِ ذٰلِكَ﴾** أي غير ما ذكر للمؤمنين. والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة. قوله: **﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾** أي مستمرون عليها. قوله: **(ابتدائية)** أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: **﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾** **﴿إِذَا﴾** ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه و **﴿إِذَا﴾** الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء. قال ابن مالك:

وتخلف الفاء إذا المفاجأة ... كأن تجد إذا لنا مكافأة

قوله: **(أغنياءهم ورؤساءهم)** أي كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم. قوله: **﴿يَجْأَرُونَ﴾** أي يصرخون ويبتهلون، أو يستغيثون ويلتجئون في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك فلا ينفعهم. قوله: **(يقال لهم)** الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم، حين تأتيهم الملائكة بالمطارق، من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار. قوله: **﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾** الخ، تعليل لما قبله. قوله: **﴿تَنْكِصُونَ﴾** من باب جلس ودخل، فهو بكسر الكاف وضمها. قوله: **(ترجعون قهقرى)** أي إلى جهة الخلف، وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان. قوله: **﴿بِهِ﴾** الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامراً، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم. قوله: **﴿سَامِراً﴾** من

مواطنهم ﴿سَٰمِرًا﴾ حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ من الثلاثي تتركون القرآن، ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾ أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم

السمر وهو الحديث ليلاً. قوله: (حال) المناسب للمفسر أن يقول احوال، ويؤخره عن قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ لأن الأحوال ثلاثة ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ و ﴿سَامِراً﴾، و ﴿تَهْجُرُونَ﴾. قوله: (أي جماعة) أشار بذلك إلى أن ﴿سَامِراً﴾ اسم جمع واحده مسامر. قوله: (من الثلاثي) أي مأخوذ من الهجران وهو الترك، أو من هجر هجراً بالتحريك هذى وتكلم بما لا يعقله. قوله: (ومن الرباعي) أي مأخوذ من الإهجار، وهو الفحش في الكلام.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يدبروا، وهذا شروع في بيان اقدامهم على هذه الضلالات، لا بد أن يكون لأحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز، مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته. ثانيها: أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب، لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة، وليس كذلك، لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها: أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة، وليس كذلك، بل سبقت لهم معرفة كونه في غاية الأمانة والصدق. رابعها: أن يعتقدوا فيه الجنون، وليس كذلك، لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس. وسيأتي خامس في قوله: ﴿أم تسألهم خرجاً﴾وأم في المواضع الأربعة مقدرة ببل الانتقالية، وهمزة الاستفهام التقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه. قوله: (من صدق النبي) الخ، بيان للحق على طبق الآية، على سبيل اللف والنشر المرتب.

قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ﴾ أي القرآن وغيره فهو أعم من الحق الأول، ولذا أظهر في مقام الإضمار وأشار بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق، بل رجع عن كفره وآمن. قوله: (عادة) المناسب أن يقول عقلاً، لأن وجود الشريك يقضي بفساد العالم عقلاً لا عادة. قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ اضراب انتقال، والمعنى كيف يكرهون الحق، مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم؟ فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه، والعامة على قصر ﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾ وقرىء بالمد بمعنى أعطينا، وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان، أو المفعول محذوف، وقرىء بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب،

﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجاً فيهما ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أفضل من أعطى وأجر ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ أي دين الإسلام ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي الطريق ﴿لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ عادلون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يترددون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ الجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

وقوله: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ هكذا قرأ العامة، وقرىء شذوذاً بذكراهم بألف التأنيث، ونذكرهم بنون العظمة. قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُم خَرْجاً﴾ راجع لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار. قوله: (أجره وثوابه) أي في الآخرة، وقوله: (ورزقه) أي في الدنيا، فهذه الأمور كالخراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبداً. قوله: (وفي قراءة خرجاً في الموضعين) الخ، أي فالقراءات الثلاث سبعيات، لكن الأولى أبلغ، من حيث إنه عبر في حق الله بالخراج المفيد للتكرار، وفي حق العبيد بالخراج المفيد عدم التكرار، والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة. قوله: (وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر، وبالمد أي أثاب. قوله: ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ متعلق بناكبون. قوله: (عادلون) أي زائغون ومنحرفون.

قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الخ قال الأشياخ: الأظهر أن هذه الآية واللتين بعدها إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ مدنيات؛ وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، دعا على أهل مكة بقوله: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» فقحطوا حتى أكلوا العلهز، وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة، شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل في سني المجاعة، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: أنشدك الله والرحم، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت الآية. قوله: ﴿لَلَجُّوا﴾ اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ تأكيد لما قبله. قوله: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أصله استكونوا، نقلت حركة الواو إلى ما قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفاً، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي. ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل. قوله: (ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿إِذَا﴾ شرطية، و ﴿إِذَا﴾ الثانية رابطة للجواب، قائمة مقام الفاء. قوله: (آيسون) أي فالإبلاس اليأس، ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله.

آيسون من كل خير ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الإسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩﴾ تبعثون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠﴾ صنعه تعالى فتعتبرون ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١﴾ ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي الأولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ﴾ ما هذا إلا ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم ﴿قُل﴾ لهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤﴾ خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ﴾ الخ، خطاب للخلق عموماً، قصد به تذكير النعم للمؤمنين، والتوبيخ للكافرين، حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها، لأن السمع خلق ليسمع به ما يرشد، والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله، والقلوب بمعنى العقول، ليتأمل بها في مصنوعات الله، فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها، فهو بمنزلة عادمها، قال تعالى: ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾وأفرد السمع وجمع الأبصار. قوله: (**تأكيد للقلة**) أي لفظ ما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير، والمعنى شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدمه. قوله: (**تبعثون**) أي تحيون بعد الموت. قوله: ﴿**وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أي خلقاً وايجاداً. قوله: (**بالسواد والبياض**) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، أي اغفلتم فلا تعقلون أن القادر على إنشاء الخلق، قادر على اعادتهم بعد الموت؟

قوله: ﴿**بَلْ قَالُوا**﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿**مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ**﴾ أي من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم. قوله: (**لا**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (**وادخال الف بينهما**) أي وترك الإدخال، فالقراءات أربع سبعيات في الثاني، وثلاث في الأول بترك الإدخال بين المحققتين. قوله: ﴿**لَقَدْ وُعِدْنَا**﴾ وعد فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو الضمير المتصل و ﴿**نَحْنُ**﴾ توكيد له، و ﴿**آبَاؤُنَا**﴾ معطوف على الضمير المتصل، فهو نائب فاعل أيضاً، وقوله: ﴿**هٰذَا**﴾ مفعول ثان لوعد، ونائب الفاعل مفعول أول، والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث، ووعد غيره آباءنا من قبلنا به، وقدم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا، وعكس في النمل تفنناً وإشارة إلى أنه يجوز الأمران. قوله: ﴿**قُلْ**﴾ (**لهم**) أي لأهل مكة المنكرين للبعث. قوله: (**من الخلق**) أي المخلوقات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقها.

قوله: ﴿**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ**﴾ إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه. قوله: (**بإدغام التاء**) أي

قادر على الاحياء بعد الموت ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ الكرسي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ تحذرون عبادة غيره ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين :نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ في نفيه وهو ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا﴾ أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿٩١﴾ ـه به مما ذكر ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو

بعد قلبها دالاً فذالاً وتسكينها. قوله: **(الكرسي)** المناسب إبقاؤه على ظاهره، فإن العرش على التحقيق غير الكرسي. قوله: **(والتاء للمبالغة)** أي وكذا الواو، فهما زائدتان، كزيادتها في الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة. قوله: **(يحمي ولا يحمى عليه)** الأول بفتح الياء كيرمي والثاني بضمها. والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه، ولا يمنع منه أحد، ولا ينصر من أراد خذلانه. قال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾. قوله: **(وفي قراءة لله بلام الجر)** أي وهو لمعظم السبعة. قوله: **(في الموضعين)** أي الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد. قوله: **(نظراً إلى أن المعنى)** أي فلام الجر مقدرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال، لأنه لا فرق بين قوله: من رب السماوات، وبين لمن السماوات، كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، وإن شئت قلت لزيد، لأن السؤال لا فرق فيه، بين أن يقال لمن هذه الدار، أو من ربها.

قوله: ﴿**قُلْ فَأَنَّى**﴾ أي فكيف ﴿**تُسْحَرُونَ**﴾. قوله: **(عبادة الله)** بدل من الحق فهو بالجر قوله: **(أي فكيف يخيل لكم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر، التخيل والوهم لا حقيقته. قوله: **(في نفيه)** أي الحق. قوله: ﴿**مِنْ وَلَدٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة في المفعول، وقوله: ﴿**مِنْ إِلٰهٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة في اسم ﴿**كَانَ**﴾. قوله: **(أي لو كان معه إله)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**إِذاً لَذَهَبَ**﴾ جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية، علم من قوله: ﴿**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ**﴾، وتقدم تحقيق الكلام في هذا البرهان في سورة الأنبياء. قوله: **(كفعل ملوك الدنيا)** كلامه يقتضي أن هذا أمر عادي لا إلزام قطعي، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق أنه دليل عقلي قطعي. قوله: ﴿**عَالِمِ ٱلْغَيْبِ والشَّهَادَةِ**﴾ هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال: الله عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يعلمهما، فغيره ليس إله. قوله: **(بالجر صفة)** أي للفظ الجلالة أو بدل منه، وقوله: **(والرفع خبر)** هو مقدراً، أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ عطف على معنى ما تقدم كأنه قال: علم الغيب فتعالى.

مقدراً ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ـه معه ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العذاب هو صادق بالقتل ببدر ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فأهلك بهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ـه أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار

قوله: ﴿قُلْ رَبِّ﴾ الخ، هذا أمر لرسول الله ﷺ بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب، لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له. قوله: (إن ما) ﴿تُرِيَنِّي﴾ (إن) شرطية، و(ما) زائدة، و﴿تُرِيَنِّي﴾ فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول أول، و﴿مَا﴾ مفعول ثان، و﴿يُوعَدُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾، و﴿رَبِّ﴾ تأكيد للأول، وقوله: ﴿فَلا تَجْعَلْنِي﴾ الخ، جواب الشرط. قوله: **(بالقتل ببدر)** أي وهو الذي رآه بالفعل. قوله: **(فأهلك بهلاكهم)** أي لأن شؤم الظالم قد يعم غيره. إن قلت: إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين، فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟ أجيب: بأنه أمر بذلك اظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره، وليكون في جميع الأوقات ذاكراً لله تعالى.

قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ﴾ الخ، إن حرف توكيد ونصب، ونا اسمها، والجار والمجرور متعلق بقادرون، و﴿مَا﴾ واقعة على العذاب، وقادرون خبر إن، واللام للابتداء زحلقت للخبر، والمعنى: وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذي نعدهم به. قوله: **(أي الخصلة)** الخ، أشار بذلك إلى أن التي صفة لموصوف محذوف، وقوله: **(من الصفح)** الخ، بيان للخصلة التي هي أحسن. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ، ويحتمل أن المعنى ﴿ٱدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولو في حال القتال، كأن الله يقول: إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم، ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به، حينئذ فتكون الآية محكمة، وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة.

قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ أي في كل وقت، لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جداً، وهو وإن كان معصوماً، فالمقصود تعليم أمته، واظهار الالتجاء لربه. قوله: ﴿مِنْ هَمَزَاتِ﴾﴿الشَّيَاطِينِ﴾ جمع همزة وهي النخسة. قوله: **(نزغاتهم)** أي افساداتهم، والمعنى اتحصن بك من وساوس الشيطان. قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة. قوله: **(ابتدائية)** أي تبتدأ بعدها الجمل، اشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله، قصد به وصف حال الكافر بعد موته. قوله: **(الجمع للتعظيم)** جواب عما يقال: لم لم يقل رب ارجعني بالإفراد، مع أن المخاطب واحد؟ وأجيب أيضاً: بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال: ارجعن ارجعن ارجعن، أو الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه، كأنه استغاث بالله أولاً، ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة. قوله: **(يكون)** ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي بدلاً عنه. قوله: **(أي لا رجوع)** أشار بذلك إلى أن ﴿كَلَّا﴾ هنا معناها النفي، ومع ذلك فيها معنى

ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ الجمع للتعظيم ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري أي في مقابلته، قال تعالى ﴿كَلَّآ﴾ أي لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ أي رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي ولا فائدة فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ ولا رجوع بعده ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ

الردع والزجر. قوله: (أي رب ارجعون) أي وما بعدها.

قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ الجمع باعتبار معنى أحد. قوله: ﴿بَرْزَخٌ﴾ هو المدة التي من حين الموت إلى البعث، والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجاباً ومانعاً من الرجوع وهو الموت، إذا علمت ذلك، فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً وإنما يبعثون يوم القيامة، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم، وما ورد عن بعض الصالحين، من أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة، فالمراد أن روحه الشريفة، تشكلت بصورة جسده الشريف، وكذا يقال في الأولياء والشهداء، لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة، وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت. قوله: (ولا رجوع بعده) أي يوم البعث. قوله: (النفخة الأولى) هو قول ابن عباس، وقوله: (أو الثانية) هو قول ابن مسعود. قوله: (يتفاخرون بها) جواب عما يقال: إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها، فأجاب: بأن المعنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم. وأجيب أيضاً: بأن معنى لا أنساب بينهم، لا أنساب تنفعهم، لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة. قوله: (خلاف حالهم في الدنيا) أي لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم في الدنيا. قوله: (لما يشغلهم من عظم) علة لقوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ودفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين هذه الآية وآية ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة، وهذا مبني على أن المراد النفخة الثانية، وأما على أن المراد النفخة الأولى، فوجه الجمع أن نفي السؤال، إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته، وإنما هو بعد النفخة الثانية.

قوله: ﴿مَوَازِينُهُ﴾ الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الموزون. قوله: (بالحسنات) الباء سببية أي بسبب ثقل الحسنات. قوله: (بالسيئات) أي بسبب ثقل السيئات، والمعنى فمن رجحت حسناته ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، ومن رجحت سيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ الخ. قوله: (فهم) ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ﴾ اللفح الإصابة بشدة. قوله: (شمرت شفاههم) الخ، فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد: أنه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته.

﴿فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تخوفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ عن الهداية ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ﴿١٠٨﴾ في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓا۟﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ ﴿١١١﴾ بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم ﴿قَٰلَ﴾ تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ تمييز ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

قوله: ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي في الدنيا. قوله: (وفي قراءة) وهي سبعية أيضاً. قوله: (وهما مصدران بمعنى) أي وهو سوء العاقبة. قوله: (بعد قدر الدنيا مرتين) أي وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج، وقيل ثلاثمائة الف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة. قوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي اسكتوا سكوت هوان وذل. قوله: (فينقطع رجاؤهم) أي وهذا آخر كلامهم في النار، فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ﴾ تعليل لما قبله. قوله: (بضم السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (وسلمان) المناسب أن يقول بدله وخباب، لأن سلمان ليس من المهاجرين. قوله: (فنسب اليهم) أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء.

قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي وذلك غاية الاستهزاء. قوله: (بكسر الهمزة وبفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿قَالَ﴾ يقتضي أن الله يكلمهم، مع أنه قال في آية آخرى ﴿ولا يكلمهم الله﴾ فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله. قوله: (وفي قراءة قل) أي وهي سبعية أيضاً. والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ ثلاث قراءات سبعيات، الأمر فيهما والماضي فيهما، والأمر في الأول، والماضي في الثاني. قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ ﴿كَمْ﴾ في محل نصب على الظرفية الزمانية، وقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ هو مميزها، والمعنى لبثتم كم عدداً من السنين، والقصد من هذا السؤال، التوبيخ والتبكيت عليهم، لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا، ويعولون على اللبث فيها، وينكرون البعث، فلما أدخلوا النار، وأيقنوا دوامها وخلودهم فيها، سألهم عن لبثهم في الدنيا، زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه، حيث ظهر خلافه.

يَوۡمٖ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ ١١٣ أي الملائكة المحصين أعمال الخلق ﴿قَٰلَ﴾ تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضاً قل ﴿إِن﴾ أي ما ﴿لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ١١٤ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ ١١٥ بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ ١١٦ الكرسي، هو السرير الحسن ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ١١٧ لا يسعدون ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾ المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ١١٨ أفضل راحم.

قوله: ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ بالتشديد جمع عاد من العدد، وهذا من جملة كلامهم، لأنه غشيهم من الهول والعذاب، ما يشغلهم عن ضبط ذلك وإحصائه. قوله: ﴿قَالَ﴾ **(تعالى)** أي تقريعاً وتوبيخاً وتصديقاً لهم. قوله: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ﴾ ﴿لَوْ﴾ هنا امتناعية، ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله: **(مقدار لبثكم)**، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف أيضاً قدره المفسر بقوله: **(كان قليلاً)** أي في علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول، لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا، قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فحسبتم، وحسب بمعنى ظن، والاستفهام للتوبيخ والإنكار. قوله: ﴿عَبَثاً﴾ إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين، أو مفعول لأجله، والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح، فقوله: **(لا لحكمة)** تفسير للعبث. قوله: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا تَرْجِعُونَ﴾ عطف على ﴿إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فيكون حسب مسلطاً عليه. قوله: **(بالبناء للفاعل وللمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لا)** قدره جواباً للاستفهام. قوله: **(بل لنتعبدكم)** أي لنكلفكم. قوله: **(على ذلك)** أي على امتثال التعبد المذكور. قوله: **(إلا ليعبدون)** أي حكمة خلقي لهم، كونهم يمتثلون أوامري ويجتنبون نواهيّ.

قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ أي تنزه. قوله: ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي الذي يحق له التصرف في ملكه، بالإيجاد والإعدام والثواب والعقاب وغير ذلك، فكل ما سواه مقهور، وهو القاهر فوق عباده. قوله: ﴿الْكَرِيمِ﴾ بالجر صفة للعرش، لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه، وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح. قوله: **(الكرسي)** تقدم أن المناسب ابقاؤه على ظاهره. قوله: **(هو السرير الحسن)** هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها اسقاطها. قوله: **(صفة كاشفة)** أي بيان للواقع، لأن كل من ادعى مع الله إلهاً آخر، لا بد أن يكون لا برهان له به. قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هو جواب الشرط. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ الجمهور على كسر إن استئنافاً، وفيه معنى العلة، وقرىء شذوذاً بالفتح على أنه خبر حسابه، والأصل حسابه أنه لا يفلح هو، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم. قوله: **(في الرحمة زيادة على المغفرة)** أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية، ففي الغفران محو السيئات، وفي الرحمة رفع الدرجات. قوله: **(أفضل رحمة)** بالنصب على التمييز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ

مدنيّة

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ هذه ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات الدلالات ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) بإدغام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور مدنية

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

سميت بذلك لذكر النور فيها، وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة: علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تنزلوا النساء في الغرف، ولا تعلموهن الكتاب، وعلموهن سورة النور والغزل. قوله: (هذه) ﴿سُورَةٌ﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿سُورَةٌ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: (هذه) والاشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد، ويصح أن تكون ﴿سُورَةٌ﴾ مبتدأ وجملة ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة لها والخبر قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا، والخبر محذوف، والتقدير فيما يتلى عليكم، وهذا على قراءة الرفع، وهي لعامة القراء، وقرىء ﴿سُورَةً﴾ بالنصب بفعل مضمر يفسره ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فهو من باب الاشتغال أو على الإغراء، أي دونك سورة. قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي أوجبنا ما فيها من الأحكام ايجاباً قطعياً. قوله: (مخففاً ومشدداً) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ كرر الإنزال لكمال الاعتناء بشأنها. قوله: ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي دلائل على وحدانية الله تعالى، وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد،

التاء الثانية في الذال تتعظون ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيهما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ أي ضربة، يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدهما ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ أي الجلد ﴿ طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ ﴾ يتزوج ﴿ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزواني ﴿عَلَى

فقوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إشارة إلى الأحكام، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إشارة إلى الأدلة. قوله: **(بإدغام التاء الثانية)** أي بعد قلبها دالاً فذالاً أي وبتسكينها، أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقيت ثالثة سبعية أيضاً وهي حذف إحدى التاءين.

قوله: **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾** مبتدأ، والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة **﴿فَاجْلِدُوا﴾** ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط، وعليه درج المفسر، وقدمت المرأة في حد الزنا، وأخرت في آية حد السرقة، لأن شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر، والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة، وهي في الرجل أقوى وأكثر. قوله: **(لرجمهما بالسنة)** أشار بذلك إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحصن وغيره، فالسنة أخرجت المحصن وبينت أن حده الرجم، فصار الكلام في غيره. قوله: **﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾** الخ، أي بسوط لين له رأس واحدة، ويجرد الرجل من ثيابه، والمرأة مما يقيها ألم الضرب، وتوضع في قفة فيها تراب للستر. قوله: **(والرقيق على النصف مما ذكر)** أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: لا يغرب إلا الذكر الحر، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان.

قوله: **﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ﴾** قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ، وقرىء شذوذاً بالياء التحتية. قوله: **﴿رَأْفَةٌ﴾** بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان، وقرىء بالمد بوزن سحابة، والرأفة أشد الرحمة، ويقال رؤف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب. قوله: **(بأن تتركوا شيئاً من حدهما)** أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد: إقامة حد الله تعالى في الأرض، خير من أن تمطروا أربعين صباحاً. قوله: **(في هذا)** أي قوله: **﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾** الخ. قوله: **(تحريض)** أي حث على ما قبل الشرط وهو قوله: **﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾** فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله ﷺ فإنه قال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». قوله: **(وهو جوابه)** أي كما هو رأي الكوفيين، قوله: **(أو دال)** أي كما هو رأي البصريين.

قوله: **﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾** الأمر للندب، والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة. قوله: **(قيل ثلاثة)** الخ، القولان للشافعي، وعند مالك أقل ذلك أربعة. قوله: **(أي المناسب لكل منهما ما ذكر)** أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو المشركة، والزانية ترغب في

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾ الأخيار، نزل ذلك لما همَّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم، فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام، ونسخ بقوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم) ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أي كل واحد منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٤﴾ لإتيانهم كبيرة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ بهم بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل

نكاح الزاني أو المشرك. قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لما فيه من المفاسد، كالطعن في النسب، والتعرض للتهم، والتشبه بالفساق، فالواجب التزوج بالعفيفات لما في الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». قوله: **(نزل ذلك)** أي الآية، وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية، وإنما ذكر الأولى زيادة في التنفير. قوله: **(وهن موسرات)** أي غنيات. قوله: **(خاص بهم)** أي ولم ينسخ إلى الآن. قوله: ﴿**وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى**﴾ جمع أيم، وهي من ليس لها زوج، بكراً أو ثيباً، ومن ليس له زوجة، وهو يشمل الزاني والزانية وغيرهما فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه.

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ**﴾ تقدم أن الزاني والزانية، إما أن يرجما إن كانا محصنين، أو يجلدا إن لم يكونا كذلك، فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد، لا بد وأن يثبت، إما بإقرار، أو بأربعة عدول، فإن انتفى واحد من ذلك حد المدعي، فبين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة، وقوله: ﴿**الَّذِينَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**يَرْمُونَ**﴾ صلته، والخبر ثلاث جمل: الأولى ﴿**فَاجْلِدُوهُمْ**﴾. الثانية قوله: ﴿**وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً**﴾. الثالثة قوله: ﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ**﴾، ومعنى ﴿**يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ**﴾ يتهمونهن، فشبه الاتهام بالرمي، بجامع التأدية للهلاك في كل، لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمي، وإن لم يثبت فقد هلك الرامي، وقوله: ﴿**ٱلْمُحْصَنَاتِ**﴾ لا مفهوم له، بل وكذا المحصنون، وإنما خصهن بالذكر، لأن الشأن قوة شهوة النساء. قوله: **(العفيفات)** تفسير للمحصنات باعتبار اللغة، لأن حصان كما يطلق على العفة، يطلق على التزوج وعلى الحرية، ومفهوم قوله: **(العفيفات)** أنه إذا رمي غير عفيف لا يحد، ويشترط زيادة على العفة، أن يكون المرمي يتأتى منه الزنا أو اللواط بأن يكون ذا آلة، فإن رمي مجبوباً عزر ولا يحد، وأن يكون حراً مسلماً مكلفاً، فإن انتفى شرط منها لم يحد القاذف، إلا رامي الصبي باللواط به أو الصبية المطيقين، فعند مالك يحد، وعند الشافعي يعزر. قوله: **(بالزنا)** أي أو اللواط في آدمي مطيق، أو جني تشكل بآدمي. قوله: ﴿**بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾ أي عدول، وقوله: **(برؤيتهم)** متعلق بشهداء، أي يشهدون بأنهم رأوا الذكر في الفرج، ولا بد أن يتحدوا في الرؤية والأداء، فإن اختلفوا ولو في أي صفة حد الجميع. قوله: ﴿**أَبَداً**﴾ أي ما داموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء، وعلى هذا درج مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادتهم ولو تابوا.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا**﴾ استثناء متصل، لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ**﴾ أي القذف. قوله: **(فبها ينتهي فسقهم)** هذا مبني على رجوع الاستثناء للجملتين

لا تقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ ﴾ عليه ﴿ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ مبتدأ ﴿ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ ﴾ نصب على المصدر ﴿ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ⁽٦⁾ فيما رمى به زوجته من الزنا ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ⁽٧⁾ في ذلك، وخبر المبتدإ تدفع عنه حد القذف ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ يدفع ﴿ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ⁽٨⁾ فيما رماها به من الزنا ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ⁽٩⁾ في ذلك ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بالستر في ذلك ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ ⁽١٠⁾ فيما حكم به في ذلك وغيره لبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين

الأخيرتين، وهو مذهب مالك والشافعي، فعندهما أن التائب تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق. قوله: **(وقيل لا تقبل)** هذا مذهب أبي حنيفة، واتفق الجميع على أن القاذف يجلد، وإن تاب، فليس الاستثناء راجعاً إلى الجملة الأولى. قوله: **﴿أَزْوَاجَهُمْ﴾** جمع زوج بمعنى الزوجة، وحذف التاء أفصح من إثباتها إلا في المواريث.

قوله: **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾** مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك، وقال الشافعي: له ترك البينة ويلاعن. وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول، فإنه لم يكن لهم بينة. قوله: **﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾** بالرفع بدل من **شهداء**. قوله: **(وقع ذلك)** أي قذف الزوجة بالزنا. قوله: **(لجماعة من الصحابة)** أي وهم هلال بن أمية وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي. قوله: **(نصب على المصدر)** أي والعامل شهادة، وفي قراءة سبعية أيضاً بالرفع خبر المبتدأ. قوله: **(من الزنا)** أي أو نفي الحمل، لأن اللعان كما يكون في رؤية الزنا، يكون في نفي الحمل. قوله: **﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾** الخ، بالرفع لا غير باتفاق السبعة، وقوله: **﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾** بالنصب لا غير باتفاق السبعة، وقوله: **﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾** الخ، يجوز في السبعة رفعه ونصبه، فتحصل أن الخامسة الأولى بالرفع لا غير، وفي الثانية الوجهان، ولفظ أربع الأول فيه الوجهان، والثاني بالنصب لا غير، وحكمة تخصيص الرجل باللعنة، والمرأة بالغضب، أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله، وفي لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفي لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة. قوله: **(وخبر المبتدأ)** أي الذي قوله: **﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾**. قوله: **(في ذلك)** أي فيما رماها به

ـ **فائدة** ـ يترتب على لعانه دفع الحد عنه، وقطع الولد منه، وإيجاب الحد عليها، وعلى لعانها دفع الحد عنها، وتأبيد تحريمها، وفسخ نكاحها. قوله: **(بالستر)** متعلق بكل من فضل ورحمة. قوله: **(لبين الحق في ذلك)** جواب **﴿لَوْلَا﴾**.

قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾** الخ، شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالإفك، وهي ثماني عشرة

بقذفها ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت وعبدالله بن أبيّ ومسطح وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرّٗا لَّكُمۖ﴾ بل ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ يأجركم

تنتهي بقوله: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما في الزنا من الشناعة والقبح، وذكر ما يترتب على من رمى غيره به، وذكر أنه لا يليق بآحاد الأمة، فضلاً عن زوجة سيد المرسلين ﷺ ذكر ما يتعلق بذلك. قوله: **(أسوأ الكذب)** أي أقبحه وأفحشه. قوله: **(على عائشة)** متعلق بالكذب، وقد عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين أو سبع، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة. قوله: **﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾** العصبة من العشرة إلى الأربعين، وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط، لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر. قوله: **(من المؤمنين)** أي ولو ظاهراً، فإن عبد الله بن أبي من كبار المنافقين. قوله: **(قالت)** أي عائشة في تعيين أهل الإفك. قوله: **(وحمنة بنت جحش)** هي زوجة طلحة بن عبيد الله.

قوله: **﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾** المخاطب به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم. قوله: **﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾** أي لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً. قوله: **(يأجركم الله به)** أي بسبب الصبر عليه. قوله: **(ومن جاء معها)** أي يقود بها الراحلة. قوله: **(وهم صفوان)** أي السلمي بن المعطل. قوله: **(في غزوة)** قيل هي غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل في السادسة. وسببها: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج اليهم، حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، وردها عليهم. قوله: **(بعدما أنزل الحجاب)** أي وهو قوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾. قوله: **(وآذن)** بالمد والقصر، أي أعلم. قوله: **(وقضيت شأني)** أي حاجتي كالبول مثلاً. قوله: **(فإذا عقدي انقطع)** أي وكان من جزع ظفار، وهو الخرز اليماني غالي القيمة، وكان أصله لأمها، أعطته لها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقيل لأختها أسماء. قوله: **(ألتمسه)** أي أفتش عليه. قوله: **(فجلست في المنزل الذي كنت فيه)** أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها، فإن من الآداب، أن الإنسان إذا ضل عن رفقته، وعلم أنهم يفتشون عليه، أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه، فربما رجعوا فلم يجدوه. قوله: **(فنمت)** أي وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها. قوله: **(وكان صفوان قد عرس)** أي وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حمله، حتى يأتي به أصحابه. قوله: **(فسار منه)** أي فادلج بالتشديد سار من آخر الليل، وأما دلج سار من أوله. قوله: **(في منزله)** أي منزل الجيش الذي مكثت فيه عائشة. قوله: **(وطىء على يدها)** أي الراحلة خوف أن تقوم. قوله: **(موغرين)** أي اتينا الجيش في وقت القيلولة. قوله: **(فهلك من هلك)** أي تكلم بما كان سبباً في هلاكه. قوله: **(فيّ)** أي بسببي. قوله: **(ابن أبي ابن سلول)** نسب أولاً لأبيه ثم لأمه. قوله: **(انتهى قولها)** هذا باعتبار ما اختصره، وإلا فحديثها له بقية كما في البخاري وهي: فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً، وهم يفيضون

الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع «هو بكسر المهملة القلادة» فرجعت

من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا أشعر بشيء من ذلك، حتى نقهت بفتح فكسر، أي برئت من مرضي، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول، في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشي، فعثرت في مرطها، هو بكسر الميم، كساء من صوف، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت: أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه، أي قليلة المعرفة، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ قالت: يا بنيتي هوني على نفسك الشأن، فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار اليه بالذي يعلم من نفسه بالود لهم، فقال أسامة: هم أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق نبياً، إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها، هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة، أي أعيبه وأنكره، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فيأتي الداجن، وهو بدال مهملة ثم جيم، ما يألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله، فقام رسول الله ﷺ من نومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت في أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتي ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل

ألتمسه، وحملوا هودجي «هو ما يركب فيه» على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة «هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل» ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج. هما «بتشديد الراء والدال» أي نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم، أي شخصه، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، فخمرت وجهي بجلبابي، أي غطيته بالملاءة، والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته ووطىء على يدها، فركبتها،

قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى اليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي اليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، أي انقطع جريانه حتى ما أحس منه بقطرة وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال: قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم إني لبريئة لتصدقنني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلى أبا يوسف إذ قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحي، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فيّ اليوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام أن برح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أو الشدة والكرب، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان، أي اللؤلؤ من العرق في يوم شات، فلما سري أي كشف عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله، فقالت أمي: قومي لرسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح بشيء أبداً بعدما قال في عائشة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ الآية إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله احمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. انتهى.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، أي من أوغر، واقفين في مكان وعر من شدة الحر، فهلك من هلك فيَّ، وكان الذي تولى كبره منهم، عبدالله بن أبيٍّ ابن سلول، اهـ قولها، رواه الشيخان، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم ﴾ أي عليه ﴿ مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ في ذلك ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبدالله بن أبيّ ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ هو النار في الآخرة ﴿ لَّوْلَآ ﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٢﴾ كذب بين، فيه التفات عن الخطاب، أي ظننتم أيها العصبة وقلتم ﴿لَّوْلَا ﴾ هلا ﴿جَآءُو ﴾ أي العصبة ﴿ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ شاهدوه ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي في حكمه ﴿ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ فيه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ

قوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ﴾ أي من العصبة. قوله: ﴿مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ ﴾ أي جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لغير عبد الله بن أبيّ، فإنهم قد حدوا حد القذف، وعمي حسان وشلت يده في آخر عمره، وعمي مسطح أيضاً، أو في الدنيا والآخرة وهو لابن أبيّ، فعذبه الله بخزي الدنيا والخلود في النار. قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين في الإفك، وأنهم اكتسبوا الإثم، شرع في توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر: الأول هذا، والثاني ﴿لَـوْلَا جَاءُوا عَلَيْـهِ﴾ الخ، والثـالث ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ﴾ الخ، الرابع ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ الخ، الخامس ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ الخ، السـادس ﴿يَعِظُكُمُ ٱللهُ﴾ الخ، السابع ﴿إِنَّ ٱلَّذِين يُحِبُّونَ﴾ الخ، الثامن ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ﴾ الخ، التاسع ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ - إلى - ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضي، لأن لولا لها ثلاثة أحوال: إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ، وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض، وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية، وقد كررت هنا في ست مواضع: الأول والثاني والرابع توبيخية لا جواب لها، والثالث والخامس والسادس شرطية، ذكر جوابها في الثالث والسادس، وحذف في الخامس فتدبر، وإذا ظرف لظن، والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه، أن تحسنوا الظن في أم المؤمنين، ولا تصروا على الأمر القبيح بعد سماعه. قوله: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي بأبناء جنسهم في الايمان والصحبة. قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي إلى الغيبة، إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم، وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة في توبيخهم.

قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ أي الإفك. قوله: (شاهدوه) أي عاينوا الزنا. قوله: (في حكمه) أي الشرعي لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر، وهذا جواب عما يقال: إنهم كاذبون عند الله مطلقاً ولو أتوا بشهداء، فأجاب: بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة، لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، فأراد الله أن يكذبهم ظاهراً وباطناً.

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ امتناعية وجوابها قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ والمعنى

﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في الآخرة ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ في الإثم ﴿وَلَوْلَآ﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ تتعظون بذلك ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ فيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بنسبتها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بحد القذف ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ وجودها فيهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي المتبع ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي القبيح ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾

امتنع مس العذاب لكم، لوجود فضل الله ورحمته عليكم. قوله: ﴿**فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ**﴾ أي بسببه وما اسم موصول و ﴿**أَفَضْتُمْ**﴾ صلته أو مصدرية، أي بسبب الذي أفضتم فيه أو بسبب إفاضتكم. قوله: ﴿**عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ أي لغير ابن سلول فإن عذابه محتم.

قوله: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**﴾ أي تتلفظون به باللسان فقط، دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها، وإنما تلفظهم بالإفك محض حسد وعناد.

قوله: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**﴾ ﴿**لَوْلَا**﴾ توبيخه، و ﴿**إِذْ**﴾ ظرف لقلتم، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر، أن تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين ﴿**لَوْلَا**﴾ و ﴿**قُلْتُمْ**﴾ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها. قوله: (**هو للتعجب هنا**) أي مع التنزيه والمعنى تنزيهاً لك من انتهاك حرماتك، فإنه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلت فيهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. قوله: (**ينهاكم**) أشار بذلك إلى أنه ضمن ﴿**يَعِظُكُمُ**﴾ معنى (**ينهاكم**) فعداه بعن. قوله: ﴿**أَبَداً**﴾ أي مدة حياتكم. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فلا تعودوا لمثله. قوله: (**باللسان**) أي فالمراد بإشاعتها إشاعة خبرها. قوله: (**بنسبتها إليهم**) أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا، خصوص عائشة وصفوان. قوله: ﴿**وهم العصبة**﴾ تفسير للذين يحبون. قوله: (**لحق الله**) أي ذنب الإقدام، وهو محمول على عبد الله بن أبيّ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته. قوله: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ عطف على ﴿**فَضْلُ اللَّهِ**﴾. قوله: (**لعاجلكم بالعقوبة**) جواب ﴿**لَوْلَا**﴾، وخبر المبتدأ محذوف، والتقدير موجودان. قوله: ﴿**خُطُوَاتِ**﴾ بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان.

شرعاً باتباعها ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى ﴾ يطهر ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ بما قلتم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ بما قصدتم ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ يحلف ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ أي أصحاب الغنى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ عنهم في ذلك ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبداً، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ﴾ الخ، تعليل للجواب. قوله: **(أي المتبع)** هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان، قوله: **(باتباعها)** متعلق بيأمر. قوله: ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا، وهو كذلك، إلا عبد الله بن أبيّ، فإنه استمر على النفاق حتى هلك كافراً.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ﴿لَا﴾ ناهية، والفعل مجزوم بحذف الياء. قوله: **(أي أصحاب الغنى)** في تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله: ﴿وَالسَّعَةِ﴾ وحينئذ فالمناسب تفسير ﴿ٱلْفَضْلِ﴾ بالعلم والدين والإحسان، وكفى به دليلاً على فضل الصديق. قوله: ﴿أَنْ﴾ **(لا)** ﴿يُؤْتُوا﴾ أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير **(لا)** النافية. قوله: ﴿أُولِي ٱلْقُرْبَى﴾ أي القرابة، وقوله: ﴿وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ﴾ معطوف على ﴿أُولِي﴾ فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح قوله: **(حلف أن لا ينفق على مسطح)** أي فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبي بكر واعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان واسمع منه ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، وكفر عن يمينه.

لطيفة: وقع لابن المقري، أنه وقع منه هفوة، فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة، فكتب الولد لأبيه:

لا تقطعن عادة بر ولا … تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح … يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى … وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده:

قد يمنع المضطر من ميتة … إذا عصى بالسير في طرقه
لأنه يقوى على توبة … توجب إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه … ما عوتب الصديق في حقه

انتهى. قوله: **(لما خاض في الأفك)** ظرف لقوله: **(حلف)**. قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي أولو الفضل. قوله: ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم. قوله: **(ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه)** أي وحلف

ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ﴾ بالزنا ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ﴾ عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ بالله ورسوله ﴿ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ يَوۡمَ ﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم ﴿تَشۡهَدُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ من قول وفعل وهو يوم القيامة ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ ﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ ﴿٢٥﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبدالله بن أبيّ. والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن. ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿لِلۡخَبِيثِينَ﴾من الناس﴿وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾من الناس﴿لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ مما ذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾منهم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مما ذكر أي اللائق

أن لا ينزع نفقته منه أبداً، ومسطح هو ابن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقيل اسمه عوف، ومسطح لقبه. قوله: ﴿**ٱلْغَافِلَاتِ**﴾ (**عن الفواحش**) أي لسلامة صدورهن، ونقاء قلوبهن، واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى. قوله: ﴿**لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا**﴾ أي بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين، وقوله: ﴿**وَالآخِرَةِ**﴾ أي بالعذاب إن لم يتوبوا. قوله: (**ناصبة الاستقرار**) الخ أي والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد. قوله: (**بالفوقانية والتحتانية**) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ معمول ليوفيهم أو ليعلمون. قوله: (**جزاءهم الواجب عليهم**) أشار بذلك إلى أن المراد بالدين الجزاء لما في الحديث: «كما تدين تدان». قوله: ﴿**هُوَ ٱلْحَقُّ**﴾ أي الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: (**ومنهم عبد الله بن أبيّ**) يأتي بهذا ليصح قوله: (**كانوا يشكون فيه**) فالشك من بعضهم، وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون في الجزاء. قوله: (**أزواج النبي**) أي لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع، لاشتراكهن في العفة والصيانة والنسبة لرسول الله ﷺ. قوله: (**لم يذكر في قذفهن توبة**) أي مثل ما ذكر فيما تقدم في قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾. قوله: (**ومن ذكر**) مبتدأ و (**غيرهن**) خبره، وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الإفك، وإلا فهو كغيره من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة، وأما بعد نزول الآيات، فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كفراً، لمصادمة القرآن العظيم، فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان.

قوله: ﴿**ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ**﴾ كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة، وتقبيحاً على من تكلم فيها. والمعنى أن المجانسة من دواعي الانضمام، فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه، والطيب كذلك، وهو بمعنى قولهم: وكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ**﴾ الإشارة بذلك لرسول الله وعائشة، أي فحيث كان رسول الله أطيب الطيبين، تبين بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات. (**من الناس ومن الكلمات**) هذان قولان في تفسير ﴿**ٱلْخَبِيثَاتُ**﴾ وقوله: (**مما ذكر**) أي من الناس والكلمات.

بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ أي

قوله: (أي اللائق بالخبيث مثله) أي من نساء أو كلمات. قوله: (وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها أن جبريل عليه السلام، أتى بصورتها في سرقة حرير وقال: هذه زوجتك، ويروى أنه أتى بصورتها في راحته، ومنها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ في حجرها وفي يومها، ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله ﷺ، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً، وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة، برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفحشاء، برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام، وإن عائشة لما رميت بالفحشاء، برأها الله بالقول، فما رضي لها براءة صبي ولا نبي، حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان، انتهى.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الخ، لما ذكر الله أحكام العفاف، وكان من جملة العفاف، عدم دخول منازل الغير إلا بإذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك. وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحالة، فنزلت. قوله: ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي غير محل سكنكم، وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها، فيجب عليه الاستئذان، لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته. قوله: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش، سمي بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش. قوله: (فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكثر والحق التفصيل، فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم، ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات، يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير، الأول إعلام، والثاني للتهيؤ، والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع، وإذا أتى الباب، لا يستقبله من تلقاء وجهه، بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر، وإذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه، ولا يكتف بقوله أنا مثلاً، لما روي عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي ﷺ فقال: من هذا؟ فقلت: أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا، كأنه كره ذلك لعدم إفادته، فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبي ﷺ وهو في مشربة فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟ قوله: (من الدخول بغير استئذان) أي ومن تحية الجاهلية، حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول: حييتكم صباحاً، حييتكم مساء، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. قوله: (بإدغام التاء الثانية في الذال) أي بعد قلبها دالاً فذالاً. قوله: ﴿أَحَداً﴾ (يأذن لكم) السالبة تصدق بنفي الموضوع، فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلاً، أو فيها من لا يصلح للإذن، أو فيها من

تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ فيقول الواحد: السلام، عليكم، أأدخل؟ كما ورد في حديث ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَزۡكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَكُمۡۚ﴾ من القعود على الباب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٞ﴾ ﴿٢٨﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ﴾ أي منفعة ﴿لَّكُمۡۚ﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ عما لا يحل لهم نظره، ومن زائدة ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ عما لا

يصلح، لكن لم يأذن. قوله: ﴿**حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ أي حتى يأتيكم الإذن، ولو مع خادم يوثق به. قوله: ﴿**هُوَ أَزْكَى**﴾ أي أطهر للأمن من الرذائل والدناءات.

قوله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ**﴾ هذا كالاستثناء من قوله: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾ وسبب نزولها: أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات، أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت. قوله: ﴿**غَيْرَ مَسْكُونَةٍ**﴾ أي غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة، كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها. قوله: (**باستكنان**) أي طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد، وقوله: (**وغيره**) كالبيع والشراء. قوله: (**المسبلة**) اقتصر عليها، لأن مورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبلة التي بين مكة والشام. قوله: (**وسيأتي**) أي في آخر السورة في قوله: ﴿**فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم**﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، أي وإن كان بها أهل فسلموا عليهم.

قوله: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ الخ، شروع في ذكر أحكام تعم المستأذنين وغيرهم. قوله: ﴿**يَغُضُّوا**﴾ أي يخفضوا. قوله: (**ومن زائدة**) أي يغضوا أبصارهم، وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج، الاشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج. قوله: ﴿**ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾ أي لأنه أبعد للريبة، ولا مفهوم للبصر والفرج، بل باقي الجوارح كذلك، وخص البصر والفرج بالذكر، لأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح. قوله: (**فيجازيهم عليه**) أي فالغاض يجازى بالحسنات، وغيره يجازى بالسيئات.

قوله: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِن**﴾ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات، بغض الأبصار وحفظ الفروج، وبسط الكلام في شأنهن، لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روي: إذا أقبلت المرأة، جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر، وإذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر، وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها

يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وماعدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل أي زوج ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهنَّ، وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾ بالجر صفة والنصب استثناء ﴿أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾

نظير في القرآن في هذا الشأن. قوله: (**عما لا يحل لهن فعله بها**) أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج، كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظراً أو فعلاً. قوله: ﴿**زِينَتَهُنَّ**﴾ أي موضع زينتهن. قوله: (**فيجوز نظره لأجنبي**) الخ، هذا مذهب مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قولـه: (**حسماً للبـاب**) أي سداً للذريعة.

قوله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ**﴾ أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن، وهـو العنق، والجيب في الأصل طوق القميص، وكانت النساء على عادة الجاهلية، يسدلن خمرهن من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها، فأمرن بإرسال خمرهن على جيوبهن ستراً لما يبدو منها. قوله: ﴿**زِينَتَهُنَّ**﴾، أي موضع زينتهن. قوله: ﴿**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾ حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل.

قوله: ﴿**أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿**أَوْ أَبْنَائِهِنَّ**﴾ أي ولو من الرضاع وإن سفلوا. قوله: ﴿**أَوْ إِخْوَانِهِنَّ**﴾ جمع أخ كان من نسب أو رضاع. قوله: ﴿**أَوْ نِسَائِهِنَّ**﴾ أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الايمان، فيخرج الكافرات. قوله: (**فيجوز لهم نظره**) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء. ويجوز لهن نظر ذلك منهم، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم. قوله: (**فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن**) أي باتفاق مالك والشافعي، لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد. قوله: (**العبيد**) أي فيجوز أن يكشفن لهم، ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره، فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف، وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين.

قوله: ﴿**أَوْ التَّابِعِينَ**﴾ الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء، أو الأبله الذي لا

أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ بمعنى الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أيم وهي من ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وعباد من جموع عبد ﴿إِن يَكُونُواْ﴾

يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة. قوله: ﴿غَيْرِ أُولِي ٱلإِرْبَةِ﴾ بالكسر الحاجة. قوله: ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ حال من التابعين، أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط.

قوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى، وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة، وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي. قوله: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زِينتهنَّ﴾ أي فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط، وإلا فصوت الخلخال مثلاً ليس بعورة. قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعاً﴾ هذا حسن اختتام لهذه الآية، كأن الله يقول: لا تقنطوا من رحمتي، فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب، فإن التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود. قوله: **(تغليب الذكور)** أي في قوله: ﴿وَتُوبُوا﴾ الخ.

قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا ٱلأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ الخ، الخطاب للأولياء والسادات، والإنكاح تزويج الغير. قوله: **(جمع أيم)** أي بوزن فيعل، قيل غير مقلوب، وقيل إن الأصل أيائم فقلب. قوله: **(هي من ليس لها زوج)** الخ، أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين، سواء سبق لهما تزوج أو لا، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل، أو اضطرت المرأة للنفقة، لكن المرأة يزوجها وليها، والرجل يتزوج بنفسه، إن كان رشيداً أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها، فإن لم تخف الزنا، أو لم تضطر المرأة، كان مباحاً عند الشافعي، ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة. واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة، فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا، ولو كان ينفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راغباً فيه ولم يخش الزنا وراجياً النسل، وتارة يحرم، كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة، أن ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة. قوله: **(وهذا في الأحرار)** الخ، أي بقرينة قوله: ﴿وَإِمَائِكُمْ﴾. قوله: **(أي المؤمنين)** أي فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوباً، إن خيف بتركه الزنا، وهذا عند الشافعي، وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده، ولو خاف العبد الزنا، وحينئذ فالأمر عنده للندب. قوله: ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي فيزوجه سيده ولو بحرة، وقوله: ﴿وَإِمَائِكُمْ﴾ أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر، بشرط أن لا يجد

أي الأحرار ﴿ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ ﴾ بالتزوج ﴿ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ لخلقه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٢﴾ بهم ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يوسع عليهم ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فينكحون ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بمعنى المكاتبة ﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من العبيد والإماء ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة. وصيغتها، مثلاً: كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف، فإذا أديتها فأنت حر، فيقول قبلت ﴿ وَءَاتُوهُم ﴾ أمر للسادة ﴿ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ ﴾ أي إمائكم ﴿ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ أي الزنا ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط

للحرائر طولاً، وأن يخشى الزنا، ومحل الشرطين إن لم يكن عقيماً. قوله: **(من جموع عبد)** أي وله جموع أخر، كعبيد وأعابد وأعبد، ونحو ذلك.

قوله: **﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** أي فإن في فضل الله كفاية عن المال، لقوله عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الغنى بالتزوج»، فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالاً، وإن كانوا فقراء لما في الحديث: «تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك». قوله: **﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾** أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفد. قوله: **﴿عَلِيمٌ﴾ (بهم)** أي بحالهم فيغنيهم. قوله: **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً﴾** أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها، وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء، ويكون بملازمة الصوم والرياضة، لما في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوي الشهوة واستعمال ضدها». قوله: **(أي ما ينكحون به)** أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب. قوله: **(عن الزنا)** قدره إشارة إلى أن متعلق يستعفف محذوف.

قوله: **﴿وَٱلَّذِينَ﴾** اسم موصول مبتدأ و **﴿يَبْتَغُونَ﴾** صلته و **﴿ٱلْكِتَابَ﴾** معمول ليبتغون، وقوله: **﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** حال من فاعل **﴿يَبْتَغُونَ﴾**، وقوله: **﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾** الجملة خبر، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط. قوله: **(بمعنى المكاتبة)** أي وهي مفاعلة، لأن السيد كتب على نفسه العتق، والعبد كتب على نفسه النجوم. قوله: **﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾** الأمر للندب. قوله: **(أي أمانة)** أي في دينه. قوله: **(وقدرة على الكسب)** أي بحرفة وغيرها. قوله: **﴿وَآتوهُمْ﴾** الأمر قيل للندب وقيل للوجوب. قوله: **(حط شيء)** أي وهو أفضل من الإعطاء، لأنه قد يصرفه في غير جهة الكتابة، والأفضل أن يكون ذلك الحط في آخر نجم.

قوله: **﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾** جمع فتاة، ولا مفهوم للإكراه، بل الرضا بالزنا من الكبائر، وإنما عبر به لأنه سبب النزول. قوله: **﴿عَلَى ٱلْبِغَاءِ﴾** هو مصدر بغت المرأة تبغي بغاء، أي زنت، وهو مختص بزنا النساء. قوله: **﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾** لا مفهوم له، بل يحرم الإكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن،

﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ ﴾ بالإكراه ﴿ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ نزلت في عبدالله بن أبيّ كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ ﴾ لهن ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٣٣﴾ بهن ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينة ﴿وَمَثَلًا﴾ خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي من جنس أمثالهم، أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وموعظة للمتقين﴾ ﴿٣٤﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ الخ، ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ الخ، ﴿ولولا إذا سمعتموه قلتم﴾ الخ، ﴿يعظكم الله أن تعودوا﴾ الخ، وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي منورهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي صفتـه في قلب المؤمن ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى

وإنما نص على ذلك، لأنه الواقع من عبد الله بن أبي الذي نزلت في حقه الآية. قوله: **(محل الإكراه)** أي فلا يتحقق الإكراه إلا عند تلك الارادة، وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الإكراه حينئذ، فالتقييد لأجل صحة قوله: **﴿تُكْرِهُوا﴾**. قوله: **(كان يكره جواريه)** أي وكن ستاً فشكا ثنتان منهن للنبي ﷺ فنزلت الآية. قوله: **﴿غَفُورٌ﴾ (لهن)** أي ما وقع منهن، لأن المكره وإن لم يكن آثماً، فلربما يحصل منه بعض ميل، والإكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدي له أو لتلف عضو، وأما القتل فلا يباح تخوف القتل، بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره، وأما ترك الصلاة مثلاً، فالإكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه. قوله: **(بفتح الياء وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بين فيها ما ذكر)** راجع للفتح، وقوله: **(أو بينة)** راجع للكسر. قوله: **﴿وَمَثَلًا﴾** عطف على آيات. قوله: **(أي من جنس أمثالهم)** أشار بذلك إلى أن في الآية حذف مضافين، والأصل **﴿وَمَثَلًا﴾** من جنس أمثال الذين خلوا.

قوله: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أو لا، وتدرك بواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لها، وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله، وحينئذ فيجاب عن الآية بأن معنى قوله: **﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** خالق النور في السماوات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة، وفي الأرض بالمصابيح والسرج والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين، وأفاد هذا المفسر بقوله: **(أي منورهما)** وقيل معنى **﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** مظهرهما، لأن النور كما يطلق على الكيفية، يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهـر للأشيـاء من العدم إلى الـوجـود، قـال ابن عطاء الله في الحكم: الكون كله ظلمة، أناره ظهور الحق فيه، فوجود العالم بوجود الله، إذ لولا وجود الله، ما وجد شيء من العالم.

قوله: **﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾** مبتدأ، وقوله: **﴿كَمِشْكَاةٍ﴾** خبر، والمثل بمعنى الصفة، والكلام على حذف مضاف، أي كمثل مشكاة. قولـه: **(أي صفته في قلب المؤمن)** أشـار بذلـك إلى أن في الكلام شبـه استخدام، حيث ذكر النور أولاً بمعنى، ثم ذكره ثانياً بمعنى آخر، فتحصل أنه فسر النور أولاً بالحسيّ، وثانياً بالمعنويّ. قوله: **﴿كَمِشْكَاةٍ﴾** اختلف في هذه اللفظة، قيل عربية وقيل حبشية معربة. قوله: **﴿في**

﴿زُجَاجَةٍ﴾ هي القنديل، والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة، والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام، وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر: اللؤلؤ ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنياً للمفعول بالتحتانية وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفاته ﴿نُّورٌ﴾ به ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ بالنار، ونور

﴿زُجَاجَةٍ﴾ واحدة الزجاج، وفيه ثلاث لغات: الضم وبه قرأ العامة، والفتح والكسر وبهما قرىء شذوذاً. قوله: (**هي القنديل**) بكسر القاف. قوله: (**الموقودة**) صوابه الموقدة. قوله: (**غير النافذة**) قيد به لأنه في تلك الحالة أجمع للنور. قوله: (**أي الأنبوبة**) هي السنبلة التي في القنديل، وهو تفسير آخر للمشكاة، وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة، فتحصل أنه اختلف في المشكاة، فقيل هي الطاقة الغير النافذة التي وضع فيها القنديل، وعليه فهي ظرف للقنديل، وقيل هي السنبلة التي تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها. قوله: (**بكسر الدال وضمها**) أي مع الهمزة قراءتان سبعيتان. قوله: (**وبضمها وتشديد الياء**) قراءة سبعية أيضاً فتكون القراءات ثلاثاً. قوله: (**بمعنى الدفع**) أي وبابه قطع. قوله: (**منسوب إلى الدر**) أي لشدة صفائه. قوله: (**بالماضي**) الخ، حاصله أن القراءات ثلاث سبعيات بالماضي وبالمضارع بالتحتانية، ويكون الضمير عائداً على المصباح، وبالفوقانية ويكون الضمير عائداً على الزجاجة على حذف مضاف، أي فتيلة الزجاجة.

قوله: ﴿مِنْ﴾ (**زيت**) ﴿شَجَرَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، وأشار المفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿مُبَارَكَةٍ﴾ أي لكثرة منافعها، قال ابن عباس: في الزيتون منافع، يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإبريسم، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة، منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بالجر صفة لشجرة، وقرىء شذوذاً بالرفع خبر لمحذوف، أي لا هي شرقية ولا هي غربية، والجملة في محل جر نعت شجرة. قوله: (**بل بينهما**) الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنها متوسطة، لا شرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهي الشام، فإن زيتونه أجود الزيتون. وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة، ولا خير فيهما في مضحى»، والمقنأة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، والمضحى هو الذي تشرق عليه دائماً فتحرقه، وهو أحد قولين، وقيل معنى لا شرقية ولا غربية، أن الشمس تبقى عليها دائماً من أول النهار لآخره، لا يواريها عن الشمس شيء، كالتي تكون في الصحارى الواسعة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها. قوله: (**مضرين**) هذا هو محل النفي وهو حال. قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لأضاء.

الله أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمـان ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ ﴾ أي دين الإسلام ﴿ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ﴾ يبـين ﴿ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ﴾ تقريبـاً لأفهامهم ليعتـبروا فيؤمنـوا ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾ ومنه ضرب الأمثال ﴿ فِى بُيُوتٍ ﴾ متعلق بيسبح الآتي ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ تعـظم ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ بتوحيده ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ بفتح الموحدة وكسرها أي يصلي ﴿ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ ﴾

قوله: ﴿نُورٌ﴾ (به) أي الزيت، وقوله: ﴿عَلَى نُورٍ﴾ أي مع نور وهو نور المصباح والزجاجة، فالأنوار المشبه بها متعددة كأنوار المشبه، فليس المقصود في الآية التثنية، بل الكثرة، وتراكم الأنوار. قوله: (ونور الله أي هداه) الخ، أي فبراهين الله تزداد في قلب المؤمن برهاناً بعد برهان، إن قلت: لم ضرب المثل بنور الزيت، ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟ أجيب بأن الزيت فيه منافع، ويسهل لكل أحد، كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة، واختلف في هذه التشبيـه، هل هـو تشبيه مـركب، بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد مثل نور الله الذي هو هداه وبراهينه الساطعة، كجملة النور الذي يتخذ من هذه الهيئة، أو تشبيه جزء بجزء، بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة، وقلبه بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح.

قوله: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي من يريد هدايته، فإن الأسباب دون مشيئته لاغية، ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور. قوله: (أي دين الإسلام) المراد به ما يشمل الإيمان، وهو الذي ضرب له المثل المتقدم، وأظهر في مقام الإضمار اعتناء بشأنه. قوله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي تقريباً للمعقول من المحسوس، فحيث كان نور الإيمان. والمعارف مثله هكذا، فلا تـدخل شبهـة على المؤمن، إلا شاهدها بعين البصيرة، كما تشاهد بعين البصر، ويشهد الحق بعين البصيرة، كما يشهده بعين البصر، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون، فأدناهم أهل المراقبة وأعلاهم أهل المشاهدة، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وقوله في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» وقوله في الحديث أيضاً: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». للعارفين تفننات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور.

قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ المراد بها جميع المساجد، وقيل خصوص مساجد أربع: الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء، لأنه لم يبنها إلا نبي، فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله ﷺ، والأقرب الأول، لأن العبرة بعموم اللفظ. قوله: (يتعلق بيسبح الآتي) أي سواء قرىء ببنائه للفاعل أو المفعول، وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد، لما ورد: بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض، ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف دل عليه قوله: ﴿يُسَبِّحُ﴾ والتقدير سبحوا ربكم في بيوت، وعلى هذين فالوقف على عليم، ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة، أو متعلق بتوقد، وعلى هذه الأربعة لا توقف على عليم.

قوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي أمر، والجملة صفة لبيوت، و ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور

مصدر بمعنى الغدوات أي البكر ﴿وَٱلْآصَالِ ۝٣٦﴾ العشايا من بعد الزوال ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ أي شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ من الخوف،

بالباء المقدرة، والتقدير أمر الله برفعها. قوله: **(تعظم)** أي حساً ومعنى، فالتعظم الحسي رفعها بالبنيان المتين الحسن، مساوياً لبنيان البلد أو أعلى، ولا منافاة بين هذا، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم» لأن المنهي عنه الزخرفة والتزويق، لا حسن البنيان واتقانه، ومن التعظيم الحسي، تطهيرها من الأقذار والنجاسات، قال القرطبي: كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد، لأنهم لا يتحرزون عن الأقذار والأوساخ، فيؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطييبها فقال: «جبنوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم، وجمروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر». والتعظيم المعنوي بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوي، وغير ذلك مما لا ينبغي.

قوله: **﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ﴾** أي بأي ذكر كان. قوله: **(بفتح الموحدة وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاث، والأول أولى، ولذا اقتصر عليه المفسر، و **﴿رِجَالٌ﴾** فاعل فعل محذوف، أو خبر لمحذوف تقديره يحسبه أو المسبح، وعليه فالوقف على **﴿ٱلْآصَالِ﴾** وعلى الكسر، فرجال فاعله، ولا يوقف على **﴿ٱلْآصَالِ﴾**. قوله: **(أي يصلي)** فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه، واختلف في المراد بالصلاة، فقيل المراد الصبح في الغدو، وباقي الخمس في الآصال، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: **(من بعد الزوال)** وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل: إنهما الصلاة الوسطى. قوله: **(مصدر)** أي في الأصل، وأما هنا فالمراد منه الأزمنة. قوله: **(أي البكر)** أي وهي أوائل النهار، وقوله: **(العشايا)** هي أواخر النهار.

قوله: **﴿رِجَالٌ﴾** خصوا بالذكر، لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة. قوله: **(شراء)** خص التجارة بالشراء، وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضاً لذكره البيع بعده، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها، ويكون خص البيع بالذكر، لأن الاشتغال به أعظم، لكون الربح الحاصل من البيع ناجزاً محققاً، والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله. قوله: **﴿عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ﴾** أي عن حقوق الله صلاة أو غيرها، فقوله: **﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾** من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنهما، فإن المواظب عليهما كامل الايمان. قوله: **﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾** أي أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: **﴿يَخَافُونَ يَوْماً﴾** أي هؤلاء الرجال، وإن أكثروا الذكر والطاعات، فإنهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى، لعلمهم بأنهم ما عبدوه حق عبادته. قوله: **(بين النجاة والهلاك)** راجع لتقلب القلوب، وقيل معنى تقلب القلوب، ارتفاعها إلى الحناجر، فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول.

القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أي ثوابه وأحسن بمعنى حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٨ يقال: فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع أي في فلاة، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه

قوله: (بين ناحية اليمين والشمال) وقيل تقلب الأبصار، شخوصها من هول الأمر وشدته. قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، أي إن مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن، وليست لام العلة، لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين، وتلك الأوصاف إنما هي لكامل الإيمان. قوله: (وأحسن بمعنى حسن) أي فالمحترز عنه المجازاة على القبيح، فالمعنى يجازون على كل عمل حسن، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح.

قوله: ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم، بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم. قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تذييل ووعد كريم، بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب. قوله: (يقال فلان ينفق بغير حساب) الخ، أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية، فوق ما وعدهم به.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها، ضرب المثل للكفار بأشر الأشياء وأخسها. والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين: مثل لأعمالهم الحسنة بقوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾ الخ، ومثل لأعمالهم السيئة بقوله: ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾ الخ، والاسم الموصول مبتدأ، و ﴿كَفَرُوا﴾ صلته، و ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ مبتدأ ثان، و ﴿كَسَرَابٍ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويصح أن يكون ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ بدل اشتمال، و ﴿كَسَرَابٍ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾. قوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ أي الصالحة، كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية. قوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ الباء بمعنى في كما يشير له المفسر بقوله: (أي في فلاة). قوله: (جمع قاع) أي كجيرة جمع جار، وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع. قوله: (يشبه الماء الجاري) أي ويسمى آلاً أيضاً، قال الشاعر:

إذا أنا كالذي يجري لورد ... إلى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سراباً لأنه يتسرب أي يجري كالماء. قوله: ﴿يَحْسَبُهُ﴾ بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيتان، وماضيه حسب بكسر السين، وهو من باب تعب، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً. قوله: ﴿ٱلظَّمْآنُ﴾ أي وكذا كل من رآه، وإنما خص ﴿ٱلظَّمْآنُ﴾ لأنه أحوج اليه من غيره. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ أي جاء ما قصده وظنه ماء، وهو غاية في محذوف، أي يستمر سائراً اليه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ الخ. قوله: (كذلك الكافر) الخ، أشار بذلك إلى وجه الشبه، فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده، أن عمله الصالح ينفعه في الآخرة، فإذا جاء يوم

كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقه ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي جازاه عليه في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ أي المجازاة ﴿أَوْ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي غيم هذه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

القيامة، لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم، فعظمت حسرته بحال الظمآن الذي اشتدت عليه حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب تعلق به، فإذا جاء لم يجده شيئاً. قوله: ﴿وَوَجَدَ اللهَ﴾ أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله، أو المعنى وجد عذاب الله له. قوله: **(أي جازاه عليه في الدنيا)** المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق، أن الله جازاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا، بالمال والبنين والعافية، وغير ذلك من لذات الدنيا، هكذا قال المفسر، وهو وإن كان صحيحاً في نفسه، إلا أن المفسرين على خلافه، فإنهم قالوا: معنى وفاه حسابه، جازاه عليه في الآخرة بالعذاب. والحاصل أنه إن أريد مثلاً أعماله الصالحة التي تتوقف على نية، فمسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة، ولا تنفعه أصلاً، وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعاً أصلاً، وقيل يجد نفعها، إما في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر. قوله: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾** أو للتقسيم، أي إن أعمال الكافر تنقسم قسمين، قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيىء، وقوله: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾** معطوف على قوله: **﴿كَسَرَابٍ﴾** على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات يدل عليه قوله: **﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾**. قوله: **﴿لُجِّيٍّ﴾** منسوب للج أو للجة، وهو الماء الغزير. قوله: **﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾** الخ، أي يعلوه، وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكمها، والمعنى أن البحر اللجي يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإذا كان مع ذلك سحاب، ازدادت الظلمة جداً، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات: ظلمة البحر والأمواج والسحاب، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة الفعل. قوله: **﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾** أي قد غطى أنوار النجوم. قوله: **(هذه) ﴿ظُلُمَاتٌ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿ظُلُمَاتٍ﴾** خبر لمحذوف. قوله: **﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾** خصها لأنها أقرب الأشياء اليه. قوله: **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة، بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء، والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً، فلا دين له. قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ﴾** الخطاب لكل عاقل، وهو توبيخ للكفار، كأن الله يقول لهم: إن تسبيحي ليس قاصراً عليكم، بل جميع من في السماوات والأرض يسبحونني. قوله: **(ومن التسبيح صلاة)** ذكر ذلك توطئة لقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾، فالصلاة مندرجة في عموم التسبيح.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فيه تغليب العاقل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ المرجع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿من﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِنْ

قوله: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ بالرفع عطف على ﴿مَنْ﴾ والنصب على المعية، و ﴿صَافَّاتٍ﴾ بالنصب على الحال على كل من القراءتين، وقرىء شذوذاً برفعها على الابتداء والخبر، ومفعول ﴿صَافَّاتٍ﴾ محذوف أي أجنحتها. قوله: (بين السماء والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير، لأنه في حالة الطيران يكون بين السماء والأرض. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ (الله) ﴿صَلَاتَهُ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الضمير في علم على الله، ويصح عوده على كل، أي علم كل صلاة نفسه وتسبيحها. قوله: (فيه تغليب العاقل) أي حيث عبر بالفعل. قوله: (خزائن المطر والرزق) راجع للسماء، وقوله: (والنبات) راجع للأرض، وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل ولله ملك خزائن السماوات والأرض، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره، وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له. قوله: ﴿وَإِلَى ٱللهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي مرجع الخلائق كلها إلى الله، فيجازى كل أحد بعمله.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبي ﷺ، لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به. قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي بين أجزائه، لأن كل جزء سحاب، وبهذا اندفع ما قيل: إن بين لا تدخل إلا على متعدد، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: (يضم بعضه إلى بعض) الخ، قوله: ﴿رُكَاماً﴾ الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض. قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي تبصره. بقوله: (مخارجه) أي ثقبه، فالسحاب غربال المطر، قال كعب: لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء، لأفسد ما يقع عليه من الأرض.

قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذي هو نفع للعباد، ينزل منها بعض الجبال التي هي البرد، وهو ضر للعباد، فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر. قوله: (زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير، والثانية فيها ثلاثة أوجه: قيل زائدة، وقيل ابتدائية، وقيل تبعيضية، وهو الأحسن، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة، وقيل بيانية، وهو الأحسن، وحينئذ فيكون المعنى على ذلك، وينزل بعض جبال كائنة في السماء التي هي البرد، إنزالاً ناشئاً ومبتدأ من السماء. قوله: ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال. قوله: (بدل بإعادة الجار) هذا راجع لقوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾، والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل، فيكون قولاً ثانياً، لأن هذا لا يتأتى على جعلها زائدة، بل على جعلها ابتدائية.

بَرَدٍ﴾ أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ لمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ الناظرة له أي يخطفها ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي حيوان ﴿مِّن مَّآءٖ﴾ أي نطفة ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖ﴾ كالبهائم والنعام ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾ أي بينات هي القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ أي دين الإسلام

قوله: **﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾** أي بالبرد. قوله: **﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾** هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء، وأما بالمد فمعناه الرفعة، وليس مراداً. قوله: **(أي يخطفها)** أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار للتعدية، والمعنى يذهبها بسرعة، لأن الضوء القوي يذهب الضعيف، ومن ذلك قول الفقهاء: إذا فعل رجل بآخر فعلاً أذهب بصره، وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره، فإنه يؤتى له بمرآة وتوضع في الشمس، ويجلس الشخص قبالتها، وتقلب المرآة يميناً وشمالاً، فإن ذلك يخطف بصره. قوله: **(أي ويأتي بكل منها بدل الآخر)** أي ويقصر هذا ويطول هذا، وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر.

قوله: **﴿لِأُولِي ٱلْأَبْصَارِ﴾** جمع بصيرة، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك، حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد، فسبحان القادر على كل شيء. قوله: **(على قدرة الله)** متعلق بدلالة. قوله: **(أي حيوان)** أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة، ما دب على وجه الأرض، لا خصوص ذوات الأربع. قوله: **(أي نطفة)** هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية، وإلا فالملائكة خلقوا من النور، والجن خلقوا من النار، وآدم خلق من الطين، وعيسى خلق من النفس الذي نفخه جبريل في جيب أمه، والدود تخلق من الفاكهة والعفونات، وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد: أن الله خلق ماء، وجعل بعضه ريحاً ونوراً، فخلق منه الملائكة، وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجن، وجعل بعضه طيناً فخلق منه آدم.

قوله: **﴿فَمِنْهُمْ﴾** الضمير راجع لكل باعتبار معناه، وفيه تغليب العاقل على غيره، حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجميع. قوله: **﴿مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾** قدمه لغرابته وسماه مشياً مشاكلة لما بعده، وإلا فهو زحف. قوله: **(كالحيات والهوام)** بالتشديد أي خشاش الأرض، وأدخلت الكاف الدود والسمك. قوله: **(كالإنسان والطير)** أي والنعام. قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾** أي ومنهم من يمشي على أكثر، كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين، وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله في قوله: **﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾**. قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** أي مما ذكر ومما لم يذكر.

قوله: **﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أنزلنا، الخ، قوله: **﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾** بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي المنافقون ﴿ ءَامَنَّا ﴾ صدقنا ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ بتوحيده ﴿ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾ محمد ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ هما
فيما حكما به ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ﴾ يعرض ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ عنه ﴿ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المعرضون
﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٧) المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ المبلغ عنه
﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٤٨) عن المجيء إليه ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ
مُذْعِنِينَ ﴾ (٤٩) مسرعين طائعين ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ أي شكوا في نبوته ﴿ أَمْ
يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ في الحكم أي فيظلموا فيه؟ لا ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٥٠) بالإعراض عنه ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾
بالقول اللائق بهم ﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بالإجابة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ حينئذ ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥١)
الناجون ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ يخافه ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه
﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٥٢) بالجنة ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ غايتها ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالجهاد

وعنايته، فلا يهتدي إلا من حفه الله بالعناية، فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ﴾ شروع في ذكر أحوال المنافقين. قوله: ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول ﴿أَطَعْنَا﴾ محذوف.

قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ﴾ تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: (المبلغ عنه) جواب عما يقال: لم افرد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ مع أنه تقدمه اثنان؟ فأجاب: بأن الرسول هو المباشر للحكم، وإنما ذكر الله معه تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدرته. قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ ﴿إِذَا﴾ فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط. قوله: ﴿مُعْرِضُونَ﴾ أي إن كان الحكم عليهم بدليل ما بعده. قوله: (إليه) يصح أن يكون متعلقاً بيأتوا أو بمذعنين. قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة. قوله: ﴿أَمِ ٱرْتَابُوا﴾ ﴿أَمِ﴾ بمعنى بل والهمزة، وكذا يقال فيما بعده، والاستفهام للتقرير. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي. والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله. قوله: (بالإعراض عنه) أي الحكم.

قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ العامة على نصب قول خبراً لكان، والاسم أن وما دخلت عليه، وقرىء شذوذاً برفعه على أنه اسمها، وأن وما دخلت عليه خبرها. قوله: (بالإجابة) أي قولاً وفعلاً. قوله: (حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول. قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ﴾ الخ، قال بعض الأحبار: هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى. قوله: (يخافه) هذا حل معنى، وإلا فكان حقه أن يقول يخفه. قوله: (وكسرها) أي بإشباع ودونه فهذه ثلاثة قراءات، وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة، وكلها سبعية. قوله: ﴿هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾ أي الظافرون بمقصودهم، الناجون من كل مكروه.

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ﴾ الضمير عائد على المنافقين، وهو معطوف على قوله: ﴿ويقولون آمنا بالله

﴿ لَيَخْرُجُنَّ قُل ﴾ لهم ﴿ لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾ من التبليغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ من طاعته ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٥٤﴾ أي التبليغ البين ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع

وبالرسول﴾. قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿جَهْدَ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة. والمعنى جهدوا اليمين جهداً، حذف الفعل واقيم المصدر مقامه، وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب، وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. قوله: ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ اللام موطئة للقسم، ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون، وأصله ليخرجونن، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد، حذفت الواو لالتقائهما، وبقيت الضمة لتدل عليها. قوله: ﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأ، و ﴿مَعْرُوفَةٌ﴾ صفته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: (خير من قسمكم) ويصح أن يكون ﴿طَاعَةٌ﴾ خبر المحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة، أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع، لا مجرد القول باللسان. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا تحلفوا باللسان، مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والإخلاص، فإن الله مطلع على بواطنكم وظواهركم، لا تخفى عليه خافية.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ علة لذلك المحذوف. قوله: ﴿مَا حُمِّلَ﴾ أي كلف. قوله: ﴿تَهْتَدُوا﴾ أي تصلوا للرشاد والفوز برضا الله، وهذا راجع لقوله: ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ راجع لقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش. قوله: (أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداه، فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله.

قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ الخ، ﴿وَعَدَ﴾ فعل ماض، ولفظ الجلالة فاعله، والاسم الموصول مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً يدل على هذا المحذوف. قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ الخ، فإن اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم. قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ الجار والمجرور حال ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والخطاب لعموم الأمة. قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي جميعها، وقد حصل ذلك. قوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ ما مصدرية، والمعنى استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم. قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ العائد محذوف أي ارتضاه لهم، والمعنى وليجعلن دينهم الذي رضيه لهم، ظاهراً وفائقاً على جميع الأديان. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بما ذكر) أي وهو ما تقدم

لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ﴾ من الكفار ﴿أَمۡنٗاۚ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ أي رجاء الرحمة ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿٥٧﴾ المرجع هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ

من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أي يوحدونني. قوله: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ حال من فاعل ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أو بدل مما قبله. قوله: (هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما بالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهراً على جميع الأديان ويؤمنون، فقيل: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ الخ. قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ (الأنعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾ وليس المراد به ما قابل الإيمان وإلا لقال الكافرون. قوله: (وأول من كفر به) أي بالأنعام. قوله: (قتلة عثمان) أي هم جماعة من الرعية أخذوه بغتة.

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ معطوف على قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: (بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان. قوله: (والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين، والاسم الموصول مفعول أول، ومعجزين مفعول ثان. قوله: (بأن يفوتونا) أي يفروا من عذابنا. قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ معطوف على جملة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ أو على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم. قوله: (هي) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ اختلف في الأمر، فقيل للوجوب وقيل للندب، والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم. وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب ليدعوه، فدعاه فوجده نائماً وقد أغلق عليه الباب، فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل، فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت، فخر ساجداً شكراً لله تعالى. قوله: (وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا بين العورة وغيرها. قوله: (في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ منصوب على الظرفية.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي لأنه وقت القيام من النوم، ولبس ثياب اليقظة. قوله:

﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ بالرفع خبر مبتدإ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي أوقات وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة هم﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة﴿بَعْضُكُمْ﴾طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ بما دبره لهم، وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ أي التي تلبس في اليقظة، تضعونها لأجل القيلولة. قوله: ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي من أجل الظهيرة، وهي شدة الحر. قوله: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ أي لأنه وقت التجرد من الثياب والنوم في الفراش. قوله: **(بالرفع)** أي وعليه فالوقف على قوله: ﴿الْعِشَاءِ﴾. قوله: **(أي هي أوقات)** الخ أي فالأصل أوقات ثلاث عورات، حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه. قوله: **(وبالنصب)** أي وعليه فالوقف على ﴿لَكُمْ﴾ والقراءتان سبعيتان. قوله: **(وهي لإلقاء الثياب)** مبتدأ، وقوله: **(تبدو فيها العورات)** خبره.

قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم. قوله: ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي في الدخول لعدم تكليفهم. قوله: **(هم)** ﴿طَوَّافُونَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾ قدر المفسر بقوله: **(طائف)**. قوله: **(والجملة مؤكدة لما قبلها)** وقيل ليست مؤكدة، لأن المعنى الأطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة، وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام، فلو كلفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيره، لضاق الأمر عليكم، فقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فيه زيادة على ما قبله. قوله: **(وآية الاستئذان)** أي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين﴾ الخ، قوله: **(قيل منسوخة)** أي لما روي: أن نفراً من العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد؟ فقال ابن عباس: إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والحجب، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد. قوله: **(وقيل لا)** أي كما روي عن سعيد بن جبير حيث قال: يقولون نسخت، والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس. قوله: **(ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان)** أي لكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان في هذه الأوقات للصبيان والمماليك، ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة.

قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ﴾ مقابل لقوله: ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾. قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين ذكروا في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ الآية. قوله: ﴿آيَاتِهِ﴾ أي أحكامه. قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي بأمور الخلائق، فالذي ينبغي التخلق بأخلاق الشرع، ولا

﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾ لذلك ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٖ﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٞ﴾ ﴿٦٠﴾ بما في قلوبكم ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ في مؤاكلة مقابليهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ أي بيوت

يعول إنسان على ما يعلمه من صيانة حريمه، ويترك آداب الشرع. قوله: ﴿وَٱلۡقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعد بغير تاء، كحائض وطامث، فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء، وكل وصف مخصوص بالنساء، فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ، و﴿اللَّاتِي﴾ صفته، وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ خبره، وقرن بالفاء لعموم المبتدأ، فأن أل فيه اسم موصول، أو لكونه وصف بالاسم الموصول. قوله: (قعدن عن الحيض) أي انقطع حيضهن.

قوله: ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾ أي لا يطمعن فيه، لموت شهوتهن عن الرجال. قوله: ﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾ أي ينزعن. قوله: (من الجلباب) أي وهي الملحفة التي يغطى بها جميع البدن، كالملاءة والحبرة. قوله: (والقناع) أي الذي يلبس فوق الخمار، لستر الوجه والعنق. قوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي متزينات، فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة، وهو المفتى به عند مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: (بأن لا يضعنها) أي بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب. قوله: ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أي لما فيه من سد الذرائع، فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين، لأن كل ساقطة لها لاقطة.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الخ، اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس: لما نزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول، ولا يستوفي حقه من الطعام، فنزلت هذه الآية، وعلى هذا فتكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى في، أي ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج، وقيل سبب نزولها: أن هؤلاء الجماعة، كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء، خوف أن يستقذروهم، وعلى هذا فعلى على بابها، وقيل إن الآية نزلت في الجهاد، والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو، دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وأصحابها غائبون، مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس، فنزلت الآية رخصة لهم، وكل صحيح. إذا علمت ذلك، فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة، وليس ذلك على العموم، فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره. قوله: (مقابليهم) أي السالمين من هذه الثلاثة.

أولادكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ أي خزنتموه لغيركم ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ وهو من صدقكم في مودته، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ متفرقين جمع شت نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ لكم

قوله: ﴿**عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾ معطوف على ﴿**الأَعْمَى**﴾ والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من بيوتكم. قوله: ﴿**مِنْ بُيُوتِكُمْ**﴾ بضم الباء وكسرها، قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي. قوله: (**أي بيوت أولادكم**) أي ذكوراً أو إناثاً، لأن بيوت الولد كبيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنت ومالك لأبيك**» وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه» والحامل للمفسر على هذا التقدير، عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه، وعدم ذكر الأولاد صراحة، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم.

قوله: ﴿**أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ**﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿**إِخْوَانِكُمْ**﴾ جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا، لأن المراد بهم أخوة النسب، وهم من شاركوك في رحم أو صلب. قوله: ﴿**أَوْ بُيُوت أَخَوَاتِكُمْ**﴾ جمع أخت أي مما تملكه، أو من ملك زوجها إن كان صديقاً له أو مأذونة فيه، وكذا يقال فيما يأتي. قوله: ﴿**أَوْ مَا مَلَكْتُمْ**﴾ بالتخفيف، وقرىء شذوذاً بضم الميم وتشديد اللام مكسورة، أي ملككم غيركم. قوله: ﴿**مَفَاتِحَهُ**﴾ جمع مفتح بكسر الميم في قراءة العامة، وقرىء مفاتيحه بالياء، ومفتاحه بالإفراد. قوله: (**أي خزنتموه لغيركم**) أي حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس: عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه على ضيعته وماشيته، فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قوله: (**وهو من صدقكم في مودته**) أي من كان خالصاً لكم في المحبة. قوله: (**من بيوت من ذكر**) أي الأصناف الأحد عشر، وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم. قوله: (**أي إذا علم رضاهم به**) أي ولو بقرينة، وهذا أحد قولين للعلماء، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر، ولو لم يعلم رضاهم به، لأن القرابة التي بينهم تقتضي العطف والسماح. **فإن قلت**: على الأول حيث كان مشروطاً بعلم رضاهم، فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب. وأجيب: بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة، بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا، بخلاف غيرهم من الأجانب، فلا بد من علم الرضا بصريح الإذن أو قرينة. قوله: (**مجتمعين**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**جَمِيعاً**﴾ حال من فاعل ﴿**تَأْكُلُوا**﴾، وكذا قوله: ﴿**أَشْتَاتاً**﴾. قوله: (**جمع شت**) هو مصدر بمعنى التفرق. قوله: (**نزل فيمن تحرج**) أي فهو كلام مستأنف، بيان لحكم آخر، وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من كنانة، كان الرجل منهم لا يأكل، ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً، وقيل نزلت في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته.

قوله: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً**﴾ (**لكم**) أي مساكنكم. قوله: ﴿**تَحِيَّةً**﴾ منصوب على المصدر من معنى

لا أهل بها ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر حيا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يثاب عليها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦١﴾ لكي تفهموا ذلك ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٦٢﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ

فسلموا، من باب جلست قعوداً وقمت وقوفاً. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أي ثابتة بأمره. قوله: ﴿مُبَارَكَةً﴾ أي لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب. قوله: (ولكي تفهموا ذلك) أي معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، مدح المؤمنين الخالصين، والتعريض بذم المنافقين، و﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خبره. قوله: ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ إسناد الجمع للأمر مجاز عقلي، وحقه أن يسند للمؤمنين. قوله: (كخطبة الجمعة) أي والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي ﷺ بحيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن يشاء منهم. قوله: ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أي يطلبوا منه الإذن فيأذن لهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ الخ، هذا توكيد لما تقدم، ذكر تفخيماً وتعظيماً للاستئذان. قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله، فأذن له النبي ﷺ وقال: ارجع فلست بمنافق، وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله ﷺ حين ماتت، والنبي ﷺ متجهز لغزوة بدر. قوله: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله ﷺ، لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم، فإذا أذن لأحد، علم من ذلك أن رضا الله في إذنه، قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ﴾ أي ليعوّضهم بدل ما فاتهم من مجالستك، من أجل العذر الذي نزل بهم. قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا: يا محمد، ولا بكنيته فتقولوا: يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا: يا رسول الله، يا إمام المرسلين، يا رسول رب العالمين، يا خاتم النبيين، وغير ذلك، واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم، لا في حياته ولا بعد وفاته، فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة. قوله: (وخفض صوت) أي لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

﴿بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، وقد للتحقيق ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ أي أمر الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ بلاء ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيۡهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُواْۗ﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾﴾.

أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وهذه الآداب كما تكون في حق النبي، تكون في حق حملة شريعته، فينبغي لتلامذة الأشياخ، أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها، ليحصل لهم الفتوح والفلاح. قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ أي يذهبون واحداً بعد واحد، لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقي النبي المنبر، فإذا كثر الناس نظروا يميناً وشمالاً، ويخرجون واحداً بعد واحد، إلى أن يذهبوا جميعاً. قوله: ﴿لِوَاذاً﴾ حال من الواو في ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ من التلاوذ، وهو الاستتار، بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج.

قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِين يُخَالِفُونَ﴾ الخ، مرتب على ما قبله، وضمن ﴿يُخَالِفُونَ﴾ معنى يعرضون، فعداه بعن. قوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر، أي إصابة فتنة. قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ ﴿أَوْ﴾ مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾ الخ كالدليل لما قبله. قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق، والمعنى أن الله يعلم الأمر الذي في قلوب المنافقين، من المخالفة والإعراض عن أوامر الله تعالى. قوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ معطوف على ﴿مَا﴾ أي يردون إليه، وهو يوم البعث. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي يخبرهم بأعمالهم، فيثيبهم على الحسنات، ويعاقبهم على السيئات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الفُرْقَانِ

مكيّة

إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني
وهي سبع وسبعون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي الإنس والجن دون الملائكة ﴿ نَذِيرًا ﴾ ١

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان مكية

إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني
وهي سبع وسبعون آية

سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل، لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته، ومكارم الأخلاق، وأحوال المعاد. قوله: (إلى قوله رحيماً) أي وهو ثلاث آيات. قوله: (تعالى) أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ما سواه، لأنه قديم، وما سواه حادث، أو معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم أي اتصف بكل كمال، ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى، فلا يقال تبارك النبي، ولا يقال تبارك السلطان مثلاً، وهو فعل ماض غير متصرف، فلا يأتي منه مضارع، ولا مصدر، ولا اسم فاعل. قوله: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ من الفرق فعله فرق من باب قتل، وبها قرىء قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ وقرىء شذوذاً من باب ضرب، وهو بالتخفيف في المعاني، وبالتشديد في الاجسام، يقال فرقت بين الكلامين، وفرقت بين العبدين، والصحيح أنهما بمعنى واحد في المعاني والاجسام. قوله: (القرآن) أي ويسمى به البعض، كما يسمى به الكل، فالسورة الواحدة تسمى فرقاناً، والجميع يسمى فرقاناً، لأنه

مخوفاً من عذاب الله ﴿ٱلَّذِي﴾ له ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ولم ﴿يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ ② سوّاه تسوية ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿ءَالِهَةٗ﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ

معجز للبشر، وفارق بين الحق والباطل، كلاً أو بعضاً، ويصح أن يراد به جملة القرآن، ويكون نزل مستعملاً في حقيقته، بالنسبة لما نزل إذ ذاك، وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل. قوله: **(لأنه فرق بين الحق والباطل)** أي ميز بينهما، وقيل لأنه نزل مفرّقاً في أوقات كثيرة.

قوله: **﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾** إنما وصفه بهذا الوصف، لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها. قوله: **﴿لِيَكُونَ﴾** علة لقوله: ﴿نَزَّلَ﴾ والضمير عائد على النبي ﷺ، لأنه أكبر مذكور، ويصح أن يكون عائداً على الفرقان، أو المنزل، وهو الله تعالى، والأوضح الأول. قوله: **(دون الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الإنذار خاص بالإنس والجن، لأن الملائكة لا تجوز عليهم المعاصي والمخالفة لعصمتهم من ذلك، وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد. والحاصل: أن إرسال النبي ﷺ للثقلين إرسال تكليف، وكذا للملائكة، وأما للحيوانات التي لا تعقل والجمادات فإرسال تشريف. قوله: **﴿نَذِيراً﴾** أي وبشيراً، وإنما اقتصر على الإنذار، لأن السورة مكية، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير.

قوله: **﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** نعت للموصول الأول، أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف، أي هو الذي، أو منصوب على المدح، وما بعده من تمام الصلة، فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني، على جعله تابعاً له. قوله: **﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾** رد على اليهود والنصارى. قوله: **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾** رد على عباد الأصنام. قوله: **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** كالدليل لما قبله، لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولداً. قوله: **(من شأنه أن يخلق)** دفع بذلك مايقال: إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته. فأجاب: بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق، وهو المعدوم. قوله: **(سواه تسوية)** أي عدله تعديلاً، بأن جعله على شكل حسن، ودفع بذلك ما قيل: إن الآية فيها قلب، لأن الخلق متأخر عن التقدير، لأن التقدير أزلي، لأنه تعلق العلم والارادة الأزلي، والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزي الحادث، فأجاب: بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن، ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والإرادة، وهذا سر قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والإرادة أزلاً، فوجد على طبق ذلك، فإذا كان كذلك، كان التغيير لذلك مستحيلاً، لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلاً، وهو لا تتعلق به القدرة. إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين) فإنه يقتضي أن في قدرة الله إذهاب هذا العالم والإتيان بغيره. أجيب: بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه. قوله: **(أي الكفار)** أي المعلومون من قوله: **﴿لِلْعَالَمِينَ﴾**.

قوله: **﴿آلِهَةً﴾** وصفهم بسبعة أوصاف، أولها قوله: **﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً﴾** وآخرها قوله:

ضر ﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي جره ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ ﴿٣﴾ أي بعثاً للأموات ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي ما القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ ﴿٤﴾ كفراً وكذباً أي بهما ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضاً هو ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك القوم فغيره ﴿فَهِيَ تُمْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ﴿٥﴾ غدوة وعشياً، قال تعالى رداً عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ الغيب ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا ﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿٦﴾ بهم ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ ﴿٧﴾ يصدقه ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية

﴿نُشوراً﴾. قوله: ﴿وَهُمْ يُخلَقُونَ﴾ أي يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها. قوله: ﴿لأَنْفُسِهِمْ﴾ أي فضلاً عن غيرهم. قوله: ﴿ضَرّاً﴾ قدمه لأن دفعه أهم، وقدم الموت لمناسبة الضر.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن، إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى: قوله: ﴿ٱفْتَرَاهُ﴾ أي اختلقه. قوله: (وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا: إنهم يأتون له بالأخبار الماضية، وهو يعبر عنها بعبارات من عنده، فهذا معنى إعانتهم له. قوله: (قال تعالى) أي رداً لمقالتهم. قوله: (كفر وكذباً) لف ونشر مرتب. قوله: (أي بهما) أشار بذلك إلى أن ﴿ظُلْماً وَزُوراً﴾ منصوبان بنزع الخافض، ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ (أيضاً) أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله هو. قوله: ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي أمر بكتبها، لأنهم يعلمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. قوله: (من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم. قوله: (تقرأ) ﴿عَلَيْهِ﴾ أي فليس المراد بالإملاء الإلقاء على الكاتب ليكتبه. قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ المراد دائماً أبداً. قوله: (رداً عليهم) أي مقالتهم الشنيعة. قوله: (الغيب) أي ما غاب عنا. قوله: (للمؤمنين) كذا قال المفسر، ويصح أن يكون المراد الكفار، فيكون تعليلاً لمحذوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ، وقوله: ﴿كَانَ﴾ أي ولم يزل.

قوله: ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ الخ، شروع في بعض قبائحهم التي قالوها في حق الرسول عليه السلام، والمعنى أي شيء حصل لهذا الذي يدعي الرسالة، حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق كما نفعل؟ فتسميتهم إياه رسولاً بطريق الاستهزاء به. قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلاَ﴾ تحضيضية. قوله: ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ بالنصب في قراءة العامة على جواب التحضيض، وقرىء شذوذاً بالرفع عطفاً على ﴿أُنْزِلَ﴾. قوله: (يصدقه) أي يشهد له بالرسالة والصدق. قوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بالتاء في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالياء، لأن تأنيث الجنة مجازي.

علينا بها ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله، قال تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ طريقاً إليه ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير الله ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ (١١) ناراً مسعرة أي مشتدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ إظهار في موضع الإضمار، للإشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا: قوله: (مخدوعاً مغلوباً على عقله) أي فالمراد بالسحر الاختلال في العقل، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ على سبيل الاستفهام التعجبي، أي تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التي كانت سبباً في ضلالهم. قوله: ﴿فَضَلُّوا﴾ (بذلك) أي ضرب الأمثال. قوله: (عن الهدى) أي الحق. قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ أي لا يقدرون على الوصول إلى الهدى، لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفي كل نقص، وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه، فلما كان ما تقدم من مقام تنزيه فسره بتعالى، ولما كان ما هنا مقام إعطاء، فسره بتكاثر خيره، ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء، فسره بتعاظم، وهكذا يقال في كل مقام. قوله: ﴿خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ﴾ أي مما اقترحوا بأن يعجل لك أعظم من ذلك في الدنيا.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿خَيْراً﴾. قوله: (لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله: (أي في الدنيا) والمعنى تكاثر خير الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما تمنوه لك في الدنيا وإنما لم تتعلق إرادة الله به لكونه فانياً، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه، لأن الدنيا دار ممر لا مقر، حلالها حساب، وحرامها عقاب، وحاشاه سبحانه وتعالى، أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب. قوله: (بالجزم) أي عطفاً على محل ﴿جَعَلَ﴾ لأنه جواب الشرط، والمعطوف على الجواب جواب. قوله: (بالرفع استئنافاً) أي أو معطوف على جواب الشرط، بناء على أنه غير مجزوم لقول مالك:
وبعد ماض رفعك الجزم حسن. وإنما لم يجزم لضعف تأثير إن في الشرط، لكونه ماضياً فارتفع، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم، إلى بيان ما لهم في الآخرة من أنواع العذاب. قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا وأحضرنا، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن، كما أن الجنة كذلك، لقوله تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾. قوله: (ناراً مسعرة) بالتشديد والتخفيف.

قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي حقيقة بعينها لما في الحديث: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله أولها عينان؟ قال أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليه ومنها حال مكاناً لأنه في الأصل صفة له﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ﴿١٣﴾ هلاكاً فيقال لهم ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ كعذابكم ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَاءً﴾ ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ مرجعاً ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة﴿ كَانَ﴾وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ

بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ يخرج عنق من النار له عينان يبصران، ولسان ينطق فيقول: «وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه» وفي رواية: «يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق يقول: إنـي وكلت بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين». وهذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: الكلام على حذف مضاف، أي رأت زبانيتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة. قوله: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قبل مسيرة سنة، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: **(أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه)** أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته، بل المراد منه الرؤية والعلم. وأجيب أيضاً: بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان، وقد أفاده أولاً، فتحصل أن المفسر أجاب بجوابين.

قوله: ﴿**وَإِذَا أُلْقُوا**﴾ أي طرحوا. قوله: ﴿**مَكَاناً**﴾ منصوب على الظرفية أي في مكان. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بأن يضيق عليهم)** أي كضيق الحائط على الوتد الذي يدق فيه بعنف. قوله: **(لأنه في الأصل صفة له)** أي وهو نكرة، ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً، كقول الشاعر:

لمية موحشاً طلل

والأصل لمية طلل موحش.

قوله: ﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾ حال من الواو في ﴿**أُلْقُوا**﴾ والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل. قوله: **(مصفدين)** من التصفيد وهو الشد والإيثاق بالقيود. قوله: ﴿**دَعَوْا هُنَالِكَ**﴾ أي في ذلك المكان. قوله: ﴿**ثُبُوراً**﴾ أي فيقولون: يا ثبوراه، هذا أوانك فاحضر، لأنه أخف مما هم فيه. قوله: **(فيقال لهم)** أي على سبيل التهكم والسخرية بهم. قوله: ﴿**ثُبُوراً وَاحِداً**﴾ أي مرة واحدة. قوله: **(كعذابكم)** تشبيه في الكثرة، وفي نسخة باللام، أي لأجل دوام عذابكم وكثرته، فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك. قوله: ﴿**قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، وإلا فليس في النار خير. قوله: **(في علمه تعالى)** جواب عما يقال: إنها لم تكن جزاء ومصيراً الآن، فأجاب: بأن المعنى قد سبق علم الله، بأنها تكون لهم جزاء ومصيراً. قوله: (مرجعاً) أي مستقراً.

رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴾ ﴿١٦﴾ يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بالنون والتحتانية ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين ﴿ءَأَنتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ الحق بأنفسهم ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي غيرك ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ مفعول أول، ومن

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي من النعم اللائقة بهم، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم، فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه، ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه، ولا يخطر بباله سؤاله، وبهذا اندفع ما قيل: إن مقتضى الآية، أن الإنسان يتمنى مراتب الأنبياء في الجنة ويعطاها. قوله: **(حال)** أي من الهاء في لهم، أو من الواو في ﴿يَشَاءُونَ﴾. قوله: ﴿كَانَ﴾ **(وعدهم ما ذكر)** أشار بذلك إلى أن اسم ﴿كَانَ﴾ يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وَعَدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾. قوله: (ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم وقوله: (ربنا وأدخلهم) أي كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ظرف مفعول لمحذوف تقديره اذكر، والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله. قوله: **(بالنون)** أي مع النون في نقول أو الياء، وقوله: **(والتحتانية)** أي مع التحتانية في يقول، فالقراءات ثلاث سبعيات، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع. قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ معطوف على مفعول ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾، وأوقع ﴿مَا﴾ على العقلاء وهو قليل، وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل، ويصح أن يراد من ﴿مَا﴾ العاقل وغيره كالأصنام، وغلب غير العاقل على العقال لكثرته. قوله: **(إثباتاً للحجة على العابدين)** أي وتبكيتاً لهم، وهو جواب عما يقال: إن الله عالم في الأزل بما ذكر، فما فائدة هذا السؤال. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال واحدة، فتكون خمساً، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية، إن قلت على قراءة الإبدال، يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع. أجيب: بأن محل منعه ما لم يكن مسموعاً، وهذا مسموع من رسول الله ﷺ. قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ نعت لعبادي، أو عطف بيان أو بدل منه.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي المعبودين، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا في الجواب. قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أتباعاً يعبدوننا، ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون أي معبودون لنا، لأن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع، كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني، إذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء، بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله، وأما بمعنى من تولوا خدمة الله، أو من تولاهم الله، فلم يكلهم لغيره، فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم. قوله: **(مفعول أول)** أي لنتخذ قوله: **(وما قبله)** أي وهو قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾. قوله: **(فكيف نأمر بعبادتنا)** أي بعبادتهم إيانا، فنحن لم نضلهم.

زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ هلكى، قال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ أي كذب المعبودون العابدين ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بالفوقانية أنهم آلهة ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿ صَرْفًا ﴾ دفعاً للعذاب ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ منعاً لكم منه ﴿ وَمَن يَظْلِم ﴾ يشرك ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ ﴿١٩﴾ شديداً في الآخرة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ بلية ابتلي الغني بالفقير

قوله: ﴿وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ﴾ الخ، استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة، فجعلوا ذلك سبباً للضلال، وليس لنا مدخل في ذلك، وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة. قوله: (**تركوا الموعظة**) أي غفلوا عن التذكر في آياتك، فالنسيان معناه الترك. قوله: ﴿بُوراً﴾ يحتمل أنه جمع بائراً، ومصدر من البوار وهو الهلاك. قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين، وقوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي فيما تقولون، وقوله: (**بالفوقانية**) أي باتفاق العشرة، وقوله: (**إنهم آلهة**) مقول القول. قوله: (**أي لا هم**) راجع للتحتانية، وقوله: (**ولا أنتم**) راجع للفوقانية.

قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي أيها المكلفون من العابدين والمعبودين، فظلم العابد بعبادته غير الله، وظلم المعبود برضاه بذلك. قوله: ﴿نُذِقْهُ﴾ بنون العظمة في قراءة العامة. قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، تسليته للنبي ﷺ والرد على المشركين حيث قالوا: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ الخ. قوله: ﴿إِلاَّ إِنَّهُمْ﴾ الجملة حالية، وإن مكسورة باتفاق القراء، واللام للابتداء زحلقت للخبر. والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال، إلا في حالة أكلهم الطعام، ومشيهم في الأسواق، أي فهذه عادتهم ودأبهم، فإن هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فجعل بعض العبيد فتنة لبعض، ليظهر الصابر من غيره. قوله: (**ابتلي الغني بالفقير**) الخ، فالغني ممتحن بالفقير يحسده، والفقير ممتحن بالغني يسخر به ويحتقره، والصحيح ممتحن بالمريض. يقول: لم لم نعاف، ونصير مثل هذا، والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويغتر بصحته، والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء، ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا، والمخلص من ذلك الصبر على أحكام الله والرضا بها، لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، لئلا يزدري نعمة الله عليه، وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه، ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم، ومن هنا ينبغي صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم. قوله: (**يقول الثاني**) أي الفقير والمريض والوضيع، وقوله: (**في كل**) أي من الأقسام الثلاثة، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى، والصبر أن يحبس كل

والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل ما لي لا أكون كالأول في كل ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ٢٠ بمن يصبر وبمن يجزع ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال تعالى ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِيٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ٢١ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتياً بالإبدال في مريم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين

منها نفسه، هذا عن البطر، وهذا عن الضجر، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان، بعضكم لبعض فتنة»، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾. قوله: **(استفهام بمعنى الأمر)** هذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته، أي لينظر أيحصل منكم صبر أم لا، فيجازيكم على ذلك.

قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ في ذلك تأنيس للعبد، أي إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع، فلا تنبغي الشكوى للخلق، ولا إظهار ما في القلوب، بل إن وجد الشخص في نفسه صبراً فليشكر الله، وإن وجد غير ذلك، فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة. قوله: **(لا يخافون البعث)** أي لأنهم منكرون له. فهم يزعمون أنهم آمنون منه. قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أن **﴿لَوْلَا﴾** تحضيضية. قوله: **(فكانوا رسلاً الينا)** أي بالشرائع ونحوها بدل محمد.

قوله: **﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾** أي يكشف الحجاب لنا فنراه عياناً. قوله: **(فنخبر)** بالبناء للمفعول أي يخبرنا هو بأن محمداً رسوله. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً عليهم مقالتهم. قوله: **(تكبروا)** أي حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر، بل طمعوا أن يكون من الملائكة. قوله: **﴿فِي﴾ (شأن) ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾** أي أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر قام بها. قوله: **(بطلبهم رؤية الله)** متعلق بعتواً والباء للسببية، ولم يذكر متعلق **﴿ٱسْتَكْبَرُوا﴾** وقد علمته، وفي الآية لف ونشر مرتب، فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة، والعتو راجع لطلبهم رؤية الله. قوله: **(على أصله)** أي من غير إبدال. قوله: **(بالإبدال في مريم)** أي لمناسبة رؤوس الآي، وأصله عتووا، كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء، ثم اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله: **﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ﴾** أي المتولين عذابهم. قوله: **﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾** هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة، تقديره قائلين لهم لا بشرى. قوله: **(فلهم البشرى بالجنة)** أي لقوله تعالى: ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. قوله: **﴿وَيَقُولُونَ﴾** معطوف على **﴿يَرَوْنَ﴾** فالضمير للكفار. قوله: **﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾** العامة على كسر الحاء، وقرىء شذوذاً بفتحها وضمها.

بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ ﴿٢٢﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة، قال تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ ﴿٢٣﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي كل سماء ﴿بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ أي معه، وهو غيم أبيض ﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ من كل سماء

قوله: **(يستعيذون من الملائكة)** أي يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة. قوله: **(عمدنا)** أي تعلقت إرادتنا، ودفع بذلك ما قيل إن القدوم من صفات الحوادث، وهو محال على الله تعالى، ففسره بلازمه وهو القصد، والمراد من القصد في حقه تعالى، تعلق إرادته بالشيء. قوله: **(وقرى ضيف)** بكسر القاف مع القصر، أو فتحها مع المد، ومعناه الإحسان اليه. قوله: **(في الدنيا)** متعلق بعملوا. قوله: **(في الكوى)** جمع كوة وهي الطاقة في الحائط، بفتح الكاف وضمها. قوله: **(لعدم شرطه)** أي وهو الإيمان. قوله: **(ويجازون عليه في الدنيا)** أي بإعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا، فأعمال الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نية، يعطى جزاءها في الدنيا، وأما ما تتوقف على نية، فلا يجد لها جزاء أصلاً لعدم صحتها.

قوله: **﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً﴾** **(من الكافرين)** أي أن مستقر المؤمنين في الجنة، خير من مستقر الكافرين في الدنيا، فأفعل التفضيل على بابه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(في الدنيا)** فهو جواب عما يقال: إن مستقر أهل النار لا خير فيه، ويصح أن يراد استقرار كل في الآخرة، والتفضيل ليس مراداً، بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار. قوله: **(من ذلك)** أي من قوله: **﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾** قوله: **(كما ورد في الحديث)** قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، والقيلولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: **﴿وَاحْسَنُ مَقِيلاً﴾** والجنة لا نوم فيها، ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين، حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

قوله: **﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾** **﴿يَوْمَ﴾** ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر. قوله: **(أي كل سماء)** أشار إلى أن أل في السماء استغراقية. قوله: **(أي معه)** أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع، ويصح أن تكون للسببية أو للملابسة، أو بمعنى عن. قوله: **(وهو غيم أبيض)** أي سحاب فوق السماوات السبع، ثخنه كثخن السماوات السبع، وثقله كثقلها، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض، وفيه ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل الأرض عشر مرات، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا، وإذ نزل ملائكة السماء الدنيا، اصطفوا حول العالم المجموع في الحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية، اصطفوا خلف هذا الصف

﴿تَنزِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾ هو يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً، وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل، وفي أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ بخلاف المؤمنين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي ابن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ

صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار، ويطردون عنهم النار، وتقدم بسط ذلك في سورة إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الخ. قوله: **(ونصبه باذكر مقدرا)** أي وهو معطوف على ﴿يوم يرون الملائكة﴾ وكذا قوله: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ**﴾. قوله: **(في الأصل)** أي قبل قلبها شيناً وتسكينها وإدغامها في الشين. قوله: **(وفي أخرى وننزل بنونين)** الخ، هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات، فعند تشديد الشين يجوز في ننزل القراءتان، وعند التخفيف يجوز في ننزل قراءة واحدة، وهي كونه ماضياً مبنياً للمفعول، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات.

قوله: ﴿**ٱلْمُلْكُ**﴾ مبتدأ، و﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ ظرف له، و﴿**ٱلْحَقُّ**﴾ نعت له، و﴿**لِلرَّحْمَٰنِ**﴾ خبره. والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده، وحكمة التقييد بهذا اليوم، وإن كان الملك لله في كل زمن؛ أن ثبوت الملك له خاصة في ذلك اليوم، فليس لأحد ملك ظاهر أبداً، وأما فيما عداه من أيام الدنيا، فيكون للخلق تصرف صوري، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(لا يشركه فيه أحد)**. قوله: **(بخلاف المؤمنين)** أي فليس عليهم عسيراً لما ورد: أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة.

قوله: ﴿**وَيَوْمَ**﴾ منصوب باذكر، أو معطوف على ﴿يوم يرون﴾ كما تقدم. قوله: ﴿**يَعَضُّ الظَّالِمُ**﴾ هو من باب تعب ونفع. والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه، قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتت يداه يأكلهما. قوله: **(عقبة بن أبي معيط)** أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت في ظالم خاص، ويقاس عليه كل ظالم، وهو أحد قولين، وقيل نزلت في الظالمين عموماً. قوله: **(كان نطق بالشهادتين)** الخ، وذلك أنه صنع طعاماً ودعا الناس اليه، ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل طعامك، حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، ففعل، فأكل رسول الله من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأبي ابن خلف، فلما أخبر بذلك قال له: يا عقبة صبأت؟ قال: لا، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل عقبة، فعاد بزاقه على وجهه فحرقه، فقال رسول الله ﷺ: لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر، فأمر علياً فقتله، وطعن النبي أبياً بأحد في المبارز، فرجع إلى مكة ومات، وحكم الآية عام في كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روي: «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

﴿ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي أبياً ﴿خَلِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا﴾ ﴿٢٩﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشاً ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ﴿٣٠﴾ متروكاً قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ ناصراً لك على أعدائك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ هلا ﴿نزل عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالى نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ

قوله: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَعَضُّ﴾. قوله: (للتنبيه) أي وليست للنداء، لأن المنادى شرطه أن يكون اسماً، وليت حرف تمن أو للنداء، والمنادى محذوف أي يا قوم. قوله: (عوض عن ياء الاضافة) أي وأصله ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، فتحت التاء فتحركت، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه ويلتا مضاف، والألف مضاف اليه في محل جر، وليس لنا ألف في محل جر، إلا ما كانت عوضاً عن ياء المتكلم. قوله: ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور، وفلانة عن علم من يعقل من الإناث. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّنِي﴾ علة لتمنيه، وأكده باللام القسمية، إظهاراً لندمه وتحسره. قوله: (أي القرآن) أي وقيل كلمة الشهادة. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ الخ، جملة مستأنفة من كلامه تعالى، وكلام الظالم تم عند قوله: ﴿جَاءَنِي﴾. قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي هو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والإنس. قوله: (بأن يتركه) أي يترك نصره.

قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ عطف على قوله: (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه، وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال، وهذا القول قيل صدر منه في الدنيا، وعليه يحمل قول المفسر (فاصبر كما صبروا) وقيل سيقع منه في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقاً. قوله: ﴿مَهْجُوراً﴾ أي فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به، لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه، وإن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد: «من تعلم القرآن وعلق مصحفه، لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه».

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾ الخ، شروع في تسليته ﷺ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك، جعلنا لكل نبي عدواً. قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: ﴿هَادِياً﴾ أي موصلاً لك إلى الطريق القويم. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، حكاية عن بعض قبائح كفار مكة، وشبههم التي تتعلق بالقرآن، ولما كانت تلك الشبهة، ربما تدخل على بعض الضعفاء، اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها. قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ ﴿نُزِّلَ﴾ بمعنى أنزل، لأن نزل بالتشديد معناه الإنزال

بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ ﴿٣٢﴾ أي أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ بياناً هم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٤﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة

مفرقاً، وأنزل معناه الإنزال جملة، فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه. قوله: ﴿جُمْلَةً﴾ يؤيده قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في لية القدر﴾ حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا، لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لتلك الشبهة بأمور ثلاثة، مقتضياً لنزوله مفرقاً، الأول تثبيت فؤاده ﷺ، الثاني ترتيله ليسهل حفظه، الثالث قوله: **﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾**. قوله: **(نزلناه)** **﴿كَذٰلِكَ﴾** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿كَذٰلِكَ﴾** نعت لمصدر محذوف، والمعنى نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل.

قوله: **﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾** علة للمحذوف الذي قدره المفسر، والمعنى أنزلناه مفرقاً ليتقوى قلبك على تلقيه، فلا يحصل لك منه ثقل، لأن القرآن في نفسه ثقيل، سيما على من لم يقرأ ولم يكتب، قال تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ ولذك لما نزل عليه ﷺ **(اقرأ)** فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي، فإن الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت.

قوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ أي فرقناه آية بعد آية، وشيئاً بعد شيء، في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة. قوله: **(لتيسر فهمه وحفظه)** أي لك ولأمتك عن ظهر قلب، وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم، ولذا ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم» ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال، ليثبت في قلوبهم، واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه، فإن الطفل إذا رأى السورة قصيرة، قوي على حفظها ونشط لما بعدها. قوله: **﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾** أي سؤال عجيب، يريدون به القدح في نبوتك.

قوله: **﴿إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾** استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال، إلا في حال إتياننا اليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً له، والمعنى كلما أوردوا شبهة، أو أتوا بسؤال عجيب، أجبنا عنه بجواب حسن، يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه، فلو نزل القرآن جملة، لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة، كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسأل عنها، فيكون الأمر موكولاً له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولاً إلى الله، كان أتم مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمع للمعاندين. قوله: **﴿وَأَحْسَنَ﴾** معطوف على الحق، فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل. قوله: **﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هم)**. قوله: **(أي يساقون)** أي يسحبون مقلوبين يطؤون الأرض برؤوسهم ووجوههم، وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى. قوله: **(من غيرهم)** متعلق بكل من **﴿شَرٌّ﴾** و **﴿أَضَلُّ﴾**، والمراد بغيرهم باقي الكفار، والمعنى أن من عانده ﷺ، فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة. قوله: **(وهو كفرهم)** الضمير عائد على السبيل.

قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾** شروع في تسليته ﷺ على مكائد قومه، بذكر بعض قصص

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ ﴿٣٥﴾ معيناً ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي القبط فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ ﴿٣٦﴾ أهلكناهم إهلاكاً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ جواب لما ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٣٧﴾ مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَا۟﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعب وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًۢا﴾

الأنبياء على سبيل الإجمال، والمعنى لا تحزن يا محمد، فإن من خالفك وعاندك، يحل به الدمار، كما حل بالمخالف من الأمم المتقدمة. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ﴾ معطوف على ﴿آيَاتِنَا﴾ والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، فإن إتيان موسى التوراة، كان بعد رسالة هارون، وهلاك فرعون وقومه، ويمكن أن يجاب عن الآية، بأن المراد بقوله: ﴿آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ﴾ قدرنا له أن يأتيه في علمنا، فهو إخبار عما سيحصل، فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله. قوله: ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول أول لجعلنا، و ﴿هارُونَ﴾ بدل منه، و ﴿وَزِيراً﴾ مفعول ثان لجعلنا هارون معيناً لموسى، بوحي مثاله في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة، فهو نبي ورسول بما جاء به موسى، بخلاف وزارة علي للنبي ﷺ المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فالمراد منها مطلق الإعانة لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة، فإن من أثبتها لعلي فقد كفر. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي أدلة توحيدنا لا خصوص التسع.

قوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: (فذهبا) الخ. قوله: ﴿لَمَّا كَذَّبُوا ٱلرُّسُلَ﴾ ﴿لَمَّا﴾ شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ كما قال المفسر. قوله: (لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال: لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح؟ فأجاب بجوابين: الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه، فكأنه رسل متعددة. الثاني أن من كذب رسولاً، فقد كذب بالرسل. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي جعلنا هلاكهم وما وقع منهم. قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم بوصف الظلم. قوله: (سوى ما يحل) أي ينزل بهم، وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها، بخلاف سائر معانيه، فهو بالكسر لا غير.

قوله: ﴿وَثَمُوداً﴾ بالصرف على معنى الحي، وتركه على معنى القبيلة، قراءتان سبعيتان. قوله: (اسم بئر) اختلف هل هي اسم البئر التي لم تطو، أو للبئر مطلقاً، وما قاله المفسر أحد أقوال في الرس، وقيل هو قرية باليمن، كان فيها بقايا ثمود، فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا، وقيل الأخدود، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون، فسموه العنقاء لطول عنقها، وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. قوله: (وقيل غيره) أي وهو حنظلة. قوله: (فانهارت) أي انخسفت بهم.

أقواماً ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٨﴾ أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ﴾ في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ ﴿٣٩﴾ أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا ﴾ أي مرَّ كفار مكة ﴿ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴾ يخافون ﴿ نُشُورًا ﴾ ﴿٤٠﴾ بعثاً فلا يؤمنون ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ ﴾ ما ﴿ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ مهزوءاً به يقولون ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ﴿٤١﴾ في دعواه محتقرين له عن الرسالة ﴿ إِنْ ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿ كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾ يصرفنا ﴿ عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ لصرفنا عنها، قال تعالى ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ عياناً في الآخرة ﴿ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾ أخطأ طريقاً أهم أم

قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بفعل محذوف يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في معناه، تقديره وخوفنا كلًّا ضربنا له الأمثال، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا ﴿فَتَبَّرْنَاهُمْ تَتْبِيراً﴾ أي فتتناهم تفتيتاً فجعلناهم كالتبر، وهو قطع الذهب والفضة المفتتة. قوله: (مروا) أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا، فعدي بعلى، وإلا فأتى يتعدى بنفسه أو بإلى، والمعنى: مروا في أسفارهم إلى الشام. قوله: **(مصدر ساء)** أي بحسب الأصل، والمراد في الآية بالمطر السوء الرمي بالحجارة. قوله: **(وهي عظمى قرى قوم لوط)** أي واسمها سدوم، وتقدم أن القرى خمسة، وقيل إن أل في القرية للجنس فيشمل جميعها، لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها، وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث. قوله: ﴿يَرَوْنَهَا﴾ أي يرون آثارها. قوله: **(والاستفهام للتقرير)** أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه.

قوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ أي كانوا كفاراً لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه. قوله: ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾. قوله: ﴿إِلَّا هُزُواً﴾ مفعول ثان ليتخذون، وقوله: **(مهزوءاً به)** أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول، لأن المفعول الثاني في الأصل خبر، والمصدر لا يصح الإخبار به إلا بتأويل. قوله: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ الخ الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر. قوله: **(في دعواه)** ﴿رَسُولاً﴾ قدر ذلك دفعاً لما يقال هم لا يعترفون برسالته، فكيف يقولون ما ذكر؟ قوله: ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي بكثرة الأدلة والمعجزات. قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي ثبتنا واستمسكنا بعبادتها. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لقولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾. قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و ﴿أَضَلُّ﴾ خبره، و ﴿سَبِيلاً﴾ تمييز، وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله: **(أهم أم المؤمنون)**. قوله: **(قدم المفعول الثاني)** أي وقيل: لا تقديم ولا تأخير، لاستوائهما في التعريف. قوله: **(وجملة من)** الخ، أي بحسب الصورة، وإلا فهي وصلتها في قوة المفرد. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والاستفهام فيها إنكاري. قوله: ﴿أَنَّ

المؤمنون ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم، وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت، والثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ من وقت الأسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مقيماً لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي الظل ﴿دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ﴾ أي

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن. قوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ﴾** أي في عدم انتفاعهم بالآيات. قوله: **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾** أي لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدها، وتمييز من يحسن اليها ممن يسيء اليها، وتطلب ما ينفعها وتهرب ما يضر بها، وهؤلاء ليسوا كذلك.

قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾** أقام الله سبحانه وتعالى، أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالألوهية، وذكر منها خمسة: الأول هذا، والثاني قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾، الثالث قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾، الرابع قوله: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾، الخامس قوله: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾، وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولكل عاقل، فإن من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل، عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال. قوله: **(تنظر)** أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية، فقوله: **﴿كَيْفَ﴾** منصوب بمد على الحال. والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف؟ أي على حالة، وقدر المفسر **(فعل)** إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات، لأن المقصود نصب الأدلة، ليستدل بها على مؤثرها، فإن كل صنعة لا بد لها من صانع، وإن كان يلزم من التفكر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب، لأنه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل: العارف يرى الله في كل شيء، فالآثار كالمرآة للناظر، فمن تأمل فيها رأى مؤثرها، ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة. قوله: **(من وقت الأسفار)** الخ، المناسب أن يقول: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين، ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها، ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول، ومن زوالها إلى غروبها، وأما ما قاله المفسر، فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين، وهـذا الوقت أعني من طلوع الفجـر إلى طلوع الشمس، أطيب الأوقات وأفضلها، ولذا وصفت به الجنة، قال تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ وفيه يجد المريض راحته، والمسافر وكل ذي علة، وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد، وطيب نفوس الأحياء، قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر.

قوله: **﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكناً﴾** أي ثابتاً مستقراً لا يذهب عن وجه الأرض. قوله: **(لا يزول بطلوع الشمس)** أي بأن لا تطلع، فلا يزول بأن يستمر الليل مقيماً، أو تطلع من غير ضوء. قوله: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾** أي الشمس دليلاً على الظل ليلاً ونهاراً، فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس، وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغير، وأما ذات الشمس فجوهر. قوله: **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً**

الظل الممدود ﴿إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ ﴿٤٦﴾ خفياً بطلوع الشمس ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ ساتراً كاللباس ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾ ﴿٤٧﴾ منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي متفرقة قدّام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات، ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة نشير ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴾ ﴿٤٨﴾ مطهراً ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا﴾

﴿يَسِيراً﴾ أي قليلا شيئا فشيئا، وذلك أن الشمس إذا طلعت، ظهر لكل شخص ظل إلى جهة المغرب، فكلما ارتفعت في الأفق، نقص الظل شيئاً فشيئاً، إلى أن تصل الشمس وسط السماء، فعند ذلك ينتهي نقص الظل، فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبداً في بعض أيام السنة، كمكة وزبيد، وما عداها تبقى له بقية، وهذا على حسب الأشهر القبطية، وضبط ذلك بعضهم بقوله طزه جبا أبدوحي، فالطاء بتسعة لطوبة، فظل الزوال فيه تسعة أقدام، والزاي بسبعة لأمشير، والهاء بخمسة لبرمهات، والجيم بثلاثة لبرمودة، والباء باثنين لبشنس، والألف بواحدة لبؤنة، والألف الثانية بواحد لأبيب، والباء باثنين لمسرى، والداخل بأربعة لتوت، والواو بستة لبابة، والحاء بثمانية لهاتور، والياء بعشرة لكيهك، فإذا زالت الشمس، زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً، حتى تغرب الشمس. قوله: (**كاللباس**) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة، والجامع بين المشبه والمشبه به الستر في كل. قوله: ﴿**وَالنَّوْمَ سُبَاتاً**﴾ من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر. قوله: (**بقطع الأعمال**) الباء سببية، والجار والمجرور متعلق براحة. قوله: (**لابتغاء الرزق**) أي طلبه.

قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ**﴾ أي المبشرات وهي ثلاث: الشمال وتأتي من جهة القطب، والجنوب تقابلها، والصبا وتأتي من مطلع الشمس، والدبور تأتي من المغرب وبها أهلكت قوم عاد. قوله: (**وفي قراءة الريح**) أي وهي سبعية أيضاً، وأل فيها للجنس. قوله: (**وفي قراءة بسكون الشين**) الخ، حاصل ما ذكره المفسر من القراءات أربع، وكلها سبعية، الأولى والثانية جمع نشور كرسول، والثالثة مصدر نشر، والرابعة جمع نشير. قوله: (**ومفرد الأولى**) أي والثانية. قوله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**﴾ فيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿**طَهُوراً**﴾ أي طاهراً في نفسه مطهراً لغيره. قوله: ﴿**بَلْدَةً**﴾ أي أرضاً. قوله: (**بالتخفيف**) أي لا غير، لأن المخفف لما ليس ذا روح غالباً، وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح، قال تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾. وقال بعضهم:

أيا سائلي تفسير ميت وميت ... فدونك قد فسرت ما عنه تسأل
فما كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

قوله: (**يستوي فيه المذكر**) الخ، جواب عما يقال: لم ذكر ميتاً، مع أنه نعت لبلدة وهي مؤنثة؟ وقوله: (**ذكره**) الخ، جواب ثان، فكان المناسب أن يأتي بأو. قوله: ﴿**أَنْعَاماً**﴾ خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها، لكونها سبباً لحياتهم ومعاشهم. قوله: (**جمع إنسان**) هو الراجح، وقيل جمع إنسي وهو معترض

إبلًا وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ ﴿٤٩﴾ جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ ﴾ أي الماء ﴿ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ ﴾ أصله يتذكروا أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ﴿٥٠﴾ جحوداً للنعمة حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ ﴿٥١﴾ يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً ليعظم أجرك ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في هواهم ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بأن الياء في إنسي للنسب، وهو لا يجمع على فعالي، كما قال ابن مالك: واجعل فعالي لغيري ذي نسب. قوله: **(وأصله أناسين)** أي كسرحان وسراحين. قوله: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾** أي فرقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة، على حسب ما قدر في سابق علمه، روي عن ابن مسعود أنه قال: ليس من سنة بأمطر من أخرى، ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي، حول الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً، صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار. قوله: **(أدغمت التاء في الذال)** أي بعد قلبها دالاً، فذالاً. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي نعمة الله به)** أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيراً. قوله: **(جحوداً للنعمة)** أي حيث أضافوها لغير خالقها. قوله: **(مطرنا بنوء كذا)** النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع، واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر، لأنه لا أثر لشيء في شيء، بل المؤثر هو الله وحده، وإنما تلك الأشياء، من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، ويمكن تخلفها، كالإحراق للنار، والري للماء، والشبع للأكل.

قوله: **﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾** أي في زمنك. قوله: **(ليعظم أجرك)** أي فالنبي ﷺ له مثل أجر من آمن به، من بعثه إلى يوم القيامة. قوله: **﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ﴾** أي بل اصبر على أحكام ربك. قوله: **﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾** أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج، أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. قوله: **(أرسلهما متجاورين)** أي أجراهما متلاصقين لا يتمازجان، ولا يبغي أحدهما على الآخر. قوله: **﴿هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾** هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة، جواب سؤال مقدر كأنه قيل: كيف مرجهما؟ ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول، أي مقولاً فيهما هذا عذب الخ، وسمي الماء العذب فراتاً، لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه. قوله: **(شديد الملوحة)** أي وقيل شديد الحرارة، وقيل شديد المرارة، وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: عذب فرات، وملح أجاج. قوله: **(حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر)** أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله، ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان، بل يبقى على كل ما هو عليه، بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى، وهذا أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهية.

﴿ بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ ﴿٥٣﴾ أي ستراً ممنوعاً به اختلاطهما ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾ من المني إنساناً ﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا ﴾ ذا نسب ﴿ وَصِهْرًا ﴾ ذا صهر بأن يتزوج ذكراً كان أو أنثى طلباً للتناسل ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ ﴿٥٤﴾ قادراً على ما يشاء ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ أي الكفار ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ ﴾ بعبادته ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ ﴿٥٥﴾ معيناً للشيطان بطاعته ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٥٦﴾ مخوفاً من النار ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ ﴿٥٧﴾ طريقاً بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ ﴾ متلبساً ﴿ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي قل سبحان الله

قوله: ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ تقدم أن معناه تعوذنا تعوذاً، والمراد هنا الستر المانع، فشبه البحرين بطائفتين متعاديتين، كل منهما تتحصن من الأخرى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾ على طريق الاستعارة المكنية. قوله: ﴿بَشَراً﴾ أي خلقاً كاملاً مركباً من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾. قوله: (ذا نسب) الخ، أي فقسمه قسمين، ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر، أي أناساً يصاهر بهن، وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والتزوج. قوله: (ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته، وصهر المرأة أقارب زوجها. قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ أي حيث خلق من مادة واحدة، إنساناً ذا أعضاء مختلفة، وطباع متباعدة، وأخلاق متعددة، وجعله قسمين متقابلين، فمن كان قادراً على ذلك وأمثاله، فهو حقيق بأن لا يعبد غيره.

قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾ شروع في ذكر قبائح المشركين، مع ظهور تلك الأدلة. قوله: ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفنناً. قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك، وأل في الكافر للجنس، فالمراد كل كافر، وقيل معنى ظهيراً مهيناً لا يعبأ به، فعلى بمعنى عند، والمعنى: وكان الكافر عند ربه مهاناً لا حرمة له، مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك. قوله: (بطاعته) أي الشيطان، والباء سببية، والمعنى صار الكافر معيناً للشيطان على معصية الله، بسبب طاعته إياه، والخروج عن طاعة الله.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ أي لم نرسلك في حال من الأحوال، إلا في حال كونك مبشراً ونذيراً، فمن آمن فقد تحقق بالبشارة، ومن استمر على الكفر فله النذارة. قوله: (على تبليغ ما أرسلت به) أي المفهوم من قوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾. قوله: (لكن) ﴿مَنْ شَاءَ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته فليفعل. قوله: (في مرضاته تعالى) أي كالصدقة والنفقة في سبيل الله تعالى. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه، وعن طاعة رسوله، وأمر

والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ عالماً تعلق به بذنوب هو ﴿ لذي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير

الرسول أن لا يسألهم أجراً على تبليغه، أمره بالاعتماد عليه تعالى، ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا، ضاع من توكل عليهم، والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور، من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها. قوله: ﴿**الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ صفة كاشفة، لأن معنى الحي في حقه تعالى، ذو الحياة الأبدية التي يستحيل عليها الموت والفناء، ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم، لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية.

قوله: ﴿**وَسَبِّحْ**﴾ أي نزهه عن كل نقص. قوله: ﴿**بِحَمْدِهِ**﴾ الباء للملابسة كما قال المفسر، أي وصفه بالكمالات. قوله: (**أي قل سبحان الله والحمد لله**) أي فذلك بجمع التسبيح والتحميد، لأن معنى تسبيح الله، تنزيه الله عن كل نقص، ومعنى الحمد لله، كل كمال ثابت لله، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ، وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التي بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر، وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين، ليكون النطق بها عن معرفة ويقين، فهي نتيجة ما قبلها، والله أكبر نتيجة الثلاث فيها، لأنه إذا تنزه عن النقائص، واتصف بالكمالات، وثبت أنه لا إله غيره، فقد انفرد بالكبرياء والعظمة. وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد، لأنهما مستلزمتان للجملتين بعدهما. قوله: ﴿**وَكَفَى بِهِ**﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: (**عالماً**) أي بالمذنب والطائع. قوله: (**تعلق به**) أي بخبيراً. قوله: (**بذنوب**) أي لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق في كل وقت، فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم، بل عليه بنفسه، ويفوض أمره اليه. قوله: (هو) ﴿**الَّذِي**﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول خبر لمحذوف، وهذه الجملة سيقت تحريضاً للتوكل عليه تعالى، فإن من كان قادراً على ذلك، فهو حقيق بالتوكل عليه.

قوله: ﴿**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أي فالأرض في يومين الأحد والاثنين، وما عليها في يومين الثلاثاء والأربعاء، والسماوات في يومين الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة. قوله: (**أي في قدرها**) دفع بذلك ما يقال: إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك. قوله: (**والعدول عنه**) أي عن الخلق في لمحة. قوله: (**التثبت**) أي التأني والتؤدة في الأمور، وعدم العجلة فيها، لما ورد: أن العجلة من الشيطان، واستثنى العلماء من ذلك مسائل اقراء الضيف، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، والصلاة في أول وقتها، وقضاء الدين، وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته، والتوبة من الذنب. قوله: (**هو في اللغة سرير الملك**) أي ومنه قوله: (**أيكم يأتيني بعرشها**) والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السماوات السبع. قوله: (**بدل من ضمير استوى**) ويصح أن يكون خبر المحذوف، أو خبر الذي خلق. قوله: (**أي استواء يليق به**) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة، ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه، وهو أحد معاني الاستواء، واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

الملك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرٗا ﴾ ﴿٥٩﴾ يخبرك بصفاته ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية، والآمر محمد ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورٗا﴾ ﴿٦٠﴾ عن الإيمان. قال تعالى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وفي قوله: ﴿ٱلرَّحْمٰنُ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين، وكان سقف الجنة لا بوصف الجلال، وإلا لذاب ولم يبق له أثر. قوله: ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ ﴿بِهِ﴾ متعلق بخبيراً، قدم لرعاية الفاصلة. والمعنى اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً باسأل، والباء بمعنى عن. والمعنى اسأل عنه خبيراً، أي عالماً بصفاته، يطلعك على ما خفي عليك، والخبير يختلف باختلاف السائل، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام، فالخبير هو الله، وإن كان السائل أصحابه، فالخبير النبي، وإن كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن الله وهكذا، فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين، يفيدون الطالب عن الله، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي لكفار مكة. قوله: ﴿قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمٰنُ﴾ أي ظناً منهم أن المراد به غيره تعالى، لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب. قوله: **(وبالفوقانية والتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(والآمر محمد)** أي على كل من القراءتين. قوله: **(ولا نعرفه)** راجع لقوله: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فكان المناسب ذكره بلصقه. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(تعاظم)** أي انفرد بالعظمة، لأن من كانت هذه أوصافه، فهو منفرد بالكبرياء والعظمة، وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة، تفسر في كل مقام بما يناسبه.

قوله: ﴿بُرُوجاً﴾ جمع برج وهو في الأصل القصر العالي، سميت هذه المنازل بروجاً، لأنها للكواكب السبعة السيارة، كالمنازل الرفيعة التي هي كالقصور لسكانها، فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة. قوله: **(الحمل)** أي ويسمى بالكبش. قوله: **(والأسد)** أي ويسمى بالليث أيضاً، وقوله: **(والدلو)** ويسمى الدلى أيضاً. قوله: **(المريخ)** بكسر الميم. قوله: **(وله)** أي من البروج المذكورة، والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشر بروج، كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر، كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج، وتقدم في سورة الحجر نظم الكواكب والبروج، وتقدم أن زحل نجم في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطار في الثانية، والقمر في الأولى، وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها، فلا ينافي سيرها في البروج كلها، وكذا غيرها من باقي الكواكب السبعة، وذلك لأن البروج أصلها في سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها. قوله: **(والزهرة)** بفتح الهاء. قوله: **(وعطارد)** بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. قوله: **(وزحل)** ممنوع

اثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا ﴾ أيضاً ﴿ سِرَاجًا ﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ ﴿٦١﴾ وفي قراءة سرجاً بالجمع أي نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٦٢﴾ أي شكراً لنعمة ربه عليه فيهما ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ وما بعده صفات له إلى: أولئك يجزون غير المعترض

من الصرف للعلمية والعدل كعمر، وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع في العالم السفلي كالأكل والشرب، يوجد النفع عندها لا بها، فهي من جملة الأسباب العادية، فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق.

قوله: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا**﴾ أي السماء. قوله: (**أي نيرات**) صفة لموصوف محذوف، أي كواكب نيرات ودخل فيها القمر، فلذلك قال: (**وخص القمر**) الخ. قوله: (**لنوع فضيلة**) أي لأن مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾. قوله: (**أي يخلف كل منهما الآخر**) أي بأن يقوم مقامه، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه. قوله: (**بالتشديد**) أي فأصله يتذكر قلبت التاء دالاً وأدغمت في الذال. قوله: (**والتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**كما تقدم**) أي في قوله: ﴿لقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾. قوله: (**ما فاته في أحدهما من خير**) الخ، أي فمن فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرها. قوله: ﴿**أَوْ أَرَادَ شُكُوراً**﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ**﴾ الخ، لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل اليه أمرهم، ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين، ووصفهم بأوصاف ثمانية، بها تنال المراتب العالية، وإضافتهم اليه تعالى للتشريف، وإلا فكل المخلوقات عباد الله، ويقال إضافتهم له من حيث كونه رحماناً، لكونهم مظهر الرحمة، وستختص بهم في الآخرة. قوله: (**وما بعده**) أي من الموصولات الثمانية التي أولها. قوله: ﴿**الَّذِينَ يَمْشُونَ**﴾ وآخرها قوله: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا﴾. قوله: (**إلى أولئك**) أي وهي الخبر كما سيذكره هناك. قوله: (غير المعترض فيه) أي وهو قوله: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**﴾ إلى قوله: ﴿**مَتَاباً**﴾ وهو ثلاث آيات. وحاصل ما ذكره من الأوصاف، أن بعضها متعلق بالخلق، وبعضها متعلق بالخالق. قوله: ﴿**هَوْناً**﴾ هو مصدر هان كقال. قوله: (**أي بسكينة**) أي تؤدة وتأن. قوله: ﴿**الْجَاهِلُونَ**﴾ أي السفهاء. قوله: ﴿**وَقَالُوا سَلَاماً**﴾ أي مع القدرة على الانتقام، فالمراد الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام، وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث: «كاد الحليم أن يكون نبياً». وفي الحديث: «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم». والآثار في ذلك كثيرة.

فيه ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ بما يكرهونه ﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ ﴿٦٣﴾ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿ وَقِيَـٰمًا ﴾ ﴿٦٤﴾ بمعنى قائمين أي يصلون بالليل ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ﴿٦٥﴾ أي لازماً ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ ﴾ بئست ﴿ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ﴿٦٦﴾ هي، أي موضع استقرار وإقامة ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ ﴾ على عيالهم ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾ بفتح أوله وضمه أي يضيقوا ﴿ وَكَانَ ﴾ إنفاقهم ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا ﴾ ﴿٦٧﴾ وسطاً ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ قتلها ﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴾ ﴿٦٨﴾ أي عقوبة ﴿ يُضَـٰعَفْ ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ ﴾ بجزم الفعلين بدلاً وبرفعهما استئنافاً ﴿ مُهَانًا ﴾ ﴿٦٩﴾ حال ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا ﴾ منهم ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَـٰتٍ ﴾ في

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ شروع في ذكر معاملتهم للخالق اثر معاملتهم للخلق، وخص البيتوتة بالذكر، لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء، وفي الحديث: «لا زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن أمتي لا ينامون»، وأخر الليل مراعاة للفواصل. قوله: **(أي يصلون بالليل)** هذا صادق بصلاة العشاء والصبح في جماعة، ولكن كلما كثرت الصلاة **بالليل** كان خيراً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ الخ، أي فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق، ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله، بل هم خائفون من عذابه، وجلون من هيبته. قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ الخ، تعليل لقولهم: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾. قوله: ﴿كَانَ غَرَاماً﴾ أي في علمه تعالى. قوله: **(أي لازماً)** أي لزوماً كلياً في حق الكفار، ولزوماً بعده خروج في حق عصاة المؤمنين. قوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله قوله: ﴿مُسْتَقَرّاً﴾ هما بمعنى واحد، وهو الذي يشير اليه المفسر، وقيل مستقراً، لعصاة المؤمنين ومقاماً للكافرين. قوله: **(بفتح أوله)** أي مع كسر التاء وضمها، من باب ضرب ونصر، وقوله: **(وضمه)** أي مع كسر التاء لا غير، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(أي يضيقوا)** أي على عيالهم مع يسارهم. قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَاماً﴾ هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً﴾ الخ، شروع في بيان اجتنابهم للمعاصي، اثر بيان إتيانهم الطاعات. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، بأن تكون مستحقة للقتل، كالمرتد والزاني المحصن والقاتل. قوله: **(أي واحداً من الثلاثة)** في بعض النسخ أي **ما** ذكر، وهو المناسب لقوله: ﴿يُضَاعَفْ﴾ لأن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعف له العقوبة. قوله: **(وفي قراءة يضعف)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(بدلاً)** أي من يلق بدل اشتمال. قوله: ﴿مُهَاناً﴾ أي ذليلاً حقيراً.

الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾ أي يرجع إليه رجوعاً فيجازيه خيراً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي الكذب والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ معرضين عنه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ بالجمع والإفراد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ في الخير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ من

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء متصل من الضمير في يلق. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة راجع لقوله من تاب. قوله: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يمحو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة، ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها، وفي القرطبي: ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد، أن يصنع مكان كل سيئة حسنة.

قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ أي عن المعاصي بتركها والندم عليها. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي فعل الطاعات ولو بالنية، كمن فجأة الموت عقب التوبة. قوله: (فيجازيه خيراً) دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال: من تاب وعمل صالحاً، فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن. قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي لا يحضرونه أو لا يشهدون به. قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي من غير تقصد منهم له. قوله: (وغيره) أي وهو الفعل القبيح. قوله: ﴿مَرُّوا كِرَاماً﴾ أي مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش. قوله: (بل خروا سامعين) الخ، أشار بذلك إلى أن النفي مسلط على القيد فقط وهو قوله: ﴿صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ والمعنى إذا قرىء عليهم القرآن، ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا، حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر. قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ﴿مِنْ﴾ للبيان. قوله: (بالجمع والإفراد) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي ما يحصل به سرورها. قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ أي اجعلنا هداة يقتدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات، بأن تصفي بواطننا من غيرك، حتى يكون حالنا سبباً في هداية الخلق، ولذا قيل: حال رجل في ألف رجل، أنفع من وعظ ألف رجل في رجل ولفظ إمام يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابقة حاصلة.

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ اسم الإشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية. قوله: ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ اسم جنس أريد به الجمع، والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا. قوله: (بالتشديد) أي ومعناه يعطون، والفاعل الله، وقوله: (والتخفيف) أي فمعناه يجدون، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ جمع بينهما لأن المراد بالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه

الملائكة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ ٧٦ موضع إقامة لهم، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَعۡبَؤُاْ﴾ يكترث ﴿بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدۡ﴾ أي فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامَۢا﴾ ٧٧ ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منم يوم بدر سبعون، وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

تعالى عليهم بالقول، أو سلام الملائكة، أو سلام بعضهم على بعض. قوله: (**الملائكة**) أي أو من الله أو من بعضهم لبعض، والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات، فتحصل أن قوله: ﴿**تَحِيَّةً وَسَلَاماً**﴾ قيل هما بمعنى واحد، وجمع بينهما لاختلاف لفظهما، وقيل متخالفان، فالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، والسلام الدعاء، إما من الملائكة، أو من الله، أو من بعضهم لبعض. قوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون. قوله: (**وأولئك**) أي الواقع مبتدأ، وقوله: (**وما بعده**) أي قوله: ﴿**يُجْزَوْنَ**﴾ الواقع خبره.

قوله: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾ الخ، لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين، أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التي بها العبادة لله، فلولا العبادة الواقعة من الخلق، لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده، فإن الإنسان خلق ليعرف ربه ويعبده، وإلا فهو شبيه بالبهائم، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ففي العبادة يتنافس المتنافسون، وبها يفوز الفائزون. قوله: ﴿**لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾ (**إياه**) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعله.

قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَكُونُ**﴾ (**العذاب**) أي الذي دل عليه قوله: ﴿**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ**﴾. قوله: ﴿**لِزَاماً**﴾ مصدر لازم كقاتل قتالاً، والمراد هنا اسم الفاعل، وفي الآية تهديد لكفار مكة. قوله: (**فقتل منهم يوم بدر سبعون**) الخ، روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين، الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر، وقوله خمس أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل، فالدخان هو قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ والمراد به شيء يشبه الدخان، وقد نزل بقريش من شدة الجوع، صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخاناً، والقمر في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ والروم في قوله تعالى: ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ والبطشة في قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ وهي القتل يوم بدر، واللزام هو الأسر يومها. قوله: (**دل عليه ما قبلها**) أي وهو قوله: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾ والتقدير لولا دعاؤكم، أي طلبكم من الله رفع الشدائد، وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة، ما يعبأ بكم، أي ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم، وقوله: ﴿**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ**﴾ أي دمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم، فسوف يكون العذاب لازماً لكم، لا يرد عنكم، ولا يقبل منكم دعاء فتدبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء

مكيّة

الا ﴿والشعراء﴾ الى آخرها ـ فمدني
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿طسم﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تلك﴾ أي هذه الآيات ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿المبين﴾ ﴿٢﴾ المظهر الحق من الباطل ﴿لعلك﴾ يا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء مكية

إلا ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها ـ فمدني
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

أي السورة التي ذكر فيها الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته تعالى، وقد ورد في فضل الطواسين أحاديث منها ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المصّ مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي. قوله: **(إلا والشعراء إلى آخرها)** أي وجملته أربع آيات.

قوله: **﴿طسم﴾** هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض، وفي مصحف ابن مسعود: ط س م مفصولة من بعضها وبها قرىء، فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وقرىء هنا وفي القصص بكسر الميم على البناء، وأمال الطاء بعض القراء. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا القول أصح وأسلم. قوله: **﴿تلك﴾** مبتدأ، و **﴿آيات الكتاب﴾** خبره، واسم الإشارة عائد على آيات هذه السورة. قوله: **(بالإضافة بمعنى من)** أي والمعنى آيات من الكتاب. قوله: **(المظهر الحق من الباطل)** أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر، ويصح أن يكون من باب اللازم بمعنى ظهر، أي الظاهر إعجازه.

﴿ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿ أَلَّا يَكُونُواْ ﴾ أي أهل مكة ﴿ مُؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ولعل هنا للإشفاق، أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ ﴾ بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم ﴿ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ ﴿٤﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ ﴾ قرآن ﴿ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ ﴾ صفة كاشفة ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ ﴾ به ﴿ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ ﴾ عواقب ﴿ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ ﴿٦﴾ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ ينظروا ﴿ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا ﴾ أي كثيراً ﴿ مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ ﴿٧﴾ نوع حسن ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ ﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم

قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ هذا تسلية له ﷺ، والباخع من بخع من باب نفع: قتل نفسه من وجد أو غيظ. قوله: (ولعل هنا للاشفاق) أي فالترجي بمعنى الأمر، والمعنى ارحم نفسك وارأف بها. قوله: (أي أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعي وبوصلها من الثلاثي، والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف، وإن تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق. قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ﴾ الخ، هذا تسلية لرسول الله ﷺ ببيان حقيقة أمرهم، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإننا لو شئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم، فيؤمنون قهراً عليهم، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم، فعدم إيمانهم منا لا منهم، فأرح نفسك من التعب القائم بها، و ﴿إِنْ﴾ حرف شرط، و ﴿نَشَأْ﴾ فعل الشرط، و ﴿نُنَزِّلْ﴾ جوابه.

قوله: ﴿آيَةً﴾ أي معجزة تخوفهم، كرفع الجبل فوق رؤوسهم، كما وقع لبني إسرائيل. قوله: (بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَظَلَّتْ﴾ مستأنف، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿نُنَزِّلْ﴾، فهو في محل جزم. قوله: (ولما وصفت الأعناق بالخضوع) الخ، دفع بذلك ما يقال: كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء؟ فأجاب: بأنه لما ناسب الخضوع لها، وهو وصف العقلاء، جميعها بالياء والنون كقوله تعالى: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ ﴿قالتا أتينا طائعين﴾، وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول خاضعة، وهناك أجوبة أخر، منها أن المراد بالأعناق الرؤساء، ومنها أن لفظ الأعناق مقحم والأصل فظلوا لها خاضعين، ومنها غير ذلك. قوله: ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، وقوله: ﴿مِنَ الرَّحْمٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ ابتدائية. قوله: (صفة كاشفة) أي لأنه فهم من قوله: ﴿يَأْتِيهِمْ﴾، لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي غير متأملين. قوله: (عواقب) أي وعبر عنها بالأنباء، لأن القرآن أخبر عنها، والمراد تنزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي إلى عجائبها، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ، وهذا بيان للأدلة التي تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت، تدل على أنه منفرد بالألوهية، ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر. قوله: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ ﴿كَمْ﴾ في محل نصب مفعول لأنبتنا، و ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ تمييز لها. قوله: (نوع حسن) أي كثير النفع. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ الخ، قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات. قوله: (في علم الله) هذا مبني على أصالة ﴿كَانَ﴾، وقوله: (وكان قال سيبويه) الخ، توجيه ثان فكان المناسب أن يقول: وقال

مؤمنين﴾ ﴿٨﴾ في علم الله، وكان قال سيبويه زائدة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٩﴾ يرحم المؤمنين ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ رسولاً ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ الله بطاعته فيوحدونه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من

سيبويه كان زائدة. قوله: **(ذو العزة)** أي الهيبة والجلال. قوله: **(ينتقم من الكافرين)** أي بمظهر عزته الذي هو القهر والغلبة، وقوله: **(يرحم المؤمنين)** أي بمظهر رحمته.

قوله: **﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾** الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص: أولها قصة موسى وهارون، ثانيها قصة إبراهيم، ثالثها قصة نوح، رابعها قصة هود، خامسها قصة صالح، سادسها قصة لوط، سابعها قصة شعيب، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص، أن بها تكون الحجة على الكافرين، والزيادة في علم المؤمنين، ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء، وكافرها أشقى الأشقياء، وحكمة التكرار الزيادة في إيمان المؤمن، وقطع حجة الكافر، والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**، وليس المراد به ذكر وقت المناداة، بل المراد ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت. قوله: **(ليلة رأى النار والشجرة)** أي رأى النار موقدة في الشجرة الخضراء، وليس هذا مبدأ ما وقع في المناداة، وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى: ﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾ إلى قوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾.

قوله: **﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾** يصح أن تكون **﴿أَنِ﴾** مصدرية كما مشى عليه المفسر، أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وكان النداء بكلام نفسي، سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة. قوله: **(رسولاً)** حال من فاعل **﴿ٱئْتِ﴾**. قوله: **﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾** بدل من القوم الظالمين، وقوله: **(معه)** أي فرعون، وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال. قوله: **(وبني إسرائيل)** معطوف على **(أنفسهم)**، والتقدير وظلموا بني إسرائيل. قوله: **(باستعبادهم)** أي معاملتهم إياهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين. قوله: **(للاستفهام الإنكاري)** المناسب أن يقول للاستفهام التعجبي، لأن المعنى على الإنكار فاسد، لأنه للنفي، ومدخولها نفي، ونفي النفي إثبات، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك، ويصح أن تكون ألا للعرض.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾** الخ، اعتذار من موسى لإظهار العجز عن الأمر الذي كلفه، وقد أتى بثلاثة أعذار، كل واحد منها مرتب على ما قبله. قوله: **﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾** هما بالرفع على الاستئناف، أو عطف على خبر إن عند السبع، وقرىء شذوذاً بنصبهما عطفاً على مدخول أن، والمقصود من هذا الاعتذار، الإعانة على هذا الأمر المهم، بشرح الصدر، وطلق اللسان، وإرسال أخيه، والأمن من القتل، وقد دل على ذلك قوله في سورة طه ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة

تكذيبهم لي ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ معي ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿١٤﴾ به ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّا﴾ أي لا يقتلونك ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ أي كلاً منا ﴿ رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ إليك ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ أَرْسِلْ مَعَنَا ﴾ إلى الشام ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿١٧﴾ فأتياه فقالا له ما ذكر ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا ﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ ثلاثين سنة

من لساني﴾ الآيات. قوله: **(للعقدة التي فيه)** أي الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير، حين نتف لحية فرعون، فاغتم لذلك وهم بقتله، فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه، فقدم له تمرة وجمرة، فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه، فحصل فيه ثقل في النطق.

قوله: **﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾** أي وكان في مصر، فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة، فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل، وإن كان حاضراً، وهارون جاءته الرسالة في ذلك الوقت أيضاً بواسطة جبريل. قوله: **(معي)** أي ليكون معيناً لي، وهو بمعنى قوله في سورة القصص**﴿فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾**. قوله: **﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾** أي في زعمهم. قوله: **﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾** أي فيفوت المقصود من الإرسال. قوله: **(فيه تغليب الحاضر على الغائب)** أي بالنسبة لموسى، وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل. قوله: **﴿بِآيَاتِنَا﴾** جمع الآيات مع أنهما اثنان العصا واليد، باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات له. قوله: **﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾** أي معية خاصة بالعون والنصر. قوله: **(أجريا مجرى الجماعة)** أي تعظيماً لهما. قوله: **(أي كلا منا)** قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها، الذي هو الرسول حيث أفرده.

قوله: **﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي خلصهم وأطلقهم. قوله: **(فأتياه)** الخ، أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾** الخ، مرتب على محذوف، روي أنهما لما انطلقا إلى فرعون، لم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البواب على فرعون وقال له: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال له فرعون: ائذن له لعلنا نضحك معه، فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا اليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: إنا رسول رب العالمين، فعرف موسى، لأنه نشأ في بيته فقال: **﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾** الخ، فامتن عليه أولاً بنعمة التربية، وثانياً بعدم مؤخذاته بما وقع منه من قتل القبطي. قوله: **(قريباً من الولادة)** قصده بذلك دفع ما ورد على الآية، بأن الوليد يطلق على المولود حال ولادته، وليس مراداً هنا، فإنه كان زمن الرضاع عند أمه، ثم أخذه فرعون بعد الفطام، والأولى إبقاء الآية على ظاهرها، لأن موسى وإن كان عند أمه، إلا أنه تحت نظر فرعون، فهو في تربيته من حين ولادته.

يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾﴿١٩﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا ﴾ أي حينئذ ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾﴿٢٠﴾ عما آتاني بعدها من العلم والرسالة ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ﴾ علماً ﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾﴿٢١﴾ ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ ﴾ أصله تمن بها عليَّ ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾﴿٢٢﴾ بيان لتلك، أي اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لموسى ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾﴿٢٣﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي أيُّ شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي خالق ذلك ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾﴿٢٤﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ ﴾ من أشراف قومه ﴿أَلَا

قوله: ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ حال من سنين، لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: **(وعدم الاستعباد)** أي اتخاذك لي عبداً مثل بني إسرائيل. قوله: **(حينئذ)** هذا حل معنى لا حل اعراب، وهي حرف جواب فقط، وقيل حرف جواب وجزاء. قوله: **(عما آتاني الله بعدها)** الخ، أي فليس عليَّ فيما فعلته في تلك الحالة لوم؛ لعدم التكليف حينئذ، أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين. قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في ذلك رد لما وبخه به فرعون، وهو القتل بغير حق، فكأنه قال: فكيف تدعي الرسالة، وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى؟ فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة، ثم أتته بعد ذلك.

قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿تَمُنُّهَا﴾ صفة لنعمة، و﴿أَنْ عَبَّدْتَ﴾ الخ، عطف بيان موضح للمبتدأ، كما قاله المفسر. قوله: **(أصله تمن بها علي)** أي فحذف الجار فاتصل الضمير، فهو من باب الحذف والايصال. قوله: **(ولم تستعبدني)** أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي، لأن استعبادك غيري ظلم، وقد نجاني الله منه. قوله: **(وقدر بعضهم)** أي وهو الأخفش. قوله: **(أول الكلام)** أي والأصل أو تلك نعمة، الخ. قوله: **(للإنكار)** أي وهو بمعنى النفي. قوله: **(أي أي شيء هو)** أي وذلك لأن ما يسأل بها عن الحقيقة. والمعنى أي جنس هو من أجناس الموجودات. قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي جنس السماوات والأرض، فاندفع ما قيل: لم ثني الضمير مع أن مرجعه جمع؟.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها. قوله: **(من أشراف قومه)** أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور، ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك. قوله: **(الذي لم يطابق السؤال)** أي لأن ما يسأل بها عن الحقيقة، وقد أجابه بالصفات التي يسأل عنها بأي، والعدول عن المطابقة، لأن السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته. قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنما ذكر ذلك لأن نفوسهم أقرب الأشياء اليهم. قوله: **(وهذا)** أي الجواب. قوله: **(ولذلك)** أي لشدة غيظه. قوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ سماه رسولاً استهزاء، وأضافه إلى المخاطبين استنكافاً من نسبته له.

تَسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ وهذا وإن كان داخلاً فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ أَوَلَوْ ﴾ أي أتفعل ذلك ولو ﴿ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ أي برهان بين على رسالتي ﴿ قَالَ ﴾ فرعون له ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ فيه ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٣٢﴾ حية عظيمة ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ ﴾ ذات شعاع ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ فائق في علم السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ يفضل موسى في علم السحر ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ

قوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويذهب بها من المغرب. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إن كان لكم عقل، وفيه رد لقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. قوله: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي﴾ الخ، عدول عن الحاجة إلى التهديد، لقصر حجته وجهله وعدم استقامته، روي أنه فزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله. قوله: (أي أتفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ﴾ إنما أمر فرعون بالإتيان به، لظنه أنه يقدر على معارضته.

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي من جيبه، قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال: هل لك غيرها؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق. قوله: (من الأدمة) أي السمرة. قوله: ﴿حَوْلَهُ﴾ ظرف في محل الحال. قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ لما رأى تلك الآيات الباهرة، خاف على قومه أن يتبعوه، فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام. قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي أي شيء تأمرونني به. قوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: (يفضل موسى) أي يفوقه ويزيد عليه. قوله: (من يوم الزينة)

ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا ﴾ أي حينئذ ﴿ لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ ﴾ بعد ما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ﴾ فرعون﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ ﴾ أنا ﴿ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينالكم مني ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ لا ضرر علينا في ذلك

كان يوم عيد لهم، وقيل كان يوم سوق. قوله: **(والترجي على تقدير غلبتهم)** أي الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع. قوله: **(على الوجهين)** أي تحقيقها وتسهيل الثانية، وكان عليه أن يقول وتركه، أي ترك الإدخال على الوجهين، فتكون القراءات أربعاً. قوله: **﴿لأَجْراً﴾** أي أجرة وجعلاً.

قوله: **﴿قَالَ نَعَمْ﴾** أي لكم الأجرة على عملكم السحر. وزادهم بقوله: **﴿وَإِنَّكُمْ إِذاً﴾** الخ قوله: **(فالأمر فيه)** جواب عما يقال: كيف يأمرهم بفعل السحر، مع أنه لا يجوز الأمر به، لأن الأمر به رضا، والرضا بالكفر كفر، وحاصل الجواب: أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسناً له، وأما الأمر به للتوسل لإبطاله، فليس فيه استحسان ولا رضا، بل هو الممدوح شرعاً. قوله: **﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾** أي نقسم ونحلف بعزة فرعون، وأقسموا لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون. قوله: **(من الأصل)** أي أصل الصيغة. قوله: **(يقلبونه)** أي يغيرونه عن حاله الأول من الجمادية، إلى كونه حية تسعى. قوله: **(بتمويههم)** الباء سببية.

قوله: **﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾** أي خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة، فلم يتمالكوا أنفسهم. قوله: **﴿رَبِّ مُوسَى وهارونَ﴾** بدل مما قبله للتوضيح وللإشعار، بأن سبب إيمانهم، ما أجراه الله على يد موسى وهارون. قوله: **(وإبدال الثانية ألفاً)** صوابه الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفاً، وترك قراءة أخرى، وهي حذف الأولى من الهمزتين وقلب الثانية ألفاً. قوله: **(فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر)** أي أخفاه منكم، وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه، لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق.

قوله: **﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾** حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم، اشتد خوف فرعون على باقي قومه من دخولهم في الايمان، فنفر الباقي بقوله: **﴿لأُقَطِّعَنَّ﴾** الخ. قوله: **﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا**

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ راجعون في الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥١﴾ في زماننا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة في أسرى أي سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ جامعين الجيش قائلاً ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ قيل كانوا

مُنْقَلِبُونَ﴾ تعليل لنفي الضمير، وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف، ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل. قوله: **(في زماننا)** أي من أتباع فرعون، فلا ينافي أن بني إسرائيل سبقوهم بالايمان.

قوله: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾** يحتمل أن يكون بتكليم الله له، أو على لسان جبريل. قوله: **(بعد سنين)** أي ثلاثين، وذلك أن موسى مكث في مصر أولاً ثلاثين، وفي مدين عشر سنين، ثم لما رجع إلى مصر ثانياً، مكث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة، ثم أغرق الله فرعون وقومه، وعاش بعد ذلك خمسين سنة، فجملة عمره مائة وعشرون سنة. قوله: **(بآيات الله)** أي باقي التسع، لأن موسى افتتحهم أولاً بالعصا واليد فلم يؤمنوا، فجاءهم بالسنين المجدبة، ثم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم، فلم يفد فيهم ذلك، وقد سبق ذلك مفصلاً في الأعراف.

قوله: **﴿بِعِبَادِي﴾** الإضافة للتشريف، والمعنى سر بعبادي المختصين برحمتي، وإلا فالكل من حيث الخلق عباده. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي سر بهم ليلاً)** تفسير لكل من القراءتين. قوله: **(إلى البحر)** أي بحر القلزم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل، فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك فيقول: هكذا أمرني ربي، فلما أصبح فرعون، وعلم بسير موسى ببني إسرائيل، خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش.

قوله: **﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾** علة للأمر بالسير. قوله: **(حين أخبر بسيرهم)** روي أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم. قوله: **(ومقدمة جيشه)** الخ، أي وجملة جيشه ألف ألف وستمائة. قوله: **(فاعلون ما يغيظنا)** أي حيث خالفوا ديننا، وطمسوا على أموالنا، وقتلوا أبكارنا، لما روي أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط، وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم يذبحوا أولاد الضأن، ويلطخوا أبوابهم بدمائها لتميز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط، فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم، فأصبحوا مشغولين بموتاهم، وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه.

ستمائة ألف وسبعين ألفاً ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ فاعلون ما يغيظنا ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون، قال تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿ مِّن جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٥٧﴾ أنهار جارية في الدور من النيل ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿٥٨﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي إخراجنا كما وصفنا ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ

قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حذِرُونَ﴾ أي من عادتنا الحذر والحزم في الأمور. قوله: **(وفي قراءة)** الخ، أي وهي سبعية أيضاً بمعنى الأولى، وقيل الحذر المتيقظ، والحاذر الخائف. قوله: **(كانت على جانبي النيل)** أي من أسوان إلى رشيد، قال كعب الأحبار: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا: سيحان وجيجان والنيل والفرات، فسيحان نهر الماء في الجنة، وجيجان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة. قوله: **(أموال ظاهرة)** هذا أحد قولين، وقيل المراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها بالذكر، لأن ما فوق الأرض انطمس، وحينئذ فتسميتها كنوزاً ظاهراً. قوله: **(مجلس حسن للأمراء والوزراء)** قيل كان إذا قعد على سريره، وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب، يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب، وقيل المقام الكريم المنابر، وكانت ألف منبر لألف جبار، يعظمون عليها فرعون وملكه. قوله: **(إخراجنا كما وصفنا)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي الجنات والعيون والكنوز، وقيل المراد أورثنا بني إسرائيل ما استعاروه من حلي آل فرعون، والأحسن أن يراد ما هو أعم، فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها. قوله: **(وقت شروق الشمس)** أي يوم الملاقاة، وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم، لأنهم تأخروا عنهم، حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم. قوله: **(أي لن يدركونا)** أشار بذلك إلى أن كلا للنفي. والمعنى لا سبيل لهم علينا، لأن الله وعدنا بالخلاص منهم.

قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ الخ، قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر، هاج البحر فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو إسرائيل يقولون: أين أمرت، فرعون من خلفنا والبحر أمامنا، وموسى يقول: ههنا، فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر، فإذا الرجال واقف على فرسه، ولم يبتل سرجه ولا لبده. قوله: **(اثني عشر فرقاً)** أي قطعة بعدد أسباط بني إسرائيل. قوله: **(بينها مسالك)** أي بين الاثني عشر فرقاً. قوله: **(على هيئته)** أي وهي انفلاقه اثنتي عشرة فرقة. قوله: **(وحزقيل)** المذكور في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ الخ، وقوله: **(ومريم بنت ناموسي)** أي كانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة. قوله: **(التي دلت على عظام يوسف عليه السلام)** أي وسبب ذلك: أن الله أمر

إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿٥٩﴾ بعد إغراق فرعون وقومه ﴿ فَأَتۡبَعُوهُم ﴾ لحقوهم ﴿ مُّشۡرِقِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ وقت شروق الشمس ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ كَلَّآۖ ﴾ أي لن يدركونا ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ بنصره ﴿ سَيَهۡدِينِ ﴾ ﴿٦٢﴾ طريق النجاة قال تعالى ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ ﴾ فضربه ﴿ فَٱنفَلَقَ ﴾ فانشق اثني عشر فرقاً ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ ﴿٦٣﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده ﴿ وَأَزۡلَفۡنَا ﴾ قربنا ﴿ ثَمَّ ﴾ هناك ﴿ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم ﴿ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة ﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي إغراق فرعون وقومه ﴿ لَأٓيَةٗۖ ﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسي التي دلت على عظام يوسف عليه السلام ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٦٨﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي كفار مكة ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ ويبدل منه ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا

موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر، فسأل عن قبره فلم يعرف إذ ذاك، فدلته عليه هذه العجوز، بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دفن في قعر بحر النيل، فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام.

ـ فائدة ـ قال قيس بن حجاج: لما فتحت مصر، أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر القبط، فقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام ليهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى، لا يجري قليلاً ولا كثيراً وهموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني بعثت اليك بطاقة في داخل كتابي، فألقها في النيل إذا أتاك كتابي، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص، أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة.

قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَاهِيمَ﴾ عطف على (اذكر) العامل في قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ الخ، عطف قصة على قصة. قوله: (أي كفار مكة) خصهم بالذكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية،

تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ﴾ حين ﴿تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ كم إن لم تعبدوهم ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي مثل فعلنا ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فإني أعبده ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ إلى الدين ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا

وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة. قوله: **(ويبدل منه)** أي بدل مفصل من مجمل. قوله: **﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَا﴾** اسم استفهام معمول لتعبدون، والمعنى ما هذا الذي تعبدونه، أي ما حقيقته. قوله: **(صرحوا بالفعل)** الخ، جواب عما يقال: كان القياس أن يقولوا أصناماً كقوله: **﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾** فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل، ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار. قوله: **(أي نقيم نهاراً على عبادتها)** هذا معنى نظل الأصلي، ولكن مقتضى الافتخار، أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلاً ونهاراً. قوله: **(زادوه)** أي قوله: **﴿فَنَظَلُّ﴾** الخ.

قوله: **﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾** أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت في الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ولا بد من محذوف هنا، دل عليه قوله: **﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾** تقديره هل يسمعون دعاءكم؟ قوله: **﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿إِذْ﴾** هنا بمعنى إذا، استحضاراً للحال الماضية وحكاية لها تبكيتاً عليهم. قوله: **﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا﴾** الخ، هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله إبراهيم، وإنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد، فلما لم يجدوا مخلصاً غيره احتجوا به. قوله: **﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أتأملتم فعلكم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه. قوله: **﴿وَآبَاؤُكُمْ﴾** عطف على الضمير في **﴿تَعْبُدُونَ﴾** وهو ضمير رفع متصل، فلذا فصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾** أسند العداوة لنفسه تعريضاً بهم، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فإنهم عدو لكم، إن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل؟ أجيب بأجوبة منها: أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، ومنها أن الكلام على حذف مضاف؛ أي فإن أصحابهم عدو لي، ومنها أن الكلام على القلب أي فإني عدو لهم. قوله: **﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** أشار المفسر بقوله: (لكن) إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوي، بل هو وليي في الدنيا والآخرة. قوله: **﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾** نعت لرب العالمين، أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف، وما بعده عطف عليه. قوله: **﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾** أتى بالفاء هنا، وفي قوله: **﴿يَشْفِينِ﴾** لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض، بخلاف الإطعام والإسقاء، فليس بينهما ترتب، وأتى بثم في جانب الاحياء، لبعد زمنه عن زمن الموت، لأن المراد به الاحياء في الآخرة. قوله: (إلى الدين) أي وغيره من مصالح دنياي وآخرتي، وإنما خص الدين، لأن المقام للرد ولأنه أهم.

مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴿ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿ وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ ﴾ أرجو ﴿ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ﴿٨٢﴾ أي الجزاء ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ علماً ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ﴾ ﴿٨٣﴾ النبيين ﴿ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ ثناء حسناً ﴿ فِى الْـَٔاخِرِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٨٥﴾ أي ممن يعطاها ﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة ﴿ وَلَا تُخْزِنِى ﴾ تفضحني ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿٨٧﴾ أي الناس، قال تعالى فيه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿٨٨﴾ أحداً

قوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض لنفسه، وإن كان الكل من الله تأدباً كما قال تعالى: (بيدك الخير) ولم يقل الشر، وقال الخضر: (فأردت أن أعيبها)، وقال: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾. قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب، مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها. قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ ذكر ذلك تواضعاً وتعليماً للأمة، وإلا فهو معصوم من الخطايا. قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ لما ذكر تلك الأوصاف قوي رجاؤه في ربه، فطلب منه معالي الأمور، وخير الدنيا والآخرة. قوله: (علماً) أي زيادة فيه. قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي في العمل أو في درجات الجنة.

قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ من اضافة الموصوف للصفة، أي ذكراً حسناً، من باب تسمية الشيء باسم آلته. قوله: (الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى، فما من أمة من الأمم، إلا وهي تحبيه وتثني عليه بخير، سيما هذه الأمة المحمدية خصوصاً في المؤمنين منهم، فإنهم يذكرونه بخير في كل تشهد، وإنما طلب ذلك لينتفع به هو، وينتفع به المثني، لكن بشرط الإيمان، وأما حديث: «من أحب قوماً حشر معهم وإن لم يعمل بعملهم» فمعناه: إذا اشتركوا معهم في الإيمان وإن لم يصلوا لمقامهم.

قوله: ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي مندرجاً فيهم ومن جملتهم، واضافة جنة للنعيم من اضافة المحل إلى الحال فيه، فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك، وقد أجابه الله في جميع دعواته، سوى الدعاء بالغفران لأبيه. قوله: (بأن تتوب عليه) الخ، ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حي، ولكن ينافيه قوله: (وهذا قبل أن يتبين له) فإن التبين المذكور، إنما حصل بموته كافراً، وحينئذ فلا يصح جعله قيداً للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان، وإنما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها. وأجيب: بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافراً وهو حي، فقد صح ما قاله المفسر. قوله: (وهذا) أي الدعاء له بما ذكر. قوله: (كما ذكر في سورة براءة) أي قوله: ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه﴾ الآية. قوله: (تفضحني) أي تكشف عيوبي بين خلقك، وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلي، فإن تعذيب المطيع جائز عقلاً لا شرعاً. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ الخ، من كلام الله تعالى، ويصح أن يكون من كلام إبراهيم، فيكون بدلاً من يوم قبله. قوله: (لكن) ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ الخ؛ أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولكن ينافيه تقديره أحداً، فتحصل أن الاستثناء، إما منقطع إن جعل من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ويكون

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ بدفعه عن أنفسهم لا ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ مع معبوديهم ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ بيّن ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ في العبادة ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي يهمه أمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

المعنى **(لكن)** ﴿**مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ فإنه ينتفع، أو متصل أن جعل من المفعول الذي قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحداً إلا الذي أتى الله بقلب سليم، فإنه ينفعه المال والبنون. قوله: **(وهو قلب المؤمن)** أي فينتفع بالمال الذي أنفقه في الخير والولد الصالح بدعائه له لما في الحديث: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**.

قوله: ﴿**وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ أي بحيث يشاهدونها في الموقف ويعرفون ما فيها، فتحصل لهم البهجة والسرور، وعبر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: ﴿**وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**﴾ أي جعلت لهم بارزة ظاهرة، بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب، فتحصل لهم المساءة والأحزان، ويوقنون بأنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفاً.

قوله: ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ**﴾ أي على سبيل التوبيخ. قوله: ﴿**أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ**﴾ ﴿**أَيْنَ**﴾ خبر مقدم، و﴿**مَا**﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿**كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ**﴾ صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه، وقوله: ﴿**مِنْ دُونِ ٱللَّهِ**﴾ حال. قوله: **(ألقوا)** أي مرة بعد أخرى، لأن الكبكبة تكرير الكب، وهو الإلقاء على الوجه، كأن من ألقي في النار، ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها. قوله: ﴿**ٱلْغَاوُونَ**﴾ عطف على ضمير كبكبوا، وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل. قوله: **(ومن أطاعه)** عطف تفسير. قوله: ﴿**وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ**﴾ الجملة حالية، ومقول القول ﴿**تَاللَّهِ**﴾ الخ. قوله: **(واسمها محذوف)** الخ، قد يقال إنها في الآية مهملة، فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام، قال ابن مالك: وخففت إن فقل العمل الخ.

قوله: ﴿**إِذْ نُسَوِّيكُمْ**﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين. قوله: **(أو أولونا)** أي السابقون علينا، وهو جمع أول. قوله: **(من الملائكة والنبيين)** الخ، فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد: لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. قوله: ﴿**وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ أفرد الصديق وجمع الشفعاء، لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة

لو هنا للتمني، ونكون جوابه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ نسباً ﴿ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٠٧﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٠٨﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغه ﴿ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ ﴾ أي ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١١٠﴾ كرره تأكيداً ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ ﴾ نصدّق ﴿ لَكَ ﴾ لقولك ﴿ وَاتَّبَعَكَ ﴾ وفي قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ ﴿ الْأَرْذَلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي ﴾ أي علم لي ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾

الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان أي خاصته أو الخالص، ويؤيده قول المفسر **(أي يهمه أمرنا)**، وقوله: **(يهمه)** بضم أوله وكسر ثانيه، وبفتح أوله وضم ثانيه. قوله: **(ونكون جوابه)** أي فهو منصوب في جواب التمني. قوله: **﴿لآيَةً﴾** أي عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها على أحسن ترتيب.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** أي بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه، وسارة زوجته، كما تقدم في سورة الأنبياء. قوله: **(بتكذيبهم له)** جواب عما يقال: لم جمع المرسلين، مع أنهم إنما كذبوا رسولاً واحداً وهو نوح؟ فأجاب: بأن تكذيبهم له تكذيب للباقي، فالجمع على حقيقته، وقوله: **(أو لأنه)** الخ، جواب ثان، وعليه فالجمع مجاز. قوله: **(وتأنيث قوم)** أي تأنيث الفعل المسند اليه، وقوله: **(باعتبار)** معناه أي وهو الأمة والجماعة. قوله: **(وتذكيره)** أي تذكير الضمير العائد عليه في قوله: **﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾** ولا مفهوم لقوم، بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك. قوله: **(نسباً)** أي لا في الدين. قوله: **﴿نُوحٌ﴾** تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر، ونوح لقبه. قوله: **﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾** **﴿أَلَا﴾** للعرض. قوله: **﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** إنما أخبر بذلك ليتبع، وليس قصده الافتخار.

قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾** أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: **﴿مِنْ أَجْرٍ﴾** **﴿مِنْ﴾** زائدة في المفعول، أي أجرة وجعلاً. قوله: **(كرره تأكيداً)** أي وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة، والثاني على عدم سؤاله أجراً منهم. قوله: **﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾** الخ، هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم، حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من ايمانهم، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصاً لوجه الله، بل هو طمع في أن ينالهم شيء من الدنيا. قوله: **(وفي قراءة)** ظاهرة أنها سبعية وليس كذلك بل هي عشرية، والمعتمد جواز القراءة بها. قوله: **(وأتباعك)** مبتدأ، وخبره **﴿الأَرْذَلُونَ﴾** جمع أرذل، كالأكبرون جمع أكبر. قوله: **(السفلة)** المراد بهم الفقراء والضعفاء، وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم، كالرياسة والغنى، فإن ذلك موجب للأنفة عن الاتباع.

قوله: **﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾** يحتمل أن تكون **﴿مَا﴾** استفهامية، واليه يشير المفسر بقوله: **(أي علم لي)**

﴿إن﴾ ما ﴿ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ﴾ فيجازيهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١١٣﴾ تعلمون ذلك ما عبّدتموهم ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿إن﴾ ما ﴿ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١١٥﴾ بيِّن الإنذار ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ ﴾ عما تقول لنا ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ ﴿١١٦﴾ بالحجارة أو بالشتم ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ﴾ أي احكم ﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ قال تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿١١٩﴾ المملوء من الناس والحيوان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ من قومه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا

ويحتمل أن تكون نافية. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية، وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي حساب بواطنهم. قوله: (ما عبدتموهم) قدره إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية حذف جوابها. قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء، وهذا كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالي والفقراء، كما تقدم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾. قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي للمكلفين أعزاء وغيرهم، فكيف يليق مني طرد الفقراء؟.

قوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ أي تترك ما أنت عليه من معارضتنا. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال: إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك، فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه، بعدما كررت عليهم الدعوة، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة نوح في قوله: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ الخ، قوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾ من الفتاحة بالضم والكسر وهي الحكومة، أي احكم بيننا بما يستحقه كل منا. قوله: ﴿وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون في الاتباع، وكان من معه من المؤمنين ثمانين، أربعون من الرجال وأربعون من النساء، على أحد أقوال تقدمت.

قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بالطوفان، حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض. قوله: ﴿الْبَاقِينَ﴾ (من قومه) أي صغاراً وكباراً، فالهلاك الدنيوي عمّ الكبار والصغار والبهائم، وأما في الآخرة فالخلود في النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين، من أول الدنيا إلى آخرها، فيدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ اسم أبي قبيلة هود الأعلى، سميت القبيلة باسمه، فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد، وقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد هود، وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع، لاشتراك الكل في المجيء بالتوحيد. قوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾ أي من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد، وكان هود تاجراً جميل الصورة يشبه آدم، وعاش من العمر أربعمائة وأربعاً وستين سنة. قوله: ﴿أَلَا

أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناء علماً للمارة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ ﴿١٢٨﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير تبنون ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ فيها لا تموتون ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ من غير رأفة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في ذلك ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٣١﴾ فيما أمرتكم به ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم ﴾ أنعم عليكم ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٣٤﴾ أنهار ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٣٥﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ ﴾ مستوٍ عندنا

تَتَّقُونَ﴾ ﴿أَلَا﴾ أداة عرض، وهو الطلب بلين ورفق، تأليفاً لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون. قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل لعرضه التقوى عليهم، والمعنى إني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين، لا أزيد ولا أنقص.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تفريع على قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فحيث كنت رسولاً أميناً، فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتي، فطاعته من حيث كونه رسولاً من عند الله لا من حيث ذاته، ولذا لم يقل: ألا تتقون وتطيعوني. قوله: ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أي جعل وأجرة على رسالتي. قوله: ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لأنه المرسل لي الغني المغني.

قوله: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة، كل واحد منها مناف للتقوى: البناء للبعث، واتخاذ المصانع، والتجبر. قوله: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكسر الراء ويقال بفتحها، هو المكان المرتفع. قوله: (علماً للمارة) أي كالعلم في الارتفاع. قوله: (بمن يمر بكم) الخ، هذا أحد أوجه في تفسير متعلق البعث، وقيل: ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به في الأسفار، مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها، وقيل المعنى تبنون بنياناً يجتمعون فيه للعبث، وكل صحيح واقع منهم. قوله: ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها، وهو الحوض والبركة تحت الأرض كالصهاريج. قوله: (كأنكم) فسر لعل بكان بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون، والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجي، ويكون المعنى: راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك، لأن مجيء لعل بمعنى كأن لم يرد.

قوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ أي فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف. قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (في ذلك) أي فيما تقدم من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أي أعطاكم المدد وهو النعم. قوله: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿وَبَنِينَ﴾ أي ذرية. قوله: ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ جمع جنة.

قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ أي إن دمتم على مخالفتي، ولم تشكروا هذه النعم بعد بعثتي. قوله: (في الدنيا) أي بالريح العقيم، وقوله: (وفي الآخرة) أي بالخلود في النار. قوله: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ

﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ أصلاً أي لا نرعوي لوعظك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوّفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ من الخير ﴿ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾﴾ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا

ٱلْوَاعِظِينَ﴾ هذا أبلغ من أن يقولوا أولم تعظ، لأن المعنى سواء علينا أوعظت، بأن كنت من أهل الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله، بأن كنت أمياً مثلنا ولست نبياً. قوله: **(أي لا نرعوي لوعظك)** أي لا نرتدع ولا ننكف له. قوله: **﴿إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾** أي من تقدموا قبلك كشيث ونوح، فإنهم كانوا يختلقون أموراً فاقتديت بهم، فاسم الإشارة على هذه القراءة، راجع لما خوفهم به. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم، وهو عدم البعث. قوله: **(أي طبيعتهم وعادتهم)** أي عادة الأولين من قبلنا، أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

قوله: **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾** أي على ما فعلناه من الأعمال. قوله: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾** أي استمروا على تكذيبه. قوله: **(بالريح)** أي الصرصر، وكانت باردة شديدة الصوت لا ماء فيها، وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في أواخر الشتاء، وسيأتي بسطها في سورة الحاقة. قوله: **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** أي بل أقلهم كانوا مع هود في حظيرة تنسم عليهم ريح لينة، حتى مضت تلك المدة، فأخذهم وهاجروا من تلك الأرض إلى مكة. قوله: **﴿ٱلْعَزِيزُ﴾** أي الغالب على أمره. قوله: **﴿ٱلرَّحِيمُ﴾** أي المنعم على عباده بدقائق النعم. قوله: **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾** اسم أبي قبيلة صالح الأعلى، سميت القبيلة باسمه، وتسمى أيضاً عاداً الثانية، وهم ذرية من آمن من قوم هود. قوله: **﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾** المراد بهم صالح، وتقدم وجه التعبير بالجمع. قوله: **﴿أَخُوهُمْ﴾** أي في النسب، لاجتماعهم معه في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مائة سنة. قوله: **﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾** تقدم أن **﴿أَلَا﴾** أداة عرض كما في قول الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

وحكمة التعبير أولاً بالعرض، تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين، لقصر عقلهم وجهلهم. قوله: **﴿أَتُتْرَكُونَ﴾** الاستفهام إنكاري توبيخي، وما اسم موصول بيّنها المفسر بقوله: **(من الخيرات)** وهنا اسم إشارة للمكان القريب، والمراد دار الدنيا، والمعنى أتظنون أنكم تتركون في الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات، آمنين من كل مكروه، ولا تمتحنون بأوامر ونواه، ولا تحاسبون على شيء فيها؟ لا تظنوا

هَضِيمٌ ﴾ ﴿١٤٨﴾ لطيف لين ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ ﴿١٤٩﴾ بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٥٠﴾ فيما أمرتكم به ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ بطاعة الله ﴿ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ أيضاً ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ في رسالتك ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٥٦﴾ بعظم العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي عقرها بعضهم برضاهم ﴿فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾ على عقرها ﴿فَأَخَذَهُمُ

ذلك، بل الواجب عليكم ترك الفاني والاشتغال بالباقي. قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بدل من قوله: ﴿هَٰهُنَا﴾ بإعادة الجار. قوله: ﴿وَنَخْلٍ﴾ هو اسم جنس جمعي، واحده نخلة، يذكر ويؤنث، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً. قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ثمرها في أول ما يطلع كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، وبعده الاغريض، ويسمى خلالاً ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر، يجمعها قولك: طاب زبرت، فأطوار النخيل سبعة كأطوار الإنسان، ولذا ورد في الحديث: «أكرموا عماتكم النخل»، وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار.

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ أي لطول أعماركم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف. قوله: (بطرين) أي لنعم ربكم. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (حاذقين) أي ماهرين في العمل. قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الإسناد مجازي في النسبة، والأصل لا تطيعوا المسرفين في أمرهم. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ صفة للمسرفين. قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ دفع بذلك ما يتوهم أنه يقع منهم الاصلاح في بعض الأوقات. قوله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي فكيف تدعي أنك رسول إلينا.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾ الإشارة اليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا، عن أبي موسى الأشعري قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً. قوله: ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ الخ، أمرهم صالح بأمرين: الأول قوله: ﴿لَها شِربٌ﴾ والثاني قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾. قوله: (نصيب من الماء) أي فهي تشرب منه يوماً، وأنتم تشربون منه يوماً، لا تزاحمكم ولا تزاحموها، وفي يومها تشربون من لبنها.

قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي يوم الثلاثاء، وأخذهم العذاب يوم السبت، وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم، وهو أنهم في اليوم الأول تصفر وجوههم، ثم تحمر في اليوم الثاني، ثم تسود في اليوم الثالث. قوله: (أي عقرها بعضهم) أي وهو قدار، وكان قصيراً أزرق، وكان ابن زنا، ضربها في ساقيها بالسيف. قال السدي وغيره: أوحى الله إلى صالح، أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً،

﴿ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي من
الناس ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي أقبالهن ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾
متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من بلدتنا ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِى
وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ أي من عذابه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِى

فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح، لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم، فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا، فنكمن في غار، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده، أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم، فلما دخلوا الغار، أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله، أما رضي صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

قوله: ﴿نَادِمِينَ﴾ (على عقرها) إن قلت: لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم؟ أجيب: بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبة منهم. قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين، إشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار، لا يغادر منهم أحداً، والرحمة الحاصلة للمؤمنين، لا تغادر منهم أحداً، فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه.

قوله: ﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لا في النسب، لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل، فنزل إبراهيم الخليل من أرض الشام، ولوط بسدوم وقراها. قوله: ﴿ٱلذُّكْرَانَ﴾ جمع ذكر، أي أدبارهم. قوله: (أي الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة، فهذه الخصلة القبيحة، لم تكن في أحد قبل قوم لوط، ثم لما خسف بهم تنوسيت، حتى ظهرت في هذه الأمة المحمدية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ أي أحل وأباح. قوله: (أي أقبالهن) أي لأنه محل نبات البذر، قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم﴾. قوله: ﴿عَادُونَ﴾ أي متعدون. قوله: ﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ متعلق المحذوف خبر إن أي لقال من القالين، و﴿ٱلْقَالِينَ﴾ صفته، و﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ متعلق بالخبر المحذوف، ولا يصح أن يجعل قوله: ﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ خبر إن، فيكون عاملاً في ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل، مع أنه لا يجوز. قوله: (أي من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه، فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل. قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي بنتيه وزوجته المؤمنة قوله:

﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ الباقين أهلكناها ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ﴿١٧٣﴾ مطرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء هي غيضة شجر قرب مدين ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ الناقصين ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿١٨٢﴾ الميزان السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من

(الباقين) أي في العذاب، قيل تبعت لوطاً ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر، وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها. قوله: **(أهلكناهم)** أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها. قوله: **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾** أي على من منهم خارج القرى، لسفر أو غيره. قوله: **(مطرهم)** هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: **﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ﴾** هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار، وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن، في الحجر، وق، وهنا، وص، فالأوليان بأل مع الجر لا غير، والأخريان يقرآن بالوجهين. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بحذف الهمزة)** أي الثانية، وقوله: **(على اللام)** أي لام التعريف، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها، بتحريك اللام لأنها همزة وصل، أتى بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسر نظر، لأنه يقتضي أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله: **(وفتح الهاء)** لأن المقرون بأل يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا، قال ابن مالك:

وجـر بـالـفتحـة مـا لا يـنصرف ... مـا لم يضف أويـك بعـد أل ردف

فالمناسب أن يقول: وفي قراءة بوزن ليلة، ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية، وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربياً، وللعلمية والعجمة إن كان أعجمياً. قوله: **(وفتح الهاء)** في بعض النسخ وفتح التاء وهي أوضح. قوله: **(هي غيضة شجر)** بفتح الغين وبالضاد المعجمة، أي مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض، وكان شجرهم الدوم. قوله: **(قرب مدين)** هي قرية شعيب، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. قوله: **﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾** المراد به شعيب، وفي جمعه ما علمت، وقد أرسل شعيب أيضاً لأهل مدين، لكن أهل مدين اهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيكة اهلكوا بعذاب يوم الظلة. قوله: **(لأنه لم يكن منهم)** أي بل كان من مدين، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾. قوله: **(الناقصين)** أي لحقوق الناس.

قوله: **﴿وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾** أي فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير. قوله: **(وغيره)** أي كقطع

حقهم شيئاً ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿ وَٱتَّقُوا ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾ الخليقة ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿ قَالُوٓا إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٨٧﴾ في رسالتك ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٨﴾ فيجازيكم به ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ﴿١٩٣﴾ جبريل ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩٥﴾ بيِّن وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد

الطريق. قوله: **(لمعنى عاملها)** أي ولفظها مختلف. قوله: **﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾** بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة، كأنها الجبال قوة وصلابة، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وبفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء. قوله: **﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾** أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة في تكذيبه، لأنه عند دخول الواو، يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصوداً بخلاف تركها، فلم يقصد إلا التسحير والثاني دليل له. قوله: **(مخففة من الثقيلة)** المناسب أن يقول مهملة لا عمل لها، لأن المكسورة إذا خففت قل عملها، والأولى حمل القرآن على الكثير. قوله: **(بسكون السين وفتحها)** قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾** استمروا على تكذيبه. قوله: **﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾** روي أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء، فأنضجهم الحر فخرجوا، فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت سحابة، ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، فصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حل بهم، هو الذي طلبوه تهكماً بشعيب بقولهم: فأسقط علينا كسفاً من السماء. قوله: **(أصابهم)** أي سبعة أيام، ثم لجوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام. قوله: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾** شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون.

قوله: **﴿نَزَلَ بِهِ﴾** الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال: نزل في حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه. قوله: **﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾** خصه بالذكر لأنه سلطان الأعضاء، فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء، ففي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب»، فحيث نزل على قلبه، فقد تمكن من سائر بدنه، فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان،

﴿لَفِى زُبُرِ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٩٦﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك، ويكن بالتحتانية ونصب آية، وبالفوقانية ورفع آية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ جمع أعجم ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ أنفة من اتباعه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ أي كفار مكة بقراءة النبي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ العذاب ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿٢٠١﴾ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٠٢﴾ ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ ﴿٢٠٣﴾ لنؤمن فيقال لهم لا، قالوا متى هذا العذاب، قال تعالى ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ من العذاب ﴿مَآ﴾ استفهامية بمعنى

ولذا ورد: أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية، يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن يتلوها جبريل عليه ظاهراً، حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة، قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾.

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ﴾ أي ومن المبشرين. قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ يصح أن يكون بدلاً من قوله به بإعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقاً بالمنذرين، والمعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم: هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية. قوله: **(أي ذكر القرآن)** دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت في سائر الكتب، مع أنه ليس كذلك، والمراد بذكره نعته والإخبار عنه، بأنه ينزل على محمد، وأنه صدق وحق.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: **(وأصحابه)** أي وكانوا أربعة غيره: أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين، فالخمسة من علماء اليهود، وقد حسن إسلامهم. قوله: **(ويكن بالتحتانية ونصب آية)** أي على أنه خبر ﴿يَكُنْ﴾ مقدم، واسمها قوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ الخ. قوله: **(ورفع آية)** أي على أنه فاعل بتكن، وقوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل من ﴿آيَةً﴾ قوله: **(جمع أعجم)** أصله أعجمي بياء النسب خفف بحذفها، وبه اندفع ما يقال: إن أفعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم. قوله: **(أنفة من اتباعه)** أي تكبراً. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معمول لسلكناه، والضمير في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر. قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الخ، الجملة مستأنفة أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾، وقوله: ﴿حَتَّى يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ﴾ مقدم من تأخير، وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا: هل نحن منظرون أي مؤخرون عن الإهلاك ولو طرفة عين لنؤمن، فيقال لهم: لا أي لا تأخير ولا إمهال. قوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ استفهام توبيخ وتهكم، حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، تقديره أيعقلون ما ينزل بهم؟

قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ معطوف على ﴿فَيَقُولُوا﴾ وما بينهما اعتراض، وقوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ تنازعه رأيت يطلبه مفعولاً أول، و ﴿جَاءَهُمْ﴾ يطلبه فاعلاً، فأعملنا الأول وأضمرنا في الثاني ضميراً يعود

أي شيء ﴿ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ ﴿٢٠٧﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ ﴿٢٠٨﴾ رسل تنذر أهلها ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ عظة لهم ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢٠٩﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم. ونزل رداً لقول المشركين ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى ﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ﴿٢١١﴾ ذلك ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ ﴿٢١٢﴾ بالشهب ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٢١٣﴾

عليه، أي ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ هو أي الذي كانوا يوعدونه، وجملة ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ الخ، في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لرأيت. قوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي به، و ﴿مَا﴾، اسم موصول. قوله: **(استفهامية)** أي استفهام انكار كما أشار له بقوله: **(أي لم يغن)** فهذا مساوٍ في المعنى لقول بعضهم إنها نافية، وهي على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى، وقوله: ﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ فاعل بأغنى، و ﴿مَا﴾ مصدرية.

قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ الخ، أي إنه جرت عادته سبحانه وتعالى، أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول اليهم وعصيانهم، وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى، وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لا يعد ظالماً، لأنه متصرف في ملكه يحكم لا معقب لحكمه، ففعله دائر بين الفضل والعدل. قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ الجملة صفة لقرية. فإن قلت: لم تركت الواو هنا وذكرت في قوله تعالى:﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾؟ أجيب: بأن الأصل ترك الواو، وإذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾. قوله: ﴿ذِكْرَى﴾ مفعول لأجله، أي لأجل تذكيرهم العواقب. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي لا نفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الإنذار، بل لا نهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل. قوله: **(رداً لقول المشركين)** مقول لقول محذوف، تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه، فهو من جملة الكهنة.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي لا يمكنهم. قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ الخ، علة لقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. قوله: **(لكلام الملائكة)** إن كان المراد كلامهم بالوحي الذي يبلغونه للأنبياء، فالشياطين معزولون عنه لا يصلون اليه أصلاً، وإن كان المراد به المغيبات التي ستقع في العالم، فكانوا أولاً يسترقونها، فلما ولد ﷺ منعوا من السماوات، فلما بعث سلط عليهم الشهب، وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين، وانقطع نزولهم على الكهنة، فبطل قول المشركين إن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ نزل رداً لقول المشركين: اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة، والخطاب له ﷺ والمراد غيره. قوله: **(رواه البخاري ومسلم)** أي فقد ورد أنه ﷺ قال في إنذاره: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً». وفي رواية أنه ﷺ

إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ٢١٤ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً، رواه البخاري ومسلم ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ ألن جانبك ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢١٥ الموحدين ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي عشيرتك ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٢١٦ من عبادة غير الله ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ بالواو والفاء ﴿ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ٢١٧ أي فوض إليه جميع أمورك ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ٢١٨ إلى الصلاة ﴿ وَتَقَلُّبَكَ ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ٢١٩ أي المصلين ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ٢٢٠ ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ ٢٢١ بحذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب ﴿ أَثِيمٍ ﴾ ٢٢٢ فاجر مثل مسيلمة

صعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش قد اجتمعوا، فجعل الذي لا يستطيع أن يخرج، يرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخر السورة.

قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي فبعد الإنذار تواضع لمن آمن منهم، وتبرأ ممن بقي على كفره، ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم، فإن الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه. قوله: **(بالواو والفاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو هو معطوف على قوله: ﴿وَأَنْذِرْ﴾، وعلى الفاء هو بدل من قوله: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾. قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ أي الغالب على أمره، القاهر لكل معارض لأمره. قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أي بالمؤمن الممتثل لأمره. قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ أي منفرداً، قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ أي مع الجماعة. قوله: **(إلى الصلاة)** لا مفهوم لها، بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من سائر تنقلاته، وإنما خص الصلاة، لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولأن قرة عينه فيها لما في الحديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، والمراد برؤيته إياه، زياد تجلي الرحمة عليه، وإلا فرؤيه الله حاصلة لكل مخلوق.

قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾ ﴿فِي﴾ على كلام المفسر بمعنى مع وقيل إن ﴿فِي﴾ على بابها، والمراد بالساجدين المؤمنون. والمعنى: يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين، من آدم إلى عبدالله فأصوله جميعاً مؤمنون، وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فإنه كان كافراً. وأجيب بجوابين الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارح، الثاني أنه كان أباه حقيقة، وقولهم إن أصوله ﷺ ليسوا كفاراً محله ما دام النور المحمدي في الواحد منهم، فإذا انتقل لمن بعده، فلا مانع من أن يعبد غير الله، وحينئذ فآزر ما كفر، إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الخ، هذا رد لقولهم إنه كاهن. قوله: ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ﴾ الجار والمجرور متعلق بتنزل، والجملة في محل نصب، سادة مسد المفعول الثاني والثالث إن جعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعدياً لاثنين. قوله: **(وغيره)** أي كالسطيح. قوله: **(من الكهنة)** جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذي يخبر عن الأمور الماضية.

وغيره من الكهنة ﴿ يُلْقُونَ ﴾ أي الشياطين ﴿ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ ﴿٢٢٣﴾ يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ ﴿٢٢٤﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تعلم ﴿ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿ يَهِيمُونَ ﴾ ﴿٢٢٥﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ فعلنا ﴿ ما لا يفعلون ﴾ ﴿٢٢٦﴾ أي يكذبون ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الشعراء ﴿ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي لم يشغلهم عن الذكر ﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ ﴾

قوله: ﴿**يُلْقُونَ السَّمْعَ**﴾ يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين، والمعنى يلقون ما سمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد ﴿**عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ**﴾، والمعنى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصغون إلى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم.

قوله: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾ الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة، والأكثرية باعتبار الأقوال، أي أكثر أقوالهم كاذبون فيها، والأقل فيها صدق، وليس المراد أن الأقل فيهم صادق، بل الكل طبعوا على الكذب، وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق. قوله: (**وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء**) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله: ﴿**إنهم عن السمع لمعزولون**﴾. وحاصل ذلك: أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السماوات، وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده ﷺ، وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شيء من الشياطين.

قوله: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ**﴾ أي الذين يستعملون الشعر، وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول ﷺ منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم. قوله: (**من أودية الكلام وفنونه**) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام، فهم مشبهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجه. قوله: (**يمضون**) أي يخوضون. قوله: (**أي يكذبون**) أي لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما، ولا يفعلون ما ذكر، ويذمون ضدهما ويصرون عليه، ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ سبب نزولها: أن كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل». وقوله: قد أنزل في الشعر، أي أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله. قوله: (**من الشعراء**) أي ومنهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم. واعلم أن الشعر منه مذموم، وهو مدح من لا يجوز مدحه، وذم من لا يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الأولى، وقوله عليه السلام: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً، خير له من أن يمتلىء شعراً». ومنه ممدوح، وهو مدح من يجوز مدحه، وذم من يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الثانية. وقوله ﷺ: «إن من الشعر لحكمة» وقال الشعبي: كان أبو

بهجوهم الكفار ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين، قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة، وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي، فاستنشده قصيدة فأنشده اياها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها من مرة واحدة، وروي أنه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك». وكان يضع له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح، ويقول رسول الله: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله». وروي عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل» فأرسل ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم فلم يرض، وأرسل كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه حسان قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه، ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال النبي ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، لأسلنك منهم كما تسل الشعر من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن الله يؤيدك بروح القدس، لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله، قالت: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، فقال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإن اعرضتمو عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبداً ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
تلاقى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له خفاء

قوله: (قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ استدلال على جواز هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم، وقوله: (فمن اعتدى عليكم) الخ، استدلال على شرط المماثلة

بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ ﴿٢٢٧﴾ يرجعون بعد الموت.

في المقابلة، فلا يجوز للمظلوم أن يزيد في الذم على ما ظلم به من الهجو. قوله: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ معمول لينقلبون الذي بعده لا لما قبله، لأن الاستفهام له الصدر، وهو مفعول مطلق، أي ينقلبون، أي انقلاب، والجملة سادة مسد مفعولي يعلم، والمعنى يرجعون مرجعاً سيئاً، لأن مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مرجع وأشره.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

مكيّة

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ طسٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿ تِلْكَ ﴾ أي هذه الآيات ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ آيات منه ﴿ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل مكية
وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون. الثانية قصة النمل. الثالثة قصة بلقيس. الرابعة قصة صالح مع قومه. الخامسة قصة لوط مع قومه. وما بقي منها حكم ومواعظ. قوله: **(ثلاث أو أربع)** الخ، أي إنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا القول أسلم، وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الإعراب، لأنه فرع معرفة المعنى، والموضوع أنه لم يعرف. قوله: **﴿تِلْكَ﴾** مبتدأ، و **﴿آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ﴾** خبره، واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة. قوله: **(آيات منه)** أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول: جلست مع زيد ساعة الليل، تريد ساعة منه. قوله: **(مظهر الحق من الباطل)** أي فالحق صار بالقرآن ظاهراً واضحاً، والباطل كذلك. قوله: **(عطف بزيادة صفة)** جواب عما يقال: لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى؟ فأجاب: بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن.

قوله: **﴿هُدىً﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هو)** فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال

﴿ هُدًى ﴾ أي هاد من الضلالة ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ المصدقين به بالجنة ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿ وَيُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٣﴾ يعلمونها باستدلال وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿٤﴾ يتحيرون لقبحها عندنا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي يلقى عليك

مقدر تقديره: ما فائدة الإتيان به؟ وما الثمرة المترتبة عليه؟ فأجاب بأنه ﴿**هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾. قوله: (**أي هاد من الضلالة**) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى، ويحتمل أن المراد ذو هدى، أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى على حد ما قيل في زيد عدل. قوله: ﴿**لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، فالقرآن هدى للمؤمنين وبشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾ وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعتنى بهم، المشرفون بخدمته تعالى. قوله: (**يأتون بها على وجهها**) أي بشروطها وأركانها على الوجه الأكمل.

قوله: ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ أي الواجبة للأصناف الثمانية. قوله: ﴿**وَهُمْ**﴾ مبتدأ، و﴿**يُوقِنُونَ**﴾ خبره، و﴿**بِالآخِرَةِ**﴾ متعلق بيوقنون. قوله: (**يعلمونها بالاستدلال**) أي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فمن شك في ذلك فقد كفر. قوله: (**لما فصل بينه وبين الخبر**) أي بمتعلق الخبر وهو قوله: ﴿**بِالآخِرَةِ**﴾. قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ**﴾ مقابل قوله: ﴿**هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ الخ، على عادته سبحانه وتعالى، متى ذكر وصف المؤمنين، يعقبه بذكر ضدهم قوله: ﴿**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ**﴾ أي حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم، وهي في الواقع ليست حسنة، وإنما ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

قوله: (**يتحيرون فيها**) أي لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن، ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبح، فأهل الكفر متحيرون في كفرهم لكونهم في ظلمات، ومن المعلوم أن السائر في الظلمات، متحير بخلاف السائر في النور، فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم، وأهل الكفر متشككون متحيرون. قوله: ﴿**هُمْ الأَخْسَرُونَ**﴾ أي إن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا، لدوام العذاب في الآخرة. قوله: (**بشدة**) أخذ ذلك من تشديد الفعل. قوله: ﴿**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ أي من عند من يضع الشيء في محله، العالم بالكليات والجزئيات، فذكر وصف العلم بعد الحكمة، من ذكر العام بعد الخاص. قوله: (**اذكر**) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿**إِذْ قَالَ**﴾ ظرف لمحذوف، والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له. قوله: (**زوجته**) أي بنت شعيب، أي وولده وخادمه. قوله: (**عند مسيره من مدين**) أي ليجتمع بأمه وأخيه بمصر، وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة، وقد ضل عن الطريق، وأخذ زوجته الطلق. قوله: (**وكان قد ضلها**) أي تاه عنها.

بشدة ﴿ مِن لَّدُنْ ﴾ من عند ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ ﴿٦﴾ في ذلك اذكر ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ ﴾ أبصرت من بعيد ﴿ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ عن حال الطريق وكان قد ضلها ﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٧﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ ﴾ أي بأن ﴿ بُورِكَ ﴾ أي بارك الله ﴿ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ أي موسى ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ أي الملائكة أو العكس، وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان ﴿ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ ﴾ أي الشأن ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿٩﴾ ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ تتحرك ﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ حية خفيفة ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ يرجع، قال تعالى ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَا

قوله) ﴿أَوْ آتِيكُمْ﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: **(أي شعلة نار)** أي شعلة مقتبسة من النار، فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر، لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكواكب. قوله: **(بدل من تاء الافتعال)** أي لأنها وقعت بعد الصاد، وهي من حروف الأطباق، فقلبت طاء على القاعدة المعلومة. قوله: **(بكسر اللام)** أي من باب تعب، وقوله: **(وفتحها)** أي من باب رمى. قوله: ﴿نُودِيَ﴾ أي ناداه الله. قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، وما بعدها في تأويل مصدر، وحرف الجر مقدر قبلها، أي نودي ببركة ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ الخ، أي بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة، أي ناداه الله، بأننا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة، كما تقدم في طه حيث قال: ﴿وأنا اخترتك﴾ الخ.

قوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو نائب فاعل ﴿بُورِكَ﴾، وهذه تحية لموسى وتكرمة له. قوله: **(أو العكس)** أي فتفسر من الأولى بالملائكة، والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف. قوله: **(يتعدى بنفسه)** أي فيقال باركك الله. قوله: **(وبالحرف)** أي اللام وفي وعلى. قوله: **(ويقدر بعد في مكان)** أي على التفسير الأول، فيقال أن بورك من في مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير، لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة، بل كان في المكان القريب منها. قوله: **(من جملة ما نودي)** أي أتى به، وإنما أتى بالتنزيه هنا، لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان، بحرف وصوت، أو كون الله في مكان أو جهة.

قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ لم يقل هنا وأن كما في القصص، لأنه هنا ذكر بعد أن فعل، فحسن عطف ألق عليه، وما يأتي لم يذكر، فقد عطف وأن ألق، على قوله أن يا موسى إني أنا الله. قوله: ﴿تَهْتَزُّ﴾ حال من ضمير ﴿رَآهَا﴾. قوله: **(حية خفيفة)** أي في سرعة الحركة، فلا ينافي عظم جثتها. قوله: **(يرجع)** أي لم يرجع على عقبه. قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ **(منها)** أي لأنك في حضرتي، ومن كان فيها فهو آمن، لا يخطر بباله خوف من شيء. قوله: **(لكن)** ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ الخ، أشار إلى أن الاستثناء منقطع، و ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ خبره. قوله: **(أتاه)** أي عمله. قوله: **(طوق القميص)** إنما لم يأمره بإدخالها

﴿تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ من حية وغيرها ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ أقبل التوبة وأغفر له ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق القميص ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص لها شعاع يغشى البصر آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ مرسلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي مضيئة واضحة ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ بين ظاهر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي لم يقروا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤﴾ التي علمتها من إهلاكهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكراً لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

في كمه، لأنه كان عليه مدرعة قصيرة من صوف لا كم لها، وقيل: لها كم قصيرة. قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ جواب لقوله: ﴿أَدْخِلْ﴾ قوله: **(لها شعاع)** أي لمعان وإشراق. قوله: **(آية)** أشار بذلك إلى أن ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير ﴿تَخْرُجْ﴾، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع.

قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بما قدره المفسر، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ الخ، تعليل لذلك المقدر. قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾ أي جاءهم موسى بها، وقوله: ﴿مُبْصِرَةً﴾ اسم فاعل والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول، إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإناراتها كأنها تبصر نفسها. قوله: **(أي مضيئة)** أي إضاءة معنوية في جميعها، وحسية في بعضها وهو اليد. قوله: ﴿قَالُوا هَٰذَا﴾ أي ما نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى. قوله: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ حال من الواو في ﴿جَحَدُوا﴾ ولذا قدر فيه **(قد)**. قوله: **(أي تيقنوا)** الخ، أشار به إلى أن السين زائدة. قوله: **(راجع إلى الجحد)** أي على أنه علة له. قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ خبر مقدم لكان، و ﴿عَاقِبَةُ﴾ اسمها مؤخر، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض. قوله: **(من إهلاكهم)** أي بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ هو بالمد بمعنى أعطينا، وهو شروع في ذكر القصة الثانية، وكان لداود تسعة عشر ولداً أجلهم سليمان، وعاش داود مائة سنة، وسليمان ابنه نيفاً وخمسين سنة، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، وبين سليمان ومحمد ﷺ ألف وسبعمائة سنة. قوله: **(بالقضاء بين الناس)** أي وهو علم الشرائع. قوله: **(ومنطق الطير)** أي تصويته. قوله: **(وغير ذلك)** أي كتسبيح الجبال.

قوله: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به. قوله: ﴿الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ أي أعطانا هذا الفضل العظيم. قوله: **(وتسخير الجن والإنس)** الخ، ظاهره أن هذا كان لكل من داود

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ البين الظاهر

وسليمان وهو كذلك، إلا أن سليمان فاق أباه، وكانت له السلطنة الظاهرة. قوله: ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الذين لم يؤتوا مثلنا، وهذه مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا، فأولو العزم أفضل منهما، لأن التفضيل من الله لا بالمزايا. قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر، مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه، وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء.

قوله: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي قال سليمان لبني إسرائيل: شكراً لله على نعمه. قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي فهمنا الله أصوات الطير، ولا مفهوم للطير، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه، ورد أن سليمان كان جالساً، إذ مر به طائر يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط، والنبي لبني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى أفراخي، ثم أمر بك الثانية، وإنه سيرجع إلينا الثانية، ثم رجع فقال لهم: يقول السلام عليك أيها الملك المسلط، إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا ثم آتيك، فافعل بي ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال، وأذن له فانطلق. ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا لا يا نبي الله، قال إنه يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاً، فخاف، فقال له سليمان احذر، فقال الهدهد: يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال له: ما هذا؟ قال ما رأيتها حتى وقعت بها يا نبي الله، قال: ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ؟ فقال يا نبي الله إذا نزل القضاء عمي البصر. وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له. وصاح عنده طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح عنده هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: إنه يقول: إن من لا يرحم لا يرحم. وصاح عنده صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبون. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله. وقيل: إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت، ولذلك يقال له الصرد الصرام. وصاحت عنده طيطرجي فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: كل حي ميت، وكل جديد بال. وصاحت عنده خطافة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدموا خيراً تجدوه. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها. وقيل: إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم، قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ إلى آخرها، وتمد صوتها بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾. وهدرت حمامة عند سليمان فقال: أتدرون ما

﴿ وَحُشِرَ ﴾ جمع ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ في مسير له ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى، عدد ما في السماوات والأرض. وصاح قمري عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: سبحان ربي العظيم المهيمن. قال كعب: وحدثهم سليمان فقال: الغراب يقول: اللهم العن العشار، والحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكل مكان، وصاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: الرحمن على العرش استوى. وقال النبي ﷺ: الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلون. وقال النبي ﷺ: «النسر إذا صاح قال: يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس راحة. وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغض آل محمد. وإذا صاح الخطاف قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخرها فيقول ﴿ولا الضالين﴾ فيمد بها صوته كما يمد القارىء».

قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ذلك تحدثاً بنعمة الله، وشكراً على ما أعطاه. قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ﴾ أي من الأماكن البعيدة، وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره، لئلا يتقدموا في السير، قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكر سليمان عليه السلام، مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وقيل نسجت له الجن بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد، وحوله كراسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله، والجن والشياطين حول الناس، والوحش حولهم، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة، وسبعمائة سرية، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ثم يأمر الرخاء فتسير به. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب، حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام، تسع كل قدر عشرة من الإبل، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، واتخذ ميادين للدواب، فتجري بين يديه، والريح تهوي، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلما وصل اليها قال سليمان: هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، ولما وصل مكة، رأى حول البيت أصناماً تعبد فجاوزه سليمان، فلما جاوزه بكى البيت، فأوحى الله اليه ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك، ومعه قوم من أوليائك، مروا علي ولم يصلوا عندي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله اليه لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان، أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، أفرض عليهم فريضة، يحنون اليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مروا بوادي النمل. قوله: **(يجمعون ثم يساقون)** أي يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون.

يجمعون ثم يساقون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسرنكم ﴿ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب

قوله: ﴿**حتَّى إذَا أتَوْا**﴾ غاية لمحذوف، أي فساروا مشاة على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا، الخ. قوله: (**نمله صغار**) أي وهو المعروف، وقوله: (**أو كباراً**): أي كالبخاتي أو الذئاب. قوله: ﴿**قالت نملة**﴾ قيل اسمها طاخية وقيل جرمى، وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان، هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك فقال: كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة، قال بعضهم: وفيه نظر لأن لحاق التاء في قالت، لا يدل على أنها مؤنثة، لأن تاءه للوحدة لا للتأنيث، وحينئذ فيصح أن يقال: قال نملة، وقالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق. قوله: (**وقد رأت جند سليمان**) أي من ثلاثة أميال بدليل قوله الآتي، وقد سمعه من ثلاثة أميال.

قوله: ﴿**يا أيُّهَا النَّمْلُ**﴾ الخ، اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعاً من البلاغة، أولها النداء بيا، ثانيها لفظ أي، ثالثها التنبيه، رابعها التسمية بقولها: ﴿**النَّمل**﴾، خامسها الأمر بقولها: ﴿**آدْخُلوا**﴾ سادسها التنصيص بقولها: ﴿**مَسَاكِنَكُمْ**﴾، سابعها التحذير بقولها: ﴿**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ**﴾ ثامنها التخصيص بقولها: ﴿**سُلَيْمَانُ**﴾، تاسعها التعميم بقولها: ﴿**وَجُنُودُهُ**﴾ عاشرها الإشارة بقولها: ﴿**وَهُمْ**﴾، حادي عشرها العذر بقولها: ﴿**لا يَشْعُرُونَ**﴾. وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين، وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة وهي: براق رسول الله ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش ولده، وبقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزير، وناقة صالح، وحوت يونس، روي أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل، أخفت من ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل، فلم قلت: ﴿**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾، فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت، ويفتتن في الدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان، مضت مسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له؟ والله ما عندنا إلا نبقة واحدة، فقالت: حسنة ائتوني بها، فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والعلماء والأنبياء على البساط، حتى وقفت بين يديه، ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول:

ألم تر أنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره ... لأقصر البحر عنه يوماً وساحله
ولكننا نهدي إلى من نحبه ... فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله، والنمل حيوان

بخطابهم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ الأنبياء والأولياء ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي أعرض لي ما

معروف شديد الإحساس والشم، حتى إنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق، لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقيه عدة. قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ فيه وجهان، أحدهما أنه نهي، والثاني أنه جواب الأمر. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملة حالية. قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً﴾ مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم، وكان سبب ضحكه شيئين: أحدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون. الثاني سروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحداً، من ادراك سمعه ما قالته النملة. قوله: (ابتداء) الخ، فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت، والضحك انفتاحه مع صوت خفيف، والقهقهة انفتاحه مع صوت قوي، وهي لا تكون من الأنبياء. قوله: (في هذا السير) أي في خصوص سيره على وادي النمل، وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح. قوله: ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ إنما ذكر نعمة والديه تكثيراً للنعمة، ليزداد في الشكر عليها. قوله: ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ على حذف مضاف أي في جملة ﴿عِبَادِكَ﴾ وفي بمعنى مع، والمراد الكاملون في الصلاح، لأن الصلاح مقول بالتشكيك، فما من مقام إلا وفوقه أعلى منه، والكامل يقبل الكمال.

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ شروع في القصة الثالثة، والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد، وكان سبب سؤاله عن الهدهد، أنه كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء، ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فينقر في الأرض، ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له: إن الصبي يضع له فخاً ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال ابن عباس: إذا نزل القضاء والقدر، ذهب اللب وعمي البصر، قيل ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد. قوله: (فتستخرجه الشياطين) أي بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء، كما تسلخ الشاة.

قوله: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ استفهام استخبار. قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، كأنه لما يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وهو إضراب انتقالي. قوله: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث، فأو بين الكلمتين الأوليين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما، فهي في الأخير بمعنى إلا. قوله: (بنتف ريشه) هذا أحد أقوال في معنى التعذيب، وقيل هو أن

منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ فلم أره لغيبته، فلما تحققها قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ تعذيباً ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوامّ ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾

يحشره مع غير أبناء جنسه، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع في الشمس. قوله: (**بنون مشددة**) الخ، أي والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿**بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾ أي حجة ظاهرة على غيبته، والسبب في غيبة الهدهد، أن سليمان عليه السلام، لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم، أقام ما شاء الله أن يقيم، أي من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام، ولم يكن مأموراً بتكسيرها، فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا وكذا، ويعطى النصر على جميع من عاداه، وتبلغ هيبته مسافة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال بدين الله الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال مقدار ألف سنة، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها، فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً، رأى بستاناً لبلقيس، فنزل اليه فإذا هو بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، وهدهد اليمن عفير، فقال عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح، فمن أين أنت؟ قال عفير: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربعمائة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء، فسأل عن الماء الجن والإنس فلم يعلموا، فتفقد الهدهد فلم يره، فدعا بعريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان، فغضب سليمان وقال: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً**﴾ الآية، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيراناً، فقال له: علي بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب يريده، وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي، إلا

ببرهان بيِّن ظاهر على عذره ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي يسيراً من الزمان، وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ ۝٢٢﴾ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه

ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه العقاب وقال: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام، فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله، وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فقال نجوت إذاً، وكانت غيبته من الزوال، ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب منه الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض، تواضعاً لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل، فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك، ارتعد وعفا عنه ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى آخره.

قوله: ﴿فَمَكُثَ﴾ أي الهدهد. قوله: **(بضم الكاف وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثاني من باب نصر. قوله: **(أي يسيراً من الزمان)** أي وهو من الزوال إلى العصر. قوله: **(فعفا عنه)** أي من أول الأمر قبل أن يذكر العذر. قوله: **(وسأله عما لقي في غيبته)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ﴾ الخ، مفرع على محذوف. قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهي ثلاث مراحل. قوله: **(بالصرف وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظراً إلى أنه اسم رجل وتركه نظراً إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث. قوله: **(اسمها بلقيس)** بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب اليهم، أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها.

قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عطف على قوله: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ لأنه بمعنى ملكتهم، قال ابن عباس: كان يخدمها ستمائة امرأة. قوله: **(يحتاج اليه الملوك)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق الحق ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن، كما في قوله تعالى ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ ﴾ في قلوبهم ﴿ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ بألسنتهم ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ

عام أريد به الخصوص. قوله: ﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ أي تجلس عليه، أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وأما وصف عرش الله بالعظم، فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما فحصل الفرق. قوله: (**طوله ثمانون ذراعاً**) الخ، وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك، وارتفاعه في الهواء كذلك. قوله: (**عليه سبعة أبواب**) صوابه أبيات بدليل قوله: (**على كل بيت باب مغلق**). قوله: ﴿**يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ**﴾ أي فهم مجوس.

قوله: ﴿**فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَنْ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**﴾ الخ، ذكر ذلك رداً على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله، لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السماوات والأرض، عالم بجميع المعلومات. قوله: (**أي أن يسجدوا له**) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون ﴿**أَنْ**﴾ ناصبة، و ﴿**لَا**﴾ زائدة، و ﴿**يَسْجُدُوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، وعليها فلا يجوز الوقف على ﴿**يَهْتَدُونَ**﴾ لأنه من تتمته، كأنه قال: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ، وقرأ الكسائي بتخفيف ألا، وتوجيهها أن يقال إن لا للافتتاح، ويا حرف تنبيه، واسجدوا فعل أمر، لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ، ووصلت الياء بسين اسجدوا، فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً، وهناك وجه آخر في هذه القراءة، وهو أن يا حرف نداء والمنادى محذوف، والتقدير ألا يا هؤلاء وهو ضعيف، لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف. قوله: (**من المطر والنبات**) لف ونشر مرتب، فالمطر هو المخبوء في السماوات، والنبات هو المخبوء في الأرض.

قوله: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله: ﴿**الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ**﴾ إلى هنا، إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان، وليس داخلاً تحت قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وإنما ذكر الهدهد ذلك، ليغري سليمان على قتالهم، وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم، بل إنما غرضه وصف ملكها. قوله: (**وبينها بون**) أي فضل ومزية. قوله: ﴿**قَالَ سَنَنْظُرُ**﴾ هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره: فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر؟ قوله: (**فهو أبلغ من أم كذبت**) أي لأنه يفيد أنه إن كان كاذباً في هذه الحادثة، كان معدوداً من الكاذبين ومحسوباً منهم، والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم. قوله: (**من عبد الله**) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف، وقدم اسمه على البسملة، لأنها كانت في ذلك الوقت

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ ﴿٢٦﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي من هذا النوع، فهو أبلغ من أم كذبت فيه، ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: من عبد الله سليمان بن داود، إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وقف قريباً منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يردُّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً ثم وقفت على ما فيه ثم ﴿قَالَتۡ﴾ لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ مختوم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي مضمونه ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ

كافرة، فخاف أن تستخف باسم الله، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى. قوله: (**السلام على من اتبع الهدى**) أي أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال. قوله: (**فلا تعلوا علي**) أي لا تتكبروا. قوله: (**مسلمين**) أي منقادين لدين الله، وفي هذا الخطاب، إشعار بأنه رسول من عند الله، يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان، وإلا لقال وائتوني طائعين. قوله: (**ثم طبعه بالمسك**) أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع.

قوله: ﴿**فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ**﴾ إما بسكون الهاء أو كسرها من غير إشباع أو بإشباع، ثلاث قراءات سبعيات. قوله: ﴿**مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ إن جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذي، و﴿**يَرْجِعُونَ**﴾ صلته، والعائد محذوف، ويكون مامفعول يرجعون. والمعنى انتظر الذي يرجعونه، وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر، كانت ما استفهامية، وذا بمعنى الذي، ويرجعون صلتها، والعائد محذوف، والتقدير أي شيء الذي يرجعونه، والموصول هو خبر ما استفهامية، أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون، تقديره أي شيء يرجعون. قوله: (**من الجواب**) بيان لما. قوله: (**وأتاها وحولها جندها**) الخ، وقيل أتاها فوجدها نائمة، وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وكذلك كانت تفعل إذا رقدت، فألقى الكتاب على نحرها، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها. قوله: (**فلما رأته ارتعدت**) أي حين وجدت الكتاب مختوماً ارتعدت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها. قوله: (**بقلبها واواً مكسورة**) المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء وقلبها واواً الخ، فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ**﴾ الخ، لم تذكر صورة الكتاب، بل اقتصرت على ما فيه الفائدة، لشدة

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً، أي أشيروا عليّ ﴿فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ ﴿٣٢﴾ تحضرون ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي أصحاب شدة في الحرب ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ـنا نطعك ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ أي مرسلو الكتاب

معرفتها وبلاغة لفظها. قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾ مكرم معظم. قوله: (مختوم) أي لأن الكتاب المختوم، يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه، لما ورد: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به. قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره: ماذا مضمونه. قوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الملأُ﴾ أي الأشراف، سموا بذلك لأنهم يملؤون العين بمهابتهم، وكانوا ثلاثمائة واثني عشر، لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع. قوله: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً﴾ أي إن عادتي معكم لا أفعل أمراً حتى أشاوركم. قوله: ﴿أُولُو قُوَّةٍ﴾ الخ، استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أولاً، ثم ردوا الأمر إليها. قوله: (نطعك) مجزوم في جواب الأمر.

قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ﴾ الخ، أي فلم ترض بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل اختارت الصلح وبينت سببه. قوله: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ أي عنوة. قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلي. قوله: (إن كان ملكاً قبلها) أي وقاتلناه. قوله: (أو نبياً لم يقبلها) أي واتبعناه، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور. قوله: (ألفاً بالسوية) أي خمسمائة ذكر، وخمسمائة أنثى. قوله: (فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أي كما يضرب الطين. قوله: (وأن تبسط من موضعه) أي توضع في الأرض كالبلاط. قوله: (إلى تسعة فراسخ) أي وهو مسيرة يوم وثمن يوم. قوله: (وأن يبنوا) أي الجن. قوله: (عن يمين الميدان وشماله) أي وقصد بذلك إظهار البأس والشدة. وحاصل تفصيل تلك القصة: أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقرطة وشنوفاً، مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة فرس، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، بعثت إليه لبنات من فضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حقة، جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جزع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية وقالت: إن كنت نبياً فميز الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في الخرزة خيطاً من غير علاج أنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلمكم سليمان، فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من قبول الهدية أو ردها، إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً وغير ذلك مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع

نظر إليك نظراً فيه غضب، فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي، فتفهم قوله ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ، وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن؟ فقالوا: يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: عليّ بها، فأتوه بها، قال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير، فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان، رأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة، ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً، خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق، وتلقاهم ملقى حسناً وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحقة؟ فأتى بها وحركها، فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها، فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة، فقال الرسول: صدقت، فأثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها؟ وسأل الإنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تصيّر رزقي في الشجر، فقال لها: ذلك لك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الفواكه، فقال: لك ذلك، ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن

أولاد الجن، عن يمين الميدان وشماله ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لفخركم بزخارف الدنيا ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من بلدهم سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، مع كل قيل ألوف كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ﴾ في الهمزتين ما تقدم ﴿يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس

ساعدها، والغلام يصبه على ظاهره، فميّز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله: **﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾** الخ.

قوله: **﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾** الخ، استفهام إنكاري وتوبيخ، أي لا ينبغي لكم ذلك. قوله: **﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾** حال ثانية مؤكدة للأولى. قوله: **(أي إن لم يأتوني مسلمين)** أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين. قوله: **(داخل سبعة أبواب)** صوابه أبيات، وقد تقدم أنه داخل سبعة أبيات، فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر نبياً. قوله: **(حرساً)** بفتحتين جمع حارس. قوله: **(قيل)** بفتح القاف أي ملك، سمي بذلك لأنه ينفذ ما يقول. قوله: **(إلى أن قربت منه)** أي من سليمان. قوله: **(شعر بها)** أي علم، وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريره فسمع وهجا قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ﴾** الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرهما. قوله: **(ما تقدم)** أي من التحقيق أو قلب الثانية واواً. قوله: **﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾** أي وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبإ، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين. قوله: **(فلي أخذه قبل ذلك)** أي قبل إتيانهم مسلمين، لأنهم حربيون حينئذ. قوله: **(لا بعده)** أي لأن إسلامهم يعصم مالهم، وهذا بحسب الظاهر، وأما باطن الأمر فقصده أن يبهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد إيماناً. قوله: **﴿عِفْرِيتٌ﴾** بكسر العين وقرىء شذوذاً بفتحها. قوله: **(وهو القوي)** أي وكان مثل الجبل، يضع قدمه عند منتهى طرفه، وكان اسمه ذكوان وقيل صخر.

قوله: **﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾** يحتمل أنه فعل مضارع، أصله أأتي بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً، ويحتمل أنه إسم فاعل كضارب وقائم. قوله: **﴿مِنْ مَقَامِكَ﴾** أي مجلسك. قوله: **(أسرع من ذلك)** أي لأن المقصود الإتيان به قبل أن تقدم هي، والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف، ومجلسه من الغداة إلى نصف

فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي على حمله ﴿أَمِينٌ ۝٣٩﴾ أي على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي ساكناً ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي الإتيان لي بـه ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ بالإفضال على من يكفرها ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه إلى

النهار. قوله: ﴿**عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ أي وهو التوراة. قوله: (**وهو آصف بن برخيا**) بالمد والقصر، وكان وزير سليمان وقيل كاتبه، وكان من أولياء الله تعالى، وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل، وقيل الخضر، وقيل ملك آخر، وقيل سليمان نفسه، وعلى هذا فالخطاب في قوله أنا آتيك للعفريت، وما مشى عليه المفسر هو المشهور. قوله: (**كان صديقاً**) أي مبالغاً في الصدق مع الله ومع عباده. قوله: ﴿**طَرْفُكَ**﴾ هو بالسكون البصر. قوله: (**قال**) أي آصف، وقوله أي لسليمان. قوله: (**دعا بالاسم الأعظم**) قيل كان الدعاء الذي دعا به: **يا ذا الجلال والإكرام**، وقيل **يا حي يا قيوم**، وقيل يا إلهنا وإله كل شيء، إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. قوله: (**بأن جرى تحت الأرض**) أي بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك. قوله: (**أي ساكناً**) أي غير متحرك، كأنه وضع من قبل بزمن متسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول، وإلا كان واجب الحذف، لأن الظرف يكون مستقراً، وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر.

قوله: ﴿**مِنْ فَضْلِ رَبِّي**﴾ أي إحسانه إليّ. قوله: (**وإدخال ألف**) الخ، أي فالقراءات أربع سبعيات، وبقيت خامسة وهي إدخال ألف بين المحققين. قوله: (**لأن ثواب شكره له**) أي لأن الشكر سبب في زيادة النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: (**بالإفضال على من يكفرها**) أي فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة. قوله: ﴿**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**﴾ معطوف في المعنى على قوله: ﴿**قَالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي**﴾ وكلاهما مرتب على قوله: ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ**﴾. قوله: (**إلى حالة تنكره إذا رأته**) أي فالتنكير إبهام الشيء، بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين. قوله: ﴿**نَنْظُرْ**﴾ هو جواب الأمر. قوله: (**قصد بذلك**) الخ، أشار بذلك إلى حكمة التغيير. قوله: (**لما قيل إن فيه شيئاً**) أي نقصاً، والقائل له: ما ذكر الجن، وقالوا له: إن رجليها كرجلي حمار، وقالوا له أيضاً: إن في ساقيها شعراً لأنهم ظنوا أنه يتزوجها، فكرهوا ذلك لئلا تفشي له أسرار الجن، ولئلا يأتي منها أولاً فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل.

حال تنكره إذا رأته ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ ﴾ إلى معرفته ﴿ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئاً فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ ﴾ لها ﴿ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴾ أي أمثل هذا عرشك ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك، ولو قيل هذا، قالت نعم، قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ وَصَدَّهَا ﴾ عن عبادة الله ﴿ مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره ﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿ قِيلَ لَهَا ﴾ أيضاً ﴿ ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ من الماء ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾

قوله: ﴿قِيلَ﴾ (لها) القائل سليمان أو مأموره. قوله: ﴿أَهٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ الهمزة للاستفهام، والهاء للتنبيه، والكاف حرف جر، وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿عَرْشُكِ﴾ مبتدأ مؤخر، وفصل بين ها للتنبيه واسم الإشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناءً بالتنبيه، وكان مقتضاه أن يقال: أكهذا عرشك. قوله: (أي أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل، وقولهم لا يفصل بين ها للتنبيه واسم الإشارة بشيء من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة، وإن كانت في المعنى إسماً بمعنى مثل. قوله: (وشبهت عليهم) الخ، أي فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان، والمشاكلة الإتيان بمثل الكلام السابق وإن لم يتحد الكلامان كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾. قوله: (قال سليمان) أي تحدثاً بنعمة الله.

قوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هي العلم بما ذكر، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم، فنحن أسبق منها علماً وإسلاماً. قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي منعها، وقوله: ﴿مَا كَانَتْ﴾ فاعل صد، والمعنى منعها عن عبادة الله الذي كانت تعبد من دون الله وهو الشمس. قوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ بكسر إن في قراءة العامة استئناف، وقرىء شذوذاً بفتحها على إسقاط حرف التعليل. قوله: ﴿قِيلَ لَهَا﴾ (أيضاً) أي كما قيل نكروا لها عرشها. قوله: (هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار. قوله: (من زجاج أبيض) أي وهو المسمى بالبلور. قوله: (اصطنعه سليمان) أي أمر الشياطين به، فحفروا حفيرة كالصهريج، وأجروا فيها الماء، ووضعوا فيها سمكاً وضفدعاً وغيرهما من حيوانات البحر، وجعلوا سقفها زجاجاً شفافاً، فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن لم يكن عالماً به، يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك. قوله: (لما قيل له) القائل ذلك الجن. قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي أبصرته. قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ أي على عادة من أراد خوض الماء، قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق، فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر، سلمت وكشفت عن ساقيها. قوله: (لتخوضه) أي لأجل أن تصل إلى سليمان. قوله: (فرأى ساقيها) إلخ، أي فلما علم ذلك صرف بصره عنها. قوله: ﴿مُمَرَّدٌ﴾ صفة أولى لصرح، وقوله: ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ صفة ثانية جمع

لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة؛ ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام

قارورة. قوله: (مملس) ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي نعومته لعدم الشعر به. قوله: (بعبادة غيرك) أي وهو الشمس. قوله: ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ حال من التاء في ﴿أَسْلَمْتُ﴾ كما أشار لذلك بقوله: (كائنة) والمعنى أسلمت حالة كوني مصاحبة له في الدين، ولا يصح أن يكون متعلقاً بأسلمت، لأنه يوهم أنها متحدة معه في الإسلام في زمن واحد. قوله: (فعملت له الشياطين النورة) أي بعد أن سأل الإنس عما يزيل الشعر، فقالوا له: يحلق بالموسى، فقالت: لم يمس الحديد جسمي، فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن فقالوا لا ندري، فسأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ. قوله: (فتزوجها) أي وولدت منه ولداً وسمته داود، ومات في حياة أبيه، وبقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قولين، وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي من قومي الملك والسلطان؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله، قالت: إن كان ولا بد، فزوجني ذا تبع ملك همدان، فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يزل يعمل له ما أراد، إلى أن مات سليمان، وحال الحول ولم يعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن، إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وتفرقوا. قوله: (وأقرها على ملكها) أي وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم يرَ الناس مثلها في الارتفاع والحسن. قوله: (ويقيم عندها ثلاثة أيام) أي وكان يبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام. قوله: (روي أنه ملك) أي أعطي الملك. قوله: (فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أي فما سواه يفنى، وهو الباقي بلا زوال، قال العارف:

ما آدم في الكون وما إبليس ... ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى ... يا من هو للقلوب مغناطيس

فالأكوان جميعها إشارات دالة على المقصود بالذات وهو الواحد القهار. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ﴾ شروع في القصة الرابعة من هذه السورة، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبي القبيلة، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وتسمى عاد الثانية، وأما عاد الأولى فهم قوم هود. قوله: ﴿أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ أي في النسب لأنه من أولاد ثمود الذي هو أبو القبيلة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله:

ملكه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ في الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون ﴿قَالَ﴾ للمكذبين ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقاً فائتنا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ فلا تعذبون ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل، أي تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ تختبرون بالخير والشر ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي منها قرضهم

(أي بأن) ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، وحرف الجر محذوف، ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها، وهو تقدم جملة فيها القول دون حروفه. قوله: **(وحده)** أي اعتقدوا أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في شيء منها. قوله: **﴿فَإِذَا هُمْ﴾** إذا فجائية، والمعنى فتفاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق وكفر فريق، وتقدم حكاية اختصام الفريقين في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ الخ. قوله: **(فريق مؤمنون)** جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه. قوله: **(من حين إرساله)** أي وبعد ظهور المعجزات.

قوله: **﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾** أي لأي شيء تستعجلون بالعذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة؟ ويصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة، والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي هو سبب في الرحمة، وتقدمون الكفر الذي هو سبب العذاب؟ قوله: **(هلا)** أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية. قوله: **(من الشرك)** أي بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا. قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق، لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده. قوله: **(أدغمت التاء في الطاء)** أي بعد قلبها طاء. قوله: **(واجتلبت همزة الوصل)**، أي للتوصل للنطق بالساكن. قوله: **(أي تشاءمنا)** أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة. قوله: **(حيث قحطوا المطر)** أي حبس عنهم.

قوله: **﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾** أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به، فالشؤم وصفكم لا وصفي، وسمي طائراً لأنه يأتي الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر. قوله: **﴿تُفْتَنُونَ﴾** أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح، ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلاً: نحن قوم نقرأ ويقرأون. قوله: **(تختبرون بالخير والشر)** أي لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله، وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم. قوله: **(مدينة ثمود)** أي وهو الحجر، وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة.

قوله: **﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾** الرهط ما دون العشرة من الرجال، والنفر ما دون السبعة إلى الثلاثة. قوله: **(أي رجال)** دفع بذلك ما يقال: إن تمييز التسعة جمع مجرور، فكيف يؤتى به مفرداً؟ فأجاب بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً

الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ۝٤٨﴾ بالطاعة ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أي احلفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي من آمن به أي نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ بضم الميم وفتحها أي إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝٤٩﴾ ﴿وَمَكَرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾

يولد في شهرهم هذا، يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة حزنوا على قتل أولادهم، فسول لهم الشيطان أن يجتمعوا في غار، فإذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه، وتقدم أنهم اجتمعوا في الغار، فأرادوا أن يخرجوا منه، فسقط عليهم الغار فقتلهم، وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف، وقيل إنهم جاءوا ليلاً لقتله شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر. قوله: **(أي احلفوا)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**تَقَاسَمُوا**﴾ فعل أمر، أي قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا. قوله: **(بالنون)** مع فتح التاء وقوله: **(والتاء)** كان المناسب أن يقول بالتاء، لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي من آمن به)** أي وسيأتي أنهم أربعة آلاف. قوله: **(بالنون)** أي مع فتح اللام، وقوله: **(والتاء)** أي فقراءة النون هنا، مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء، فهما قراءتان فقط. قوله: **(أي ولي دمه)** أي دم من قتل صالح ومن معه. قوله: ﴿**مَهْلِكَ أَهْلِهِ**﴾ أي أهل ولي الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به. قوله: **(بضم الميم)** أي مع فتح اللام، وقوله: **(وفتحها)** أي مع فتح اللام وكسرها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(أي إهلاكهم)** راجع للضم لأنه من الرباعي. قوله: **(وهلاكهم)** راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي. قوله: ﴿**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ أي ونحلف إنا لصادقون، أو المعنى والحال وإنا لصادقون فيما قلنا. قوله: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْراً**﴾ أي أرادوا إخفاء ما بيتوا عليه من قبل صالح وأهله. قوله: ﴿**وَمَكَرْنَا مَكْراً**﴾ أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون، وهو من باب المشاكلة، نظير قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وإلا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى، لأنه التحيل على الغدر، وهو من صفات العاجز، والعجز على الله محال. قوله: ﴿**فَانْظُرْ**﴾ أي تأمل وتفكر. قوله: ﴿**إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ**﴾ بكسر إن على الاستئناف، وفتحها على أنه خبر لمحذوف، أي وهي تدميرنا إياهم، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(أو برمي الملائكة)** أو للتنويع، أي أن عذابه نوعان موزعان عليهم، رمي الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح وأهله، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة، ولو قال المفسر: أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح. قوله: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ**﴾ مبتدأ وخبر أي ديارهم.

بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ بظلمهم، أي كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢﴾ قدرتنا فيتعظون ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ الشرك ﴿وَلُوطًا﴾ منصوباً باذكر مقدراً قبله ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ أي يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ عاقبة فعلكم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل أهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾ بالعذاب

قوله: (**بظلمهم**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية. قوله: ﴿**إِنَّ فِي ذٰلِكَ**﴾ أي المذكور من إهلاكهم.

قوله: ﴿**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي من الهلاك، فخرج صالح بهم إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح، فسميت تلك البلدة بذلك، ثم بنى الأربعة الآلاف مدينة يقال لها حاضوراء. قوله: ﴿**وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ أي يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا. قوله: (**ويبدل منه**) أي بدل اشتمال، والمراد ذكر القول لا ذكر وقته. قوله: ﴿**لِقَوْمِهِ**﴾ أي من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو في الأصل أرض بابل، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسذوم. قوله: (**يبصر بعضكم بعضاً**) أشار بذلك إلى أن المراد الإبصار بالعين، وقيل المراد إبصار القلب، ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة. قوله: (**وإدخال ألف بينهما**) أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿**لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**﴾ أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: ﴿**شَهْوَةً**﴾ مفعول لأجله. قوله: (**عاقبة فعلكم**) أي وهي العذاب الذي نزل بهم. قوله: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ مقدم، وقوله: ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾ اسمها مؤخر. قوله: ﴿**آلَ لُوطٍ**﴾ المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة. قوله: ﴿**مِنْ قَرْيَتِكُمْ**﴾ الإضافة للجنس، لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم. قوله: ﴿**يَتَطَهَّرُونَ**﴾ أي يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء. قوله: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**﴾ أي فخرج لوط بأهله من أرضهم، وطوى الله له الأرض حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم. قوله: (**الباقين في العذاب**) أي الذي حل بهم، وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها، قيل كان فيها أربعة آلاف ألف.

قوله: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ**﴾ أي على من كان في ذلك الوقت خارجاً عن المدائن لسفر أو غيره. قوله: (**هو حجارة السجيل**) أي الطين المحروق. قوله: (**مطرهم**) هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ**

مطرهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ بالتاء والياء أي أهل مكة به أي الآلهة خير لعابديها ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة، وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَّا كَانَ

لِلَّهِ﴾ لما تمم سبحانه وتعالى القصص، أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين، شكراً له على نصرة أهل الحق والإيمان، وقطع دابر أهل الكفر والطغيان، وتمهيداً لما يذكر من أدلة التوحيد التي أقامها رداً على المشركين، والسر في ذلك، إنصات العاقل وإصغاؤه ليدخل في زمرة من سلم الله عليهم.

قوله: ﴿وَسَلَامٌ﴾ أي أمان. قوله: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قيل هم الأنبياء والرسل، وقيل أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل مؤمنو هذه الأمة، وقيل كان مؤمن من مبدإ الدنيا إلى منتهاها، ومعنى اصطفى اختارهم أزلاً لخدمته وطاعته في الدنيا، ولجنته ونعيمه في الآخرة، فالأصل اصطفاه الله للعبد، فلولا اصطفاؤه له، ما وفق العبد لخدمة ربه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: (**بتحقيق الهمزتين**) الخ، ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم، والصواب أن هنا قراءتين فقط، تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مداً لازماً، وتقدم أن هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا، اثنان في الأنعام ﴿آلذكرين﴾ في الموضعين، وثلاثة في يونس ﴿الله أذن لكم﴾ ﴿آلآن﴾ في الموضعين.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ خبر لفظ الجلالة، وهو إما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار، أو صفة لا تفضيل فيها، والكلام على حذف مضاف، والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده، أم الأصنام خير لمن عبدها، فهو تهكم بالمشركين، لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله، والاختيار للشيء لا يكون إلا لخير ومنفعة، ولا خير في عبادتها. وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم». قوله: ﴿أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل، وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية، فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام إنكاري. قوله: (**بالياء والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**أي أهل مكة**) تفسير للواو في يشركون. قوله: (**أي الآلهة**) تفسير لما، والمعنى أم الآلهة التي يشركونها به خير لعابديها.

قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين في الأخرى، وأم منقطعة، ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره ﴿خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ وقرىء شذوذاً بتخفيف، فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام. قوله: (**فيه الالتفات**) أي وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى هو المنبت للأشجار والزرع لا غيره، وخلقها مختلفة الألوان والطعوم، مع كونها تسقى بماء واحد. قوله: (**وهو البستان المحوط**) أي المجعول عليه حائط لعزته. قوله: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ صفة لحدائق، وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل.

لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانه على ذلك، أي ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يشركون بالله غيره ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ توحيده ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ الإضافة بمعنى في، أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ تتعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وبالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً

قوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي لا ينبغي لأنكم عاجزون عن إخراج النبات، وإن كنتم قادرين على السقي والغرس ظاهراً. قوله: ﴿أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي فضلاً عن ثمارها وأشكالها. قوله: **(وإدخال ألف بينهما)** أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(في مواضعه السبعة)** أي مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ إله خمس مرات، وأئذا، وأئنا. قوله: **(أي ليس معه إله)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ إضراب انتقالي من تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم.

قوله: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ أي مستقراً للإنسان والدواب، لا تتحرك بما على ظهرها. قوله: **(فيما بينها)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خِلَالَهَا﴾ ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق، ويصح أن تكون بمعنى صير، و ﴿خِلَالاً﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿حَاجِزاً﴾ أي معنوياً غير مشاهد. قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وكفرهم تقليد، والأقل يعلم الأدلة، وكفرهم عناد. قوله: ﴿الْمُضْطَرَّ﴾ هو اسم مفعول، وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال، قلبت طاء لوقوعها إثر حرف الإطباق وهو الضاد.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ أشار بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه، فلا ينبغي لمن كان مضطراً ترك الدعاء، بل يدعو، والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى، لأن الله أرأف على العبد من نفسه، فالعاقل إذا دعا الله يسلم في الإجابة لمراد الله. قوله: **(الإضافة بمعنى في)** أي فالمعنى يجعلكم خلفاء في الأرض. قوله: **(وفيه إدغام التاء في الذال)** أي بعد قلبها دالاً فذالاً، وهذا على كل من القراءتين. قوله: **(وما زائدة لتقليل القليل)** أي فالمراد تأكيد القلة. قوله: **(وبعلامات الأرض)** أي كالجبال. قوله: **(أي قدام المطر)** أي أمامه. قوله: **(وإن لم يعترفوا بالإعادة)** أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله: كيف يقال لهم ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ مع أنهم منكرون للإعادة؟ وأشار إلى جوابه بقوله: لقيام البراهين عليها وإيضاحه، أن يقال إنهم معترفون بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة ظاهرة قوية، وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في إنكار الإعادة، بل ذلك محض جحود.

﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ أي قدام المطر ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ به غيره ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بالمطر ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالنبات ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله ولا إله معه ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ حجتكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر. وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من الملائكة والناس ﴿ ٱلْغَيْبَ ﴾ أي ما غاب عنهم ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ ٱللَّهُ ﴾ يعلمه ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي كفار مكة كغيرهم ﴿ أَيَّانَ ﴾ وقت ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿ بَلِ ﴾ بمعنى هل ﴿ ٱدَّٰرَكَ ﴾ بوزن أكرم، وفي قراءة أخرى ادارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق ﴿ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله، والأصل عميون استثقلت الضمة

قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أمره ﷺ بتبكيتهم، إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره. قوله: **(أن معي إلهاً)** الأوضح أن يقول: أن مع الله إلهاً لأن النبي مأمور بهذا القول، وهو لا يقول لهم: إن كنتم صادقين أن معي إلهاً. قوله: **(وسألوه)** أي المشركون. قوله: ﴿مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ﴿مَنْ﴾ فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ والجار والمجرور صلتها، و ﴿الْغَيْبَ﴾ مفعول به، و ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: **(يعلمه)** والتقدير لا يعلم الذي ثبت في السماوات كالملائكة، والأرض كالإنس، **الغيب** لكن الله هو الذي يعلمه. قوله: **(من الملائكة والناس)** بيان لمن في السماوات والأرض على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: **(لكن)** ﴿اللَّهُ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولا يصح جعله متصلاً لإيهامه أن الله من جملة من في السماوات والأرض وهو محال. قوله: **(وقت)** ﴿يُبْعَثُونَ﴾ تفسير لأيان، والمناسب تفسيرها بمتى، لأن ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت. قوله: **(بمعنى هل)** أي التي للاستفهام الإنكاري. قوله: **(أي بلغ ولحق)** راجع للقراءة الأولى، وقوله: **(أو تتابع)** راجع للثانية، والمعنى هل بلغ علمهم في الآخرة، أو تتابع علمهم الآخرة، حتى سألوا عن وقت مجيء الساعة؟ ليس عندهم علم بذلك، بل ولا إثبات، حتى يسألوا عن وقت الساعة، فسؤالهم محض تعنت وعناد.

قوله: ﴿فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي الآخرة. قوله: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي عندهم جزم بعدمها لعدم إدراكهم دلائلها. قوله: **(بعد حذف كسرتها)** أي وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة. قوله: **(أيضاً)** أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً﴾ كان فعل ماض ناقص وأنا اسمها، و ﴿تُرَاباً﴾ خبرها، و ﴿آبَاؤُنَا﴾ معطوف على اسم كان، وسوغه الفصل بخبرها، قوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا﴾ وعد فعل ماض، ونا نائب الفاعل مفعول أول، ﴿وَهٰذَا﴾ مفعول ثان، و ﴿نَحْنُ﴾ تأكيد لنا، و ﴿آبَاؤُنَا﴾ عطف على

على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ أيضاً في إنكار البعث ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ من القبور ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ بإنكارهم وهي هلاكهم بالعذاب ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ فيه ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ ﴾ قرب ﴿ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ ﴾ تخفيه ﴿ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ بألسنتهم ﴿ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٧٥﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الموجودين في زمان نبينا

المفعول الأول، وسوغه الفصل بالمفعول الثاني والضمير المنفصل، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث، كما وعد من قبله آباءنا به، فلو كان حقاً لحصل.

قوله: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ**﴾ أمر تهديد لهم، إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا، نزل بهم ما نزل بمن قبلهم. قوله: ﴿**فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ أي لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم. قوله: (**بإنكارهم**) أي المجرمين. قوله: (**بالعذاب**) أي الدنيوي، لأنه هو المشاهد آثاره. قوله: ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ أي لا تغتم على عدم إيمانهم فيما مضى، ولا تخف من مكرهم في المستقبل، فالحزن غم لما مضى، والخوف غم لما يستقبل. قوله: ﴿**وَلَا تَكُنْ**﴾ بثبوت النون هنا وهو الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً، تسعة مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

قوله: ﴿**فِي ضِيقٍ**﴾ بفتح الصاد وكسرها، قراءتان سبعيتان أي حرج. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين. قوله: ﴿**قُلْ عَسَى**﴾ الخ، الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: (**القتل ببدر**) أي وغيره، وهذا هو العذاب المعجل. قوله: (**وباقي العذاب**) الخ، أي هو العذاب المؤجل. قوله: (**ومنه**) أي الفضل. قوله: ﴿**لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ**﴾ أي فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليهم. قوله: (**الهاء للمبالغة**) أي كرواية وعلامة، وسماها هاء باعتبار الوقف، ولو قال التاء لكان أسهل، وقيل إنها كالتاء الداخلة على المصادر، ونحو العاقبة والعافية، ونظيرها الذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات. قوله: (**ومكنون علمه**) الواو بمعنى أو، لأنه تفسير ثان، فتسميته كتاباً على سبيل

﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ من العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي عدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ بما يحكم به فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ أي الدين البينّ، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا

الاستعارة التصريحية، حيث شبه بالكتاب كالسجل الذي يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شيء منها. قوله: ﴿**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ أي فقد نص بالتصريح على الأكثر، فلا ينافي قوله: ما فرطنا في الكتاب من شيء، ومن جملته اختلافهم في شأن المسيح، وتفرقهم فيه فرقاً كثيرة، فوقع بينهم التباغض، حتى لعن بعضهم بعضاً. قوله: (**أي عدله**) دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل، المعنى يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه فأجاب بأن المراد بالحكم العدل. قوله: (**فلا يمكن أحداً مخالفته**) الخ، تفريع على العزيز، فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ الخ، تفريع على كونه عزيزاً عليماً، أي فإذا ثبتت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه والثقة به. قوله: ﴿**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ علة للتوكل وكذا قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾. قوله: (**بينها وبين الياء**) أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**مُدْبِرِينَ**﴾ أي معرضين. قوله: ﴿**بِهَادِي الْعُمْيِ**﴾ ضمنه معنى الصرف فعداه بعن. قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا**﴾ أي من سبق في علم الله أنه يكون مؤمناً ومن هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ**﴾ أي قرب وقوعه، وإنما عبر بالماضي لحصوله في علم الله، لأن الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لإحاطته بها، والمراد بالقول: مواعيد القرآن بالفضائح والخزي والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار. قوله: (**حق العذاب**) تفسيرلوقع والمعنى قرب نزوله بهم. قوله: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ أي وهي الجساسة، ورد في الحديث: «أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب» وروي أن لها أربع قوائم، ولها زغب وريش وجناحان، وعن ابن جريج في وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن إبل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرة، وذنب كبش، وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها. وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣﴾ أي يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

الدابة، فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى، يعني المسجد الحرام. وروي أنها تخرج ثلاث خرجات، تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن، حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد. وقيل تخرج من الصفا لما روي: بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت معه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، أي تتحرك تحرك القنديل، وتنشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا، فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو حتى يضيء بها وجهه، وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه، وتكتب بين عينيه كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار، وروي أن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها، واختلف أيضاً في تعيين هذه الدابة فقيل: هي فصيل ناقة صالح، وهو أصح الأقوال، فإنه لما عقرت أمه هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل، وقيل غير ذلك.
قوله: **(تقول لهم)** تفسير لتكلمهم. قوله: **(عنا)** متعلق بمحذوف، أي حال كونها حاكية وناقلة لما تقول: **(عنا)** بأن تقول: قال الله: **﴿إِنَّ النَّاسَ﴾** الخ. قوله: **(أي كفار مكة)** المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار. قوله: **(وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء)** أي للتعدية أو للسببية، وأما على قراءة الكسر، فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل، والقراءتان سبعيتان.
قوله: **(ينقطع الأمر بالمعروف الخ)** أي لعدم إفادة ذلك، لأنه في ذات الوقت يظهر المؤمن والكافر عياناً بوسم الدابة، فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره، فحينئذٍ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ووجد في بعض النسخ، ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر، أي لا يوجد في هذا الوقت من يتوب إلى الله أي يرجع إليه، ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر.

قوله: **﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾** أي الحشر الخاص بهم للعذاب، بعد انفضاض الحشر العام لجميع الخلق.
قوله: **﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾** **﴿مِنْ﴾** تبعيضية، وقوله: **﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ﴾** بيانية للفوج. قوله: **﴿فَوْجاً﴾** الفوج في الأصل الجماعة المارة المسرعة، ثم أطلق على الجماعة مطلقاً. قوله: **(رؤساؤهم)** أي كأبي جهل وأبيّ بن خلف وفرعون وقارون والنمروذ وغيرهم من رؤساء الضلال، فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة.
قوله: **(يرد آخرهم إلى أولهم)** المناسب أن يقول: يرد أولهم على آخرهم، أي يحبس أولهم ويوقف حتى يأتي آخرهم، ويجتمعون حتى يساقون.

جاءُوا﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام ما الاستفهامية ﴿ذَا﴾ موصول أي ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ بما أمرتم به ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ إذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي خافوا

قوله: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى أنكرتموها وجحدتموها. قوله: ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً﴾ الجملة حالية مؤكدة للإنكار والتوبيخ، والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها، فهم مؤاخذون بالجهل والكفر. قوله: ﴿أَمْ مَاذَا﴾ أم منقطعة بمعنى بل، وما اسم استفهام أدغمت ميم أم في ما، فقوله: (فيه إدغام ما الاستفهامية) أي الإدغام فيها. قوله: (حق العذاب) أي نزل بهم وهو كنهم في النار. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي بحجة واعتذار. قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي يعلموا. قوله: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ أي مظلماً بدلالة قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ بدلالة قوله: ﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ عليه، ففي الآية احتباك. قوله: (بمعنى يبصر فيه) أي فالإسناد مجازي من الإسناد إلى الزمان. قوله: (ليتصرفوا فيه) أي بالسعي في مصالحهم. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾ أي الجعل المذكور. قوله: (دلالات على قدرته تعالى) أي من حيث اختلاف الليل والنهار والظلمة.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾. قوله: (النفخة الأولى) أي وتسمى نفخة الصعق، ونفخة الفزع فعبر عنها بالفزع، وفي سورة الزمر بالصعق، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الخ، فعند حصولها يموت كل حي ما عدا ما استثنى، وأما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتاً، فالنفخة اثنتان وبينهما أربعون سنة، وقيل إنها ثلاث: نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها، ونفخة الموت، ونفخة الإحياء، والقول الأول هو المشهور، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر بالنفخة، وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض، ويسمى بالبوق في لغة اليمن. قوله: (من إسرافيل) أي وهو أحد الرؤساء الأربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ أي من كل من كان حياً في ذلك الوقت. قوله: (أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به. قوله: (والتعبير بالماضي) الخ، جواب عما يقال: إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضي؟ فأجاب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع، لأن الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد، لتعلق العلم به. قوله: (أي جبريل) الخ، أي فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى، بخلاف باقي الملائكة، وإنما يموتون بين النفختين، ويحيون قبل

الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى ﴿فصعق﴾ أو التعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿ دَٰخِرِينَ ﴾ ٨٧ صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿ تَحْسَبُهَا ﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها ﴿ وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ المطر إذا ضربته الريح، أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثوراً ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ ﴾ أحكم ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ صنعه ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ ٨٨ بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾

الثانية. قوله: **(وعن ابن عباس هم الشهداء)** وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار، وقيل: موسى، وقيل جميع الأنبياء. قوله: **(إذ هم أحياء)** أي حياة برزخية لا تزول ولا تحول، ولكن ليست كحياة الدنيا. قوله: **(أي كلهم)** أي المخلوقات من صعق ومن لم يصعق. قوله: **(بصيغة الفعل)** أي الماضي، فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة. قوله: **(واسم الفاعل)** أي فيقرأ بعد الهمزة وضم التاء وسكون الواو، وأصله آتون له، حذفت باللام للتخفيف والنون للإضافة، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(صاغرين)** أي أذلاء لهيبة الله تعالى، فيشمل الطائع والعاصي، وليس المراد ذل المعاصي، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي بها يكون إحياء الخلق، يأتي كل إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى.

قوله: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾** عطف على قوله: **﴿يُنْفَخُ﴾**. قوله: **(وقت النفخة)** أي الثانية، لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض، إنما يكون بعد النفخة الثانية، كما يشهد به قوله تعالى: **﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾** الآية، وقوله تعالى: **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾** الآية. قوله: **(لعظمها)** أي وذلك لأن الأجرام الكبار، إذا تحركت مرة واحدة، لا تكاد تبصر حركتها. قوله: **(المطر)** الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره، لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد، ولعل الباء سقطت من قلم المصنف، والأصل من السحاب بالمطر. قوله: **(حتى تقع)** أي الجبال على الأرض. قوله: **(مبسوسة)** أي مفتتة كالرمل السائل. قوله: **(كالعهن)** أي الصوف المنفوش. قوله: **(مؤكد لمضمون الجملة قبله)** أي لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك، إنما هو من صنع الله لا غيره.

قوله: **﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** أي وضعه في محله على أكمل حالاته. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي لا إله إلا الله)** إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل، لأن الكب في النار ليس بمطلق سيئة، بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان، وحينئذٍ فأل في الحسنة للعهد، أي الحسنة المعهودة وهي كلمة التوحيد، وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر.

أي لا إله إلا الله يوم القيامة﴿فَلَهُۥ خَيۡرٌ﴾ ثواب ﴿مِّنۡهَا﴾ أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى عشر أمثالها ﴿وَهُم﴾ أي الجاءون بها ﴿مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منوناًوفتح الميم ﴿ءَامِنُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتاً﴿هَلۡ﴾ أي ما﴿تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ من الشرك والمعاصي قل لهم ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ﴾ أي مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصطاد صيدها ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيۡءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ ﴿٩١﴾ لله بتوحيده ﴿وَأَنۡ

قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي وهو الخلود في الجنة. قوله: **(أي بسببها)** أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ للسببية، ويصح أن تكون للتعليل، أي من أجل مجيئه بها. قوله: **(وليس للتفضيل)** أي ليس خيراً فعل تفضيل، لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله، ويؤيد ما قاله المفسر، ما روي عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما من يكون له شيء من خير من الإيمان فلا، لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله. قوله: **(بالإضافة)** أي إضافة فزع لليوم. قوله: **(وكسر الميم)** أي للإعراب، وقوله: **(وفتحها)** أي فتحة بناء وهي قراءة ثانية في الإضافة، وقوله: **(فزع منوناً)** معطوف على قوله: **(بالإضافة)** فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات، فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو في الأخير.

قوله: ﴿آمِنُونَ﴾ أي لا يصيبهم منه شيء، والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم، فلا تنافي بين أثباته فيما تقدم ونفيه هنا. قوله: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي ألقوا عليها في النار. قوله: **(ويقال لهم)** أي وقت كبهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزنتها. قوله: **(أي ما)** ﴿تُجْزَوْنَ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(قل لهم)** ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ الخ، أمر ﷺ بأن يقول لهم ما ذكر، بعد بيان ما يحصل في المعاد، إشارة إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له، آمنوا أو كفروا، فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم، ورجوعهم عما يوجب نقصانهم.

قوله: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ صفة للرب ولا يعارضه قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة» لأن إسناد التحريم لله، باعتبار حكمه وقضائه، وإسناد التحريم لإبراهيم، باعتبار إخباره بذلك وإظهاره. قوله: **(ولا يختلى خلاها)** أي لا يقطع حشيشها الرطب. قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي أثبت على ما كنت عليه. قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرآنَ﴾ أي أواظب عليه لتكشف لي حقائقه ودقائقه، لأن علوم القرآن كثيرة، فبتكرار التلاوة ازداد علوماً ومعارف، وفي هذه الآية إشعار أن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدراً عند الله.

﴿أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ المخوفين فليس علي إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَى﴾ **(له)** أي للإيمان. قوله: ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا أنا من المنذرين**﴾ هو جواب الشرط، والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ. قوله: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ أي على ما أعطاني من النعم العظيمة التي أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم. قوله: ﴿**سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ**﴾ أي في الدنيا. قوله: **(وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم)** أي وجوه الذين قتلوا وأدبارهم. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى هو وعيد محض، وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ القَصَصِ

مكيّة

إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله (لا نبتغي الجاهلين)

وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ (٢) المظهر الحق من الباطل ﴿نَتْلُوا۟﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم

سورة القصص مكية

إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾
وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله، لأن القصص مصدر بمعنى الإخبار، وتسمى أيضاً سورة موسى. قوله: (**نزلت بالجحفة**) أي حين خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة، عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيراً له، بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع، ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر، وقيل المعاد الموت، وقيل الآخرة، وكل صحيح، وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية، لأنها لم تنزل قبل الهجرة، ولم تنزل بعد استقرارها، بل نزلت بالطريق. قوله: (**إلى قوله: لا نبتغي الجاهلين**) أي وهو أربع آيات. قوله: (**أي هذه الآيات**) أي آيات هذه السورة والإشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى.

قوله: ﴿**نَتْلُو عَلَيْكَ**﴾ مفعوله محذوف أي شيئاً، وقوله: ﴿**مِنْ نَبَإِ**﴾ صفة لذلك المحذوف، ويصح

خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣﴾ لأجلهم لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٤﴾ بالقتل وغيره ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥﴾ ملك فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور ولم

أن تكون ﴿مِنْ﴾ اسم بمعنى بعض هي المفعول، أو زائدة على مذهب الأخفش، و ﴿نَبَإِ﴾ هو المفعول. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال إما من فاعل ﴿نَتْلُو﴾ أو من مفعوله، والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق، أو كون الخبر ملتبساً بالصدق. قوله: **(لأجلهم)** أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل، أي إن المقصود بالذكر المؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بذلك، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾.

قوله: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ**﴾ كلام مستأنف بيان للنبأ. قوله: **(تعظم)** أي تكبر وافتخر. قوله: ﴿**وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً**﴾ أي أصنافاً، فجعل الصنائع الشريفة والإمارة للقبط، وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل، من بناء وحرث وحفر وغير ذلك، ومن لم يستعمله ضرب عليه جزية. قوله: ﴿**يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿**يَسْتَضْعِفُ**﴾ الخ، وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر، استطالوا على الناس وعملوا المعاصي، فسلط الله عليهم القبط، فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون، قيل إنه ذبح سبعين ألفاً، إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام. قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ أي الراسخين في الفساد. قوله: **(بالقتل وغيره)** أي كدعوى الألوهية. قوله: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ**﴾ أي نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه. قوله: **(يقتدى بهم)** أي بعد أن كانوا أذلاء مسخرين. قوله: ﴿**وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ أي نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاءون. قوله: ﴿**وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ**﴾ أي نبصره، و ﴿**فِرْعَوْنَ**﴾ وما عطف عليه مفعول أول، و ﴿**مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ مفعول ثان. قوله: **(وفي قراءة)** أي وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله: ﴿**مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾ وعلى هذه فتجب إمالة الراء إمالة محضة. قوله: **(ورفع الأسماء الثلاثة)** أي على الفاعلية. قوله: ﴿**مِنْهُمْ**﴾ أي المستضعفين. قوله: **(يخافون من الموت)** الخ، أي وقد حصل ما خافوه، حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام، وحين أدركهم الغرق. قوله: **(وحي إلهام أو منام)** هذان قولان للمفسرين، وقيل كان بملك تمثل لها، واعترض بأنها ليست بنبية، وأجيب: بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع، وأما بغيرها فجائز، كنزول الملك على البار بأمه التي تقدمت قصته في البقرة. قوله: ﴿**إِلَى أُمِّ مُوسَى**﴾ أي واسمها يوحانذ

يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر

بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة، وقيل: لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و ﴿أَلْقِيهِ﴾، ونهيين وهما ﴿لَا تَخَافِي﴾ و ﴿لَا تَحْزَنِي﴾، وخبرين وبشارتين وهما ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ و ﴿جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فهما خبران تضمنا بشارتين. قوله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ يصح أن تكون مفسرة أو مصدرية. قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي من الذبح. قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ **(غرقه)** دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه، فالمثبت هو خوف الذبح، والمنفي هو خوف الغرق. قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ أي لتأمني عليه، وهو علة للنهي عن الخوف والحزن. قوله: **(فوضعته في تابوت)** أي وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك، وجعلت المفتاح في التابوت. قوله: **(مطلي بالقار)** أي الزفت. قوله: **(ممهد)** أي مفرش له فيه، ففرشت فيه قطناً محلوجاً. قوله: **(وأغلقته)** أي وقيرت رأسه. وحاصله: أن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل، مصافية لأم موسى ومصاحبة لها، فلما ضربها الطلق، أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فليسعفني حبك إياي اليوم فعالجتها، فلما أن وقع موسى بالأرض، هالها نور بين عيني موسى، فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها، ثم قالت القابلة لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني، إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً، ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك، فلما خرجت القابلة من عندها، أبصرها بعض العيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مصافية لي، فدخلت علي زائرة. فخرجوا من عندها، فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ فقالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور، فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً فاحتملته، ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان، خافت على ابنها، وقذف الله في نفسها أن تتخذ تابوتاً، ثم تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أخبئه في التابوت، وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به، انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما همّ بالكلام، أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يدر الأمناء ما يقول، فأعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه. فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه، رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء، فأتاهم ليخبرهم، فأخذ لسانه وبصره، فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه، فبقي حيران، فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره، أن لا يدل عليه، وأن يكون معه ويحفظه حيثما كانوا، وعرف الله منه الصدق، فرد عليه لسانه وبصره، فخر لله ساجداً وقال: يا رب دلني

النيل ليلاً ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ فوضعوه بين يديه وفتح

على هذا العبد الصالح، فدل الله عليه، فآمن به وصدقه. وقيل: لما حملت أم موسى به، كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله تعالى، لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها، بعث فرعون القوابل إليهن، ففتشن النساء تفتيشاً، لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى. فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها، وكانت القوابل لا يتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها، ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ليلاً، وكان لفرعون يومئذ بنت، وكان بها برص شديد، وكان لفرعون يومئذ بنت، لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة، فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر، فيوجد فيه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا، في شهر كذا، حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم، غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل، وكانت معه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواريها، حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها، تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بشجرة ائتوني به، فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا هي بصبي صغير في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبناً، فألقى الله محبته في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت، عمدت إلى ما يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرئت في الحال بإذن الله تعالى، فقبلته وضمته إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك، إنّا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر خوفاً منك، فهمّ فرعون بقتله فقالت آسية: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي فنصيب منه خيراً ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، وكانت آسية لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ: لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها، فقيل لآسية سميه: فقالت: سميته موسى، لأنّا وجدناه في الماء والشجر، لأن مو هو الماء، وشا هو الشجر، فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة.

قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على ما قدره المفسر بقوله: **(فأرضعته)** الخ. قوله: **(صبيحة الليل)** أي وكان يوم الاثنين. قوله: **(وفتح)** أي فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا. قوله: **(في عاقبة الأمر)** أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة، لأن علة التقاطهم أن يكون حبيباً وابناً، ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف، يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن، على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين، فالترتب الثاني متعلق معنى اللام، فقدر استعارة الترتب الكلي المشبه به بالترتب الكلي المشبه، فسرى التشبيه لمعنى

وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٨﴾ من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ بعاقبة أمرهم معه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾ مما سواه ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر أي سكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب لولا دل عليه ما قبلها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ أنها أخته وأنها ترقبه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

اللام الذي هو الترتب مع الجزئي، فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي، والعداوة والحزن قرينة، أفاده الملوي. قوله: **(وفي قراءة)** الخ، أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(من حزنه)** هو من باب ضرب ونصر. قوله: **(فعوقبوا على يديه)** أي إنه تربى على أيديهم، فهو أبلغ في إذلالهم.

قوله: **﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾** أي وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل من بنات الأنبياء من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له: إنه أتى من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل. قوله: **(هو)** **﴿قُرَّةُ عَيْنٍ﴾** أشار المفسر إلى أنه خبر لمحذوف. قوله: **﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾** الخ، أي لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة. قوله: **(فأطاعوها)** أي على عادة أمراء مصر، من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه. قوله: **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** حال من آل فرعون.

قوله: **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾** يصح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنه ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً. قوله: **﴿فَارِغاً﴾** **(مما سواه)** أي من التفكير في غيره، لما ورد أنه أتاها الشيطان وقال: كرهت أن يقتل فرعون إبنك، فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت أنت قتله فأغرقته في البحر، فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها. قوله: **﴿لِتُبْدِي بِهِ﴾** ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء، ويصح أن يبقى على ظاهره، وتكون الباء زائدة أي تظهره.

قوله: **﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾** جوابها محذوف أي لأبدت به كما أشار له المفسر. قوله: **(بوعد الله)** أي المدلول عليه بقوله ﴿إنا رادوه إليك﴾ الخ. قوله: **﴿لأُخْتِهِ﴾** أي شقيقته. قوله: **(مريم)** هو أحد أقوال، وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم. قوله: **﴿عَنْ جُنُبٍ﴾** حال إما من الفاعل أو من الضمير المجرور

﴿ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل رده إلى أمه، أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾بالارضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم، فأجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا

بالياء، أي أبصرته مستخفية كائنة عن جنب وأبصرته بعيداً منها. قوله: **(اختلاساً)** أي اختفاء. قوله: **(وأنها ترقبه)** أي تنظره.

قوله: **﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾** أي على موسى. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** هو ظرف مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: **(أي منعناه)** أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع، لأن الصبي ليس من أهل التكليف. قوله: (**من المراضع المحضرة**) أي التي أحضرها فرعون. قوله: **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** أي مخلصون في العمل من شوائب الفساد. قوله: **(حنوهم عليه)** أي عطفهم وميلهم إليه. قوله: **(وغيره)** أي كالتربية وإصلاح الحال. قوله: **(فقبل ثديها)** أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، قيل إن هامان لما سمع قولها **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** قال إنها لتعرفه وأهله، فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت وهم له أي للملك ناصحون، فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله، فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالباً للرضاع، وهو يعلله شفقة عليه، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها: من أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وقال لها: أقيمي عندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، فإن رضيتم أرضعته في بيتي، وإلا فلا حاجة لي فيه، وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك، فرجعت إلى بيتها من يومها، ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر.

قوله: **﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾** أي تبرد وتسكن من ألم الفراق. قوله: **﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾** عطف على **﴿تَقَرَّ﴾** منصوب بأن مضمرة بعد **﴿كَيْ﴾**. قوله: **(فمكث عندها إلى أن فطمته)** أي وهو سنتان. قوله: **(وأخذتها لأنها مال حربي)** جواب عما يقال: كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها؟ قوله: **(أو ثلاث)** أو لتنويع الخلاف. قوله: **(أي بلغ أربعين سنة)** المناسب أن يقول أي كمل عقله وانتهى شبابه، لأن موسى أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين، فهي السبب فيه. قوله: **(كما جزيناه)** أي مثل ذلك الذي فعلناه بموسى وأمه، نجزي المحسنين على إحسانهم. قوله **(منف)** بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة، وهي من أعمال مصر، وقيل هي قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل هي مدينة عين الشمس، وقيل هي مصر. قوله: **(وقت القيلولة)** وقيل بين المغرب والعشاء، وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت،

يَعۡلَمُونَ ﴾ ⑬ بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ حكمة ﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ⑭ لأنفسهم ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلۡمَدِينَةَ ﴾ مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنه مدة ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا ﴾ وقت القيلولة ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أي إسرائيلي ﴿ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ ﴾ أي قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ فقال له موسى خلِّ سبيله فقيل إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوَّة والبطش ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾ أي قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي قتله ﴿ مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾ المهيج غضبي ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ ﴾ لابن

أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب مراكبه، ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً، فلما قدم قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيل في أرض منف، فدخلها ليس في طرقها أحد. قوله: ﴿وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي وكان طباخاً لفرعون واسمه فليثون، وأراد أن يسخر الإسرائيلي لحمل الحطب.

قوله: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾ أي طلب غوثه ونصره. قوله: (أن أحمله) أي الحطب. قوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي دفعه بجمع كفه، وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع. قوله: (بجمع كفه) أي بكفه مجموعة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. قوله: ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي أوقع عليه القضاء وهو الموت. قوله: (ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال: كيف تجرأ على قتل القبطي؟ وحاصل إيضاح الجواب: أن قتله كان خطأ، وقد يقال: قتله من باب دفع الصائل وهو واجب، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطي، وظهر له أن قتله خلاف الأولى، لما يترتب عليه من الفتن، والشيطان تفرحه الفتن.

قوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ الحق أن هذا تواضع منه، وحسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (بحق إنعامك) ﴿عَلَيَّ﴾ أشار بهذا إلى أن ما مصدرية، والكلام على حذف مضاف، وأشار بقوله: (اعصمني) إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ جواب شرط قدره بقوله: (إن عصمتني) وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكثير سواده. قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي﴾ إذا فجائية، و ﴿الَّذِي﴾ مبتدأ نعت لمحذوف أي فإذا الإسرائيلي الذي. و ﴿اسْتَنْصَرَهُ﴾ صلته، و ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ خبر المبتدإ. قوله: (على قبطي آخر) أي يريد أن يستخدمه، والاستصراخ الاستغاثة، وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث. قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ قال ابن عباس: إن القبط قالوا لفرعون: إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: اطلبوا قاتله ومن يشهد

آدم ﴿مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بيِّن الإضلال ﴿قَالَ﴾ نادماً ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبداً ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين بعد هذه إن عصمتني ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ بيِّن الغواية لما فعلته أمس واليوم ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبطش به لما قال له ﴿يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب أو

عليه، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر، فاستغاثه على الفرعوني، وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال للإسرائيلي: **﴿إنَّكَ لغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾**. قوله: **(لما فعلته أمس واليوم)** أي حيث قاتلت بالأمس رجلاً، فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.

قوله: **﴿فلَمَّا أنْ أرادَ أنْ يَبْطِشَ﴾** الخ، وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالقبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به هو، لما رأى من غضبه وسمع من قوله: **﴿إنَّكَ لغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾** فقال **﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ﴾** الخ. قوله: **﴿جَبَّاراً فِي الأَرْضِ﴾** الجبار هو الذي يقتل ويضرب ويتعاظم، ولا ينظر في العواقب. قوله: **﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾** أي بين الناس. قوله: **(هو مؤمن آل فرعون)** هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل، وقيل شمعون، وقيل سمعان، وهو الذي ذكر في قوله تعالى **﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾**. قوله: **﴿يَسْعَى﴾** صفة لرجل أو حال منه، لوجود المخصص قبله. قوله: **(يتشاورون فيك)** أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. قوله: **(أو غوث الله إياه)** أو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾** الخ، أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم، قوله: **﴿ولَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾** أي بإلهام من الله، لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها، وأن بينه وبين أهل مدين قرابة، لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك. قوله: **(ابن ابراهيم)** أي الخليل عليه السلام، وله ولد آخر اسمه مداين، فأولاده أربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين، وإنما لم يصرح في القرآن بمدين ومداين، لأنهما لم يكونا نبيين. قوله: **(ولم يكن يعرف طريقها)** وخرج بلا زاد ولا رفيق، ولم يكن له طعام إلا ورق

غوث الله إياه ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ قوم فرعون ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴾ قصد بوجهه ﴿ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ جهتها، وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدين بن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ﴿٢٢﴾ أي قصد الطريق، أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله له ملكاً بيده عنزة فانطلق به إليها ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما لا تسقيان ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ جمع راع أي يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فنسقي، وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ لا يقدر أن يسقي ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربها رفع حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طعام ﴿ فَقِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ محتاج فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، قال تعالى

الشجر ونبات الأرض، حتى ريئت خضرته في باطنه من خارج، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه، وهو أول ابتلاء من الله لموسى.

قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف، أي السبيل السوي. قوله: **(أي الطريق الوسط)** أي وكان لها ثلاث طرق، فأخذ موسى يمشي في الوسطى، وجاء الطلاب في أثره، فساروا في الأخريين ولم يعرفوا محله. قوله: **(ملكاً)** أي وكان راكباً على فرس قيل هو جبريل. قوله: **(بيده عنزة)** هي فوق العصا دون الرمح، في طرفها حربة كحربة الرمح. قوله: **(بئر فيها)** أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المحل، فأطلق الماء وأريد البئر. قوله: **(أي وصل إليها)** أشار بذلك إلى أن المراد بالورود هنا الوصول، لأن الورود يطلق على الدخول في الشيء، وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه، ومنه قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ على مشهور التفاسير. قوله: **(جماعة)** أي كثيرة. قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ الجملة حال من فاعل ﴿وَجَدَ﴾، لأنها بمعنى لقي، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: **(مواشيهم)** هو معمول ﴿يَسْقُونَ﴾ وقد حذف في هذه الآية معمول ﴿يَسْقُونَ﴾ و ﴿تَذُودَانِ﴾ و ﴿لَا نَسْقِي﴾ لأن المقصود الفعل لا المفعول. قوله: **(جمع راع)** أي على غير قياس، وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي فهذا وجه مباشرتنا للسقي بأنفسنا، قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل. ـ تتمة ـ عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة، ذكره الشيخ زروق، وفي رواية وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وفي رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اهـ ملخصاً من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهوري. قوله: **(لا يقدر أن يسقي)** أي فيرسلنا اضطراراً. قوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما. قوله: **(إلا عشرة أنفس)** وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة. قوله: **(لسمرة)** بضم الميم، وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح، وهي التي أمر ﷺ ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها. قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ إن

﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴾ أي واضعة كمَّ درعها على وجهها حياء منه ﴿ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ ﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت، إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعشَّ، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي، وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا ﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أي بدلنا ﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ ﴿٢٦﴾ أي استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنها فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ﴾ تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿ ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ أي سنين ﴿ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا ﴾ أي رعي عشر سنين ﴿ فَمِنۡ عِندِكَۖ ﴾ التمام ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ

حرف توكيد والياء اسمها، و ﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾ متعلق بفقير وهو خبر إن، و ﴿أَنْزَلْتَ﴾ بمعنى تنزل، والمعنى إني فقير ومحتاج لما تنزله إلي من أي شيء، كان قليلاً أو كثيراً. قوله: **(ادعيه لي)** أي اطلبيه ليحضر عندي. قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ﴾ الخ، عطف على ما قدره المفسر بقوله: **(فرجعتا)** الخ. قوله: ﴿تَمْشِي﴾ حال من فاعل جاء، وقوله: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ حال من الضمير في ﴿تَمْشِي﴾، والاستحياء هو الحياء بالمد، وهو حالة تعتري الشخص، تحمله على تجنب الرذائل. قوله: **(كمّ درعها)** أي قميصها. قوله: **(منكراً في نفسه أخذ الأجرة)** أي فلم يكن قصده بالإجابة أخذ الأجرة، بل للتبرك بأبيها. قوله: **(وهو شعيب)** هذا هو الصحيح، وقيل هو يثرون ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات، وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب، وشعيب هو ابن متبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. قوله: **(وهي المرسلة)** أي وهي التي تزوجها موسى عليه السلام.

قوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ﴾ تعليل للأمر بالاستئجار. قوله: **(فسألها عنها)** أي بأن قال لها: وما أعلمك قوته وأمانته. قوله: (وزيادة) أي على ما ذكرته من القوة والأمانة، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة. قوله: (صوب رأسه) أي خفضه. قوله: **(فرغب في إنكاحه)** أي رغب شعيب في إنكاحه ابنته. قوله: ﴿هَاتَيْنِ﴾ استفيد منه أنه كان له غيرهما، قيل كان له سبع بنات. قوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ حال من الفاعل أو المفعول، ومفعول ﴿تَأْجُرَنِي﴾ محذوف، والمعنى تأجرني نفسك، وقوله: ﴿ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ ظرف له. قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ **(التمام)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ خبر

﴿أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ للتبرك ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ الوافين بالعهد ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٨﴾ حفيظ أو شهيد، فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بعلم شعيب ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿آنَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾

لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلاً، لا إلزاماً. قوله: **(للتبرك)** أي فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليق، لأن صلاحه محقق. قوله: **﴿ذَٰلِكَ﴾** اسم الإشارة مبتدأ، و **﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾** خبره، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه، ثابت بيننا جميعاً، لا يخرج عنه واحد منا، ويصح أن يكون ذلك مفعول لمحذوف أي قبلت ذلك، وقوله: **﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾** الخ، حال من اسم الإشارة، والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائناً بيني وبينك، لم يكن علينا شهيد إلا الله.

قوله: **﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾** أي شرطية، وجوابها فلا عدوان علي، وما زائدة كما قال المفسر. قوله: **(الثمان أو العشر)** بالنصب تفسير لأي. قوله: **(فتم العقد)** أي عقد النكاح والإجارة. إن قلت: إن الذي وقع من شعيب وعد، والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام، وأيضاً لم يبين المنكوحة، وأيضاً الصداق ليست ثمرته عائدة عليها. وأجيب بجوابين: الأول أن هذا كان في شرعه جائز. الثاني أنه يمكن تنزيله على شرعنا، بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة، وقد وقع من موسى القبول بقوله: **﴿ذَٰلِكَ﴾** وبأنه يمكن أنه بيّن المنكوحة بإشارة مثلاً، وأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكاً لها، فثمرة الرعي عائدة عليها. قوله: **(فوقع في يدها عصا آدم)** قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرات، فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده، فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال ألقياها، فمن رفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، فرفعها موسى عليه السلام فكانت له. قوله: **(من آس الجنة)** أي وتوارثها الأنبياء بعد آدم، فصارت منه إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، حتى وصلت لشعيب، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته. قوله: **(وهو المظنون به)** أي وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته، فالمعول عليه أنه وفى العشر. قوله: **﴿بِأَهْلِهِ﴾** أي زوجته وولده وخادمه. قوله: **(نحو مصر)** أي لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه. ورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم، فطلبت من أبيها ذلك فقال: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها، من كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم، ففعل ذلك، فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه إلى موسى وابنته، فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام.

عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطىء بإعادة الجار لنباتها فيه، وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَن﴾ مفسرة لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ

قوله: ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي الأيمن بدليل ما يأتي. قوله: (عن الطريق) أي لنستدل عليها. قوله: (بتثليث الجيم) أي وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور، والضم قراءة حمزة، والفتح قراءة عاصم. قوله: (قطعة وشعلة) أي عود غليظ كأن في رأسه ناراً أو لا، قيل وهو ما رأسه نار، فقوله: ﴿مِنَ النَّارِ﴾ وصف مخصص على الأول وكاشف على الثاني. قوله: (والطاء بدل من تاء الافتعال) أي فأصله تصتلون، وقعت التاء بعد أحد حروف الإطباق فقلبت طاء. قوله: (بكسر اللام) أي من باب رضي، وقوله: (وفتحها) أي من باب رمى.

قوله: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِي﴾ الخ، قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة في الشجرة الخضراء، علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله، فلما نودي علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء. قوله: ﴿الأَيْمَنِ﴾ صفة للشاطىء أو للوادي، من اليمن وهو البركة، أو اليمين مقابل اليسار، والمعنى الشاطىء الذي يلي يمين موسى. قوله: ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ متعلق بنودي. قوله: ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ (لموسى) أي لأنه في ذلك المحل حصلت له البركة التامة، فتلك الليلة أسعد لياليه، كليلة الإسراء لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ حال من الضمير في نودي، والتقدير نودي موسى، والحال أنه كائن في وجهة الشجرة، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط، بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه، بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته، كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته تعالى، بلا كيف ولا انحصار. قوله: (بدل) أي بدل اشتمال. قوله: (أو عوسج) أي شوك. قوله: (مفسرة) أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: (لا مخففة) أي لعدم إفادتها المعنى المقصود.

قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هكذا قال هنا، وفي سورة طه: ﴿إني أنا ربك﴾. وقال في النمل: ﴿نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ ولا تنافي بل الكل قال الله له. قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾. قوله: (من سرعة حركتها) أي فهو وجه شبهها بالجان، وقوله في الآية الأخرى ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي في عظم الجثة، فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم، وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة. قوله: ﴿وَلَّى مُدْبِراً﴾ أي باعتبار الطبع البشري حين رآها بهذه الصفة، ورد أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها، حتى إن موسى سمع صرير أسنانها، وقعقعة الشجر والصخر في جوفها، فحينئذ ولى مدبراً. قوله: (من الأدمة) أي الحمرة. قوله: (تغشى البصر) أي تغطيه.

﴿مُدْبِرًا﴾ هارباً منها﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي يرجع فنودي ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر﴿فَذَٰنِكَ﴾ بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿٣٣﴾ به ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أبين ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾معيناً وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع، وجملته صفة ردءاً ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ غلبة﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء اذهبا ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ هم

قوله: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ جعل الجناح هنا مضموماً، وفي آية طه مضموماً إليه حيث قال: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه اليد اليسرى، وكل من اليدين جناح. قوله: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ متعلق باضمم. قوله: **(بفتح الحرفين)** الخ، أي فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(بأن تدخلها)** أي تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك، فتعود لحالتها الأولى، فيزول عنك الخوف والفزع الذي حصل لك. قوله: **(كالجناح للطائر)** أي لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد، والمخفف تثنية ذاك، فالتشديد عوض عن اللام في المفرد. قوله: **(وإنما ذكر المشار به)** الخ، جواب عما يقال: إن العصا واليد مؤنثتان، فكان اللائق الإشارة إليهما بتان، فأجاب بأنه روعي الخبر قوله: **(مرسلان)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿بُرْهَانان﴾. قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ أي جماعته. قوله: ﴿لِسَاناً﴾ أي كلاماً. قوله: **(ردءاً)** حال من ضمير أرسله. قوله: **(بفتح الدال)** أي مع التنوين وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ أي يقويني في الصدق عند الخصم، بتوضيح الحجج والبراهين. قوله: **(جواب الدعاء)** أي الذي هو قوله: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِي﴾ لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء. قوله: ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي بسبب العقدة التي كانت في فيه، بسبب الجمرة التي وضعها وهو صغير في فيه. قوله: **(نقويك)** أي فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة المسبب، لأن شد العضد يستلزم شد اليد، وشد اليد مستلزم للقوة. قوله: **(بسوء)** متعلق بيصلون، وقوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلق بمحذوف قدره بقوله: **(اذهبا)** بدليل الآية الأخرى ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وجمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضراً

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات حال ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كائناً ﴿فِيٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَن﴾ عطف على من قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي هو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبخ لي الآجر ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في ادعائه

مجلس المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر، لأن الله أرسل جبريل إلى هارون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المراد بها العصا واليد، وجمعها لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة، وتقدم ذلك في سورة طه. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله: **(مختلق)** أي مخترع من قبل نفسه. قوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا﴾ الخ، هذا محض عناد وكذب، إذ هم يعرفون أن قبله الرسل، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم. قوله: **(بواو وبدونها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو يكون تابعاً لما قبله، وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً في جواب سؤال. قوله: **(أي عالم)** أشار بذلك إلى أنه لا مفاضلة في أوصاف الله تعالى، لأن التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه، فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها، ولا مع صفات خلقه. قوله: **(عطف على من قبلها)** أي فهي في محل جر، والعلم مسلط عليها. قوله: **(بالفوقانية والتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فله خبر ﴿تَكُونُ﴾ مقدم، و ﴿عَاقِبَةُ﴾ اسمها مؤخر على كلا الوجهين، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل، ولأنه مجازي التأنيث. قوله: **(أي العاقبة المحمودة)** الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالدار، الدار الآخرة، وأن الإضافة على معنى في، ويصح أن المراد بالدار دار الدنيا، والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة، إذ العاقبة قسمان: مذمومة ومحمودة، فالجنة عاقبة محمودة، والنار عاقبة مذمومة. قوله: **(وهو أنا في الشقين)** تفسير للموصول كأنه قال: إن لم تشهدوا لي بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لي، فالله عالم بأني جئت بالهدى، وبأن العاقبة المحمودة لي. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تعليل لقوله: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ الخ.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ الخ، أي بعد أن شاهد إيمان السحرة وما وقع منهم. قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي﴾ أي ليس لي علم بوجود إله غيري، وليس مراده بإلهية نفسه، كونه خالقاً للسماوات والأرض وما فيهما، إذ لا يشك عاقل في أن الله هو الخالق لكل شيء، وكان اعتقاده أن العالم العلوي أثر في العالم السفلي، فلا حاجة للصانع. قوله: ﴿عَلَى الطِّينِ﴾ أي بعد اتخاذه لبناً، وقيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به، وهو الذي علم صنعته لهامان، ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع والأجراء، فطبخ الآجر والجبس، ونشر الخشب، وسبك المسامير، فبنوه ورفعوه، حتى ارتفع ارتفاعاً، لم يبلغه بناء أحد من الخلق، فلما فرغوا،

إلهاً آخر وأنه رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ حين صاروا إلى الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزياً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ المبعدين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد

ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فضربها نحو السماء، فردت إليه وهي ملطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبق أحد عمل في الصرح عملاً إلا هلك. قوله: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ﴾ كأنه من قبحه توهم أن إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه. قوله: **(وأنه رسوله)** أي أن موسى رسول الإله.

قوله: **﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾** أي تكبر. قوله: **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** أي أرض مصر. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾** أي عقب تكبره وعناده. قوله: **﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾** الخطاب لرسول الله ﷺ ليخبر به المشركين، فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم. قوله: **(وإبدال الثانية ياء)** أي فيهما قراءتان سبعيتان، لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية. قوله: **(بدعائهم إلى الشرك)** أي المؤدي للنار. قوله: **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾** أي المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة، كزرقة العيون وسواد الوجه.

قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾** إخبار من الله لقريش بامتنانه على بني إسرائيل، حين أهلك الأمم الماضية، لما عاندوا وكذبوا رسلهم، وساروا في زمن فترة بإنزال التوراة ليتعبدوا بها، والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية، والمعنى كما أنزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل، أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به. قوله: **(وعاد وثمود)** عطف على **(قوم نوح)** ولم ينونه لأنه علم على القبيلة، وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. قوله: **(وغيرهم)** أي كفرعون. قوله: **(حال من الكتاب)** أي إما على حذف مضاف أي ذا بصائر، أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل، وكذا يقال في قوله: **﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾**. قوله: **(أي أنواراً للقلوب)** أي تبصر به القلوب، كما أن إنسان العين تبصر به العين. قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** أي فالعاقل إذا علم أن كتاب الله، من

﴿ بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمماً بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ يتعظون ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾

أوصافه أنه منور للقلوب، وهاد من الضلالة، ورحمة لمن صدق به، بـادر إلى امتثال أوامـره واجتناب نواهيه، ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ الخ، المقصود من ذلك إقامة الحجة على من كذبه ﷺ، يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم؟ والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضراً ذلك ولا مشاهداً له. . قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إن قلت: إن هذا معلوم نفيه من قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ فما ثمرة ذكره عقبه؟ أجيب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك، ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه. قوله: (بعد موسى) أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا الكفل. كائنون بعد موسى. قوله: (واندرست العلوم) أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحي. قوله: (وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ ثَاوِياً﴾ إن قلت: إن قصة مدين متقدمة على قصـة الإرسال، فكـان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها. أجيب: بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب، إشارة إلى أن أي واحدة تكفي في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه. قوله: (مقيماً) أي إقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم. قوله: ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ متعلق بثاوياً. قوله: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ﴾ أي أنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم، ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي، إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور، إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة، وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحجـة على الخصم، وأما بالنظر للعالم الروحاني، فهو حاضر رسالة كل رسول، وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف، ولكن لا يخاطب به أهل العناد قوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستمائة سنة.

عقوبة﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾المرسل بها﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلنا إليهم رسولاً ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ محمد ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ حيث ﴿ قَالُوا ﴾ فيه وفي محمد ﴿سِحْرَانِ﴾ وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة ﴿تَظَٰهَرَا﴾ تعاونا ﴿ وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ ﴾ من النبيين والكتابين ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾ من الكتابين﴿ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ في قولكم ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾ الخ، ﴿لَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود، و﴿أَنْ﴾ وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً تقديره موجود كما قال المفسر. قوله: ﴿فَيَقُولُوا﴾ عطف على ﴿تُصِيبَهُمْ﴾ والفاء للسببية. قوله: (وجواب لولا) أي الأولى، وأما الثانية فهي تحضيضية. قوله: (أو لولا قولهم) الخ، أي فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب، وهو عدم الإرسال بثبوت ضده وهو الإرسال، لوجود السبب والمسبب معاً. والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشىء عن السبب فتدبر. قوله: (لما أرسلناك إليهم رسولاً) أي فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول، فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك، لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾ الخ، إن قلت: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور، والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات، لم يصابوا ولم يقولوا. أجيب: بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم، واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير، لما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى:﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾الآية. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي تعنتاً. قوله: (أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل ظهورك.

قوله: ﴿سَاحِرَانِ﴾ خبر لمحذوف أي هما. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (تعاونا) أي بتصديق كل منهما الآخر، وذلك أن كفار مكة، بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم، فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر. قوله: (والكتابين) الواو بمعنى أو. قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ الخ، أي إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين، فائتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق، فإن أتيتم به اتبعته، وهذا تنزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أي لم يفعلوا ما أمرتهم به. قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي

مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الكافرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ أيضاً نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ موحدين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ يتصدقون ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام

ليس لهم مستند إلا اتباع هواهم الفاسد. قوله: **(لا أضل منه)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾** العامة على تشديد الصاد، وهو مأخوذ إما من وصل الشيء بالشيء، بمعنى جعله تابعاً له، لأن القرآن تابع بعضه بعضاً، قال تعالى: **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾** أو من وصل الحبل جعله أوصالاً أي أنواعاً، لأن القرآن أنواع، كالوعد والوعيد، والقصص والعبر والمواعظ.

قوله: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾** الاسم الموصول مبتدأ، و **﴿آتَيْنَاهُمْ﴾** صلته، وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون، و **﴿يُؤْمِنُونَ﴾** خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: **(أيضاً)** أي كما آمنوا بكتابهم. قوله: **(نزلت في جماعة أسلموا من اليهود)** الخ، قال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وقيل إنها نزلت في أربعين رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي ﷺ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا: يا رسول الله إن لنا أموالاً، فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين، فأذن لهم فانصرفوا، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾** أي فإسلامنا ليس بمتجدد، بل هو موافق لما عندنا، لأن في كتبهم صفة النبي ونعته، فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله ﷺ، فنظروا في صفاته وأحواله، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم، أظهروا ما كان عندهم من الإسلام. قوله: **(بصبرهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، وقوله: **(على العمل بهما)** أي أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم.

قوله: **﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾** أي يدفعون الكلام القبيح، كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة، أي الكلمة الطيبة الجميلة، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة. قوله: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾** الخ، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبّاً لكم، أعرضتم عن دينكم وتركتموه، فيعرضون عنهم ويقولون **﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾** قوله:

متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ لا نصحبهم. ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ هدايته ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي ننتزع منها بسرعة قال تعالى﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل أوب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي عندنا﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ أن ما

(سلام متاركة) أي إعراض وفراق لا سلام تحية. قوله: (لا نصحبهم) الأوضح أن يقول: لا نطلب صحبتهم. قوله: (ونزل في حرصه) الخ، وذلك أنه لما احتضرته الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي، قد علمت أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ: عبد المطلب وهاشم وبني عبد مناف ثم مات، فأتى علي ابنه للنبي ﷺ وقال له: عمك الضال قد مات، فقال له: اذهب فواره» وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح، وقيل: إنه أحيي وأسلم ثم مات، ونقل هذا القول عن بعض الصوفية. قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي لا تقدر على هدايته. إن قلت: إن بين هذه الآية وآية ﴿إنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾ تناف. أجيب: بأن المنفي هنا خلق الاهتداء، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم. قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي فسلم أمرك لله، فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولا يبالي بأحد. قوله: (أي قومه) أي وهم بعض أهل مكة، كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، فإنه أتى النبي ﷺ فقال له: إنا نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب، أن يتخطفونا من أرضنا. قوله: ﴿الْهُدَى﴾ أي وهو دين الإسلام.

قوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾ أي نجعل مكانهم حرماً ذا أمن، وعدي بنفسه لأنه بمعنى جعل، يدل عليه الآية الأخرى وهي: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾. قوله: (يأمنون فيه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً. قوله: ﴿تُجْبَى﴾ أي تحمل وتساق. قوله: (بالفوقانية والتحتانية) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مجاز عن الكثرة كقوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ قال بعض العارفين: من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى إليه، فهو من خيار الخلق، لقوله في الآية: ﴿تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. قوله: (من كل أوب) أي ناحية وطريق وجهة. قوله: ﴿رِزْقاً﴾ إما بمعنى مرزوقاً، فيكون منصوباً على الحال من ثمرات، أو باق على مصدريته، فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمعنى يجبى، أي نرزقهم رزقاً. قوله: (أن ما نقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوف.

نقوله حق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي عيشها وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارَّة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أي أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتكذيب الرسل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ رد بذلك على الكفار، وبيَّن لهم أن العبارة بالعكس، وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان، وأنهم ما داموا مصرين على كفرهم، يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم. قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي كفرت نعمة ربها في زمن معيشتها أي حياتها. قوله: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ أي خربة بسبب ظلمهم، والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود، فإن السفار تمر على تلك المساكن، وتنزل بها في بعض الأوقات. قوله: **(للمارة يوماً أو بعضه)** أي لأن المار في الطريق، إذا نزل للاستراحة، إنما يستمر في الغالب يوماً أو بعضه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ الخ، بيان للحكمة الإلهية التي سبقت بها مشيئته تعالى، والمعنى ما ثبت في حكمه أن يهلك قرية قبل الإنذار. قوله: **(أي أعظمها)** أي وهي المدن بالنسبة لما حواليها، فجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن، لأنهم أعقل وأفطن، ويتبعهم غيرهم، ولما كان النبي ﷺ مبعوثاً لجميع الخلق، كانت بلده أفضل البلاد على الإطلاق، وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي لقطع الحجج والمعاذير. قوله: ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: ما كنا نهلكهم في حال من الأحوال، إلا في حال كونهم ظالمين. قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الخ ﴿مَا﴾ اسم موصول مبتدأ، و﴿أُوتِيتُمْ﴾ صلته، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خبره، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم، ويصح أن تكون ﴿مَا﴾ شرطية، وقوله: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط. قوله: **(ثم يفنى)** أي يذهب بفنائكم، فجميع ما في الدنيا عرض زائل، يذهب بذهاب أهله، ولا يبقى إلا جزاؤه، فحلال الدنيا حساب، وحرامها عقاب. قوله: **(وهو ثوابه)** أي ثواب الأعمال التي قصد بها وجه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي دائم بدوام الله. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركتم التدبر في أحوالكم فلا تعقلون، فمن آثر الفاني على الباقي، فلا عقل عنده، لما في الحديث: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»، ولله در الشافعي حيث قال:

إن لِلَّهِ عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

﴿حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مصيبه وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ النار، الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي لا تساوي بينهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هم شركائي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ هم مبتدأ وصفة ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ خبره فغووا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرههم على الغي ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأساً والخروج عنها بالمرة، بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه، وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه، لتكون مزرعة لآخرته، لما في الحديث: «نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح» فالمضر شغل القلب والنية السوء. قوله: **(بالتاء والياء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أن الباقي خير من الفاني)** قدره إشارة إلى أن مفعول يفعلون محذوف، وآستفيد منه أن عقل الناس المشتغلون بطاعة الله، الذين اختاروا الباقي على الفاني، ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من أوصى بثلث ماله لأعقلُ الناس، صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى. قوله: **﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾** الخ، من مبتدأ، وجملة **﴿وَعَدْنَاهُ﴾** صلتها، وقوله كمن وعدناه الخ، خبر المبتدأ، والمعنى أيستوي من وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه، بمن انهمك في طلب الفاني، حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب، فهو نظير قوله تعالى: **﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾**. قوله: **(مصيبة)** أي مدركه لا محالة، لأن وعده لا يتخلف. قوله: **﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي المشوب بالأكدار. قوله: **(الأول)** أي وهو من **﴿وَعَدْنَاهُ﴾** والثاني وهومن **﴿مَتَّعْنَاهُ﴾**. قوله: **(أي لا تساوي بينهما)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾** أي المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب، أو النداء من الله لهم والمنفي في آية **﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾** كلام الرضا والرحمة، فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب وسخط. قوله: **﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾** تفسير للنداء. قوله: **﴿تَزْعُمُونَهُمْ﴾ (شركائي)** أشار بذلك إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان. قوله: **﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾** كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا؟ وجواب هذا السؤال: أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع فقال الأتباع: إنهم أضلونا، وقال الرؤساء **﴿رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ﴾** الخ، فهو بمعنى قوله تعالى: **﴿وبرزوا لله جميعاً﴾** الخ، وبمعنى **﴿وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ﴾** الخ. قوله: **﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾** أي ثبت وتحقق وهو قوله **﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾**. قوله: **(وهم رؤساء الضلال)** أي الذين أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم عنه.

قوله: **﴿رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾** الخ، اسم الإشارة مبتدأ، والموصول نعته، و **﴿أَغْوَيْنَا﴾** صلته، والعائد محذوف قدره المفسر، و **﴿أَغْوَيْنَاهُم﴾** خبره، وصح الإخبار به لتقييده بقوله: **﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾** ففيه زيادة فائدة على الصلة، والمعنى تسببنا لهم في الغي، فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل

﴿ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ أي الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾ دعاءهم ﴿ وَرَأَوُا۟ ﴾ هم ﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ أبصروه ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ إليكم ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ عنه فيسكتون ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أدّى الفرائض ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ الناجين بوعد الله ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ما يشاء ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ﴾ للمشركين ﴿ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الاختيار في شيء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ عن إشراكهم

عليهم من الكتب التي فيها المواعظ والأوامر والنواهي، فلم نخيرهم عن أنفسنا، بل اخترنا لهم ما اخترناه لأنفسنا، فاتبعونا بهواهم. قوله: ﴿**تبرأنا إليك**﴾ **(منهم)** هذا تقرير لما قبله. قوله: **(وقدم المفعول)** أي وهو قوله: ﴿**إيانا**﴾. قوله: ﴿**وقيل ادعوا شركاءكم**﴾ أي استغيثوا بآلهتكم متى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم، وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم. قوله: ﴿**ورأوا العذاب**﴾ أي نازلاً بهم. قوله: **(ما رأوه)** هو جواب ﴿**لو**﴾.

قوله: ﴿**ويوم يناديهم**﴾ معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يسألون عن إشراكهم وجوابهم للرسل. قوله: ﴿**فعميت عليهم الأنباء**﴾ أي خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب، والأصل فعموا عن الأنباء، أي ضلوا وتحيروا في ذلك، فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم. قوله: ﴿**فهم لا يتساءلون**﴾ **(عنه)** أي عن الخبر المنجي لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ. قوله: ﴿**فأما من تاب**﴾ الخ، أي رجع عن كفره في حال الحياة. قوله: ﴿**فعسى أن يكون من المفلحين**﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم، ومن شأنه لا يخلف وعده.

قوله: ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله ﷺ وقال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فنزلت هذه الآية رداً عليه، واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة، فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته، وقيل يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء لنبوته، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار الأنصار لدينه، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار ما يشاء أصحابه وأمته لما روي: «إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون» اهـ، فقد اختار محمداً على سائر المخلوقات، واختار أمته على سائر الأمم، فكما هو أفضل الخلق على الإطلاق، أمته أفضل الأمم على الإطلاق.

قوله: ﴿**ما كان لهم الخيرة**﴾ بالتحريك والإسكان معناهما واحد وهو الاختيار، و﴿**ما**﴾ نافية،

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ بألسنتهم من ذلك ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ ﴾ الدنيا ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الجنة ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القضاء

و ﴿كَانَ﴾ فعل ناقص، والجار والمجرور خبرها مقدم، و ﴿الْخِيَرَةُ﴾ اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة، فالوقف على يختار، والمعنى ليس للخلق جميعاً الاختيار في شيء، لا ظاهراً ولا باطناً، بل الخيرة لله تعالى في أفعاله، لما في الحديث القدسي: «يا عبدي أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لي ما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد» وإنما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول، ويصح أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، وما بعدها مؤول بمصدر، والمعنى يختار اختيارهم فيه، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف، والتقدير ويختار الذي لهم فيه الاختيار، وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار، والأول أظهر، فالواجب على الإنسان، أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء أبداً، وإنما يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها.

قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي تنزيهاً له عما لا يليق به. قوله: (من الكفر وغيره) أي كالإيمان، فيجازي الكافر بالخلود في الجنة. قوله: ﴿لَهُ الْحَمْد فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ أي هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة، لأنه لا معطي للنعم فيهما، إلا هو سبحانه تعالى، فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، كما حمدوه في الدنيا، لكن الحمد لله في الدنيا مكلفون به، وأما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت. قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة، حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ الآية، وفي الثانية﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾الآية، ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، قال: ويسمي حاجته». وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس إذا هممت بأمر، فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمله، فإن الخير فيه» انتهى، فإن لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ﴿قل يا أيها الكافرون﴾والإخلاص، فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ: اللهم خر لي، واختر لي، كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما. واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح، وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس وارداً عن النبي ﷺ، ولذا كرهه العلماء وقالوا: إنه نوع من الطيرة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ﴾ الخ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، و ﴿جَعَلَ﴾ تنازعا في الليل، أعمل الثاني

النافذ في كل شيء ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٧٠) بالنشور ﴿ قُلْ ﴾ لأهل مكة ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أي أخبروني ﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ دائماً ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ بزعمكم ﴿ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (٧١) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ بزعمكم ﴿ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ ﴾ تستريحون ﴿ فِيهِ ﴾ من التعب ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٧٢) ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ ﴾ تعالى ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِ ﴾ في النهار بالكسب ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣) النعمة فيهما ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٧٤) ذكر ثانياً ليبنى عليه ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ أخرجنا ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿ فَقُلْنَا ﴾ لهم ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ ﴾ في الإلهية ﴿ لِلَّهِ ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿ وَضَلَّ ﴾ غاب ﴿ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٧٥) في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ

وأضمر في الأول وحذف، وهو مفعوله الأول، ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده، و﴿**إِنْ**﴾ حرف شرط، و﴿**جَعَلَ**﴾ فعل الشرط، و﴿**اللَّهُ**﴾ فاعله، و﴿**اللَّيْلَ**﴾ مفعول أول، و﴿**سَرْمَداً**﴾ مفعول ثان، وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون، وتقدم الكلام على نظيرتها في الأنعام. قوله: ﴿**سَرْمَداً**﴾ من السرد وهو المتابعة والاطراد. قوله: (**دائماً**) أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض. قوله: ﴿**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ متعلق بجعل. قوله: ﴿**مِنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ**﴾ (**بزعمكم**) دفع بذلك ما يقال: إن المقام لهل لأنها لطلب التصديق، لا من التي لطلب التعيين، لأنه يوهم وجود آلهة غيره تعالى، فأجاب: بأنه مجاراة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه. قوله: (**سماع تفهم**) أي تدبر واعتبار، لأن مجرد الإبصار لا يفيد. قوله: ﴿**إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً**﴾ أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء.

قوله: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ أي تفضله وإحسانه. قوله: ﴿**جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ**﴾ الخ، أي لأن المرء في الدنيا، لا بد وأن يحصل له التعب، ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه، فجعل الله له محل تكسب وهو النهار، ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل. قوله: ﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾ استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد: الكاسب حبيب الله. قوله: (**ذكر ثانياً ليبنى عليه**) ﴿**وَنَزَعْنَا**﴾ الخ، أي وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم، لا شيء أجلب منه لغضب الله، كما أن التوحيد عظيم، لا شيء أجلب منه لرضا الله. قوله: (**يشهد عليهم بما قالوا**) أي وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب. قوله: ﴿**أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ**﴾ أي التوحيد لله خاصة لا لغيره. قوله: (**من أن معه شريكاً**) بيان لما.

قوله: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى**﴾ هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُو۟لِى﴾ أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي تثقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل سبعون وقيل أربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك، اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بذلك ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

قوله: (ابن عمه) أي واسم ذلك العم يصهر، بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة، ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة، ويصهر أبو قارون، وعمران أبو موسى أخوان، ولدا قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل إن قارون عم موسى. قوله: (وآمن به) أي وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة، فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته، وهارون على إمامته. قوله: (بالكبر) أي احتقار ما سواه، ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة، وكان يسمى المنور لحسن صورته.

قوله: ﴿مِنَ الْكُنُوزِ﴾ سميت كنوزاً لما قيل إنه وجد كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل لامتناعه من أداء الزكاة. قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ الخ، ﴿مَا﴾ اسم موصول صفة لموصوف محذوف، و ﴿إِنَّ﴾ حرف توكيد ونصب، و ﴿مَفَاتِحَهُ﴾ اسمها، وجملة ﴿لَتَنُوءُ﴾ خبرها، والجملة صلة الموصول، والتقدير وآتيناه من الكنوز الشيء الذي مفاتحه تثقل العصبة أولي القوة، وكانت مفاتحه أولاً من حديد، فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر، وقيل من جلود الإبل، كل مفتاح على قدر الأصبع، وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلاً. قوله: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ الباء للتعدية، والمعنى لتثقل المفاتح العصبة. قوله: (فرح بطر) أي لأنه هو المذموم، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة، كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به. قوله: (بأن تنفقه في طاعة الله) أي كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي بأن تصرف عمرك في مرضاة ربك، ولا تدع نفسك من غير خير، فتصير يوم القيامة مفلساً، لما في الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك». وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز، قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تدرج فيهما وحنوط

قوله: ﴿وَأَحْسِن﴾ (للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم، ويكون تفسيراً لقوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وقوله: ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ الكاف للتشبيه، وما مصدرية، والمعنى وأحسن إحساناً كإحسان الله إليك، أو للتعليل.

ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ بمعنى أنه يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال أي وهو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتباعه الكثيرين ركباناً، متحلين بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ وافٍ فيها ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ جواب لما قالوه من الجمل الخمس، كأنه ينكر محض الفضل، والمعنى إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي، فأعطاني الله تلك الأموال لكوني مستحقاً لها لفضلي وعلمي. قوله: (**وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة**) وقيل العلم الذي فضل به هو علم الكيمياء، فإن موسى علمه ثلثه، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده، فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، ومن النحاس فيجعله ذهباً، فكثر بذلك ماله وتكبر، وعلى هذا فقوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ المراد به علم الكيمياء، ويكون المعنى اكتسبته بعلمي الذي عندي، لا من فضل الله كما تقولون. قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أيدعي ولم يعلم أن الله الخ، والاستفهام للتوبيخ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك.

قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم. إن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾؟ أجيب: بأن السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفي سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والغفران، كسؤال المسلم العاصي، والمثبت سؤال التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار. قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ عطف على قوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: (**بأتباعه**) قيل كانوا أربعة آلاف، وقيل تسعين ألفاً عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رئي فيه المعصفرات، وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها، سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان، بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون. قوله: (**كلمة زجر**) أي وهي منصوبة بمقدر، أي ألزمكم الله ويلكم، والأصل في الويل الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع. قوله: (**مما أوتي قارون في الدنيا**) أي لأن الثواب منافعه عظيمة. قوله: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ أي يوفق للعمل بها. قوله: (**على الطاعة وعن المعصية**) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى.

صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾﴿٨٠﴾ على

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت، فبغى وطغى واعتزل بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت، ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى، حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، ويطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه، قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى، أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه، فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء، فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال: آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية، فنجعل لها جعلاً، على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك، خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طشتاً من ذهب، وقيل قال لها قارون: أموِّلك وأخلطك بنسائي، على أن تقذفي موسى بنفسك غداً، إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد، جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى إلى موسى فقال له: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى، وهم في براح من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. قال قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل، يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية، قال موسى: ادعوها، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكن جعل لي قارون جعلاً، على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، وقال: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل، إن الله بعثني إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا، فلم يبق مع قارون إلا رجلان، قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى، ويناشده قارون الله والرحم، حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم. قال قتادة: خسفت به، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة، نفخ إسرافيل في الصور، وأصبحت بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم: إن موسى إنما دعا على قارون، ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث، أن الأرض لا تأكل جسمه، فيمكن أن يلغز ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون. قوله:

الطاعة وعن المعصية ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ ﴾ بقارون ﴿ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ ﴿٨١﴾ منه ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي من قريب ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ﴾ يوسع ﴿ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق على من يشاء، ووي اسم فعل بمعنى أعجب، أي أنا، والكاف بمعنى اللام ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ لنعمة الله كقارون ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ الجنة ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بعمل المعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ عقاب الله بعمل الطاعات ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ

﴿مِنْ فِئَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، و ﴿فِئَةٍ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ إن كانت ناقصة، والجار والمجرور خبرها، أو فاعل بها إن كانت تامة. قوله: ﴿مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي الممتنعين بأنفسهم قوله: **(أي من قريب)** أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك.

قوله: ﴿وَيكَأَنَّ اللَّهَ﴾ الخ، ﴿وَيكَأَنَّ﴾ فيها خمسة مذاهب، الأول: أن وي كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للتعليل، وأن وما دخلت عليه مجرور بها أي أعجب، لأن الله يبسط الرزق الخ، فالوقف على وي، وهو قراءة الكسائي. الثاني: إن كأن للتشبيه، غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين، وحينئذٍ فالوقف على وي كالذي قبله. الثالث: إن ويك كلمة برأسها، والكاف حرف خطاب، وأن معمولة لمحذوف، أي أعلم أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على ويك، وهو قراءة أبي عمرو. الرابع: أن أصلها ويلك حذفت اللام، وحينئذ فالوقف على الكاف أيضاً. الخامس: أن ويكأن كلها كلمة بسيطة، ومعناها ألم تر أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على النون.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بالإيمان والرحمة. قوله: **(بالبناء للفاعل والمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ تأكيد لما قبله، ويجري فيها ما يجري في التي قبلها. قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرض ولا فساداً﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، فإن فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو، فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار، وموسى وهارون اختارا التواضع، فآل أمرهما للعز الدائم الذي لا يزول ولا يحول. قوله: **(أي الجنة)** أي وما فيها من النعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم، وسماع كلامه القديم. قوله: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُواً﴾ التعبير بالإرادة أبلغ في النفي، لأنه نفي وزيادة. قوله: ﴿نَجْعَلُهَا﴾ أي نصيرها. قوله: **(بالبغي)** أي الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما. قوله: **(بعمل المعاصي)** أي كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التي تخالف أوامره تعالى. قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أظهر في مقام الإضمار، إظهاراً لشأنهم ومدحاً لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلاً على ضدهم.

قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ تقدم أنه إن أريد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله، فالمراد بالخير الجنة، و ﴿مَنْ﴾ للتعليل، وليس في الصيغة تفضيل، وإن أريد بها مطلق طاعة، فالمراد بالخير منها عشر أمثالها،

﴿عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٨٤﴾ أي مثله ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنزله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨٥﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال، وأعلم بمعنى عالم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٨٦﴾ على دينهم الذي دعوك

كما جاء مفسراً به في الآية الأخرى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ فقول المفسر **(ثواب بسببها)** الخ، إشارة للمعنى الثاني. قوله: **(وهو عشر أمثالها)** هذا أقل المضاعفة، وتضاعف لسبعين ولسبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الحسنة التي فعلها بنفسه أو فعلت من أجله، كالقراءة والذكر، إذا فعل وأهدى ثوابه للميت مثلاً، وأما الحسنة التي تؤخذ في نظير الظلامة فلا تضاعف، بل تؤخذ الحسنة للمظلوم، وأما المضاعفة فتكتب للظالم، لأنها محض فضل من الله تعالى، ليس للعبد فيه فعل، والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة، وأما غيرهم فلا مضاعفة له.

قوله: ﴿**فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ**﴾ الخ، أظهر في مقام الإضمار تسجيلاً وتقبيحاً على فاعل السيئات، لينزجر عن فعلها. قوله: **(أي مثله)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(أنزله)** أي أو فرضه، بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به. قوله: **(إلى مكة وكان قد اشتاقها)** تقدم أن سبب نزول هذه الآية، أنه ﷺ لما أذن له في الهجرة إلى المدينة، وخرج من الغار مع أبي بكر ليلاً، سار في غير الطريق، فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف طريق مكة، اشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال عليه السلام: نعم، فقال جبريل: إن الله تعالى يقول: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مكة ظاهراً عليهم، وسميت البلد معاداً، لأن شأن الإنسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها، وتقدم أن هذه الآية ينبغي قراءتها للمسافر، تفاؤلاً بعوده لوطنه، ولا يقال: إن الآية قيلت للنبي ﷺ فكيف تقال لغيره؟ لأنه لا يقال: إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به، فكأنه قال: كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدي. قوله: **(جواباً لقول كفار مكة)** الخ، أي كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار﴾. قوله: **(وأعلم بمعنى عالم)** إنما احتيج إلى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه، وإلا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن. قوله: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَرْجُو**﴾ أي قبل مجيء الرسالة إليك. قوله: ﴿**أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ**﴾ أي فإنزاله عليك ليس عن ميعاد، ولا بطلب منك، ومن هنا قال العلماء: إن النبوة ليست مكتسبة لأحد، قال في الجوهرة:

ولم تكن نبوة مكتسبه ولو رقى في الخير أعلى عقبه. الخ

قوله: **(لكن ألقي إليك)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ**﴾ الخطاب له، والمراد غيره، لاستحالة ذلك عليه. قوله: **(حذفت نون الرفع للجازم)** أي وهو لا النافية. قوله: **(لالتقائها مع النون الساكنة)** أي ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة، وما مشى عليه المفسر في تصريف الفعل، وإنما يأتي على ندور، وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب، فالأولى أن يقول:

إليه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل، لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨) بالنشور من قبوركم.

وأصله يصدونك، دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ووجود الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي بعد وقت إنزالها عليك. قوله: **(أي لا ترجع إليهم)** أي لا تركن إلى أقوالهم.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الخطاب له والمراد غيره. قوله: **(ولم يؤثر الجازم في الفعل)** أي لفظاً وإن كان مؤثراً محلاً. قوله: **(لبنائه)** أي بسبب مباشرة نون التوكيد له، بخلاف قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ فتأثر بالجازم، وإن كان مؤكداً بالنون لعدم مباشرتها للفعل، فإنه فصل بينهما بواو الجماعة، قال ابن مالك: وأعربوا مضارعاً إن عربا. من نون توكيد مباشر. قوله: **(تعبد)** أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة، وحينئذ فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج، من أن الطلب من الغير حياً أو ميتاً شرك، فإنه جهل مركب، لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجباً، لأنه من التمسك بالأسباب، ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول. قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي وكل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه، لأن وجوده ليس ذاتياً له، قال بعض العارفين:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته ... عدم على التفصيل والإجمال
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا ... شيئاً سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبال

قيل: المراد بالهلاك الانعدام بالفعل، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة:

وكل شيء هالك قد خصصوا ... عمومه فاطلب لما قد خصصوا

ولا مفهوم لما عده السيوطي، بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحور والولدان.

قوله: **(إلا إياه)** أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى، فإن ثوابه باق. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي في جميع أحوالكم.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ العَنكبُوتِ

مكيّة
وآياتها تسع وستون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟﴾ أي بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل في جماعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية

مبتدأ وخبر، وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية، ففيه الفصل بين المبتدإ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وتقدم أن أسماء السور توقيفي، وقوله: **(مكية)** أي كلها، وقيل مدنية كلها، وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: **﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾** الخ، فإنها مدنية. قوله: **(الله أعلم بمراده)** تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم، لأنه من المتشابه الذي يفوض علمه لله تعالى. قوله: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾** الاستفهام يصح أن يكون للتقرير، وحينئذ فيكون المعنى: يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سدى، بل يمتحنون ويبتلون، لأن الدنيا دار بلاء وامتحان، أو التوبيخ، وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان، أي الظن والتخمين، بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون، وحسب فعل ماض، و **﴿النَّاسُ﴾** فاعله، و **﴿أَنْ﴾** وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسب، و **﴿أَنْ يَقُولُوا﴾** علة للحسبان، وقوله: **﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾** الجملة حالية مقيدة لقوله: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ﴾** ويكون المعنى: أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين، أو من أجل نطقهم بالشهادتين، بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين، ليتميز الراسخ من غيره. قوله: **(بما يتبين به حقيقة إيمانهم)** أي من المشاق كالهجرة والجهاد، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال. قوله: **(نزل في جماعة)** أي كعمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة،

آمنوا فآذاهم المشركون ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في إيمانهم مشاهدة ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ﴿٣﴾ فيه ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أَن يَسْبِقُونَا ﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿ سَآءَ ﴾ بئس ﴿ مَا ﴾ الذي ﴿ يَحْكُمُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ـه حكمهم هذا ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا ﴾ يخاف ﴿ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ به ﴿ لَءَاتٍ ﴾ فليستعد له ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾

والوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وكانوا يعذبون بمكة، والمقصود من الآية تسلية هؤلاء، وتعليم من يأتي بعدهم.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ الخ، إما حال من الناس، وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك، والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلاً**﴾ أو من فاعل يفتنون، والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم، ولا يسلكوا بهم مسالك الأمم السابقة، روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقال: ألا تستنصر، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم كنتم تستعجلون». قوله: ﴿**الَّذِينَ صَدَقُوا**﴾ الخ، عبر في جانب الصدق بالفعل الماضي، وفي جانب الكذب باسم الفاعل، إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر، لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم، وتجدد لهم الصدق، فناسبه التعبير بالفعل. قوله: (**علم مشاهدة**) جواب عما يقال: إن علم الله لا تجدد فيه، والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب.

قوله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ**﴾ الخ، انتقال من توبيخ إلى توبيخ، فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان، من غير مشقة ولا تعب، والثاني أشد منه، وهو توبيخهم على ظنه أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه، مع دوامهم على الكفر. قوله: (**الذي**) ﴿**يَحْكُمُونَـ**﴾ (**ـه**) الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿**مَا**﴾ اسم موصول فاعل ﴿**سَاءَ**﴾ و ﴿**يَحْكُمُونَ**﴾ صلته، والعائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله: (**حكمهم**) وهذا يصح أن تكون ﴿**مَا**﴾ مميزاً، والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك:

ومـا مميـز وقيـل فـاعـل في نحـو نعم مـا يقـول الفـاضـل

قوله: ﴿**مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ**﴾ أي يعتقد ويجزم بأنه يلاقي الله، فيرجو رحمته، ويخاف عقابه، وهذا التفسير أتم مما قاله المفسر، لأن المؤمن المصدق بلقاء الله، لا بد له من الرجاء والخوف معاً، ويؤيد ما قلناه جواب الشرط الذي قدره بقوله: (**فليستعد له**) أي يتهيأ ويستحضر للرحمة والنجاة من العذاب. قوله: ﴿**فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ ليس هذا هو جواب الشرط، وإلا لزم أن من لا يرجو لقاء الله، لا يكون أجل الله آتياً له، بل الجواب ما قدره المفسر. قوله: (**بأفعالهم**) أي وعقائدهم قوله: (**جهاد حرب**) أي وهو الجهاد الأصغر، وقوله: (**أو نفس**) أي وهو الجهاد الأكبر، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم

لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ بأفعالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن نصبه بنزع الخافض الباء ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ وهو الصالحات ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي إيصاء ذا حسن بأن يبرهما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا

مجرى الدم والنفس أخته، ولا تغيب عن الإنسان أبداً، وهي خفية تظهر المحبة لصاحبها، بخلاف العدو من الكفار، وأيضاً إذا قتله الكافر كان شهيداً، وأما إذا قتلته نفسه، فإما عاص أو كافر، فلا شك أن جهاد النفس، أكبر من جهاد الكفار، ولذا ورد في الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله، وأي جهاد أكبر من هذا؟ قال: «جهاد النفس والشيطان».

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له في توفيقكم لعبادته، فالحصر إضافي فلا ينافي أنه ينتفع غيره بجهاده، كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد، فالمقصود نفي النفع عن الله لاستحالته عليه. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي فلا يصل منهم نفع ولا ضر لما في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً».

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، مبتدأ خبره الجملة القسمية، وهذا وعد حسن للمتصفين بالإيمان. قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي لا نؤاخذهم بها، وهذا ظاهر في غير المعصومين، وأما المعصومون فلا سيئات لهم، فما معنى تكفيرها؟ أجيب: بأن الكلام على الفرض والتقدير، يعني لو وجدت منهم سيئات تكفر، أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم، ومن هنا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (بمعنى حسن) أي فاسم التفضيل ليس على بابه، لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن لا على الحسن، وقد يقال: المراد بالأحسن الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة، فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب في نظير أعمالهم الصالحة فتأمل.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ سبب نزولها هي وآية لقمان والأحقاف، أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أحد العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين إلى الإسلام، لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبي سفيان، أن لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف، حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد، فأبى سعد أن يطيعها، فصبرت ثلاثة أيام، لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل، حتى غشي عليها، فأتاها وقال لها: والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت بمحمد ﷺ، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت الآية بالوصية عليها، وإنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس، لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلفهم الله بما يخالف طبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم لما جبلوا عليه. قوله: (أي إيصاء ذا حسن) أشار بذلك إلى أن حسناً

لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلۡمٞ﴾ موافقة للواقع فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾ في الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ⁽٨⁾ فأجازيكم به ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ⁽٩⁾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾

صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف، ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة على حد: زيد عدل.
قوله: **(بأن يبرهما)** أي يحسن إليهما، وأوجه البر كثيرة جداً منها: لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما في غير معاصي الله وغير ذلك.

قوله: **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾** أتى هنا باللام، وفي لقمان بعلى حيث قال: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي﴾ لأن ما هنا موافق لما قبله في قوله: **﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾** وما في لقمان ضمن **﴿جاهداك﴾** معنى حملاك. قوله: **﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** **﴿مَا﴾** مفعول تشرك، أي إلهاً لا علم لك به. قوله: **(موافقة للواقع)** علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع، أي أن الواقع أن الإله واحد، فليس إله لك به علم، وإله لا علم لك به، وأما الأصنام فإشراكها مع الله في العبادة هزؤ وسخافة عقل، إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل، ما علم إلهاً غير الله ولا ظنه ولا توهمه. قوله: **﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾** فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى، ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى. قوله: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي بالصالح والسيىء، فيترتب على كل جزاؤه.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، **﴿الَّذِينَ﴾** اسم موصول مبتدأ، و **﴿آمَنُوا﴾** صلته، وقوله: **﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾** الخ، خبره. قوله: **(بأن نحشرهم معهم)** أي يوم القيامة، بل ويجتمعون بهم في البرزخ، فإذا مات المؤمن الصالح، اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة، فحينئذ يكون مرافقاً لهم في الدرجات العالية، قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾.

قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** الخ، لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم، بيّن هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر، و **﴿مِنَ النَّاسِ﴾** خبر مقدم، و **﴿مَنْ يَقُولُ﴾** مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** الخ، مقول القول. قوله: **﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾** أي آذاه الكفار على إظهار الإيمان. قوله: **﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾** أي لم يصبر على الأذى، بل ترك الدين الحق، والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر، فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعاً من الإيمان، وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الإكراه، وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان. قوله: **(فيطيعهم)** أي ظاهراً وباطناً، وأما المكره فقد أطاع ظاهراً لا باطناً، والمؤاخذة مرجعها للقلب. قوله: **(والواو) الخ، عطف** على نون الرفع مسلط عليه قوله: **(حذف منه)**. قوله: **(لالتقاء الساكنين)** أي ولوجود الضمة دليلاً عليها. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾** **(في الإيمان)** أي وإن الذي وقع منا، إنما هو على سبيل الإكراه. قوله: **(أي بعالم)** أشار بذلك إلى أن التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مراداً.

لام قسم ﴿جَآءَ نَصۡرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ﴾ أي بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ﴿١١﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر، قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ في ذلك ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ يكذبون على

قوله: ﴿**وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ الخ، أي ليظهر متعلق علمه للناس، فيفتضح المنافق، ويظهر شرف المؤمنين الخالص. قوله: (**إن كانت**) أي فرض حصولها، وإلا فهم ليسوا مسلمين أن في اتباعهم خطايا. قوله: (**والأمر بمعنى الخبر**) أي فالمعنى ليكن منكم الاتباع ومنا الحمل. قوله: ﴿**وَأَثْقَالاً**﴾ أي لأن الدال على الشركين كفاعله، من غير أن ينقص من وزر الاتباع شيء قوله: ﴿**عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ أي يختلفون من الأباطيل التي من جملتها قولهم: (**اتبعوا سبيلنا**) الخ.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً**﴾ الخ، لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمة، وبين أن من أطاع فله الجنة، ومن عصى فله النار، بين هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الأمة، بل من قبلهم كانوا كذلك، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، وقيل يشكر، وكان يسمى السكن، لأن الناس بعد آدم سكنوا اليه فهو أبوهم، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه، وقيل على خطيئته لما روي أنه مر بكلب فقال في نفسه ما أقبحه، فأوحى الله اليه أعبتني أم عبت الكلب؟ اخلق أنت أحسن منه، ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن إدريس بن برد بن أهاليل بن قينان بن نوش بن شيث بن آدم عليه السلام. قوله: (**وعمره أربعون سنة أو أكثر**) تقدم أنه اختلف في الأكثر، فقيل بعث على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ الخ، الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة، تسليته ﷺ على عدم دخول الكفار في الإسلام، فكأن الله يقول لنبيه: لا تحزن فإن نوحاً لبث هذا العدد الكثير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر وما ضجر، فأنت أولى بالصبر، لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك، والحكمة في المغايرة بين العام والسنة التفنن، وخص لفظ العام بالخمسين، إشارة إلى أن نوحاً لما غرقوا استراح وبقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة. قوله: (**طاف بهم وعلاهم**) أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعاً. قوله: (**الذين كانوا معه فيها**) قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك. قوله: (**ستين أو أكثر**) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة.

الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين لام قسم، وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ مشركون ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ السَّفِينَةِ﴾ أي الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٥﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر، حتى كثر الناس ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ الخير من غيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذباً إن الأوثان شركاء الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا﴾ أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٨﴾ الإبلاغ البين، في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ وقال تعالى في قومه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالياء والتاء ينظروا

قوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ العامة بالنصب عطف على ﴿نُوحاً﴾ أو معمول لمحذوف، كما درج عليه المفسر حيث قدر (اذكر) وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين ابراهيم. قوله: ﴿اعْبُدُوا اللهَ﴾ أي امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم. قوله ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي اجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى. قوله: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (مما أنتم عليه) الخ، أي في زعمكم أن فيه خيراً، والأحسن أن يقال: ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة. قوله: (الخير) أي وهو عبادة الله، وقوله: (من غيره) أي وهو عبادة غيره. قوله: ﴿أَوْثَاناً﴾ جمع وثن، وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً. قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ أي تختلقونه وتخترعونه. قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ أي لا يستطيعون ذلك، لعجزهم وعدم قدرتهم عليه. قوله: (فاطلبوه منه) أي ولا تطلبوه من غيره، لأنه تكفل لكل دابة برزقها، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾.

قوله: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصي. قوله: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ شرط حذف جوابه تقديره: فلا يضرني تكذيبكم، وإنما تضرون أنفسكم، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ دليل الجواب، ومن هنا قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ جمل معترضة كلام إبراهيم، وجواب قومه له، إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد ﷺ. قوله: (من قبلي) ﴿مِنْ﴾ اسم موصول مفعول كذب، والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم. قوله: (في هاتين القصتين) أي قصة نوح وإبراهيم. قوله: (وقد قال تعالى) أي رداً على منكري البعث. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان.

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرىء بفتحه من بدأ وأبدأ، بمعنى أي يخلقهم ابتداء ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ فكيف ينكرون الثاني ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ مداً وقصراً مع سكون الشين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ ومنه البدء والإعادة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ تردُّون ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها أي لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ينصركم من عذابه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي القرآن والبعث ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي جنتي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ مؤلم، قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قذفوه

قوله: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها، ولا ينفك بعضها عن بعض. قوله: **(وقرىء بفتحه)** أي شذوذاً. قوله: **(من بدأ وأبدأ)** لف ونشر مشوش. قوله: ﴿ثُمَّ﴾ **(هو)** ﴿يُعِيدُهُ﴾ قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها، بل هي مستأنفة.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أمر من الله لمحمد ﷺ بأن يقول لمنكري البعث ما ذكر، ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر على إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها. قوله: **(مع سكون الشين)** راجع للقصر، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي في الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي فيهما فلا يسأل عما يفعل. قوله: **(لو كنتم فيها)** أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهما، ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو. قوله: **(أي القرآن والبعث)** لف ونشر مرتب، فالأول راجع للآيات، والثاني للقاء. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق وقوعه.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱقْتُلُوهُ﴾ الخ، أي لم يكن جواب قوم إبراهيم له، حين أمرهم بعبادة الله، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان، جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم، لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار، والذي يتولى ذلك الصغار، وإنما أجابوا بذلك عناداً بعد ظهور الحجة منه. قوله: ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أتى هنا بالترديد، واقتصر في الأنبياء على أحد الأمرين، وهو الذي فعلوه، إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم، وما في الأنبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه. قوله: ﴿فَأَنْجَاهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ في الكلام حذف، والتقدير فقذفوه في النار فأنجاه الله الخ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(التي قذفوه فيها)**. قوله: **(هي)** أي الآيات. قوله: **(وإخمادها)** أي سكون لهبها مع بقاء جمرها، وأما الإهماد فهو طفء النار بالمرة. قوله: **(في زمن يسير)** أي مقدار طرفة عين. قوله: **(لأنهم المنتفعون)** علة لمحذوف، والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ.

فيها، بأن جعلها برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إنجائه منها ﴿لَآيَٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه، مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا﴾ تعبدونها وما مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ خبر إن، وعلى قراءة النصب مفعول له، وما كافة، المعنى تواددتم على عبادتها ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ مانعين منها ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ في صنعه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ (إبراهيم) عطف على قوله: ﴿فَأَنْجَاهُ ٱللهُ مِنَ النَّارِ﴾. قوله: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً﴾ إن حرف توكيد ونصب، وما مصدرية، و﴿ٱتَّخَذْتُمْ﴾ صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن، و﴿أَوْثَاناً﴾ مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف قدره المفسر بقوله: (تعبدونها) و﴿مَوَدَّةَ﴾ خبر إن، و﴿مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾ حال من ﴿أَوْثَاناً﴾ وهذا على قراءة الرفع، وقوله: (وعلى قراءة النصب) مفعول (وما كافة) أي سواء قرىء بتنوين ﴿مَوَدَّةً﴾ ونصب ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أو بعدم التنوين، وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنين، والثاني هو قوله: ﴿مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾ ويصح أن تكون ما اسماً موصولاً، و﴿ٱتَّخَذْتُمْ﴾ صلته والعائد محذوف، والتقدير إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً تعبدونها لأجل المودة بينكم، ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم، وخرجت على إضافة مودة للظرف، وبنى لاضافته لغير متمكن كقراءة: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ بالفتح إذا جعل بينكم فاعلاً، فتحصل أن القراءات أربع: الرفع مع جر بين وفتحها، والنصب مع جر بين وفتحها، وكلها سبعي. قوله: (المعنى) أي الحاصل من تلك القراءات. قوله: (يتبرأ القادة) أي ينكرونهم ويقولون لهم لا نعرفكم. قوله: (صدق بإبراهيم) أي نبوته وإن كان مؤمناً قبل ذلك، ويجب الوقف على لوط لأن قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من كلام إبراهيم، فلو وصل لتوهم أنه من كلام لوط. قوله: (أي إلى حيث أمرني ربي) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى. قوله: (وهاجر من سواد العراق) أي فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم، وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي بعد هجرته. قوله: (بعد إسماعيل) أي بأربع عشرة سنة. قوله: ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي إبراهيم. قوله: (فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أي لانحصار الأنبياء في إسماعيل وإسحاق ومدين جد شعيب. قوله: (وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان) أي فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير وينتمون إليه. قوله: ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي الكاملين في الصلاح قوله: ﴿وَلُوطاً﴾

ذريته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب، أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الذين لهم الدرجات العلا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس الممرَّ بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي متحدثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولك في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ كافرين ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟﴾ أي الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الباقين في العذاب ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم

معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**. قوله: **﴿لِقَوْمِهِ﴾** أي أهل سذوم وتوابعها. قوله: **(وإدخال ألف بينهما)** أي وعدمه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(الإنس والجن)** أي من عهد آدم إلى قوم لوط. قوله: **(بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم)** قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصاً، فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض بذلك. قوله: **(فعل الفاحشة)** أي والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح.

قوله: **﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا﴾** الخ، أي على سبيل الاستهزاء. قوله: **(بإتيان الرجال)** أي وفعل بقية الفواحش. قوله: **(فاستجاب الله دعاءه)** أي فأمر الملائكة بإهلاكهم، وأرسلهم مبشرين ومنذرين، فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، وانذروا قوم لوط بالعذاب. قوله: **(بإسحاق ويعقوب)** أي وبهلاك قوم لوط. قوله: **﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً﴾** هذا بعد المجادلة التي تقدمت في قوله: **﴿يجادلنا في قوم لوط﴾** حيث قال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا: لا، إلى أن قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا: لا، **﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾**. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(الباقين في العذاب)** أي لم يخلصوا منه، لأن الدال على الشر كفاعله، وهي قد دلت القوم على أضياف لوط، فصارت واحدة منهم بسبب ذلك.

قوله: **﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ﴾** **﴿أَنْ﴾** زائدة للتوكيد. قوله: **(حزن بسببهم)** أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية. قوله: **﴿ذَرْعاً﴾** تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه، وقوله: **(صدراً)** تفسير لحاصل المعنى، وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله:

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ونصب أهلك عطف على محل الكاف ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾ عذاباً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا ﴾ بالفعل الذي ﴿ كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ به أي بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ يتدبرون ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ وَ ﴾ أهلكنا ﴿ عَادًا وَثَمُودَ ﴾ بالصرف وتركه بمعنى الحي

(على محل الكاف) أي وهو النصب على أنها مفعول منجو. قوله: **(عذاباً)** قيل هو حجارة، وقيل نار، وقيل خسف، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء. قوله: **(هي آثار خرابها)** وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها، أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة، وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** متعلق بتركنا أو ببينة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها.

قوله: **﴿إِلى مَدْيَنَ﴾** متعلق بمحذوف معطوف على **(أرسلنا)** في قصة نوح. قوله: **﴿أَخاهُمْ شُعَيْباً﴾** أي لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذي هو أبو القبيلة، فكما هو منسوب لمدين هم كذلك. قوله: **﴿اعْبُدُوا اللّهَ﴾** أي وحدوه. قوله: **﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ﴾** يصح أن يبقى الرجاء على معناه، ويكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر، ويصح أن يكون بمعنى خافوا، والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر، واليه يشير المفسر بقوله: **(اخشوه)**. قوله: **(من عثي بكسر المثلثة)** أي من باب تعب، ويصح أن يكون من باب قال. قوله: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾**. إن قلت: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يمتثلوا أوامره، لأن التكذيب إنما يكون في الإخبار. أجيب: بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر، كأنه قيل: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فاجتنبوه. فالتكذيب راجع إلى الإخبار.

قوله: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾** أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم، وتقدم في هود: **﴿فأخذتهم الصيحة﴾** ولا منافاة بين الموضعين، فإن سبب الرجفة الصيحة، والرجفة سبب في هلاكهم، فتارة يضاف الأخذ للسبب، وتارة لسبب السبب. قوله: **(بالصرف وتركه)** راجع لثمود فقط، وقوله: **(بمعنى الحي والقبيلة)** لف ونشر مرتب، لكونه بمعنى الحي يكون اسم جنس، لم توجد فيه العلمية التي هي إحدى علتي منع الصرف، وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبي القبيلة، فقد وجدت فيه العلتان. قوله: **(إهلاكهم)** أشار بذلك إلى أن فاعل تبين، ضمير عائد على الإهلاك. قوله: **(بالحجر)** راجع لثمود، وهو واد بين الشام والمدينة، وقوله: **(واليمن)** راجع لعاد. قوله: **﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾** أي بواسطة الرسل، فلم يكن لهم عذر في ذلك، لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة له. قوله: **(ذوي بصائر)** أي عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار، لكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً.

والقبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ ذوي بصائر ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ فائتين عذابنا ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ بارتكاب الذنب ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي أصناماً يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ﴾ أضعف ﴿ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾ لا يدفع عنها حراً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوۡ كَانُواْ

قوله: ﴿وَقَارُونَ﴾ قدمه على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى. قوله: ﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون. قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي تكبروا عن عبادة الله. قوله: ﴿بِذَنْبِهِ﴾ الباء سببية أي بسبب ذنبه. قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته، وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالماً، لأنه الخالق المتصرف في ملكه على ما يريد. قوله: (يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه، أي فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها، في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعاً، كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً، لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى، وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم، فإن اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به، وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك. قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ﴾ هو حيوان معروف، له ثمانية أرجل وستة أعين، يقال إنه أقنع الحيوانات، جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق، ونونه أصلية، والواو والتاء زائدتان، بدليل قولهم في الجمع عناكب، وفي التصغير عنيكيب.

قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ الجملة حالية. قوله: (كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أي فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء، ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف، ومن هنا وقاية رسول الله ﷺ من الكفار حين نزل الغار، بالعنكبوت وبيض الحمام، مع كونهما أضعف الأشياء. قوله: (ما عبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف. قوله: (بمعنى الذي) أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، وجملة ﴿يَدْعُونَ﴾ صلتها، والموصول وصلته معمول ليعلم. قوله: (أي يفهمها) أي يفهم صحتها وفائدتها. قوله: ﴿إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك، وأما الكافرون فيزدادون طغياناً وعتواً. قوله: (محقاً) أشار بذلك إلى أن الباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للملابسة، والجار والمجرور حال. قوله: (خصوا بالذكر) جواب عما يقال إن في خلق السماوات والأرض آية لكل عاقل.

﴿يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) ذلك ما عبدوها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ (٤٢) في صنعه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ (٤٣) المتدبرون ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٤) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعاً أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

قوله: ﴿ٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي ما أوحاه الله اليك بنزول جبريل، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك، لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق. قوله: ﴿مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾ بيان لما. قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي دم على إقامتها، بأركانها وشروطها وآدابها، فإنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، والخطاب للنبي والمراد هو وأمته، بدليل مدحهم في آية: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ الآية.

قوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ﴾ أي المواظبة عليها، تكون سبباً في تطهيره عن الفحشاء والمنكر، إذا استوفيت شروطها وآدابها، لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة، التطهير من الحدث الحسي والمعنوي وتجديد التوبة، فإذا وقف بين يدي الله، وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه، وأنه مطلع عليه يراه، فحينئذ يظهر على جوارحه هيئتها، وقوله: **(ما دام المرء فيها)** هذا أحد قولين، والقول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات، لما روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ، ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: إن صلاته ستنهاه، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله. وروي عن بعض السلف، أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك، وأما من صلاته بخلاف ذلك، بأن كانت لا خشوع فيها ولا تذكر، فإنها لا تكون سبباً في نهيه عن الفحشاء والمنكر، بل يستمر على ما هو عليه من البعد، لما ورد: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعداً.

قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللهِ﴾ أي بسائر أنواعه أكبر، أي أفضل الطاعات على الإطلاق، لما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله. وروي أن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة. فالذكر أفضل الأعمال، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة، ولذا ورد عن الجنيد أنه

تَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ فيجازيكم بـه ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى ﴾ أي المجـادلة التي ﴿ هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ مطيعون ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ أي اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به محق، وجحدوا ذلك ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ﴾ القرآن ﴿ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا ﴾ أي لو كنت قارئاً كاتباً

كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه، فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالإكثار منه فتنور قلوبهم. قولـه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي من خير وشر فيجازيكم عليه.

قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي لا تدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين المعروف والإحسان لعلهم يهتدون، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي فادعوهم إلى دين الله بالإغلاظ والشدة، وقاتلوا حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وعلى هذا التقدير فالآية محكمة وهو التحقيق. قوله: **(بأن حاربوا)** الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعاً فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار. قوله: ﴿**أو يعطوا الجزية**) أي يلتزموا بإعطائها.

قوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي لما روي أنه كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية»، وفي رواية: «وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم». ومحل ذلك ما لم يتعرضوا لأمور توجب نقض عهدهم، كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ، وأن نبينا غير صادق فيما جاء به، وغير ذلك، فحينئذ نقاتلهم، ومحله أيضاً ما لم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا، وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به.

قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ أي نفعناهم به، بأن أعطيناهم نوره، وظهرت ثمرته عليهم، وهم الذي يؤمنون به، وإلا فجميع علمائهم أوتوا الكتاب، ولم يسلم منهم إلا القليل، ويصح أن يكون المراد: ﴿ففريق من أهل الكتاب﴾ الخ. قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أي ينكرها بعد معرفتها. قوله: **(أي اليهود)** لا مفهوم له بل النصارى والمشركون، كذلك فالمناسب أن يقول: إلا الكافرون كاليهود.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كتاب﴾ شروع في اثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنـه معجز

﴿ لَّٱرْتَابَ ﴾ شكَّ ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي المؤمنون يحفظونه ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي محمد ﴿ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ وفي قراءة آيات كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ ﴾ فيما طلبوا ﴿ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الكتاب ﴿ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾ بصدقي ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ منكم ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ له ﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ عاجلاً

للبشر، كأن الله يقول لأهل الكتاب: أنتم لا عذر لكم في إنكار القرآن، ولا في تكذيب النبي ﷺ، لأن من جملة صفاته في كتبهم، أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ووجد بهذه الصفة، فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ، لحصل لكم الشك في نبوته، وفي القرآن، لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم. قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ مفعول ﴿تَتْلُو﴾ و ﴿مِنْ﴾ زائدة. قوله: **(أي لو كنت قارئاً كاتباً)** لف ونشر مرتب. قوله: **(اليهود)** لا مفهوم له. قوله: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** إضراب عما تقدم من الارتياب. قوله: **(أي المؤمنين يحفظونه)** أي لفظاً ومعنى لما ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم أي كالأناجيل»، والمعنى أن القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها، كما كان كتاب النصارى ثابتاً في أناجيلهم. قوله: **﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾** أي القرآن. قوله: **(اليهود)** تقدم ما فيه. قوله: **(وفي قراءة آيات)** أي وهما سبعيتان. قوله: **(ينزلها كيف يشاء)** أي على ما يريد، ولا دخل لِأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بفضل الله.

قوله: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، التقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: **﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يكف، والتقدير أو لم يكفهم إنزالنا. قوله: **(مستمرة لا انقضاء لها)** أخذ ذلك من قوله: **﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾**. قوله: **(بخلاف ما ذكر من الآيات)** أي فانقضت بموت الرسل. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك. قوله: **(ومنه حالي وحالكم)** أي من جملة ما في السماوات والأرض. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾** أي خضعوا له وعبدوه. قوله: **(حيث اشتروا الكفر بالإيمان)** أي أخذوا الكفر وتركوا الإيمان. قوله: **﴿وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى﴾** **(له)** أي للعذاب. قوله: **﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾** أي كوقعة بدر، فإنها أتتهم على حين غفلة. قوله: **﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾** أي لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلاً.

﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ بوقت إتيانه ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ في الدنيا ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ﴾ فيه بالنون أي نأمر بالقول، وبالياء أي يقول الموكل بالعذاب ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ أي جزاءه فلا تفوتونا ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من أظهار الإسلام بها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ بالتاء والياء بعد البعث ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ ننزلهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء

قوله) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب، والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها؟ قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ ظرف لقوله محيطة، والمعنى على الاستقبال، أي ستحيط بهم في ذلك اليوم. قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِم وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾. قوله: (أي نأمر بالقول) إنما أوله جمعاً بين ما هنا، وبين قوله في الأخرى ﴿لا يكلمهم الله يوم القيامة﴾. قوله: (أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام في مكة كما قال المفسر، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ إياي منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور. قوله: (كانوا في ضيق) الخ، أي فوسع الله لهم الأمر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن تعسرت عليه العبادة في بلده، فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالمهم العبادة في أي مكان تيسر، ولا يعول على مكان في الدنيا، لأنها دار ممر لا مقر، والمار في طريق لا يعول على مسكن ولا قرار في طريقه.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي لا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت فإن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فالحكمة في تخويفهم من الموت، كون مفارقة الأوطان تهون عليهم، فإن من أيقن بالموت هان عليه كل شيء في الدنيا. قوله: ﴿وَالَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما ذكر أحوال الكفار، وما آل اليه أمرهم، أتبعه بذكر أحوال المؤمنين، وما آل اليه أمرهم. قوله: (وفي قراءة بالمثلثة) أي الساكنة بعد النون، وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة، و (غرفاً) على هذه القراءة، إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر، أو مفعول به بتضمين مثوى معنى نزل فيتعدى لاثنين. قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي الغرف. قوله: (مقدرين الخلود) ﴿فِيهَا﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة، أي أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم في النعيم، لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: (هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نعت للعالمين، أو خبر لمحذوف كما قال المفسر. قوله: (لإظهار الدين) متعلق بالهجرة. قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ سبب نزولها: أنه ﷺ لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا. وقوله: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي

الإقامة وتعديته إلى غرفاً بحذف في ﴿ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (٥٨) هذا الأجر هم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥٩) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ كم ﴿ مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لضعفها ﴿ ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٦٠) بضمائركم ﴿ وَلَئِن ﴾ لام قسم ﴿ سَأَلْتَهُم ﴾ أي الكفار ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١) يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق ﴿ لَهُۥٓ ﴾ بعد البسط، أي لمن يشاء ابتلاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦٢) ومنه محل البسط والتضييق ﴿ وَلَئِن ﴾ لام القسم ﴿ سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فكيف يشركون به ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٣) تناقضهم في ذلك ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ بمعنى الحياة ﴿ لَوْ

لا تدخره لغد كالبهائم والطير، قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفارة والنملة. قوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق، بل ذلك بتقدير الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾فينبغي للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى، ولا ينافي هذا أخذه في الأسباب، لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها، فالأسباب لا تنكر، ومن أنكرها فقد ضل وخسر. قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّماوات وَالْأَرْضَ﴾ الخ، أتى في جانب السماوات والأرض بالخلق، وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير، إشارة إلى أن الحكمة في خلقهما التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار، اللذان بهما قوام العالم بخلاف السماوات والأرض، فالنفع في مجرد خلقهما. قوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي فلا تركن لغيره، فليس مالكاً لضر ولا نفع. قوله: ﴿فَأَحْيَى بِهِ﴾ أي النبات الناشىء عن الماء. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي جدبها وقحط أهلها. قوله: (فكيف يشركون به) أي بعد إقرارهم. قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي والأقل يعقل، ومن عقل منهم اهتدى وآمن. قوله: ﴿وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أشار بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة، فينبغي للعاقل التجافي عنها، ويأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة، قال بعض العارفين:

تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قوله: ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل، واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه

كَانُوا۟ يَعۡلَمُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي الدعاء، أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ به ﴿ لِيَكۡفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ۖ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ عاقبة ذلك ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّا جَعَلۡنَا﴾ بلدهم مكة ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾ قتلاً وسبياً دونهم ﴿ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ الصنم ﴿ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ بإشراكهم ﴿ وَمَنۡ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن أشرك به ﴿ أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ النبي أو الكتاب ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِى جَهَنَّمَ مَثۡوًى ﴾ مأوى ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ أي فيها ذلك وهو منهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي طرق السير إلينا ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

أصلاً. قوله: (وأما القرب) أي كالتوحيد والذكر والعبادة. قوله: (بمعنى الحياة) أي الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها. قوله: (ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو، أي ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة. قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ﴾ الخ، أي وذلك لأن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدت الريح، ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب، ودعوا الله مخلصين حالة الكرب. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ جواب لما، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله، وتلذذهم بأعراض الدنيا، فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين. قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة، وقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ عطف عليه. قوله: (وفي قراءة بسكون اللام) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أمر تهديد) أي في الفعلين، بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فالحاصل أنه إذا سكنت اللام في الثاني، تعين كونها للأمر في الفعلين، وإن لم تسكن كانت في الفعلين للعاقبة والصيرورة.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أعموا ولم يروا، الخ. قوله: ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ﴾ الجملة حالية على تقدير المبتدأ، أي وهم يتخطف، الخ. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ قال المفسرون: إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس، قال الحسن: الجهاد مخالفة الهوى، وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم، لنهدينهم سبل العمل به، وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقيل: الذين جاهدوا فيما علموا، لنهدينّهم إلى ما لم يعلموا، لما في الحديث: «من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم»، قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي طرق الوصول إلى مرضاتنا، فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار اليها بقوله تعالى: ﴿وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾. قوله: ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، لإظهار شرفهم بوصف الإحسان، والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة، فهي معية خاصة، واليها الاشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ ٱلرُّومِ

مكيّة

وهي ستون أو تسع وخمسون آية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ﴿٢﴾ وهم أهل كتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بـذلك وقـالوا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم مكية

وهي ستون أو تسع وخمسون آية

مبتدأ، و (ستون) خبر أول، و (مكية) خبر ثان، وظاهر المفسر أن كلهـا مكي، وقيل إلا قـوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الآية. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا أصح التفاسير. قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ﴿ٱلرُّومُ﴾ اسم قبيلة سميت باسم جدها، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وسمي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن، فعند خروجهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصو ليعقوب: إن لم أخرج قبلك، وإلا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقة منه، فلهذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين، وسبب نزول هذه الآية، أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم، لأن فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهر يزان، وبعث قيصر جيشاً، وأمر عليهم رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وفارس أميون، وقد

للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادىء بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول، أي غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ فارس ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء

ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا، فوالله لتظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي، وقال: كذبت، فقال له الصديق: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل أجلاً أناحبك، أي أقامرك وأراهنك عليه، فراهنه على عشر قلائص منه، وعشر قلائص من الآخر فقال أبي: إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، قال: فتعال أزايدك في الخطر، وأماددك في الأجل، فأجعلها مائة قلوص، ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، فقال: قد علمت، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة، أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد، أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله، لا ادعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ إياها حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، وقيل يوم بدر، وربطت الروم خيولهم بالمدائن، وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: تصدق به. قوله: **(وهم من أهل كتاب)** أي نصارى، فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه، وقوله: **(وليسوا أهل الكتاب)** أي بل هم مجوس، فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة، فكل حزب بما لديهم فرحون. قوله: **(بل يعبدون الأوثان)** أي التي من جملتها النار. قوله: **(وقالوا للمسلمين)** الخ، هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة. قوله: **(أقرب أرض الروم)** أي فأدنى أفعل تفضيل، وأل عوض عن المضاف اليه. قوله: **(بالجزيرة)** المراد بها ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ خبره. قوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف، أي في انتهاء بضع سنين، وأبهم البضع لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت. قوله: **(فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول)** أي يوم بدر، وإن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين، أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة، والمراد بالجيشين جيش كسرى

الأول، وغلبت الروم فارس ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً، بأمر الله أي إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾أي يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بالمؤمنين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ وعده تعالى بنصرهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ إعادة هم تأكيد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ

وجيش قيصر ملك الروم، فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم، ومات كسرى ملك الفرس. قوله: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ﴾ أي لا لغيره. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ القراءة المشهورة ببناء ﴿قَبْلُ﴾ و ﴿بَعْدُ﴾ على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه. قوله: **(أي من قبل غلب الروم)** أي من قبل كونهم غالبين، وقوله: **(ومن بعده)** أي من بعد كونهم مغلوبين. قوله: **(المعنى أن غلبة فارس)** الخ، جواب عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿غَلَبِهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾؟ وحاصل الجواب: أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله، لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوباً أن يكون ضعيفاً، فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولاً. قوله: **(أي يوم تغلب الروم)** أشار بذلك إلى أن تنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوض عن جملة.

قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ﴾ أي فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس؛ وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة. قوله: **(يوم بدر)** هذا أحد قولين، وهو مبني على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل يوم الحديبية، بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة. قوله: **(مصدر)** أي مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت، وعامله محذوف أي وعدهم الله وعداً. قوله: **(به)** أي النصر. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم. قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أي الأكثر. قوله: ﴿ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي وإما باطناً منها، وهو كونها مجازاً إلى الآخرة، يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم. قوله: **(إعادة)** أي لفظ **(هم)**.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير اعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي بالحكمة لا عبثاً. قوله: **(تفنى عند انتهائه)** أي تنعدم السماوات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل. قوله: ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بكافرون، واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر ﴿إِنْ﴾. قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: اقعدوا ولم يسيروا؟ والاستفهام للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ عطف سبب على مسبب، لأن السير سبب للتفكر. قوله: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه وبعد البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ ⑧ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُواْ الْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي كفار مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ⑨ بتكذيبهم رسلهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ السُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ الأقبح، خبر كان على رفع عاقبة، واسم كان على نصب عاقبة، والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ⑩ ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ﴾ أي ينشىء خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ⑪ بالياء والتاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ⑫ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ أي لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ ⑬ أي متبرئين منهم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾

بالقصر لعامة القراء وقرىء شذوذاً، وآثار بألف بعد الهمزة. قوله: ﴿**أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾ نعت لمصدر محذوف، أي عمارة أكثر من عمارتهم.

قوله: ﴿**وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ أي فلم يذعنوا لها، بل كذبوا بها. قوله: ﴿**فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ**﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار، بل معاملة ملك عدل رحيم، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً، إذ لا مشارك له في خلقه، ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه قوله: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوآى**﴾ بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم في الدنيا. قوله: (**خبر كان على رفع عاقبة**) أي و﴿**عَاقِبَةُ**﴾ اسمها، وهي مضافة للموصول، و﴿**أَسَاءُوا**﴾ صلته، و﴿**السُّوآى**﴾ صفة لموصوف محذوف، أي المجازاة السوآى وهي جهنم خبر ﴿**كَانَ**﴾، وقوله: (**واسم كان على نصب عاقبة**) أي فالسوآى اسم ﴿**كَانَ**﴾ مؤخر، و﴿**عَاقِبَةُ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ مقدم، وعلى كل فقوله: ﴿**أَنْ كَذَّبُوا**﴾ خبر لمحذوف تقديره وإساءتهم أن كذبوا، فهي جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول، فيصح الوقف على السوآى، وهذا ما اختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها، وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازي التأنيث. قوله: (**والمراد بها**) أي السوآى قوله: (**أي بأن**) ﴿**كَذَّبُوا**﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهي للسببية.

قوله: ﴿**ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ**﴾ عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئاً فشيئاً ما دامت الدنيا. قوله: (**أي ينشىء خلق الناس**) أي يظهرهم من العدم. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ**﴾ أي وهو يوم الإعادة. قوله: (**يسكت المشركون**) أي عن جواب يدفع عنهم العذاب. قوله: (**أي لا يكون**) أشار بذلك إلى أن الماضي بمعنى المضارع، لأن المنفي بلم ماضي المعنى.

تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ ﴿١٤﴾ أي المؤمنون والكافرون ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ يسرُّون ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي سبحوا الله بمعنى صلّوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿١٧﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض ومعناه يحمده أهلهما ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٩﴾ من القبور بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم

قوله: ﴿بِشُرَكَائِهِمْ﴾ متعلق بكافرين. قوله: (تأكيد) أي لفظي. قوله: (أي المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولاً، ﴿ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾. قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة. قوله: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ أي يكرمون وينعمون بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. روي أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع، بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقابل قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قوله: (وغيره) أي كالجنة والنار. قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي حاضرون.

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ﴾ الخ، وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر أولاً أنه يبدأ الخلق ويعيده، وأن الخلق يكونون فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ذكر هنا أنه منزه عن النقائص، إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده، وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب. قوله: (بمعنى صلوا) إنما فسر التسبيح بالصلاة، لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان، ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة. قوله: (أي تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن ﴿تُمْسُونَ﴾ و ﴿تُصْبِحُونَ﴾ فعلان تامان. قوله: (وفيه صلاتان) الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس، وخصها بالذكر دون سائر العبادات، لأنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين. قوله: (اعتراض) أي بين المعطوف والمعطوف عليه. والحكمة في ذلك، الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها. قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي فالقادر على إخراج الحي من الميت وعكسه، وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، ففي ذلك ردّ على منكري البعث. قوله: (للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى، وذكر لفظ من آيات ست مرات تنتهي عند قوله ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ وابتدأها بذكر خلق الإنسان، ثم بخلق العالم علوياً وسفلياً، إشارة إلى أن الإنسان هو المنتفع بها. والحكمة في ذكر تلك الآيات ليهتدي بها

﴿ تَنتَشِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ في الأرض ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فخلقت حوَّاء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿ لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ وتألفوها ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم ﴾ جميعاً ﴿ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ في صنع الله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢٢﴾ بفتح اللام وكسرها أي ذوي العقول وأولي

من أراد الله هدايته، وتقوم الحجة على من لم يهتد. قوله: **(أي أصلكم آدم)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره، لأن النطفة ناشئة من الغذاء، وهو ناشىء من التراب. قوله: **﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾** عبر بثم إشارة إلى تراخي أطواره، لكونه أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر أطواره، وأتى بعدها بإذا الفجائية، إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل، وإن كان الكثير الإتيان بها بعد الفاء. قوله: **﴿أَزْوَاجاً﴾** أي زوجات. قوله: **(من ضلع آدم)** أي الأيسر القصير وهو نائم، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقيل له: أن تصلي على محمد ﷺ. قوله: **(وسائر النساء)** أي باقيهن. قوله: **﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾** قيل المراد بالمودة الجماع، والرحمة الولد، وقيل المودة المحبة، والرحمة الشفقة، فإذا تخلف هذا الأمر، بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة، فالمناسب المفارقة. قوله: **﴿أَنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾** أي فيما ذكر من خلقهم من تراب، وخلق أزواجهم من أنفسهم، وإلقاء المودة والرحمة بينهم. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** أي يتأملون في تلك الأشياء، ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سوياً، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنية ولا بهيمية، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، فإذا أراد جماعها زينها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه، جعلها راحة له، وخلق منها بشراً سوياً، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمل الانسان في ذلك، كان سبباً في زيادة معارفه وأدبه مع ربه، ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه ما روي: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة». قوله: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** أي إنشاؤهما من العدم إلى الوجود. قوله: **(أي لغاتكم)** أي بأن خلق فيكم علماً ضروريا، تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها. قوله: **﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾** أي فجعلكم ألواناً مختلفة، منكم الأبيض والأسود والمتوسط، وغاير بين أشكالكم، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك، وإن كانا في غاية التشابه، وإنما قرن هذا بخلق السماوات والأرض، وإن كان من جملة خلق الإنسان، إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع. قوله: **(بفتح اللام وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي ذوي العقول وأولي العلم)** أي وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها، بل يشهدون الصانع في المصنوعات، قال العارف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

العلم ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿ وَٱبْتِغَآؤُكُم ﴾ بالنهار ﴿ مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ﴾ أي إراءتكم ﴿ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ للمسافر من الصواعق ﴿ وَطَمَعًا ﴾ للمقيم في المطر ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ يتدبرون ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ مطيعون ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾ للناس ﴿ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قيل في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، حذف حرف الجر لاتصاله بالليل، والأحسن أن يبقى على حاله، والنوم بالنهار من جملة النعم، لا سيما أوقات القيلولة في البلاد الحارة. قوله: **(بإرادته)** أي فلا قدرة لأحد على اجتلابه. قوله: **(راحة لكم)** أي من آثار التعب الحاصل لكم. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ غاير بين رؤوس الآي تفنناً، فإن أهل العقل هم أهل الفكر والسمع.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿يُرِيكُمْ﴾ مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر، وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه، وهكذا يقال فيما تقدم وما يأتي. قوله: ﴿أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي تثبت وتستقر. قوله: **(من غير عمد)** بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له، أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول. قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بدعاكم. قوله: **(في الصور)** أي نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها، لأن فيه طاقات بعدد الأرواح، فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة، فلا تخطىء روح جسدها. قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ عبر في ابتداء خلق الإنسان بثم حيث قال: ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي، لكونه على أطوار مختلفة، بخلاف الإعادة فلا تدريج فيها، بل يحصل دفعة واحدة. قوله: **(مطيعون)** أي لأفعاله طاعة انقياد لا طاعة عبادة؛ وقيل المعنى قائمون للحساب، وقيل مقرون بالعبودية إما باللسان أو الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله: ﴿يُعِيدُهُ﴾ وذكر الضمير مراعاة للخبر. قوله: **(بالنظر إلى ما عند المخاطبين)** أي فهو مبني على ما يقتضيه عقولهم، لأن من أعاد منهم شيئاً، كان أهون عليه وأسهل من إنشائه، وهو جواب عما يقال: إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه، فأهون بمعنى هين. قوله: **(أي الصفة العليا)** أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة، والأعلى بمعنى العليا، أي المرتفعة المنزهة عن كل نقص.

والأرض﴾ أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿٢٧﴾ في خلقه ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يتدبرون ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ مانعين من عذاب الله ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه، أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾

قوله: (وهي أنه لا إله إلا الله) أي فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال، والتنزيه عن كل نقص. قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً﴾ أي صفة وشكلاً تقيسون عليه. قوله: (كائناً) ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلاً.

قوله: ﴿هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ﴾ الخ، ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام، و ﴿لَكُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿شُرَكَاءِ﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿مِنْ﴾ زائدة، و ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ حال من ﴿شُرَكَاءِ﴾ لكونه نعت نكرة قدم عليها، و ﴿مِنْ﴾ تبعيضية فتحصل أن ﴿مِنْ﴾ الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضية، والثالثة زائدة. قوله: ﴿فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي ملكناكم، وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا المثل أن يقال: إذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله، فلا يصح بالأولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة. قوله: ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء.

قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ من جملة المنفي، فهو مرتب عليه، فالمراد نفي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة، من أجل كونهم مماليك لكم، فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله؟ قوله: (بمعنى النفي) أي فهو استفهام إنكاري. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذي يتدبر الأمور. قوله: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ، إضراب عما ذكر أولاً، إشارة إلى أنهم لا حجة لهم في الإشراك، ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم. قوله: (هادي له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ شروع في تسليته ﷺ، والمراد بإقامة الوجه، بذل الهمة ظاهراً وباطناً في الدين. قوله: (أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته. قوله: ﴿فِطْرَتَ آللهِ﴾ منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (الزموها) وهي ترسم بالتاء المجرورة، وليس في القرآن غيرها، وقوله: (وهي دينه) أي دين الإسلام، وعلى هذا فالخلق جميعاً مجبولون على توحيد يوم

وهي دينه أي الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ توحيد الله ﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ مسرورون، وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة

ألست بربكم، ولذا قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه» وهذا غير ما سبق في علم الله، وأما هو فعلم أن قوماً يكفرون وقوماً يؤمنون، فمن سبق في علم الله إيمانه، فقد استمر على فطرته الأصلية، ومن سبق في علم الله كفره، فقد رجع عن فطرته، وإن كان سبق منه التوحيد، وحينئذ يكون معنى الآية: الزم أنت ومن اتبعك الفطرة التي فطرك ربك عليها وهي التوحيد، وهذا أحد أقوال ثلاثة في معنى الفطرة، وقيل المراد بها: الخلقة الأصلية التي ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة، وإلى ما يصيرون اليه عند البلوغ، فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه، ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب، كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات، فما دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الإسلام، ولا يحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد البلوغ، ولذا كان كل من مات من بني آدم قبل بلوغه في الجنة، وإن كان من أولاد المشركين، وهذا القول قريب من معنى القول الأول. قوله: **(أي لا تبدلوه)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾** خبر، والمراد منه الأمر. قوله: **(توحيد الله)** تفسير لقوله: **﴿ذَٰلِكَ﴾**.

قوله: **﴿يَعْلَمُونَ﴾** **(توحيد الله)** أي بل جهلوا ذلك، فعبدوا غير الله. قوله: **(حال من فاعل أقم)** أي وما بينهما اعتراض. قوله: **(وما أريد به)** أي بالخطاب فإنه أريد به محمد ومن تبعه. قوله: **(أي أقيموا)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿وَٱتَّقُوهُ﴾** عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله. قوله: **﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** أي فأهل السعادة فرحون بسعادتهم، وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم أنهم على حق. قوله: **(وفي قراءة فارقوا)** أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: **﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾** **﴿إِذَا﴾** شرطية وجوابها قوله: **﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾**، وقوله: **(أي كفار مكة)** خص ذلك بهم لأنه سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: **﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾** **﴿إِذَا﴾** فجائية قائمة مقام الفاء، فهي رابطة للشرط. قوله: **(أريد به التهديد)** أي فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقرير، على

الإنكار ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ حجة وكتاباً ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ تكلم دلالة ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أي يأمرهم بالإشراك؟ لا ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿ رَحْمَةً ﴾ نعمة ﴿ فَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ فرح بطر ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾ شدة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدَّة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ بها ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ حَقَّهُۥ ﴾ من البر والصلة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر من الصدقة، وأمَّة النبي تبع له في ذلك ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي ثوابه بما يعملون ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ الفائزون ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن

حد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾. قوله: **(عاقبة تمتعكم)** قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: **(فيه التفات عن الغيبة)** أي إلى الخطاب لأجل المبالغة في زجرهم. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي فهي منقطعة، تفسر تارة بالهمزة وحدها، وتارة بالهمزة وبل. قوله: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ داخل في حيز النفي. قوله: **(أي يأمركم بالإشراك)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والأحسن أن يجعلها موصولة، أي بالأمر الذي كانوا يشركون بسببه. قوله: **(فرح بطر)** أي عجب وكبر، فيصرفونها فيما يغضبه تعالى، ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه. قوله: ﴿يَقْنَطُونَ﴾ بفتح النون وكسرها سبعيتان. قوله: **(ومن شأن المؤمن)** أي من خصلته وهيئته. قوله: **(ويرجو ربه عند الشدة)** أي لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه. قوله: **(امتحاناً)** أي اختباراً لينظر أيشكر أم يطغى. قوله: **(ابتلاء)** أي فينظر هل يصبر ويرضى، أم يضجر ويشكو.

قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ هذه الآية في صدقة التطوع لا في الزكاة الواجبة، لأن السورة مكية، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة. قوله: **(القرابة)** أخذ أبو حنيفة من الآية، أن النفقة على الأرحام عموماً واجبة على القادر، وعند مالك والشافعي النفقة على الأصول والفروع واجبة، وما عدا ذلك مندوب. قوله: **(وأمة النبي)** الخ، أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبي، فالمراد هو وأمته. قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الظافرون بمقصودهم.

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. قوله: **(بأن يعطى شيئاً)** الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب، وهي أن يريد الرجل بهديته أكثر منها، وهي مكروهة في حقنا، وأما في حقه ﷺ فمحرمة لقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع، وإن لم يشترط عليه، فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لأمر غني لفقير. قوله: **(فسمي)** أي المعطى وهو الهدية.

قوله: **(باسم المطلوب)** أي الذي يأخذ من المهدى اليه مقابلة ما أعطاه. قوله: ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي في تحصيلها. قوله: **(المعطين)** أي الآخذين للهبة والهدية. قوله: **(أي لا ثواب فيه**

رِبًا﴾بأن يعطى شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ لِيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ المعطين أي يزيد ﴿ فَلَا يَرْبُواْ ﴾ يزكو ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي لا ثواب فيه للمعطين ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾ صدقة ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ بها ﴿ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ ٣٩ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ ممن أشركتم بالله ﴿ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾؟ لا ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٤٠ به ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ ﴾ أي القفار بقحط المطر وقلة النبات ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾ من المعاصي ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ بالياء والنون

للمعطين) أي الدافعين لما ذكر، فالأول اسم مفعول، والثاني اسم فاعل. قوله: **(صدقة)** أي صدقة تطوع، وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق. قوله: **﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾** أي الذين تضاعف لهم الحسنات. قوله: **(فيه التفات عن الخطاب)** أي تعظيماً لحالهم أو قصداً للعموم كأنه قيل: من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون.

قوله: **﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾** جملة من مبتدأ وخبر، وهي تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين قوله: **﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾** الخ، خبر مقدم، و **﴿مِنْ﴾** للتبعيض، و **﴿مَنْ يَفْعَلُ﴾** مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾** جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شيء، لكونه نعت نكرة تقدم عليها، و **﴿مِنْ شَيْءٍ﴾** مفعول **يفعل**، و **﴿مِنْ﴾** زائدة، والتقدير من الذي **يفعل شيئاً** من ذلكم من شركائكم، واسم **الإشارة** يعود على ما ذكر من الأمور الأربعة، وهي الخلق والرزق والأمانة والاحياء. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾** هذا نتيجة ما قبله، أي فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله، ولا شريك له في شيء عنها، فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص. قوله: **(أي القفار)** بكسر القاف جمع قفر وهي الأرض التي لا ماء بها ولا نبات، وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذي لا أدم معه. قوله: **(بقحط المطر)** أي منعه من النزول. قوله: **(أي البلاد التي على الأنهار)** وقيل إن قلة المطر، كما تؤثر في البر تؤثر في البحر، فتخلو أجواف الأصداف وتعمو دوابه، فإذا أمطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وتكثر دواب البحر.

قوله: **﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾** الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كسبهم. قوله: **(من العاصي)** أي ومبدؤها قتل قابيل هابيل، لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة، لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يصول على الغنم ونحوها، فلما قتله اقشعرت الأرض، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض. قوله: **﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾** اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله: **﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾** الخ، وهذا فيمن **أظهر الفساد** وتكبر وتجبر وكفر، وإلا فالمصائب للصالحين رفع درجات، ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات. قوله: **(أي عقوبته)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ**

﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ أي عقوبته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ يتوبون ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة ﴿ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ دين الإسلام ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ يوطئون منازلهم في الجنة ﴿ لِيَجْزِىَ ﴾ متعلق بيصدعون ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ يثيبهم ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ أي يعاقبهم ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ تعالى ﴿ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿ وَلِيُذِيقَكُم ﴾ بها ﴿ مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ المطر والخصب ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ﴾ السفن بها ﴿ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإرادته ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ تطلبوا الرزق بالتجارة في البحر ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

قَبْلُ﴾ أي وهي الدمار والهلاك إن لم يتوبوا، وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا، قال تعالى: **﴿كذلك نجزي القوم الظالمين﴾**.

قوله: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾** الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، والمعنى ابذل همتك في دين الإسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم. قوله: **﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾** أي وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله، بل كل إنسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك، قال تعالى: **﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾**. قوله: **﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾** متعلق بيأتي. قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** التنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يأتي هذا اليوم. قوله: **(فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد)** أي فأصله يتصدعون، أبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد. قوله: **(يتفرقون بعد الحساب)** أي عند سماع قوله تعالى: **﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾**. قوله: **(وبال كفره)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(يوطئون منازلهم)** أي فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تهيؤ المنازل في الجنة. قوله: **(متعلق بيصدعون)** أي والتقدير يتفرقون ليجزي الذين آمنوا من فضله، والذين كفروا بعدله. قوله: **﴿ٱلرِّيَاحَ﴾** أي الشمال والصبا والجنوب، فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فهي ريح العذاب، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». قوله: **﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾** عطف على **﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾** كأنه قال: لتبشركم وليذيقكم. قوله: **﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** **﴿مِنْ﴾** تبعيضية أي بعض رحمته. قوله: **(يا أهل مكة)** خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وأما فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا﴾** هذه الآيات معترضة بين الآيات المنفصلة والمفصلة، لأن قوله: **﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾** تفصيل لقوله: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾** وحكمة ذلك

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ يفرحون بالمطر ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ آيسين من إنزاله ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ﴾ وفي قراءة آثار ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي نعمته بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المحيي الأرض ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟﴾ صاروا جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ يجحدون النعمة بالمطر ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما

تسليته ﷺ وتأنيسه، حيث وعده بنصر المؤمنين عموماً. قوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ عطف على محذوف قدره بقوله: (فكذبوهم). قوله: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، و ﴿نَصْرُ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿حَقّاً﴾ خبرها مقدم، و ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بحقاً أو بمحذوف صفة، وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين، بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ مبتدأ وخبر، وهو تفصيل لما اجمل أولاً كما تقدم التنبيه عليه. قوله: (تزعجه) أي تهيجه وتحركه. قوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي ينشره في جهتها متصلاً بعضه ببعض. قوله: (بفتح السين وسكونها) أي فيهما قراءتان سبعيتان، فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح، فقوله: (قطعاً) تفسير للوجهين. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ فجائية، والمعنى فاجأهم الفرح. قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ فسر ﴿إِنْ﴾ بقد تبعاً لغيره، فالواو للحال، و (قد) للتحقيق، وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها بدليل اللام لمبلسين، فإنها اللام الفارقة، وكل صحيح. قوله: (تأكيد) أي إشارة إلى أنه أتاهم الفرج بعد تمادي يأسهم. قوله: ﴿فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ رَحْمَةِ اللهِ﴾ أي ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (مضرة) أي وهي ريح الدبور.

قوله: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ أي بعد خضرته. قوله: (جواب القسم) أي وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة، من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما. قوله: (يجحدون النعمة) أي فشأنهم يفرحون عند الخصب، فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم، جحدوا سابق نعمة الله عليهم. قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ تعليل لمحذوف، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فهم موتى صم عمي، وأنت لا تسمع من كان كذلك. قوله: (بتحقيق الهمزتين) الخ، أي وهما قراءتان سبعيتان.

﴿تُسۡمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ﴾ آخر وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةٗ﴾ أي قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ على ما يشاء ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ مكثوا في القبور ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ يصرفون عن الحق البعث، كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة اللبث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ وقوعه ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئۡتَهُم﴾ يا محمد

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِنَا﴾ أي يصدق بها. قوله: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي أصل ضعيف. قوله: (ماء مهين) أي حقير ضعيف قليل. قوله: ﴿وَشَيْبَةً﴾ أي وهو بياض الشعر الأسود، ويحصل أوله غالباً في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سن الكهولة، والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين، فيزيد وهو أول سن الشيخوخة، فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر، وهذا في غير أهل التقوى والصلاح، وأما هم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم. قوله: (بضم أوله وفتحه) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي تحصل وتوجد. والمراد بها القيامة، سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا. قوله: (الكافرون) أي المنكرون للبعث. قوله: (مكثوا في القبور) إنما استقلوا تلك المدة، لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار، وقيل المراد مكثوا في الدنيا، فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة. قوله: (يصرفون عن الحق) أي الإقرار والاعتراف به في الدنيا.

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾ أي رداً عليهم وتكذيباً لهم. قوله: (وغيرهم) أي كالأنبياء والمؤمنين. قوله: (أنكرتموه) أي في الدنيا. قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض عن جمل محذوفة، أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع، الخ. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي اعتذارهم. قوله: (العتبى) كالرجعى وزنى ومعنى، ولا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا. قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ للتبعيض أي بعض كل صفة لأجل إرشادهم.

قوله: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي مما اقترحوا. قوله: (حذف منه نون الرفع) الخ، هذا سبق قلم من

﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مبطلون﴾ ٥٨ أصحاب أباطيل ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالبعث، أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر، أي لا تتركنه.

المفسر، فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و ﴿الَّذِينَ﴾ فاعله، لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء. قوله: (منهم) حال من الكافرين. قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي إذا علمت حالهم، وأنهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر، الخ. قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَق﴾ تعليل للأمر بالصبر. قوله: (والطيش) عطف مرادف على (الخفة). قوله: (أي لا تتركنه) أي لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم.

تمَّ الجزء الرابع من كتاب حاشية الصاوي ويليه الجزء الخامس وأوله سورة لقمان

فهرس الجزاء الرابع
مـن
حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

الفهرس

تفسير سورة الكهف

تفسير سورة طه

تفسير سورة الحج

تفسير سورة المؤمنون

تفسير سورة النور

تفسير سورة الشعراء

تفسير سورة النمل

تفسير سورة القصص

تفسير سورة العنكبوت

تفسير سورة الروم